فضائل القرآن
وأخلاق أهله وآداب حملته

مع بيان بدع القراء

في القراءة ودعاء الختم والقنوت

ومسح الوجه باليدين

جمع وإعداد وتقديم

أبو سلمان

عبد الله بن محمد الغليفى – رحمه الله-

دار القرآن بغليفة

مكة المكرمة

إلى حفظة كتاب الله وأئمة المساجد

أهديهم هذه الرسائل راجياً الله أن ينفع بها

ونرى السُنة تنتشر في مساجد المسلمين

1- فضائل القرآن

للحافظ بن كثير

2- أخلاق أهل القرآن

للإمام الآجرى صاحب كتاب الشريعة

3- مختصر التبيان في آداب حملة القرآن للامام النووي

4- بِدَعُ القُرّاء القَديمَة وَ المعَاصرة

للعلامة بكر بن عبد الله أبو زيد

5- دعاء القنوت في الوتر

للعلامة بكر بن عبد الله أبو زيد

6- مرويات دعَاء خَتم القرآن وَحكمه دَاخل الصَّلاة وخَارجها

للعلامة بكر بن عبد الله أبو زيد

7- حكم مَسْح الوَجْه باليدينِ بَعْد رفعهَما لِلدُّعاءِ

للعلامة بكر بن عبد الله أبو زيد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه

أما بعد

فإن التمسك بأصول السنة التي تُرَدَّ بها كل محدثة وبدعة, وِمِنْ أَجَلَّها: وَقْفُ العبادة على النص, في دائرة جهاته الست وهي: السبب, والجنس, والمقدار, والكيفية, والزمان, والمكان .

وإيماء إلى أن أي حَدَثٍ في التَّعَبُّدِ ففيه:
هجر للمشروع .
واستدراك على الشرع .
واستحباب لما لم يشرع .
وإيهام للعامة بمشروعيته .
فيؤول الدين المنزل إلى شرع محرف مبدل .
ونُقل عن حذيفة رضي الله عنه أنه قال: ((كل عبادة لم يتعبد بها أصحاب رسول الله ﷺ فلا تعبدوها, فإن الأول لم يدع للآخر مقالاً, فاتقوا الله معشر القراء, وخذوا بطريق من كان قبلكم والله المستعان .
ومما دفعنى لجمع هذه الرسائل أنه قد جمعنى مجلس ببعض الأحبة أهل القرآن ممن يقومون بإمامة الناس في صلاة التراويح وقد هالنى ماسمعت منهم من إقرارهم بعض بدع القراء المنتشرة من التكبير من سورة الضحى ودعاء الختم وأفزعنى قول أحدهم أن هذا سنة ثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن صحابته الكرام فعزمت على جمع هذه الرسائل لأن هذه الشبهات لاتزول إلا بالعلم ونشر السنة بين المسلمين نسأل الله أن يجعلنا من أنصار دينه وسنة نبيه وعباده الموحدين
وليس لى من عمل غير جمع هذه الرسائل لإتحاد موضوعها وبيان فائدتها وعظيم نفعها لمن تدبر مافيها ثم جمع تراجم هؤلاء العظام والأئمة الأعلام من شيوخ السلف الكرام نفعنا الله بعلومهم راجيا خيرا في ربى أن يوفق من يحب من خلقه للقيام بنشر هذا المجموع وتوزيعه على المسلمين وهذا فيه أعظم نصر لسنة سيد المرسلين وخير خلق الله أجمعين محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم فأصل المحبة الإتباع وعلامة محبته التمسك بسنته دون النظر إلى الواجب والمستحب0 أحيانا الله على الإسلام والسنة, حتى نلقاه على ذلك .

اللهم ياولى الإسلام وأهله مسكنا بالإسلام حتى نلقاك ,وصلى الله على نبينا ورسولنا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا

أبو سلمان عبد الله بن محمد الغليفى

ترجمة الإمام الآجرى – رحمه الله
264- 360 ه

اسمه ونسبه: هو الإِمَامُ الْحَافِظُ الثَّبْتُ النِّحْرِيرْ، وَبَحْرُ الْعِلْمِ، صَاحِبُ السُنَّةِ الأَثَرِيّ، الزَّاخِرُ بِالْفَضْلِ الْغَزِيرْ، الإِمَامُ الفقيه المُحدِّثُ القُدْوَةُ, شَيْخُ الحَرَمِ الشَّرِيْفِ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، الآجُرِّيُّ الْبَغْدَادِيُّ۔

و(الآجُرِّي) بفتحٍ أوله ممدود، وضم الجيم وكسر الراء المشددة، نسبةٌ إلى قريةٍ من قرى بغداد يقال لها (الآجُرّ)، ودَرْبُ الآجُرِّ مَحَلَّةٌ كَانَتْ بِبَغْدَادَ مِنْ مَحَالِّ نَهْرِ طَابِقٍ بِالْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ، سَكَنَهَا غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْعَلِمِ، وَهُوَ الآنَ خَرَابٌ قَالَهُ يَاقُوتٌ الحَمَوِيَ فِي مُعْجَم البُلْدَانِ.

مولده ونشأته: نَشَأَ بِدَرْبِ الآجُرِّ بِبَغْدَادَ، نَشْأَةَ مَنْ يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُور، فَبَكَّرَ إِلَى مَجَالِسِ عُلَمَاءِ بَلْدَتِهِ وَهُوَ يَتْلُو: اللَّهُمَّ بَارَكْ لِي فِي الْغُدُو وُالْبُكُور؛ وَلازَمَ الْحِشْمَةَ وَالْوَقَارَ وَالْوَرَعَ الْمَتِين، وَسَلَكَ فِي الزُّهْدِ وَالْعِبَادَةِ سُنُنَ السَّادَةِ السَّالِفِين، وَجَدَّ فِي الْقِيَامِ فِى جَوْفِ الدَّيَاجِي قَانِتاً، يَتْلُو بِلِسَانِ التَّذَلُّلِ وَالاعْتِذَارِ وَالرَّجَا:

اتَّخِذْ طَـاعَةَ الإِلَهِ سَـبِيلاً تَجِدِ الْفَوْزَ بِالْجِنَانِ وَتَنْجُو
وَاتْرُكْ الإِثْمَ وَالْفَوَاحِشَ طُرًّا يُؤْتِكَ اللهُ مَـا تَرُومُ وَتَرْجُو

وَسَمِعَ وَهُوَ حَدَثٌ يَافِعٌ أَبَا مُسْلِمِ الْكجِّيَّ الَّذِي فَاقَ مُحَدِّثِي عَصْرِهِ، وَأَقَرَّ لَهُ بِالإِمَامَةِ وَالصَّدَارةِ أَبْنَاءُ دَهْرِهِ؛ فَحَصَّلَ فِي سِنٍّ مُبَكِّرَةٍ الْحَدِيثَ بَالأَسَانِيدِ الْعَوَالِي، وَتَفَرَّد عَنْ أَقْرَانِهِ وَذَوِيهِ بِأَوْسَاطِ الْمَعَالِي.

تَصَدّى رِجَالٌ فِي الْمَعَالِي لِيُدْرِكُوا مَـدَاكَ وَمَـا أَدْرَكْتَهُ فَتَـذَبْذَبُوا
وَرُمْتَ الَّذِي رَامُوا فَأَذْلَلْتَ صَعْبَهُ وَرَامُوا الَّذِي أَذْلَلْتَ مِنْهُ فَأَصْعَبُوا

ثُمَّ صَحِبَ بَعْدَهُ أَئِمَّةً تُشَدُّ إِلَيْهِمْ الرِّحَالُ وَيُقْصَدُونَ، مِنْ الْقَوْمِ الَّذِينَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللهِ وَرِضْوَانَاً وَيَنصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ، فَلازَمَ أَبَا بَكْرٍ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ الْفِرْيَابِيَّ أَوْحَدَ الْحُفَّاظِ الرُّفَعَاءِ، وَلَمْ يَلْتَفِتْ بِهِمَّتِهِ عَنْهُ إِلَى بَيْضَاءَ وَلا صَفْرَاءَ، حَتَّى وَعَى صَدْرُهُ وَخَزَنَتْ دَفَاتِرُهُ مَا لَدِيهِ، وَحَمِدَ عِنْدَ إِيَابِهِ السُّرَى وَالإِدْلاجَ إِلَيْهِ.

وَزَاحَمَ بِرُكْبَتَيْهِ أُلُوفَ الْحَاضِرِينَ مَجَالِسَ أَبِي مُحَمَّدٍ يَحيَى بْنِ صَاعِدٍ حَامِي جَنَابِ الشَّرْعِ مِنْ الحَدِيثِ الْمُفْتَرَى، وَالذَّائِدِ عَنْ السُّنَّةِ وَنَاصِرِهَا نَصْرَاً عَزِيزَاً مُؤَزَّرَا، فَقَرَّبَهُ مِنْهُ وَأَدْنَاهُ، وَأَمْلَى عَلَيْهِ فَوَائِدَ لَمْ يَسْبِقْهُ إِلَيْهَا سِوَاهُ، وَمَا بَرِحَ يَرْتَحِلُ فِى الأَمْصَارِ يَطْلُبُ الْمَزِيد، حَتَّى حَوَى مِنْ الْحَدِيثِ وَالآثَارِ فَوْقَ مَا يُرِيد، وَلِسَانُ حَالِهِ يَقُولُ:

وَمَا لِي حَـالَةٌ أَرْجُـو بَقَاهَا سِوَى التَّشْمِيرِ فِي طَلَبِ المَعَالِي
نَظَرْتُ فَلَمْ أَجِـدْ شَيْئَاً بِعَيْنِي مِنْ الدُّنْيَا يَزِيـدُ عَلَى خِلالِي

أَقَامَ وَحَدَّثَ بِبَغدادٍ قَبْلَ سَنَةِ ثَلاَثِينَ وَثَلاثُمَائِةِ (330 هـ)، وَقَدْ سَأَلَ الله أَنْ يَرْزُقَهُ الإِقَامَةَ بِهَا سَنَةً، فَأَقَامَ بِمَكَّةَ مُجَاوِراً ثَلاثِينَ عَاماً حَتَى كَانَتْ وَفَاتُهُ بِهَا؛ صَارَ شَيْخَهَا وَمُفِيدَ حُجَّاجِهَا وَالْقَاطِنِين، عَلَى خُلُقٍ أَرَقَّ مِنْ النَّسِيمِ، وَمُحَيَّا تَعْرِفُ فِيهِ نَضْرَةَ النَّعِيمِ، وَغَـدَتْ مَجَالِسُهُ بِكُبَرَاءِ أَهْلِ الْعِلْمِ صَبَاحَاً مُشْرِقَاً، وَأَمْسَتْ أَوْقَاتُهُ غَيْثَاً بِالْخَيْرَاتِ مُغْدِقَاً،وَأَذَاعَ أَرِيجَ ثَنَاءِهِ مِسْكُ اللَّيْلِ وَكَافُورُ الصَّبَاح، وَخَجَلَ عِنْدَ ذِكْرِهِ كُلُّ مُنَاظِرٍ مُعَانِدٍ وَكَبْشٍ نَطَّاح، وَوَضَحَ بُرْهَانُ أَهْلِ

السُّنَّةِ وَتُعُوِّذَ مِنْ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاس، وَنَادِي لِسَانُ الْحَقِّ: مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيَؤُمْ النَّاس.
وَكَانَ مَوْلِدُهُ سَنَةَ (280 هـ) بِبَغْدَادٍ، وَقِيلَ سَنَةَ (264 هـ).

شيوخه:

من تتبع مؤلفاته -رحمه الله-، يرى أن له مشايخ كثيرون، كما ذكره غير واحد من المؤرخين.بلغ عدد الشيوخ الذين روى عنهم الآجري في كتاب " الشريعة " فقط (76) شيخاً، سمع من أربعة منهم بمكة وبقيتهم من أهل بغداد، وأكثر روايته عن الحافظ أبي بكر جعفر بن محمد الفريابي (301هـ)، حيث روى عنه (394)نصاً، يليه الحافظ أبو بكر عبدالله بن أبي داود السجستاني (316هـ)، ثم أبو بكر عبدالله بن محمد بن عبدالحميد الواسطي، وعند النظر إلى هؤلاء الشيوخ نجدهم جميعاً ثقات، إلا ما ندر ومن شيوخه:

- أبومسلم الكجي أو الكشي إبراهيم بن عبدالله (ت292هـ).
- أحمد بن عمر بن موسى بن زنجويه أبوالعباس القطان (ت304هـ).
- أبو شعيب الحداني.
- خلف بن عمرو العكبري.
- أبوخليفة الفضل بن حباب.
- المفضل بن حباب الجندي أبوسعيد الحافظ (ت308هـ).
- هارون بن يوسف بن زياد.
- قاسم بن زكريا المطرز البغدادي (ت305هـ).
- أبوبكر بن أبي داود عبدالله بن سليمان بن الأشعث السجستاني (ت 316هـ).
- أحمد بن يحيي الحلواني.
- جعفر بن محمد بن الحسن أبوبكر الفريابي ثم التركي (ت301هـ).

وغيرهم خلق كثير منهم عبد الله بن عباس الطيالسي وحامد بن شعيب البلخي وأحمد بن سهل الأشناني المقرئ، ومن نظر في كتب الإمام الآجري خاصة الشريعة و تحريم النرد والشطرنج والملاهي وقف على جم غفير غير هؤلاء.

تلاميذه:

نجد بتتبع المصادر التاريخية أنَّ له الكثير من التلاميذ، منهم:

- أبو نُعيم أحمد بن عبدالله الحافظ الأصبهاني، صاحب الحلية (ت 404هـ).
- محمد بن الحسين بن المفضل القطّان.
- أبوالحسن الحمامي.
- عبدالرحمن بن عمر بن النحاس.
- علي بن أحمد المقرىء.
- محمود بن عمر العكبري.
- أبوالحسين علي بن محمد بن عبدالله بن بشران.
- أبوالقاسم عبدالملك بن محمد بن عبدالله بن بشران البغدادي (ت403ه).

وقد ذكر الإمام الذهبي في تذكرة الحفاظ وذلك في الصفحة السادسة والثلاثون بعد المائة التاسعة أنه روى عنه خلق كثير في مكة المكرمة من الحجاج والمغاربة.

مكانته العلمية ومصنفاته:

اتفق المؤرخون على إمامته في الفقه والحديث مع صلاحه وورعه وزهده.

قال الذهبي: الإمام المحدث القدوة، شيخ الحرم الشريف، كان صدوقا خيرا عابدا صاحب سنة واتباع، وقال في العلُوّ: كان الآجُرِّي أثرياً حَسَنَ التصانيف.

قال الخطيب: كان الآجُرِّي ثقةً صدوقاً ديناُ، له تصانيف.

وقال السيوطي: كان عالماً عاملاً صاحب سنة، دينا ثقة.

وقال ابن مفلح الحنبلي: كان من الفقهاء والكبار.

وقال ياقوت: كان ثقة، صنف تصانيف كثيرة، حدث ببغداد، ثم انتقل إلى مكة فسكنها إلى أن مات. لما وصل أبو بكر الآجري إلى مكة استحسنها واستطابها، فهجس في نفسه أن قال: اللَّهمّ أحيني في هذه [البلدة]ولو سنة، فسمع هاتفًا يقول: يا أبا بكر، لم سنة؟ بل ثلاثين سنة فلما كان في سنة الثلاثين سمع هاتفا يقول : يا أبا بكر قد وفينا بالوعد، فمات تلك السنة. رحِمَهُ اللهُ وَرضي عَنْهُ

عقيدته:

الإمام الآجري إمام من أئمة أهل السنة والجماعة، بل ومن المدافعين عن عقيدة السلف الصالح، ولا أدل على ذلك من كتابه الشريعة الذي صنفه لتقرير عقيدة السلف الصالح وللدفاع عنها، والرد على مخالفيها، حيث قال في هذا الكتاب (ص301): "علامة من أراد الله عز وجل به خيراً، سلوك هذا الطريق كتاب الله وسنن رسول الله r وسنن أحابه رضي الله عنهم، ومن تبعهم بإحسان وما كان عليه أئمة المسلمين في كل بلد إلى آخر ما كان من العلماء مثل: الأوزاعي، وسفيان الثوري، ومالك بن أنس، وأحمد بن حنبل، والقاسم بن سلام، ومن كان على مثل طريقتهم، ومجانبة كل مذهب يذمه هؤلاء العلماء". وكذلك قال (ص488): "فاسلكوا طريق من سلف من أئمتكم يستقم لكم الأمر الرشيد، وتكونوا على المحجة الواضحة إن شاء الله تعالى".

فكان سلفياً أثرياً محارباً للتعصب المذهبي، وهذا شيءٌ جليٌ واضحٌ في كتبه، وقد تنازع المؤرخون على أي مذهب تفقَه، فمنهم من يقول أنه تفقه على مذهب الشافعي انظر الوفيات لابن خلكان وطبقات الشافعية، ومنهم من يقول أنه تفقه على مذهب أحمد بن حنبل انظر طبقات الحنابلة وشذرات الذهب.

مُصنفاته:

1- الأربعين في الحديث.
2- أخبار عمر بن عبدالعزيز.
3- أخلاق حملة القرآن.
4- أحكام النساء.
5- أخلاق العلماء.
6- التصديق بالنظر إلى الله عز وجل

وما أعده لأوليائه.
7- الشريعة. وحققه د. عبدالله الدميجي وهذه أفضل الطبعات
8- الغرباء من المؤمنين. 9- أدب النفوس.
وله العديد من المصنفات الأخرى منها: " النصيحة" وينقل عنها ابن مفلح صاحب الفروع في الفروع اختياراتٍ حسنة، وله " الثمانين " و " أداب العلماء " و "مسألة الطائفين" و" التهجد" و" فرض العلم" و " صفة قبر النبي صلي الله عليه وسلم" و" مختصر الفقه" و "تحريم النرد والشطرنج" و "ذمُّ اللواط" وذكر بعض المؤرخين أنَّ مؤلفاته تزيد عن هذه التي ذكرت بكثير.

تأريخ وفاته:

اتفق المؤرخون على وفاة الإمام الآجري -رحمه الله- يوم الجمعة أول يوم محرم سنة ستين وثلاثمائة بمكة المكرمة ودفن فيها وكان قد بلغ من العمر ستاً وتسعين سنة أو نحوها".
قال: وكان يدعو كثيراً ألا تبلغه سنة ستين، فما مضى من أول يوم من السنة إلا ساعة حتى توفي -رحمه الله

ترجمة الإمام النووي- رحمه الله

631 - 676هـ
عاش 45 سنة

فإنه ممَّا لا شكَّ فيه أنَّ الإمام النَّوَوِيَّ إمامٌ في علومٍ كثيرة، أعلاها الحديثُ الشريف والفقه والتفسير، والعِبادة والزهد والوَرَع، والرِّجال واللغة، وهو صاحِب الكلمات النُّورانيَّة الأخَّاذة والقلم السيَّال؛ فهو إمامُ سنَّة، وقامِع بدعة، فكم من أُلوفِ الآلاف من المسلمين تعلَّموا السُّنَّة منه عبْر العصور، ومعلومٌ أنَّ نشر السنة معناه: هدمٍ لباطل وإبطال لبدعة، وهو رأسٌ في التألُّهِ والتعبُّد، والأدب الجم مع العُلَماء والمخالِفين، شيخ الإسلام الإمام أبو زكريا يحيى بن شرف النَّوَوِيُّ، زاهِد العُلَماء وعالِم الزُّهَّاد، حتى إنَّ صدْق نيَّة هذا الإمام وإخلاصَه قد ظهر من خِلال سِيرته العَطِرة، ومن استِفادة كافَّة العُلَماء - فضلاً عن طلبة العلم - على تعدُّد مشاربهم من مؤلَّفات هذا الإمام العِملاق؛ فكتبه: كـ"رياض الصالحين"، و"التبيان"، و"المجموع"، وغيرها تُقرَأ في المعاهد العلميَّة وتُنثَر دُرَرُها بين العُلَماء وطلَبَة العلم والعامَّة في كلِّ حين، وإنه لَيَجْدُرُ بنا أن نقول في حقِّه: إنَّه ما جاء بعدَه من عالمٍ ولا متعلِّم إلا وللإمام النَّوَوِيِّ - رحمه الله تعالى - في عنقه منَّة - نحسبه كذلك، ولا نزكِّي على الله أحدًا هذا، وقد بارَك الله - سبحانه وتعالى - له في عمره؛ لأنَّ هذه الخيرات التي ترَكَها كلها والتي سردُها أو نشْرُها علم، واقتناؤها حلم، وفهمها غُنم، والواحِد مِنَّا يَعجِز - إلا من رحم الله تعالى - عن قراءَتها فكيف بتأليفها؟! وقد وفَّقه الله - تعالى - في تأليفها وعمره لم يَتجاوَز الخامسة والأربعين سنة؛ إذ إنَّ ميلاده كان سنة (631 هـ)، ووفاته كانت سنة (676 هـ)، ولكن فضل الله يُؤتِيه من يشاء.

اسمه ونسبه :

هو يحيى بن شرف بن مُرِي بن حسن بن حسين بن محمد بن جمعة بن حِزام الحزامي النَّووي الحوراني، الدمشقي، الشافعي.

كنيته :

أبو زكريا، كانت العرب تكني الرجل بأحد أولاده، وجاءت كنية إمامنا على غير القياس ، وقد يكنى الصبي في الصغر تفاؤلاً بأن يعيش ويصير له ولد يسمى بذلك الاسم، كما ورد في الأثر عن أنس رضي اللهِ عنه قال: كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا وَكَانَ لِي أَخٌ يُقَالُ لَهُ أَبُو عُمَيْرٍ قَالَ أَحْسِبُهُ فَطِيمًا ،وَكَانَ إِذَا جَاءَ قَالَ: ((يَا أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ)) . الحديث متفق عليه ,والكنية سنة محمودة عن النبي صلى الله عليه وسلم، والمعروف عن الإمام النووي أنه كان لا يكني نفسه كما ورد في رسائله، لكنَّه كان يحثُ على ذلك، فقال في المجموع: " ويستحب تكنية أهل الفضل من الرجال والنساء سواء أكان له ولد أم لا ، وسواء كُني بولده أو بغيره ، وسواء كُني الرجل بأبي فلان أو بأبي فلانة، وسواء كُنيت المرأة بأم فلان أو أم فلانة"، واشتهرت كنيته ممن تحدث عنه ، وإنما لم يفعل ذلك لِما جُبل عليه من الفضل والتواضع وإنما كُنْيَّ بأبي زكريا لأنَّ اسمه يحيى ، والعرب تكني من كان كذلك بأبي زكريا ويعقوب،وإسماعيل بأبي إبراهيم ، وغيره

لقـبه:
والإمام النووى –رحمه الله - مع أنَّه من العُلَماء العزَّاب، الذين آثَرُوا العلم على الزواج؛ وإنما كُنِّي لأنَّ ذلك من السُّنَّة، وهو أن يكنى المسلم ولو لم يتزوَّج، أو لم يولد له، أو حتى لو كان صغيرًا، وقد قالت السيدة عَائِشَةُ - رضِي الله عنها - للنبيِّ - صلَّى الله عليه وسلَّم -: يا رسول الله، كلُّ نسائك لها كنية غيري، فقال لها رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم -: ((اكتَنِي أنت أم عبدالله))، فكان يُقال لها: أم عبدالله، حتى ماتت ولم تلد قطُّ، (يعني: ابن الزبير ابن أختها أسماء – رضِي الله عنهم)؛ أخرَجَه الإمام أحمد في "مسنده".

وكان يلُقَّب بمحيي الدين - مع كراهته له - لأنَّ تلك الألقاب كانت مُتداوَلة في عصره، وقد اشتهر تلقيبه بذلك في حياته، فلا يكاد يذكر اسمه إلا مقروناً بلقبه ، مع أنه كان يكره أن يلّقب به، وصح عنه أنه قال: (لا أجعل في حلٍّ من لقبني محيي الدين) وهذا دليل على تواضعه.
نسبته:
أما نسبته فقد تعددت ، فمن حيث عمود النسب ، ينتهي إلى جده حِزام المذكور، وكان بعض أجداده يزعم أنها نسبة إلى والد الصحابي الجليل حكيم بن حزام رضي الله عنه ، وأما نسبته إلى البلد ، فهو ينسب إلى حوران، لأن (نوى) بلدة من أعمال حوران وينسب إلى (نوى) لأنها بلدته التي ولد فيها ونشأ، وفيها مات ودفن . وينسب إلى دمشق مدينة العلم التي رحل إليها عام 649ه لطلب العلم، وبقي فيها إلى قبيل وفاته بقليل، ويُنسبُ إلى الشافعيّ نسبةً إلى مذهبه، وأصبح محرراً للمذهب ومهذبه ومحققه ومرتبه .فنسبته: (النَّوَوِيُّ) إلى نَوَى، وهي قاعِدة الجولان من أرض حُوران من أعمال دمشق، فهو الدمشقي أيضًا، خصوصًا وقد أقام الشيخ بدمشق نحوًا من ثمانٍ وعشرين سنة فهو النَّوَوِيُّ مولدًا، والدمشقيُّ إقامةً، والشافعي مذهبًا، والحزامي قبيلة، والسني مُعتَقَدًا.
ولادته :
ولد الإمام النووي في العشر الأوسط من المحرم سنة (631هـ) بمدينة (نوى) على الصحيح المشهور ولا خلاف في ذلك .
أسرته:
لم تسعفنا المصادر التي ترجمت له بمعلومات تاريخية عن أسرته و مكانتها العلمية سوى ما نقل عن تلميذه ابن العطار الذي قال: حِزام جده نزل في الجولان بقرية (نوى) على عادة العرب، فأقام فيها ورزقه الله ذرية إلى أن صار منهم خلق كثير، كما نقل الإمام السخاوي (رحمه الله) عن ابن العطار قوله: كانت أسرة النووي أسرة بسيطة تعيش حياة عادية،فأبوه كان يتعيش على دشكان يبيع ويشتري فيه، وكان النووي يساعده فيه قبل أن يخرج لطلب العلم، فهذا يدل على أنَّ أسرته كانت متواضعة كباقي الأسر العربية.
أما عن صلاح أبيه فقد نقل الإمام السخاوي عن ابن العطار أيضاً قوله:

الشيخ الزاهد الورع وليُّ اللهِ ، وقال عنه الإمام اليونيني:كان من الصالحين مقتنعاً بالحلال يزرع له أرضاً يقتات منها هو وأهله، وكان يُمَونُ الشيخ محيي الدين منها مؤنته وقتاً بوقت ولا يأكل من عند غير أبيه لِما يعلمه من صلاحه واستعماله الحلال الخالص، وبلغ من زهده وورعه أنه لما مات ولده الشيخ محيي الدين النووي أنفق كتبه التي صنفها في مختلف العلوم الإسلامية سواءً المكتوبة بخطه أم التي اشتراها بماله، وهي تساوي جملة كبيرة، بل جعلها عند تلميذه ابن العطار لينتفع بها المسلمون .

هكذا عاش الرجل الصالح، وهكذا هيأ حياة صالحة لأولاده، فغرس فيهم الورع والتقوى وغذاهم بالحلال ،فتمخضت الأسرة الكريمة، فأنجبت إماماً وعلماً من الأعلام ذاع صيته في البلاد الإسلامية، فتشرفت به وتشرف بها ، أما مصادرنا التاريخية بخصوص بقية أسرته فلم أجد عنهم فيها شيئاً سوى بعض الإشارات، منها ما قاله الإمام اليونيني: إنَّ له أخوة وإنهم عاشوا بعد أبيهم أيضاً وإنَّ منهم كباراً وصغاراً ، ولم يُعلم عنهم شيء آخر

نشأته :

عاش الإمام النووي (رحمه الله)مدة طفولته وصباه في كنف والده، وكان يعمل مع أبيه في دكانه الذي يتعيش منه، وتحت رعايته في مدينة (نوى) ، وكان أبوه مستور الحال مبارك له في رزقه، يعيش في ستر وخير وبركة ، وكان مشهوداً له بالصلاح منذ طفولته، وما يدل عليه قول تلميذه ابن العطار: ذكر لي بعض الصالحين الكبار انه ولد وكتب من الصادقين،ثم ينشأ نشأة العلماء الكرام الذي تحفه رعاية الله سبحانه وتعالى، فمنذ صغره وهو ابن سبع سنين يداوم على قراءة القرآن، وهذا ما ذكره ابن العطار إذ قال: "ونشأ بنوى وقرأ القرآن، فلما بلغ سبع سنين، ـ وكانت ليلة السابع والعشرين من رمضان ـ قال والده: كان نائماً إلى جنبي، فانتبه نحو نصف الليل وأيقظني وقال: يا أبتِ ما هذا النور الذي قد ملأ الدار فاستيقظ أهله ولم يروا شيئاً، فعرفت أنها ليلة القدر"،هكذا إذن كانت نشأته منذ الصغر، وهكذا كانت رعاية الوالد الصالح لأبنه، وتستمر حياته بين كثرة التلاوة للقرآن الكريم والذكر لله سبحانه وتعالى كما ذكر ذلك الإمام اليونيني إذ قال:" كان كثير التلاوة للقرآن العزيز،والذكر لله تعالى معرضاً عن الدنيا مقبلاً على الآخرة من حال ترعرعه" ،ويبقى هذا حاله قبل أن يشد الرحال إلى طلب العلم قاصداً مدينة دمشق .

البيئة التي نشَأ فيها:

نشَأ تحت كنف والده، وكان مستور الحال؛ فكان يعمل في دكان أبيه مدَّة، وكان الأطفال يُكْرِهونه على اللعب معهم، وهو يهرب منهم ويبكي ويقرأ القرآن الكريم، فرآه الشيخ ياسين - رحمه الله تعالى - وكان من صالحي ذلك الزمان، وهو على هذه الحالة، فقال للذي يعلِّمه القرآن الكريم وأوصاه به وقال له: هذا الصبي يُرجَى أن يكون أعلم أهلِ زمانه وأزهدهم، وينتفع الناس به، فقال له المعلِّم: مُنَجِّم أنت؟! فقال: لا؛ وإنما أنطقني الله - تعالى - بذلك، فذكَر ذلك لوالده، فحَرَصَ عليه إلى أنْ ختَم القرآن الكريم

وقد ناهَز الاحتلام.ثم قَدِمَ به أبوه إلى دمشق، وكانت آنذاك مَحَطَّ العُلَماء وطلبة العلم، وكان عمره (19) سنة، فسَكَن المدرسة الرِوَاحِيَّة، وقد قال الإمام النَّوَوِيُّ نفسه: "وبقيت نحو سنتين لا أضع جنبي بالأرض، وأتقوَّت بجِرَاية المدرسة".

دراسته وهو صغير: ذكَر الإمام ابن العطار - وهو التلميذ النجيب للإمام النَّوَوِيِّ - أنَّ شيخه حكَى له عن نفسه أنه كان يقرأ كل يوم (12) درسًا على مشايخه شرحًا وتصحيحًا.وقال: وكنت أعلِّق جميع ما يتعلَّق بها من شَرْح مُشْكِلٍ، ووضوح عبارة، وضبط لغة، وبارك الله - تعالى - لي في وقتي.ثم إنَّه أراد تعلُّم المنطق فأظلَم قلبه، فترَكَه - رحمه الله تعالى.

صفته: كان أسمرَ، كثَّ اللحية، رَبْعَةً، مَهِيبًا، قليل الضحك، عديم اللعب، يقول الحق ولا يخشى في الله - تعالى - لومة لائم، وفي بحثه مع الفُقَهاء تعلوه السكينة.

عُزُوفُه عن الزواج وسببه: الإمام النَّوَوِيُّ من العُلَماء الذين آثَرُوا العلم والعبادة على الزواج، فهذان الأمران جعَلا الإمامَ النَّوَوِيَّ وكثيرًا من كِبار العُلَماء من صالحي هذه الأمَّة كالإمامين: النَّوَوِيِّ وابْنِ تَيْمِيَّةَ وغيرهما يَعزفون عن الزواج لا رغبة عنه ورهبنة؛ بل تُعتَبَر مثلَ "حالهم هذه - والله أعلم - أنها مسلك شخصي فردي اختاروه لأنفسهم مايَزُوا فيه ببصيرتهم الخاصَّة بين خير الزواج وخير العلم الذي يقومون به، فرجَح لديهم خيرُ العلم على خيرِ الزواج لهم، فقدَّموا مطلوبًا على مطلوب، ولم يدعوا أحدًا من الناس إلى الاقتِداء بهم في هذا المسلك، ولا قالوا للناس: التبتُّل للعلم أفضَل من الزواج، ولا ما نحن عليه أفضل ممَّا أنتم عليه" ؛ بل إنهم تركوا الزواج وهم عالِمون بأحكامه، وبما دلَّتْ عليه الشريعة، ولهم من العلم ما يَرْقَى بهم ويسمو عن أن يفعلوا شيئًا جاهِلين بأحكامه، وكيف يكون هذا ولهم في مصنَّفاتهم كلامٌ رَصِين مَتِين موزون أبانوا فيه أحكامَه الشرعيَّة؛ بل تكلَّموا على سائِر الموضوعات التي لها علاقة بالزواج، سواء من قريب أو من بعيد، بمعرفة فاحصة وعلم غزير، وفهم ثاقب مُستَنِير، ويشهد لذلك كلامُه وفَتاواه المُتناثِرة في كتبه، والتي يتداولها العُلَماء

رحلاته :

لم يكن الإمام النووي(رحمه الله) كثير الترحال ،كما هو شأن غيره من العلماء ، بل كانت رحلاته محدودة جداً،والذي يهمنا من رحلاته هذه هي رحلته العلمية لأذكر من خلالها سيرته العطرة في طلبه وتَلَقيه العلم وحرصه على الوقت .

رحلته إلى دمشق : في عام (649هـ) صحب الوالد ولده تلقاء مدينة العلم والعلماء في بلاد الشام مدينة دمشق،وكانت محج العلماء وطلبة العلم ،ومن هنا بدأت رحلته العلمية، ثم سكن المدرسة الرواحية ،وبقي فيها سنتين تقريباً ، ثم شَمّرَ عن ساعد الجد في طلب العلم .

طريقة تلقيه العلم :لما وصل إلى دمشق قصد الجامع الأموي ليلتقي هناك الشيخ خطيب وإمام الجامع الشيخ جمال الدين عبد الكافي الرَّبعي

الدمشقي .قال السخاوي : "وما أن اجتمع إليه حتى عرَّفه مقصده، ورغبته في طلب العلم ، فأخذه وتوجه به إلى حلقة مفتي الشام الشيخ تاج الدين عبد الرحمن بن إبراهيم الفزاري (ت 690هـ) المعروف بابن الفركاح، فقرأ عليه دروساً وبقي يلازمه مدة". قال الذهبي: ذكر شيخنا أبو الحسن بن العطار: أن الشيخ محيي الدين ذكر له أنه كان يقرأ كل يوم اثني عشر درساً على مشايخه شرحاً وتصحيحا، درسين في الوسيط ودرساً في المهذب ودرساً في الجمع بين الصحيحين ودرساً في صحيح مسلم ودرساً في اللمع لابن جني ودرساً في إصلاح المنطق ودرساً في التصريف ودرساً في أصول الفقه ودرساً في أسماء الرجال ودرساً في أصول الدين.
هذه هي همّة طالب العلم الذي امتدت إليه رعاية الله سبحانه وتعالى، فبارك له في فهمه وعلمه ووقته وغيرها من الأمور، ومنها البركة التي حلت عليه بعد رجوعه من الحج عام (651هـ) كما قال والده(رحمه الله): "ولما توجهنا للرحيل من نوى أخذته الحمى إلى يوم عرفة، قال: ولم يتأوه قط، فلما عدنا إلى نوى ونزل هو إلى دمشق صب الله عليه العلم صباً "، ولم يكتفِ بهذا الكم من الدروس، بل كان كما قال (رحمه الله): وجعلت أشرح وأصحح على شيخنا الإمام العالم الزاهد الورع أبي إبراهيم إسحاق بن أحمد بن عثمان المغربي الشافعي(650هـ) ولازمته فأعجب بي لما رأى من اشتغالي وملازمتي وعدم اختلاطي بالناس، وأحبني محبة شديدة وجعلني معيد الدرس في حلقته لأكثر الجماعة، وقال أيضاً:"وكنت أعلق جميع ما يتعلق بها من شرح مشكل ووضوح عبارة وضبط لغة"، هذا عن دروسه، أمّا عن طريقة حفظه فيذكر لنا الشيخ ابن العطار عن شيخه :قال الشيخ : حفظت التنبيه في أربعة أشهر ونصف وحفظت ربع المهذب في باقي السنة.

حرصه على وقته: كان الإمام النَّوَوِيُّ لا يضيع وقتًا لا في ليلٍ ولا في نهار، حتى إنه في ذهابه في الطريق وإيابه يشتَغِل في تكرار محفوظاته أو مطالعة، ثم أدَّى فريضة الحج مع والده، وكان عمره لم يتجاوَز اثنين وعشرين عامًا.كان (رحمه الله) حريصاً كل الحرص على وقته الذي كرسه في الاشتغال بالعلم وذكر عنه: "انه كان لا يضيع وقتا في ليل ولا نهار إلا في وظيفة من الاشتغال بالعلم، حتى في ذهابه في الطريق ومجيئه يشتغل في تكرار محفوظة أو مطالعة، وأنه بقي على التحصيل على هذا الوجه نحو ست سنين قبل اشتغاله بالتصنيف ومجاهدة النفس "، وكان معرضاً عن شواغل الحياة وملاذِّها "وقد صرف أوقاته كلها في الخير، فبعضها للتأليف وبعضها للتعليم وبعضها للصلاة وبعضها للتلاوة بالتدبر وبعضها للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. ثم اشتغل بالتصنيف والاشتغال والإفادة والمناصحة للمسلمين وولاتهم مع ما هو عليه من المجاهدة لنفسه والعمل بدقائق الفقه والاجتهاد على الخروج من خلاف العلماء، وإن كان بعيداً والمراقبة لأعمال القلوب وتصفيتها من الشوائب يحاسب نفسه على الخطرة بعد الخطرة، وكان محققاً في علمه وفنونه مدققاً في علمه وكل

شؤونه حافظاً لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عارفاً بأنواعه كلها من صحيحة وسقيمة وغريب ألفاظه ومعانيه واستنباط فقهه، حافظاً لمذهب الشافعي وقواعده وأصوله وفروعه ومذاهب الصحابة والتابعين واختلاف العلماء ووفاقهم واجتماعهم وإجماعهم سالكا طريق السلف".
هكذا كانت رحلة الإمام النووي (رحمه الله) في طلبه للطلب ، فكان له من المنزلة ما كان عليه بين العلماء وطلبة العلم وعامتهم وسأبينه لاحقاً إن شاء الله.

رحلته إلى مكة المكرمة(شرفها الله ذكرت لنا المصادر التي ترجمت للإمام النووي أنه حج بيت الله الحرام، وزار نبيه صلى الله عليه وسلم مرتين، فأما المرة الأولى فكانت سنة 651هـ، وأما بخصوص حجته الثانية فلم أجد من صرح بوقتها سوى ما قيل : "فلما توفي شيخه ازداد اشتغاله بالعلم والعمل وحج مرة أخرى" لكنني ومن خلال وقوفي على كتاب " تهذيب الأسماء واللغات" وجدته قد صرح بهذا من خلال ما نص عليه في القسم الثاني(اللغات) مادة (خنثى) عند جوابه على سؤال قوله: (وقد وقع هذا الخنثى في البقر فجاءني جماعة أثق بهم يوم عرفة سنة أربع وسبعين وستمائة ....) وهذا ما ذهبت إليه لم يسبقني إليه أحد ممن ترجم له ولله الحمد.

ـ **رحلته إلى بيت المقدس :**ذكر ابن العطار (رحمه الله): أنَّ الإمام النووي سافر إلى بيت المقدس قبل وفاته بشهرين، وقال: "وجرى لي معه وقائع ورأيت منه أموراً تحتمل مجلدات، فسار إلى نوى وزار القدس والخليل عليه السلام ثم عاد إلى نوى" .

عبادته وزهده وورعه وصَفَه كلُّ مَن رآه بأنَّه زاهد في الدنيا، مُقبِل على الآخرة، كثير التحرِّي والانجماح عن الناس، وكان يصوم الدهر، ولا يجمع بين إدامين، وكان لا يأكل من فاكهة دمشق؛ لأنها كثيرة الأوقاف لِمَن هو تحت الحَجْر شرعًا، وكان يقبَل من الفقير ويردُّ الغني، ولمَّا جاء المرسوم السلطاني بوُجُوب الإنفاق على الجند ذهَب الناس إلى الإمام النَّوَوِيِّ وشَكَوْا إليه، فأرسَل رسالةً إلى السلطان ابتدَأها ببيان حقِّ الراعي والرعية، ثم حثَّه على الالتِزام بالشريعة، ونهاه عن هذا الفعل، فغَضِب السلطان وأمَر المسؤولين أن يعزلوا هذا الشيخ ويمنعوه راتبه، فتلطَّفوا له قائلين له: إنَّه لا يَتعاطى راتبًا، وليس له منصب ثم لم تكن المكانة العلمية التي وصل إليها الإمام النووي على هذا القدر لو لم يكن من المتقين تصديقاً لقوله تعالى (وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّه) سورة البقرة / من الآية282، فقد تميزت عبادته بصفاء العقيدة وسعة العلم ، وكثرة الإطلاع ، فقد نقل ابن العطار ثناء أحد العلماء عليه "كان الشيخ محيي الدين سالكاً منهاج الصحابة ولا اعلم أحداً في عصرنا سالكاً منهاجهم غيره" ،فقد ثبت عنه أنه كان صائم الدهر قائم الليل لا يضيع له وقت إلاّ في الاشتغال بعلم أو عبادة ، وذكر الإمام اليونيني فقال: " كان كثير التلاوة للقرآن العزيز، والذكر لله تعالى معرضاً عن الدنيا مقبلاً على الآخرة من حال ترعرعه" ،ونقل ابن العطار عن أحد علماء الحنابلة قال: "كنت ليلةً في جامع دمشق والشيخ

واقف يصلي إلى سارية في ظلمة وهو يردد قوله تعالى (وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُون) سورة الصافات/ من الآية24 . مراراً بحزن وخشوع حتى حصل عندي من ذلك ما الله به عليم" **زهده:** أما عن زهده ، فقد أعرض عن الدنيا بملذاتها وزخرفها، فلم يغتر بها وتركها وراءه وجعل حظَّه منها كزاد الرَّاكب أسوة بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وذكر تلميذه ابن العطار عن أحد العلماء قوله : "عذلت الشيخ في تضييق عيشه في أكله ولباسه وجميع أحواله وقلت له أخشى عليك مرضا يعطلك عن أشياء أفضل مما تقصده فقال إن فلانا صام وعبد الله حتى اخضر عظمه قال: فعرفت انه ليس له غرض في المقام في هذه الدار ولا يلتفت إلى ما نحن فيه ... وقال أيضاً : ورأيت رجلاً من أصحابه قشر خيارة ليطعمه إياها فامتنع من أكلها وقال: أخشى أن ترطب وتجلب النوم، وعنه أيضاً أنه قال: "وكان لا يجمع بين إداميّن ولا يأكل اللحم إلاّ عندما يتوجه إلى نوى" ، هكذا كان حال إمامنا لقد ترك جميع ملذات الدُّنيا من المأكل والمشرب إلاّ ما يأتيه من أبيه من كعك يابس وتين حوراني ، ولم يلبس من الثياب إلاّ المرقعة، وصدقه هذا جعله رأساً في الزهد قدوة في الورع إماماً في العلم

ورعه :لقد كان الإمام النووي (رحمه الله) علماً ونموذجاً صالحاً اجتمعت فيه صفات السلف الصالح في سلوكه وعلمه وتقواه كما قال الإمام السبكي: "ما اجتمع بعد التابعين المجموع الذي في النووي ولا التيسير الذي تيسر له"، ومن ورعه قال ابن العطار: "كان لا يأكل من فاكهة دمشق، فسألته عن ذلك فقال: دمشق كثيرة الأوقاف وأملاك من هو تحت الحِجْر شرعاً، والتصرف في ذلك لا يجوز إلاّ على وجه الغبطة والمعاملة فيها على وجه المساقاة وفيها خلاف بين العلماء، ومن جوزها شرط الغبطة والناس لا يفعلونها إلاّ على جزء من ألف جزء من الثمرة للمالك فكيف تطيب نفسي لأكل ذلك" ، وكان لا يأخذ من أيِّ جهة مالاً، ولا يتناول طعاماً، ولا يقبل شيئاً من أحد ، قال السخاوي نقلاً عن الذهبي: " إنه ترك جميع الجهات الدنيوية ، فلم يكن يتناول من جهة من الجهات درهماً فرداً ، وأنه ما أخذ للأشرفية فيما بلغني جامِكيَّتة بل اشترى بها كتباً ووقفها " ورحم الله الإمام اليونيني إذ قال: "والذي أظهره وقدمه على أقرانه، ومن هو أفقه منه كثرة زهده في الدُّنيا، وعظم ديانته وورعه " .

وفاته : عاش إمامنا حياة فضيلة كُرِّست لطاعة الله وخدمة دينه ،حتى إذا جاء يوم الأربعاء الرابع والعشرون من شهر رجب سنة(676هـ) انتقل الإمام العالم العابد الزاهد التقي وحيد عصره وزمانه إلى جوار ربه عزَّ وجل ، ولكن هذه سنة الله في خلقه إذ قال سبحانه وتعالى (وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْساً إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) سورة المنافقون/الآية 11 ، وذكر الإخباريون أنَّ صدره كان يجيش ببعض الأمارات الدالة على دنوّ أجله . قال ابن العطار : "وكنت جالسا بين يديه قبل انتقاله بشهرين، وإذا بفقير قد دخل عليه، وقال الشيخ فلان من بلاد صرخد يسلم عليك، وأرسل معي هذا الإبريق لك، فقبله وأمرني بوضعه في بيت حوائجه فتعجبت منه لقبوله، فشعر بتعجبي، وقال أرسل اليَّ بعض الفقراء زنبيلا وهذا إبريق فهذه آله

السفر... ثم بعد أيام يسيرة كنت عنده، فقال قد أذن لي في السفر فقلت : كيف آذن لك ؟ قال: بينما أنا جالس هاهنا ـ يعني ببيته بالمدرسة الرواحية وقدامه طاقة مشرفة عليها مستقبل القبلة ـ إذ مرَّ علي شخص في الهواء من هنا ومر كذا يشير من غربي المدرسة إلى شرقيها وقال: قم سافر لزيارة بيت المقدس، ثم قال : قم حتى نودع أصحابنا وأحبابنا، فخرجت معه إلى القبور التي دفن فيها بعض شيوخه فزارهم، وبكى ثم زار أصحابه الأحياء" وذهب لزيارة بيت المقدس والخليل ، وعاد بعدها إلى نوى ومرض هناك في بيت والده، وقال ابن العطار : "بلغني مرضه، فقدمت من دمشق لعيادته ففرح بي وقال: ارجع إلى أهلك وودعته وقد أشرف على العافية يوم السبت العشرين من رجب سنة ست وسبعين وستمائة وتوفي ليلة الأربعاء الرابع والعشرين من رجب، ودفن صبيحتها بنوى"، ووصل خبر وفاته إلى دمشق في ليلة الجمعة،قال:" فبينا أنا نائم تلك الليلة وإذا بمناد ينادي بجامع دمشق الصلاة على الشيخ ركن الدين الموقع ، فصاح الناس لذلك النداء، فاستيقظت فبلغنا ليلة الجمعة موته وصُلِيَّ عليه بجامع دمشق ، وتأسف المسلمون عليه تأسفاً بليغاً، ومنهم من توجه إلى قبره في نوى وقال السيوطي : فهو رضي الله عنه شهيد، جمع بين مرتبتي العلم والشهادة نفعنا الله به" ، ورثاه كثير من العلماء بأشعارهم ولا يسع المقام لذكرها، فرحم الله شيخنا وأسكنه فسيح جناته وأسال الله سبحانه وتعالى أن يجمعنا به يوم القيامة.

ثناء العلماء عليه قال تلميذه ابن العطار : شيخي وقدوتي الإمام ذو التصانيف المفيدة ، والمؤلفات الحميدة ، وحيد دهره وفريد عصره ، الصوام القوام ، الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة صاحب الأخلاق الرضية ، والمحاسن السنية ، العالم الرباني المتفق على علمه وإمامته وجلالته وزهده وورعه وعبادته وصيانته في أقواله وأفعاله وحالاته ، له الكرامات الطامخة والمكرمات الواضحة ، والمؤثر بنفسه وماله للمسلمين ، القائم بحقوقهم وحقوق ولاة أمورهم بالنصح والدعاء في العالمين مع ما هو عليه من المجاهدة لنفسه ، والتمل بدقائق الفقه والاجتهاد عن الخروج من خلاف العلماء ولو كان بعيدا والمراقبة لأعماله وتصفيتها من الشوائب ، يحاسب نفسه على الخطرة بعد الخطرة ، وكان محققا في علمه وكل شؤونه ، حافظا لحديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، عارفا بأنواعه كلها من صحيحه ، وسقيمه وغريب ألفاظه وصحيح معانيه واستنباط فقهه ، حافظا لمذهب الشافعي وقواعده وأصوله وفروعه ومذاهب الصحابة والتابعين ، واختلاف العلماء ووفاقهم ، وإجماعهم وما اشتهر من جميع ذلك ، سالكا في كل ذلك طريق السلف ، قد صرف أوقاته كلها في أنواع العمل ، فبعضها للتصنيف ، وبعضها للتعليم وبعضها للصلاة ، وبعضها للتلاوة والتدبر والذكر لله ـ تعالى ـ وبعضها للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.وقال الشيخ قطب الدين موسى اليونيني الحنبلي : " المحدث الزاهد العابد الورع المفتخر في العلوم ، صاحب التصانيف المفيدة ، كان

أوحد زمانه في الورع والعبادة والتقلل من الدنيا والإكباب على الإفادة والتصنيف مع شدة التواضع ، وخشونة الملبس والمأكل ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.وقال الكمال جعفر الأدفوي : إنه صنف تصانيف مفيدة حصل النفع بها ، ودارت عليه الفتوى بدمشق.قال : ومآثره عزيزة عزيرة ، ومضى على جميل وسداد.قال : وكان فقده من أعظم المصائب ، وعدمه بليه رمت العباد بسهم من البلاء صائب ، رحمه الله ونفعنا ببركته وحشرنا معه في آخرته في دار كرامته.وقال الحافظ الذهبي : الشيخ الإمام القدوة الحافظ الزاهد العابد الفقيه المجتهد الرباني ، شيخ الإسلام ، حسنة الآنام ، محيي الدين ، صاحب التصانيف التي سارت بها الركبان واشتهرت بأقصى البلدان.إلى أن قال : لازم الاشتغال والتصنيف محتسبا في ذلك مبتغيا وجه الله ـ تعالى ـ مع التعبد والصوم والتهجد والذكر والأوراد وحفظ الجوارح وذم النفس والصبر على العيش الخشن ملازمة لا مزيد عليها.قال : وكان ملازمته التامة للعلم ومواظبته لدقائق العمل وتزكية النفس من شوائب الهوى وسيء الأخلاق ومحقها من أغراضها ، عارفا بالحديث قائما على أكثر متونه عارفا برجاله رأسا في نقل المذهب ، متضلعا من علوم الإسلام.
وقال اليافعي : شيخ الإسلام ، مفتي الآنام ، المحدث المتقن المدقق النجيب الحبر المفيد القريب والبعيد ، محرر المذهب وضابطه ومرتبه ، أحد العباد الورعين الزهاد العالم العامل ، المحقق الفاضل ، الولي الكبير ، السيد الشهير ، ذو المحاسن العديدة والسير الحميدة والتصانيف المفيدة ، الذي فاق جميع الأقران ، وسارت بمحاسنه الركبان واشتهرت فضائله في سائر البلدان ، وشوهدت له الكرامات وارتقى في أعلى المقامات ، ناصر السنة ، ومتعمد الفتاوى ، ذو الورع الذي لم يبلغنا مثله عن أحد في زمانه ولا قبله.

قال : ولقد بلغني أنه كان يجري دمعه في الليل ويقول :

لئن كان هذا الدمع يجري صبابة   على غير ليلى فهو دمع مضيع

قال : وقد رأيت له مقامات تدل على عظم شأنه ، ودوام ذكره لله ـ تعالى ـ ، وحضوره وعمارة أوقاته ، وشدة هيبته ، وتعظيم وعده ووعيده.

وقال الحافظ ابن كثير الشيخ الإمام العالم العلامة شيخ المذهب ، وكبير الفقهاء في زمانه ، ومن حاز قصب السبق دون أقرانه ، وكان من الزهادة والعبادة والتحري والورع والامتنان على الناس والتخلي لطلب العلم ، والتحلي به على جانب لا يقدر عليه غيره ، ولا يضيع من أوقاته.

وقال تاج الدين السبكي رحمه الله : كان يحيى ـ رحمه الله ـ سيدا حصورا ، وليثا على النفس هصورا ، وزاهدا لم يبال بخراب الدنيا إذا صير دينه ربعا معمورا ، له الزهد والقناعة ، ومتابعة السالفين من أهل السنة والجماعة ، والمصابرة على أنتواع الخير ، لا يصرف ساعة في غير طاعة هذا مع التفنن في أصناف العلوم فقهاء ، ومتون أحاديث وأسماء الرجال ولغة وتصوفا وغير ذلك.

مؤلفاته: لقد بارَك الله - تعالى - في عمر الإمام النَّوَوِيِّ ووقته؛ فمع أن عمره (45) سنة إلا أنَّه ترك مؤلَّفات سارَتْ بها الرُّكبان في حياته وبعد مَماتِه، وأصبَحت مَراجِع غنيَّة، ومَصادِر ثريَّة، ينهل منها العُلَماء وطلبة العلم والعامَّة، ولا تَكاد تجد عالمًا أو طالب علم بعدَ الإمام النَّوَوِيِّ - إلا ما شاء الله تعالى - إلا وقد استَفاد من مؤلفات الإمام النَّوَوِيِّ بواسطة وبغير واسطة، وهذه إحدى كرامات هذا الإمام الجليل، إضافةً إلى ما امتنَّ الله - تعالى - عليه من كَرامات كثيرات؛ منها: ما تمنَّاه الإمام النَّوَوِيُّ حين قال: "اللهم أَقِمْ لدينك رجلاً يكسر العمود المُخَلَّق، ويخرب القبر الذي في جيرون"، واستَجاب الله - تعالى - دعاءَه بشيخ الإسلام ابن تيميَّة، وقد قال شرف الدين: "فهذا من كَرامات الشيخ محيي الدين، فكسرناه - ولله الحمد - وما أَصاب الناس من ذلك إلا الخير، والحمد لله وحدَه".

أمَّا كُتُبه، فمنها ما يلي أولاً: في الاعتِقاد: ويتمثَّل ذلك فيما يلي:

• الإمام النَّوَوِيّ ذكَر مُعتَقد أهل السنة والجماعة في آيات وأحاديث الصِّفات، وأحيانًا يذكر معهم قول الخَلَف، لكنَّه في آخر عمره ألَّف رسالة صغيرة في إثبات كلام الله - تعالى - وردَّ بها على الأشاعرة ومَن مشى في رِكابهم، أو تعلَّق بفلكهم، أو لَفَّ لَفَّهم، وهي رسالةٌ موسومة بـ"جزء فيه ذكر اعتِقاد السلف في الحروف والأصوات"، والذي يدلُّ على سلفيَّته العَقَدِيَّة - وهو ما نَدِين الله تعالى به - ما يلي:

1- رسالته السابقة في إثبات صفات الرحمن والرد على الأشاعرة.

2- تكلُّمه بإسهاب في شرحه لصحيح الإمام مسلم، وكان كثيرًا ما يذكر قول السلف والخَلَف ولا يُرَجِّح، وكذلك في سائر كتبه وفتاواه متناثرًا؛ وعدم ترجيحه يعود إلى أمور، منها: أ - أنَّ شرحه كان مُنصَبًّا على فقه الحديث خاصَّة. ب- أنه كان ينقل من شرحي الإمامين الجليلين القاضي عِيَاض، ومن شرح الإمام المازَرِي على "صحيح الإمام مسلم"، فكثيرٌ من الأقوال كانت نقلاً لا ابتداءً، وكان هو فيها ناقلاً وليس بقائل، وأنه لم يتفرَّغ لتحقيق المسائل العقدية - رحمه الله تعالى. جـ- أنَّ عقيدة الأشاعرة كانت هي الغالبة في عصره. د- أنَّه أراد وضْع خُلاصَة مُعتَقدِه في نهاية عمره (الذي لم يتجاوَز الـ45 سنة)، فكتَب الرسالة السابقة، ثم عاجلَتْه المَنِيَّة بعد ذلك - رحمه الله تعالى. ثانيًا:
في الحديث الشريف وعلومه: ويتمثَّل ذلك فيما يلي:

1- "شرح صحيح الإمام مسلم"، وهو المعروف بـ"المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج".

2- "الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار - صلَّى الله عليه وسلَّم".

3- "رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين - صلَّى الله عليه وسلَّم".

4- "الأربعون حديثًا النَّوَوِيَّة"، 5- "التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير - صلَّى الله عليه وسلَّم"، وهو اختِصار لكتاب "الإرشاد" الذي هو مختصر كتاب "علوم الحديث"؛ للإمام أبي عمرو بن الصلاح.

6- "إرشاد طلاب الحقائق إلى معرفة سنن خير الخلائق - صلَّى الله عليه وسلَّم"، وهو اختِصار كتاب "معرفة علوم الحديث"؛ للإمام أبي عمرو بن الصلاح.

7- "الإرشاد إلى بيان الأسماء المبهمات"، وهو اختِصار كتاب "الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة"؛ للإمام الخطيب البغدادي.

8- "الخلاصة في أحاديث الأحكام"، وصَل فيه إلى الزكاة.

9- "شرح سنن أبي داود"، وصَل فيه إلى الوضوء.

10- "التلخيص شرح صحيح الإمام البخاري"، وصَل فيه إلى العلم.

11- "الإملاء على حديث إنما الأعمال بالنيات".

ثالثًا: في الفقه: ويتمثَّل ذلك فيما يلي:

1 - "روضة الطالبين"، وهو اختصار "الشرح الكبير"؛ للإمام الرافعي في الفقه الشافعي.

2 - "منهاج الطالبين"، وهو اختصار "للمُحَرَّر"؛ للإمام الرافعي مع الزيادة عليه بفرائد حسان.

3 - "الإيضاح في المناسك".

4 - "المجموع شرح المهذب للإمام الشِّيرازي"، وصَل فيه إلى الربا.

5 - فتاوى الإمام النَّوَوِيِّ المعروفة بـ"المنثورات" من جمع تلميذه الإمام ابن العطار، وهي دليلٌ على مرتبة الاجتِهاد المُطلَق التي وصَل إليها الإمام النَّوَوِيُّ؛ حيث إنَّه كان يُفتِي فيها بما ترجَّح له دليلُه.

6 - جزءٌ لطيف في الترخيص في الإكرام بالقِيَام، واسمه: "الترخيص بالقِيَام لِذَوِي الفضل والمزيَّة من أهل الإسلام".

رابعًا: في اللغة:

1 - "تهذيب الأسماء واللغات".

2 - "التحرير في ألفاظ التنبيه".

3 - ما تَناثَر في كتبه من تحقيقات علميَّة بديعة كـ"المجموع"، و"شرحه لصحيح الإمام مسلم"، وآخر "التبيان".

خامسًا: في علوم القرآن:

1 - "التبيان في آداب حملة القرآن".

2 - كلامه المتعلِّق بعلوم القرآن الكريم في كتبه.

سادسًا: في الزهد: إضافةً إلى سِيرَته العَطِرَة له: "بُستان العارفين".

وفاته: توفي الإمام النَّوَوِيُّ سنة ست وسبعين وسِتِّمائة من الهجرة عن خمس وأربعين سنة - رحمه الله تعالى. قال ابن العطار : فبلغني مرضه ، فتوجهت من دمشق لعيادته ، فسر بذلك ، ثم أمرني بالرجوع إلى أهلي ، فودعته بعد ما أن أشرف على العافية في يوم السبت العشرين من رجب فلما كانت ليلة الثلاثة في الرابع والعشرين منه سنة ست وسبعين وستمائة للهجرة انتقل إلى جوار ربه ـ رحمه الله تعالى ـ قال ابن العطار : وكان قبل قوله أذن لي في السفر بأيام يسيرة ، أرمل إليه فقير إبريقا فقبله وقال : قد أرسل إلى فقير آخر زنبيلا ، قال : وهذا إبريق وذلك ألة السفر.وقال التاج الدين السبكي في الطبقات الوسطى ونقله السخاوي : إنه قبل ظهوره إلى نوى رد الكتب المستعارة من الأوقاف جميعها.وحكى اللخمي عن غير واحد من العلماء بدمشق أنه لما خرج منها إلى نوى خرج معه جماعة العلماء وغيرهم لظاهر دمشق ، وسألوه متى الاجتماع ؟ فقال : بعد مائتي سنة فعلموا أنه عني القيامة.قال القطب اليونيني : ولما وصل الخبر بوفاته لدمشق توجه قاضي القضاة عز تالدين محمد بن الصائغ وجماعة من أصحابه إلى نوى للصلاة على قبره.يقول الذهبي : ورثاه غير واحد يبلغون عشرون نفسا بأكثر من ستمائة بيت وكما كان حظ إمامنا النووي من الدنيا قليلا ، فلم ينل منها ولم تنل منه ، وكانت كلها للعلم والعبادة والتصنيف والزهادة ، كذلك كان بقاؤه في الدنيا قليلا ،فلم يعمر فيها طويلا ولم يبن الدور و سكن القصور ، وإنما عاش على الكفاف والعفاف وسط الكتب وفي مدارس العلم الشرعي يفيد ويستفيد إلى أن أدركته منيته ولم يحقق أمنيته ولم يشبع نهمته من العلم النافع والعمل الصالح ،وكان أماله في التصنيف والإفادة أطول من سنى عمره ، فلم يستكمل كثيرا من الكتب التي شرع فيها وخاصة المجموع شرح المهذب ، ومن أكمله لم يبلغ علمه وإتقانه وإحسانه ، فرحم الله الجميع ، ولا غرو في ذلك ، فالدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ، فنسأل الله ـ تعالى ـ أن يرفع درجة إمامنا النووي فوق كثير من خلقه ،وأن ينفعه بما ترك من علم نافع وسلامة سريرة ، وحسن سيرة.

ترجمة الإمام بن كثير – رحمه الله

701ــــــــــــ774 هـ

نسبه وميلاده:
هو الإمام الحافظ، المحدث، المؤرخ، عماد الدين، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن ضوء بن درع القرشي الدمشقي الشافعي.
ولد بقرية « مِجْدَل » من أعمال بصرى، وهي قرية أمه، سنة سبعمائة للهجرة أو بعدها بقليل.
نشأته:
نشأ الحافظ ابن كثير في بيت علم ودين، فأبوه عمر بن حفص بن كثير أخذ عن النواوي والفزاري وكان خطيب قريته، وتوفى أبوه وعمره ثلاث سنوات أو نحوها، وانتقلت الأسرة بعد موت والد ابن كثير إلى دمشق في سنة 707 هـ) ، وخلف والده أخوه عبد الوهاب، فقد بذل جهدًا كبيرًا في رعاية هذه الأسرة بعد فقدها لوالدها، وعنه يقول الحافظ ابن كثير: « وقد كان لنا شقيقا، وبنا رفيقًا شفوقًا، وقد تأخرت وفاته إلى سنة (750هـ) فاشتغلت على يديه في العلم فيسر الله منه ما تيسر وسهل منه ما تعسر وكان ابوه

من العلماء والخطباء الفقهاء وكان له شعر رائق وفائق كما قال ابنه عليه وكان أخواه إسماعيل وعبد الوهاب من العلماء أيضا وكان بيتهم من بيوت الشرفاء العلماء وكان أهله ينتسبون إلى قريش ومعهم ما يؤكد هذاالنسب

اجتهاده لطلب العلم :

نشأ الحافظ بن كثير فى أسرة علمية , وقد سمع فى طفولته كثيرا عن أخوه الراحل (إسماعيل الأكبر) وكانوا يحثونه على أن يكون مثله فى العلم , ثم لم يلبث أن مات الأب وكان عمر الحافظ حوالى ثلاثة سنين (وكأنه كتب على العظماء من مشايخنا اليتم صغارا

طلبه للعلم .

حفظ القرآن الكريم وختم حفظه في سنة (711هـ) ، وقرأ القراءات وبرع في التفسير ، وحفظ متن " التنبيه " في الفقه الشافعي سنة (718هـ) ، وحفظ مختصر ابن الحاجب ، وتفقه على الشيخين برهان الدين الفزاري ، وكمال الدين ابن قاضي شهبة . ثم صاهر الحافظ أبا الحجاج المزي ، فتزوج ابنته زينب ، ولازمه ، وأخذ عنه ، وأقبل على علم الحديث فتخرج عليه فيه ، وصحب الشيخ تقي الدين ابن تيمية ، وكانت له به خصوصية ، وكان يفتي برأيه في مسألة الطلاق ، وامتحن بسبب ذلك وأوذي .
وقرأ الأصول على الأصفهاني وسمع علي أبي نصر ابن الشيرازي ، وأبي القاسم بن عساكر ، وآخرين كثيرين جدا .وأقبل على حفظ المتون ، ومعرفة الأسانيد والعلل والرجال والتاريخ ، حتى برع في ذلك وهو شاب ، وأفتى ودرس وناظر وبرع في الفقه والتفسير والنحو ، وأمعن النظر في الرجال والعلل .
ثم رحل به أخاه عبد الوهاب الى دمشق فى عام 707 أو 706 هـ حيث نشأ هناك وطلب العلم فيها وبدأ فى التعلم على يد أخاه ثم اجتهد فى تحصيل العلوم على يد اكبر مشايخ عصره وختم القرأن الكريم حفظا على يد الشيخ ابن غيلان البعلبكى فى عام 711 هـ ثم قدم الحافظ الكبير بن جماعه فى عام 710 هـ فطلبه بن كثير وتعلم على يديه تخريج أحاديث كتاب الرافعى فى فروع الفقه الشافعى

سماعه على مشايخ عصره :كان شيخنا كثير السماع والاستماع والحفظ على مشايخ عصره وقد عُنى بالسماع والإكثار من نجم الدين بن العسقلانى , وبن الشحنه الحجار وحفظ كتاب التنبيه للشيرازى فى الفقه الشافعى ومختصر بن حاجب في أصول الفقه وتفقه بالبرهان الفزارى وبالكامل بن قاضى شهبه ثم قرأ فى الأصول على الشيخ الأصبهانى وقد لزم الحافظ المِّزىّ وقرأ عليه كتابه الكبير (تهذيب الكمال فى أسماء الرجال) ثم من شدة مصاحبته له وتعلقه به تزوج ابنته
ثم لزم شيخ الإسلام الإمام أبو العباس بن تيميه ولزمه وتعلق به جدا وتخرج على يديه وقد كان من اعظم تلاميذه وكان له به خصوصية وتعلق شديد واتباع له فى كثير من أرائه , وكان بن كثير يفتى برأى بن تيميه فى بعض المسائل الفقهية , وكان يدافع عنه ويناضل عنه فى زمن محنته وبسبب ذلك أمتحن وتأذى جدا .

وقد أفادته صحبته لشيخ الإسلام رحمه الله جدا فى دينه وعلمه وتقوية خلقه وتربية شخصيته المستقلة فأصبح حر الرأى يدور مع الدليل حيث كان ولا يتعصب لمذهبه أبدا ولا لغيره فأصبح فى غاية الإنصاف رحمه الله

طفولته وتربيته كان للبيئة المحيطة بابن كثير أثر كبير في نشأته؛ فقد كان أبوه خطيبًا ببلدة مجيدل القُرَيَّة إلى أن توفِّي سنة 703هـ، وبقي ابن كثير تحت رعاية أخيه كمال الدين عبد الوهاب، الشقيق والشفيق، وترعرع في طفولته في هذه القرية مدة أربع سنوات، وهي سن الطفولة يتيمًا بعد فَقْد الوالد ولكنه امتلأ قلبه من ذكريات الطفولة، ونَعِم بآثار والده المعنوية، وحفظ أحاديث الناس عن خطب والده، وأقواله المأثورة، وأشعاره المحفوظة، وأدرك بحسِّه منزلة العالم المخلص، وأثره في الحياة والمجتمع، ومكانته في القلوب والنفوس، وسمع من إخوته وأخواته سبب تسميته بإسماعيل، تيمنًا بأخيه الأكبر (من أبيه) الذي سلك طريق العلم، فأخذه عن والده.ثم ارتحل إلى دمشق لاستكمال التكوين العلمي، فاختطفته يد المنون في شبابه، فوُلِد للوالد هذا الابن الأخير فسمَّاه إسماعيل ليكون كأخيه في طلب العلم، فاتجه ابن كثير رحمه الله تعالى إلى تحصيل العلم منذ السن المبكر؛ ليقرَّ عين والده في قبره، وليصبح كأبيه في قلوب الناس.
ولما بلغ ابن كثير السابعة من عمره، ارتحل بصحبة أخيه الشقيق عبد الوهاب إلى مدينة دمشق التي كانت مَوْئِلَ العلماء، وحاضرة العلم، ومركز الحضارة، وينبوع العطاء، ومحط الأنظار، ومرابع المعرفة التي يفد إليها العلماء والطلاب من كل حدب وصوب.وكان أخوه عبد الوهاب بمنزلة الأب والأستاذ الأول لابن كثير، الذي أخذ منه الشيء الكثير، واستمر في ملازمته والاستفادة من علمه طوال حياته التي امتدت إلى سنة 750هـ.ويحدثنا ابن كثير -رحمه الله تعالى- عن رحلته إلى دمشق بصحبة أخيه عبد الوهاب، فيقول: "ثم تحولنا من بعده (بعد وفاة الوالد) في سنة سبع وسبعمائة إلى دمشق، صحبه كمال الدين عبد الوهاب، وقد كان لنا شقيقًا، وبنا رفيقًا شفوقًا، وقد تأخرت وفاته إلى سنة خمسين، فاشتغلت على يديه في العلم، فيسَّر الله تعالى منه ما يسر، وسهَّل منه ما تعسر" واستقر ابن كثير في دمشق، وصار ابنًا من أبنائها، وعالمًا من علمائها، وخطيبًا ومدرسًا فيها، وأحبها من قلبه فلم يفارقها حتى مات ودُفن فيها، وكان وفيًّا لها فكتب تاريخها، ووصف أفراحها وانتصاراتها، وبكى أحزانها وأتراحها، وشارك في أحداثها، وكان له دور فاعل في ذلك حتى صار يُشار إليه بالبنان: محدِّثًا ومفسرًا، ومدرسًا ورئيسًا، ومصلحًا وداعيةً، ومعلمًا ومؤرخاً
ملامح شخصيته وأخلاقه:لقد حبا الله ابن كثير -رحمه الله- بكثيرٍ من الصفات الحميدة، والشمائل الكريمة، والخلال العذبة، والتي لا يتصف بها إلا العلماء الأخيار الأفذاذ؛ ومن هذه الصفات:
1- الحفظ: وهب الله ابن كثير حافظة قوية، وذاكرة ممتازة، وموهبة متفوقة، فكان قادرًا على حفظ العلوم والمتون، واكتناز المعلومات، وظهر

أثر ذلك في مصنفاته؛ فقد حفظ ابن كثير القرآن الكريم وهو في الحادية عشرة من عمره، كما صرَّح بذلك في تاريخ، وحفظ التنبيه في الفقه الشافعي، وعرضه سنة ثماني عشرة، وحفظ مختصر ابن الحاجب في أصول الفقه[8]، وحفظ المتون المتنوعة في العلوم؛ ولذلك وصفه عدد من العلماء بحفظ المتون، فقال شيخه الذهبي: "ويحفظ جملة صالحة من المتون والرجال وأحوالهم، وله حفظ ومعرفة وقال عنه تلميذه ابن حِجِّي: "كان أحفظ مَن أدركناه لمتون الأحاديث، وأعرفهم بجرحها ورجالها، وصحيحها وسقيمها، وكان أقرانه وشيوخه يعترفون له بذلك"

2- الاستحضار: اقترنت صفة الحفظ عند ابن كثير بصفة أخرى وهي صفة الاستحضار؛ مما يدل على المنحة الإلهية له بقوة الذاكرة، وقلة النسيان. وهو من أعظم المواهب الإلهية، وأكبر ميزة للعالم والمصنِّف والفقيه؛ لذلك كان ابن كثير يستحضر المتون والكتب والعلوم حتى لفت نظر المحققين والمحدثين، فهو ينقل من مصادر عدة، ولكنه يضع المعلومات بصيغته وأسلوبه الخاص به، مما يرجح أنه كان يكتب ويصنف من ذاكرته وحافظته، ويتصرف بذلك حسب مقتضى الحال والمقام

3- الفَهْم الجيد: هذه الصفة من المنح الإلهية للإنسان، ومن التوفيق الرباني له، وتتأثر بالعوامل المكتسبة عن طريق الإخلاص، والتقصِّي والدراسة، والاستيعاب والاجتهاد، وتحرِّي الدقة العلمية؛ مما تساعد صاحبها -بفضل الله تعالى وتوفيقه- على الفهم الجيد، والإدراك الصحيح، والاستنتاج المقبول لذلك يقول عنه تلميذه ابن حجي: "وكان فقيهًا جيد الفهم، صحيح الذهن"

4- خفة الروح: وهذه الصفة من الصفات الحسنة للإنسان عامَّةً، ومن عوامل التفوق والنجاح في التدريس والوعظ خاصَّةً، وتدل على سماحة النفس، والاهتمام بالطلاب، والتخفيف عنهم، والترويح في التدريس

5- الالتزام بالحديث والسُّنَّة: من صفات ابن كثير أنه كان حريصًا على التزام السنة، والدعوة إلى اتِّباع السلف، وهو ما يظهر عند مراجعة مؤلفاته وكتبه؛ ولا غرابة في ذلك فهو المحدِّث الفقيه الحافظ لأحاديث الرسول ، وكان ابن كثير رحمه الله يحارب البدع، ويدعو إلى تركها، ويساهم في إنكارها، ويفرح لإبطالها، ويسجِّل هذه المشاعر والعواطف والمبادئ في كتبه ومصنفاته، وكان يتتبع البدع ويتألم لوجودها، ويسعى لإبطالها، ويهلل لإلغائها

6- الخلق والفضيلة والموضوعية: كانت أخلاق ابن كثير رحمه الله حميدة، ويلتزم الفضائل والقيم، وسعة الصدر، والحلم، والصداقة المخلصة، والتقدير لشيوخه؛ فقد ترجم لعدد كبير منهم في تاريخه، وأثنى عليهم خيرًا، وعدَّد مناقبهم، وأثبت فضائلهم، واعترف بالأخذ عن الأساتذة، وحسن الصحبة للزملاء والمعاصرين

7- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: وهذا من المبادئ الإسلامية الرشيدة في الدعوة والنصح والإرشاد، والتكافل والتناصح بين أفراد الأمة والمجتمع، وهو واجب عيني على كل مسلم قادر ومستطيع أن يقوم به؛

لحديث رسول الله "مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ... ويتأكد واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الدعاة والعلماء والمصلحين، ثم على الحكام والمحكومين؛ وكان ابن كثير يعرف واجبه في هذا الجانب الخطير، ويؤدِّي حقه في مرضاة الله تعالى للحاكم والمحكومين، لا يبتغي بذلك إلا الأجر والثواب من الله تعالى، ولا يخشى في الله لومة لائم؛ فيقول الحق، ويقرر الشرع، ويؤدي الأمانة، ويبلِّغ حكم الله تعالى في كل الأمور والظروف والأحوال، ولو كان الأمر يتعلق بشئون الحكم، والخلاف بين الأمراء الذين يحاولون أن يتحصنوا بفتوى كبار العلماء، ويجعلوها ذريعة لتحقيق مآربهم

8- إنصاف الخصوم: يقول الله : {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إلى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا} [النساء: 58]. والعدل مطلوب من الحكام والقضاة، ومن كل ذي ولاية وسلطة مهما تنوعت واختلفت وتفاوتت درجتها، وذلك بإنصاف الناس -وحتى الخصوم- من النفس، وحينئذٍ يصبح الإنسان من السابقين إلى ظلِّ الله تعالى يوم القيامة.

والعدل من الفضائل، وخاصةً إذا كان الأمر مع الخَصْم، فهو أعلى درجات العدل بأن ينصف الإنسان خصمه من نفسه، وهذه المرتبة العليا لا يبلغها إلا القلة، وتدل على أن صاحبها بلغ رتبة عالية من تطبيق أحكام الشرع وآدابه، ومراقبة الله تعالى في ذلك، حتى يجاهد نفسه فيخضعها للحق، ويقف بها عند جادَّة الصواب، ولا يستسلم لهواه وأهوائه.

وهذا ما حدث مع ابن كثير -رحمه الله- في ترجمته لكثير من خصومه في الرأي والفكر والمواقف، فيصفهم بالحق والعدل، ولا يتجنى عليهم، ولا ينقصهم صفة لهم؛ ومن الشواهد الكثيرة على ذلك نجد في (البداية والنهاية) أنه كان بين ابن كثير وبين قاضي القضاة تقي الدين السبكي خصومة فكرية، وتشاء الظروف أن تُوجَّه اتهامات إلى قاضي القضاة بالتفريط في أموال الأيتام، وطُلِب من المفتين أن يضعوا خطوطهم بتثبيت الدعوى ضده لتغريمه ومحاكمته، ويصل الأمر إلى صاحبنا العلامة ابن كثير ذي الخُلُق الكريم، والموقف العادل، فيأبى الكتابة، ويُنصِف قاضي القضاة، ويوقف الافتراء والاتهام إلى أن يتبين الحق، ويسجِّل ذلك في تاريخه في أحداث سنة 743ه

9- الإصلاح الديني: نزل الإسلام صافيًا من السماء، وبلغه رسوله عليه الصلاة والسلام حتى لحق بالرفيق الأعلى، وقد ترك أمته على المحجة البيضاء، والتزم الصحابة -رضوان الله عليهم- بهذا الطريق القويم، وأدوا الأمانة، ونشروا الإسلام في الخافقين، وسار التابعون وتابعو التابعين على نهجهم، فكانوا خير القرون في تطبيق الإسلام، ونصاعة مبادئه. ثم بدأ يعلق به الغبار مع الأيام، وتُضاف إليه بعض الأمور التي لا تتفق مع جوهر الدين، وتُلحق به البدع والخرافات شيئًا فشيئًا، وقد تستشري في بعض الأحيان لتشوه صورة الإسلام النقية.

وهنا يأتي دور العلماء والدعاة والمصلحين الذين ينادون بالدعوة إلى تطبيق

الإسلام، والعودة إلى مبادئه الصافية، وتطهيره من البدع والخرافات. وقد ظهر في القرن السابع والثامن الهجريين علماء أفذاذ يمثلون هذا الاتجاه الإصلاحي، وكان الأشهر والأبرز في هذه المدرسة شيخ الإسلام ابن تيمية، الذي وقف في وجه البدع والخرافات الموجودة والمنتشرة في ذلك الوقت، ورفع الراية في وجه المبتدعة وغلاة الصوفية.
وكان من نتيجة ذلك أن انقسم العلماء والفقهاء والحكام والناس في شأن ابن تيمية إلى فريقين، فتحامل عليه علماء الصوفية، وكثير من الفقهاء والقضاة حتى وشوا به عند الحكام، فوقف بعضهم بجانبه، والبعض الآخر وقف ضده، وكان من الذين وقفوا مع ابن تيمية وناصروه ابن كثير رحمه الله].
شيوخه:أخوه الأكبر عبد الوهاب بن عمر بن كثير كمال الدين، وعيسى المطعم، وأحمد بن الشيخة، والقاسم بن عساكر، ومحمد بن محمد بن محمد الشيرازي، وإسحاق بن يحيى الآمدي، ومحمد بن أحمد الزراد، وابن قاضي شهبة، وابن الزَّمْلَكاني، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وبرهان الدين الفزاري (ابن الفِرْكاح)، ومحمد بن شرف الدين البعلبكي الحنبلي، وابن الشحنة، وعبد الله بن محمد بن يوسف المقدسي، وأبو الفتح الدَّبُوسي، وعلي بن عمر الواني، ويوسف الختني، ومؤرخ الشام البِرْزالي، والحافظ أبو الحجاج المِزِّي، ومؤرِّخ الإسلام الذهبي، وشمس الدين الأصفهاني، وغيرهم].
أكابر مشايخه : - أكبرهم وأحبهم إليه هو : شيخ الإسلام أبو العباس بن تيميه , أحمد بن عبدالحليم بن عبد السلام
- ثم يليه فى العلم والمحبة حماه : الحافظ المِزَّى الدمشقى , يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف بن عبد الملك
- ثم : شهاب الدين بن الشحنه الحجار الصالحى , أحمد بن أبى طالب بن نعمه بن حسن
- ثم : برهان الدين بن الفركاح البرهان الفزارى الصعيدى , إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن سباع بن ضياء
- ثم : الآمدىّ أبو محمد , إسحاق بن يحيى بن إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل
- ثم : علم الدين ابو محمد البرزالى الاشبيلى الدمشقى , القاسم بن محمد بن يوسف
وغيرهم كثير ولكن هؤلاء هم أعلام العصر وكل عصر رحمهم الله جميعا
تلاميذه:وللشيخ كثير من التلاميذ النجباء ولكن من أشهرهم :-
- شمس الدين الحسينى أبو المحاسن , محمد بن على بن الحسن بن حمزه بن محمد الحسينى
- و شهاب الدين بن حجّى أبو العباس الدمشقى السعدى , أحمد بن حجى بن موسى
من أشهر تلاميذ ابن كثير: سعد الدين النووي، وشهاب الدين بن حجي وابن الجزري، والزركشي.

آراء العلماء فيه:
قال عنه الذهبي: "الإمام الفقيه المحدِّث البارع عماد الدين، درس الفقه وأفتى، وتفهم العربية والأصول، ويحفظ جملة صالحة من المتون والرجال وأحوالهم، وله حفظ ومعرفة". وقال الذهبي في المختص: "الإمام المفتي، المحدث البارع، ثقة، متفنن، محدث متقن". وقال عنه السيوطي: "الإمام المحدث الحافظ، ذو الفضائل، عماد الدين..."
وقال عنه المؤرخ الشهير ابن تغري بردي: "الشيخ الإمام عماد الدين أبو الفداء...، وجمع وصنَّف، ودرَّس وحدَّث وألَّف، وكان له اطلاع عظيم في الحديث والتفسير والفقه والعربية وغير ذلك"
وقال ابن حبيب فيه: "إمام ذوي التسبيح والتهليل، وزعيم أرباب التأويل، سمع وجمع وصنَّف، وأطرب الأسماع بقوله وشنَّف، وحدَّث وأفاد، وطارت أوراق فتاويه إلى البلاد، واشتهر بالضبط والتحرير، وانتهت إليه رئاسة العلم في التاريخ والحديث والتفسير". وقال عنه الزركلي: "حافظ مؤرخ فقيه"
ثناء العلماء علي قال الحافظ الذهبي رحمه الله في ترجمته :
" إسماعيل بن عمر بن كثير : الإمام ، الفقيه ، المحدث الأوحد ، البارع ، عماد الدين البصروي الشافعي ، فقيه متقن ، ومحدث متقن ، ومفسر نقال ، وله تصانيف مفيدة ، يدري الفقه ، ويفهم العربية والأصول ، ويحفظ جملة صالحة من المتون والتفسير والرجال وأحوالهم ، سمع مني ، وله حفظ ومعرفة " انتهى .
"معجم المحدثين" (1/56) .
وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله : " إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير القيسي البصروي ، الشيخ عماد الدين .
ولد سنة سبعمائة أو بعدها بيسير ، ومات أبوه سنة (703) ، ونشأ هو بدمشق ، وسمع من ابن الشحنة ، وابن الزراد ، وإسحاق الآمدي ، وابن عساكر ، والمزي ، وابن الرضى ، وطائفة .
وأجاز له من مصر الدبوسي ، والواني ، والختني ، وغيرهم .
واشتغل بالحديث مطالعة في متونه ورجاله ، فجمع التفسير ، وشرع في كتاب كبير في الأحكام لم يكمل ، وجمع التاريخ الذي سماه البداية والنهاية ، وعمل طبقات الشافعية ، وخرج أحاديث أدلة التنبيه ، وأحاديث مختصر ابن الحاجب الأصلي ، وشرع في شرح البخاري ولازم المزي ، وقرأ عليه تهذيب الكمال ، وصاهره على ابنته ، وأخذ عن ابن تيمية ففتن بحبه ، وامتحن لسببه ، وكان كثير الاستحضار ، حسن المفاكهة ، سارت تصانيفه في البلاد في حياته ، وانتفع بها الناس بعد وفاته ، ولم يكن على طريق المحدثين في تحصيل العوالي وتمييز العالي من النازل ونحو ذلك من فنونهم ، وإنما هو من محدثي الفقهاء ، وقد اختصر مع ذلك كتاب ابن الصلاح ، وله فيه فوائد " انتهى .
"الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة" (1/445-446) .
كان ابن كثير، رحمه الله، من أفذاذ العلماء في عصره، أثنى عليه معاصروه ومن بعدهم الثناء الجم:

فقد قال الحافظ الذهبي في طبقات شيوخه: « وسمعت مع الفقيه المفتي المحدِّث، ذى الفضائل، عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير البصروي الشافعي.. سمع من ابن الشحنة وابن الزراد وطائفة، له عناية بالرجال والمتون والفقه، خرَّج وناظر وصنف وفسر وتقدم » .
وقال عنه أيضًا في المعجم المختص: « الإمام المفتي المحدِّث البارع، فقيه متفنن، محدث متقن، مفسر نقال » وقال تلميذه الحافظ أبو المحاسن الحسيني: « صاهر شيخنا أبا الحجاج المزي فأكثر، وأفتى ودرس وناظر، وبرع في الفقه والتفسير والنحو وأمعن النظر في الرجال والعلل » .
وقال العلامة ابن ناصر الدين: « الشيخ الإمام العلامة الحافظ عماد الدين، ثقة المحدثين، عمدة المؤرخين، علم المفسرين وقال ابن تغري بردي: « لازم الاشتغال، ودأب وحصل وكتب وبرع في الفقه والتفسير والفقه والعربية وغير ذلك، وأفتى ودرس إلى أن توفى » .
وقال ابن حجر العسقلاني: « كان كثير الاستحضار، حسن المفاكهة، سارت تصانيفه في البلاد في حياته، وانتفع الناس بها بعد وفاته » .
وقال ابن حبيب: « إمام روى التسبيح والتهليل، وزعيم أرباب التأويل، سمع وجمع وصنف، وأطرب الأسماع بالفتوى وشنف، وحدث وأفاد، وطارت أوراق فتاويه إلى البلاد، واشتهر بالضبط والتحرير، وانتهت إليه رياسة العلم في التاريخ، والحديث والتفسير » .
وقال العيني: « كان قدوة العلماء والحفاظ، وعمدة أهل المعاني والألفاظ، وسمع وجمع وصنف، ودرس، وحدث، وألف، وكان له اطلاع عظيم في الحديث والتفسير والتاريخ، واشتهر بالضبط والتحرير، وانتهى إليه رياسة علم التاريخ والحديث والتفسير وله مصنفات عديدة مفيدة » .
وقال تلميذه ابن حجي: « أحفظ من أدركناه لمتون الأحاديث، وأعرفهم بجرحها ورجالها وصحيحها وسقيمها، وكان أقرانه وشيوخه يعترفون له بذلك، وكان يستحضر شيئا كثيرا من الفقه والتاريخ، قليل النسيان، وكان فقيها جيد الفهم، ويشارك في العربية مشاركة جيدة، ونظم الشعر، وما أعرف أني اجتمعت به على كثرة ترددي إليه إلا واستفدت منه » .
وقال الداودي: « أقبل على حفظ المتون، ومعرفة الأسانيد والتعلل والرجال والتاريخ حتى برع في ذلك وهو شاب » .

مكانته العلمية :-

اشتغل الحافظ بن كثير رحمه الله بالحديث مطالعه فى متونه ورجاله وبرع فى الفقه والتفسير والنحو وأفتى ودرس وناظر وصنف , وأمعن النظر فى الرجال والعلل , ولم يكن يشغل نفسه بتحصيل الأسانيد العالية وطلبها وتمييزها عن النازل منها كما يشغل بذلك بعض المحدثين أنفسهم إذ العمدة فى علم الحديث معرفة صحيح الحديث وسقيمه , وعلله , واختلاف طرقه , ورجاله جرحا وتعديلا , وإن كانت معرفة العالى والنازل ليست مما يخفى على من هو دونه بمراحل فى معرفة الرجال , كيف لا وقد لازم المزى فى ذلك زمنا طويلا , وعنى بجمع كتابه التكميل وهو فى أسماء وتراجم الرجال وكان رحمه الله قليل النسيان كثير الاستحضار جيد الفهم حسن المفاكهة

كما يشهد له الناس فى عصره
وكان يشارك فى علوم اللغة ويستحضر كتاب الشيرازى(التنبيه) ويكرر عليه
ومن أقوال العلماء فيه قول العالم الجليل بن حجر فيه : (سارت تصانيفه فى البلاد فى حياته , وانتفع الناس به بعد وفاته)
وقدألف فى صغره كتاب (أحكام التنبيه) ويقال أن البرهان الفزارى رحمه الله أعجب به وأثني عليه
وقد كان من أعلم الناس بالسنة النبوية وقد قيل عنه (أعلم الناس بالمسند , وأجودهم له اتقانا)
وكان يفتى بما يصح عنده ورغم أنه كان شافعيا إلا أنه كان يفتى فى الطلاق الثلاث بلفظه واحده بما رجحته الأدلة عنده وهو أنه يقع طلقه واحده وبسبب هذا امتحن وأوذى جدا فلم يبال ولم يرجع عن فتواه رحمه الله
وقد كان من خاصة أنصار شيخ الإسلام وكان يعرف بما بين شيخه وبين قاضى القضاة تقى الدين السبكى , ومع ذلك لم يعين عليه بل أعلن عن غبطته وفرحته بأن فرج عن شيخه بن تيميه
وقد كان من أكثر الناس اطلاعا على الملل والنحل والأديان حتى أن النصارى كانوا يستشيرونه فى أخص الأمور فى الكنيسة
وقد ذكر قصة فى هذا الأمر رحمه الله فقال) حضر عندى البطرك بشارة الملقب ميخائيل , وأخبرني أن المطارنة فى الشام بايعوه على أن يجعلوه بطركا بدمشق عوضا عن البطرك بانطاكيه , فذكرت له أن هذا الأمر مبتدع فى دينهم فأنه لا يكون البطارقة إلا أربعه بالاسكندريه وبالقدس وبانطاكيه وبروميه ثم نقل روميه إلى استنبول القسطنطينيه , وقد أنكر عليهم كثير منهم اذ ذاك , فهذا الذى ابتدعوه فى هذا الوقت أعظم من ذلك ...... وقد تكلمت معه فى دينهم ونصوص ما يعتقده كل من الطوائف الثلاث الملكية واليعوقبيه والنسطوريه فإذا هو يفهم بعض الشىء ولكن حاصله أنه حمار من أكفر الكفار لعنه الله))) لله درك يا شيخنا ;

علمه بالحديث :-

كان رحمه الله تغلب عليه صفة الحافظ فى كل كتبه فقد كان احد الحافظين للحديث وقد ذكره الإمام السيوطى رحمه الله فى كتابه طبقات الحفاظ فى الطبقه الثالثه والعشرون وذكره الحسينى فى الطبقه الرابعه والعشرون
وقد ألف عدد من الكتب فى الحديث منها
1- الباعث الحثيث فى اختصار علوم الحديث
2- التكميل فى الجرح والتعديل
3- أحاديث التوحيد والرد على الشرك
4- جامع المسانيد والسنن الهادى لأقوم السنن
وحتى كتابه البداية والنهاية فرغم أنه كتاب تاريخ إلا أنه عنى بالأحاديث فيه وأخذ يصول ويجول فى علمها وتصحيحها ونقد كل روايه رغم أنه كتاب

تاريخى ولكنه صفته كحافظ تغلب صفته كمؤرخ
بعضا من شعره :-
وقد نظم رحمه الله بعض الأبيات نظما وسطا ومن ما حفظ لنا بيتين فى الزهد وهما :-
تَمُرُ بنا الأيامُ تترى وإنما *** تُساقُ إلى الآجال والعين تنظُرُ
فلا عائذ ذاك الشباب الذى مضى *** ولا زائـل هذا المشــيب المـكدرُ
عقيدته رحمه الله :-
أجمع المشايخ المتأخرون والمتقدمون على أن شيخنا بن كثير كان سلفيا سنيا محضا ولكن الاختلاف جاء من أنه كان يتظاهر رحمه الله بأنه كان أشعريا وذلك لأن عصره كان لا يعمل ولا يأخذ حريته إلا الاشاعره هداهم الله وقد كانوا من ألد أعداء السلف وخصوصا بن تيميه وتسببوا فى حبسه رحمه الله
وقد كان لاتصاله بشيخه بن تيميه مع تجرده فى طلب الدليل الأثر البين فى عقيدته فقد كان سنيا حقيقيا رحمه الله وان تظاهر بأنه اشعرى وقد أوذى كثيرا جدا وامتحن من اجل إتباعه لشيخ الإسلام ونصرته إياه رحمهما الله وقد نصر شيخه على قاضى القضاة السبكى رغم ذكره انه اشعري مثله ولا يختلف احد على أنها كانت تقيه منه والأمر أوضح من ذلك إذ أن عقيدته جليه واضحه فيما دوَّن فى تفسير القرأن وقصص الأنبياء والبدايه والنهايه والتكميل وغيرهم
ومما يؤكد عقيدته أنه حدثت بينه وبين إبراهيم إبن بن القيم الجوزيه مشاده فقال له بن كثير " أنت تكرهنى لأنى أشعري " , فقال له ابراهيم " لو كان من رأسك إلى قدمك شعر ما صدقك الناس فى قولك أنك أشعري " !!!!
وهذا يبين أن حتى من تنازعوا معه من أهل السنة والجماعة اقروا له بأنه من أهل السنة والجماعة واتباع السلف الصالح
وأبلغ دليل هو تفسيره الشهير للقرآن الكريم حيث اتبع فيه عقيدة شيوخه بن تيميه وغيره وكذلك باقى كتبه ثم إن جُل تلاميذه من أهل السلف وكذلك كل شيوخه
ومن عندى أنا فأنا متيقن أنه ما قال هذا إلا تقيه وأنه كان سلفيا نقيا وقد اضطر من أجل الحمايه من السجن والمصادره والعذاب وأيضا من أجل توليه المدرسة فحصل فيه منفعه أكبر من اعترافه بالأمر وذلك لأن جل تلاميذه من أهل السلف بل إن اثنين من أعظم العلماء السلف كانوا من تلاميذه وهم الحسينى و بن حجى رحمهم الله ويقينى هذا لأنى قرأت فى كتبه شدة ترضيه وترحمه على أهل السلف عظيمه لهم ثم قرآت كلامه على الأشاعره فوجدته لا يترحم على متأخريهم الذين ضلوا بل وينصر الحنابله عليهم وكان يورد القصص التى تحط من قدر الأشاعرة وترفع من قدر الحنابله بشكل كبير ومن جاءه شك فليقرأ البداية والنهاية المجلد السادس الجزء الثانى عشر ص : 150 وسيرى كم كان يقرظ رحمه الله على الأشاعرة وكم كان يمجد الحنابلة رغم انه شافعى المذهب رحمه الله)

وقد كان ثقة الناس جميعا حتى النصارى كما ورد رحمه الله وغفر له

آثاره العلمية :-

ترك لنا شيخنا الحبيب اثأرا غاية فى الروعة والإتقان والفائدة بل وتعد من أعظم ما كتب ومن أجلهم :-

1- تفسير القرآن الكريم وهو ما يعرف بأسم تفسير بن كثير وهو من اعلي كتب التفسير و يعتبر من أكثر كتب التفسير بالرواية فائدة , يفسر القرآن بالقرآن , ثم بالأحاديث المشهورة فى دواوين المحدثين بأسانيدها , ويتكلم على أسانيدها جرحا وتعديلا , فيبين ما فيها من غرابه أو تكاره أو شذوذ , ثم يذكر أثار الصحابة والتابعين وقد قال الإمام السيوطى صاحب تفسير الجلالين الشهير (بالاشتراك مع الشيخ جلال الدين المحلى) قال فيه (لم يؤلف على نمطه مثله) رحمه الله وجعل تفاسيره فى ميزان حسناته

ومنه اخذ كتابه الشهير قصص الأنبياء وقد فعل فيه مثلما فعل فى كتابه التفسير من الأخذ بالقرأن أولا وأخيرا ثم بالأحاديث مع الجرح والتعديل ثم أثار الصحابة والتابعين ثم من شدة اتقانه فى علم الملل والنحل اورد فيه اراء اهل الذمه ورد عليها ردا مفحما قاطعا رحمه الله

2- البداية والنهاية ذلك السفر الجليل وقد ذكر فيه القصص من أول خلق الدنيا والإنسان ثم سيرة الأمم السابقة والأنبياء معتمدا على القرآن الكريم أولا ثم الأحاديث مع الجرح والتعديل ثم أثار الصحابة والتابعين والسلف ثم الاسرائيليات ويبينها ويبين المناكير والغرائب ويصحح صحيحها ويظهر كاذبها ثم السيرة النبويه والتاريخ الاسلامى حتى عام 767 هـ - وان كان ضاع منه الجزء الذى يلى الجزء الرابع عشر والله اعلم -مارا بالأمور الشهيرة والفتن وفى إثناء ذلك يفند روايات الكذابين ويصححها ويعارض كذب الروافض وافتراءهم على الصحابة وكذبهم على التابعين وال البيت الكرام حتى يصل إلى الفتن والملاحم واشراط الساعة وأحوال الآخرة وهذا الكتاب يعد من اجل ما كتب فى التاريخ حيث اعتمد فيه على القرآن الكريم والحديث الصحيح وعنى جدا بتصحيح الأحاديث على شرط الشيخين رحمهما الله ثم الرد على الكذابين والمبتدعين وتفنيد الروايات التاريخية الكاذبة مثل التحكيم وغيرها وتصحيحها على اعتقاد اهل السنة والجماعة ودين العجائز والسلف الصالح رحمهم الله جميعا

ومن مؤلفاته :-

التكميل فى معرفة الرجال وهو كتاب فى تراجم رواة الحديث , جمع فيه بين كتابى شيخيه المزى والذهبى وهما تهذيب الكمال وميزان الاعتدال مع زيادات مفيده

الهدى والسنن فى أحاديث المسانيد والسنن المعروف بجامع المسانيد جمع فيه بين مسند احمد والبزار وأبو يعلى وابن أبى شيبه مع الصحيحين والسنن الأربعة ورتبه على الموضوعات

طبقات الشافعيه

مناقب الشافعي

تخريج مختصر أحاديث ابن الحاجب فى الأصول

(تفسير القرآن العظيم)، و(البداية والنهاية)، وكتاب (التكميل في معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل) جمع فيه كتابي شيخيه المِزِّي والذهبي وهما: "تهذيب الكمال في أسماء الرجال" و"ميزان الاعتدال في نقد الرجال"، مع زيادات مفيدة في الجرح والتعديل. و(تخريج أحاديث أدلة التنبيه في فروع الشافعية)، و(تخريج أحاديث مختصر ابن الحاجب في أصول الفقه)، و(فضائل القرآن)، وكتاب في السماع، ومسند الشيخين، والنهاية في الفتن والملاحم، والمقدمات، ومسند عمر بن الخطاب والآثار المروية عنه.

وكتاب (الهَدْي والسَّنَن في أحاديث المسانيد والسُّنَن) وهو المعروف بجامع المسانيد، جمع فيه بين مسند الإمام أحمد والبزار وأبي يعلى ومعجمي الطبراني مع الكتب الستة: الصحيحين والسنن الأربعة، ورتبه على الأبواب. و(طبقات الشافعية) مجلد وسط، ومعه مناقب الشافعي، وشرع في (شرح صحيح البخاري) ولم يكمله، وشرع في كتاب كبير في (الأحكام) وصل فيه إلى الحج، واختصار علوم الحديث، اختصر فيه مقدمة ابن الصلاح المعروفة، وسمَّاه (الباعث الحثيث)، و(مسند الشيخين) يعني أبا بكر وعمر، و(السيرة النبوية) مطوَّلة ومختصرة، و(الاجتهاد في طلب الجهاد)، و(قصص الأنبياء)، وغيرها[

وفاته ورثاؤه:

في يوم الخميس السادس والعشرين من شهر شعبان سنة أربع وسبعين وسبعمائة توفي الحافظ ابن كثير بدمشق، ودفن بمقبرة الصوفية عند شيخه ابن تيمية، رحمه الله.

وقد ذكر ابن ناصر الدين أنه « كانت له جنازة حافلة مشهودة، ودفن بوصية منه في تربة شيخ الإسلام ابن تيمية بمقبرة الصوفية » وقد كان تلميذاً لشيخين من أجل شيوخ أهل السنة والجماعة وهما شيخ الإسلام أبو العباس بن تيميه والحافظ المزّى رحمهما الله وأستاذاً لشيخين كبيرين المقام وهما شمس الدين الحسينى وبن حجّى رحمهما الله ورحم أستاذهما وغفر لهم جميعا .

وقد رثاه أحد طلاب العلم فقال:

لفقـدك طلاب العلوم تأسفوا *** وجادوا بدمع لا يبيد غزير

ولو مزجوا ماء المدامع بالدِّمـا *** لكان قليلاً فيك يابن كثير[43]

رحمه الله رحمة واسعة، وجزاه الله عن الإسلام والقرآن خير الجزاء.

نبذة مختصرة عن السيرة الذاتية

لفضيلة العلامة الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد

شَيْخُ العُلَماءِ وبَلِيْغُ الأُدَبَاءِ

بَكْرٌ أبو زَيْد«ابنُ القَيِّمِ الصَّغِيْرُ»
رَحِمَهُ الله
المَولُوْدُ (1365) المُتَوَفَّى (27/1/1429)
شَهْرَانِ وأرْبَعَةٌ وسِتُّونَ عَامًا

نسبه:
بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبدالله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب بن محمد, ينتهي نسبه إلى بني زيد الأعلى, وهو زيد بن سويد بن زيد بن سويد بن زيد بن حرام بن سويد بن زيد القضاعي, من قبيلة بني زيد القضاعية المشهورة في حاضرة الوشم, وعالية نجد, وفيها ولد عام 1365 هـ.

حياته العلمية :
درس في الكتاب حتى السنة الثانية الابتدائي, ثم انتقل إلى الرياض عام 1375 هـ, وفيه واصل دراسته الابتدائية, ثم المعهد العلمي, ثم كلية الشريعة, حتى تخرج عام 87 هـ/ 88 هـ من كلية الشريعة بالرياض منتسبا, وكان ترتيبه الأول.
وفي عام 1384 هـ انتقل إلى المدينة المنورة فعمل أمينا للمكتبة العامة بالجامعة الإسلامية.
وكان بجانب دراسته النظامية يلازم حلق عدد من المشايخ في الرياض ومكة المكرمة والمدينة المنورة.
ففي الرياض أخذ علم الميقات من الشيخ القاضي صالح بن مطلق, وقرأ عليه خمسا وعشرين مقامة من مقامات الحريري, وكان- رحمه الله- يحفظها, وفي الفقه: زاد المستقنع للحجاوي, كتاب البيوع فقط.
وفي مكة قرأ على سماحة شيخه, الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز كتاب الحج, من (المنتقى) للمجد ابن تيمية, في حج عام 1385 هـ بالمسجد الحرام.
واستجاز المدرس بالمسجد الحرام الشيخ: سليمان بن عبد الرحمن بن حمدان, فأجازه إجازة مكتوبة بخطه لجميع كتب السنة, وإجازة في المد النبوي.
في المدينة قرأ على سماحة شيخه الشيخ ابن باز في (فتح الباري) و (بلوغ المرام) وعددا من الرسائل في الفقه والتوحيد والحديث في بيته, إذ لازمه نحو سنتين وأجازه.
ولازم سماحة شيخه الشيخ محمد الأمين الشنقيطي نحو عشر سنين, منذ

انتقل إلى المدينة المنورة, حتى توفي الشيخ في حج عام 1393 هـ- رحمه الله تعالى- فقرأ عليه في تفسيره (أضواء البيان), ورسالته (آداب البحث والمناظرة), وانفرد بأخذ علم النسب عنه, فقرأ عليه (القصد والأمم) لابن عبد البر, وبعض (الإنباه) لابن عبد البر أيضا, وقرأ عليه بعض الرسائل, وله معه مباحثات واستفادات, ولديه نحو عشرين إجازة من علماء الحرمين والرياض والمغرب والشام والهند وإفريقيا وغيرها, وقد جمعها في ثبت مستقل.

وفي عام 1399 هـ / 1400 هـ, درس في المعهد العالي للقضاء منتسبا, فنال شهادة العالمية (الماجستير), وفي عام 1403 هـ تحصل على شهادة العالمية العالية (الدكتوراه(

حياته العملية :

وفي عام 87 هـ / 88 هـ لما تخرج من كلية الشريعة اختير للقضاء في مدينة النبي صلى الله عليه وسلم فصدر أمر ملكي كريم بتعيينه في القضاء في المدينة المنورة, فاستمر في قضائها حتى عام 1400 هـ.

وفي عام 1390 هـ عين مدرسا في المسجد النبوي الشريف, فاستمر حتى عام 1400 هـ.

وفي عام 1391 هـ صدر أمر ملكي بتعيينه إماما وخطيبا في المسجد النبوي الشريف, فاستمر حتى مطلع عام 1396 هـ.

وفي عام 1400 هـ اختير وكيلا عاما لوزارة العدل, فصدر قرار مجلس الوزراء بذلك, واستمر حتى نهاية عام 1412 هـ, وفيه صدر أمر ملكي كريم بتعيينه بالمرتبة الممتازة, عضوا في لجنة الفتوى, وهيئة كبار العلماء.

وفي عام 1405هـ صدر أمر ملكي كريم بتعيينه ممثلا للمملكة في مجمع الفقه الإسلامي الدولي, المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي, واختير رئيسا للمجمع.

وفي عام 1406هـ عين عضوا في المجمع الفقهي برابطة العالم الإسلامي, وكانت له في أثناء ذلك مشاركة في عدد من اللجان والمؤتمرات داخل المملكة وخارجها, ودرس في المعهد العالي للقضاء, وفي الدراسات العليا في كلية الشريعة بالرياض.ومما رثاه به فضيلة الشيخ ذياب بن سعد الغامدي:

الحَمْدُ لله الكَرِيْمِ الهَادِي، مُنْطِقِ البُلَغَاءِ باللُّغَى والأيَادِي، ومُجْرِي ألْسُنَ اللُّسُنِ في الحَضَرِ والبَوَادِي، وبَاعِثِ النَّبِيِّ الأمِّيِّ الهَادِي، أفْصَحَ مَنْ نَطَقَ بالضَّادِ دُوْنَ ضَوَادِي، وخَيْرَ مَنْ حَضَرَ النَّوَادِي، صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ، وعَلى آلِهِ وزَوْجَاتِهِ نُجُوْمِ الدَّآدِي، وعلى أصْحَابِهِ اللُّيُوْثِ العَوَادِي، ومَنْ تَبِعَهُم بإحْسَانٍ إلى يَوْمِ التَّنَادِي .

وبَعْدُ : فَهَذِهِ تَعْزِيَةٌ هَاجِمَةٌ، ومَخْبَرَةٌ وَاجِمَةٌ، ألْقَتْ بعَصَاهَا، وخَذَفَتْ بحَصَاهَا؛ حِيْنَ جَاءَ نَعِيُ شَيْخِ العُلَماءِ، بَلْهَ بَلِيْغِ الأدَبَاءِ، العَالمِ الكَامِلِ، والأدِيْبِ الفَاضِلِ، بكْرٍ أبو زَيْدٍ، فَعِنْدَهَا اضْطَرَبَ قَلَمِي في سُقُوْطٍ، وكَادَ يأخُذُني اليَأسُ والقُنُوْطُ، لَوْلا رَحَماتٌ أتَذَاكَرُهَا، وتَرْجِيْعَاتٌ أتَرَادَدُهَا، فرَحِمَكَ الله أبَا عَبْدِ الله، وإنَّا لله وإنَّا إلَيْهِ رَاجِعُوْنَ!

(وقَدْ قِيْلَ :
تَنَكَّرَ لي دَهْرِي ولَمْ يَدْرِي أنَّنِي أعِزُّ وأحْدَاثُ الزَّمَانِ تَهُوْنُ
وبَاتَ يُرِيْنِي الخَطْبَ كَيْفَ اعْتِدَاؤُهُ وبِتُّ أُرِيْهِ الصَّبْرَ كَيْفَ يَكُوْنُ
* * *
فَهُنَا؛ غَلَبَتْنِي المَغَالِبُ، ورَزَأتْنِي الرَّزَايَا، وهَمْهَمَتِ النَّفْسُ بالصُّعَدَاءِ، وأبْدَتِ العَيْنَ البُكَاءَ، وحَشْرَجَ الصَّدْرُ بالآهَاتِ والنِّدَاءِ، يَوْمَ جَاءَ الخَبَرُ يَجُرُّ النَّفْيْرَ، ويُهَيِّجُ الزَّفِيْرَ!

ومَا أحْسَنَ مَا قَالَهُ أبو الحَسَنِ البَرْمَكِيُّ :
رَحَلْتُمْ فَكَمْ مِنْ أنَّةٍ بَعْدَ زَفْرَةٍ مُبَيِّنَةٍ للنَّاسِ شَوْقِي إلَيْكُمُ
وقَدْ كُنْتُ أعْتَقْتُ الجُفُوْنَ مِنَ البُكَا فَقَدْ رَدَّهَا في الرِّقِّ حُزْني عَلَيْكُمُ
* * *
ومِنْ ضُرُوْبِ الأسَفِ؛ أنِّي بَيْنَا أنَا آخِذٌ بلِجَامِ القَلَمِ رَاكِضًا في تَمْنَمَةِ ومُرَاجَعَةِ كِتَابي «ظَاهِرَةِ الفِكْرِ التَّربَوِيِّ» تَبْيِيْضًا وتَرْوِيْضًا إذْ طَنَّتْ نَائِحَةُ اللُّغَةِ عَزَاءً في فَقِيْدِهَا وعَمِيْدِهَا الشَّيْخِ بَكْرٍ أبو زَيْدٍ رَحِمَهُ الله، فَجَمَحَ القَلَمُ بيَدِي، وهَزَّ عَضُدِي، وأذْرَفَ هُنَا دَمْعَةً مِهْرَاقَةً في رِثَاءِ شَيْخِي وشَيْخِهِ :
فَيَا أيُّها اليَلْمَعُ العَرُوْفُ، والمَعْمَعُ اليَهْفُوْفُ : لَقَدْ مَاتَ بَلِيْغُ نَجْدٍ وأدِيْبُهَا، حَارِسُ حِيَاضِ العَقِيْدَةِ ورِيَاضِهَا، المُتَفَرِّعُ عَنِ اللُّغَةِ بأفْنَانٍ وفُنُوْنٍ، وعَنْ دَوْحَاتِهَا بخِيْطَانٍ وغُصُوْنٍ، فَلَمْ يَكُنْ يَرْضَى مِنَ الفِقْهِ بالسَّافِيَةِ عَنِ الشَّحْوَاءِ، ولا ممَّنْ اهْتَافَ بِهِ رِيْحُ الشَّقَاءِ!
وبَعْدُ؛ فَهَذِهِ طِلْبَةٌ واسْتِجْدَاءٌ لرُوَّامِ العِلْمِ وطُلَّابِهِ بَعْدَ وَفَاةِ حَبِيْبِ النَّفْسِ أدِيْبِ الحِسِّ، بكَرٍ أبو زَيْدٍ : مَنْ يَأخُذِ القَلَمَ بحَقِّهِ؟* *

(مَاتَ شَيْخُنَا بَكْرُ بنُ عَبْدِ الله أبُو زَيْدِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ الله بنِ بَكْرِ بنِ عُثْمانَ بنِ يَحْيَى بنِ غَيْهَبِ بنِ مُحَمَّدٍ القُضَاعِيُّ، مِنْ قَبِيْلَةِ بنِي زَيْدٍ القُضَاعِيَّةِ المَشْهُوْرَةِ في حَاضِرَةِ الوَشْمِ، وعَالِيَةِ نَجْدٍ، وفِيْهَا مَسْقَطُ رَأسِهِ، وذَلِكَ عَامُ ألْفٍ وثَلاثْمائَةٍ وخَمْسٍ وسِتِّيْنَ مِنَ الهِجْرَةِ (1365)، فرَحِمَهُ الله، وجَعَلَ الجَنَّةَ مَأوَاهُ، وطَيَّبَ ذِكْرَهُ ومَثْوَاهُ، آمِيْنَ يَا رَبَّ العَالمِيْنَ!
* * *
(نَعَمْ؛ مَاتَ مَنْ جُبِلَ على العِلْمِ طَبْعُهُ، وعُمِّرَ بحُبِّ الفَضْلِ رَبْعُهُ، فَظَلَّ للعَقِيْدَةِ حَارِسًا أمِيْنًا، وللُّغَةِ صَاحِبًا قَرِيْنًا، وللآدَابِ سَمِيْرًا خَدِيْنًا، قَدْ عُجِنَتْ بالظَّرَافَةِ طِيْنَتُهُ، وسِيْرَتْ باللَّطَافَةِ سِيْرَتُهُ، كَانَ سَحَابَةَ عِلْمٍ على الطَّالِبِ والوَافِدِ، وعُبَابَ أدَبٍ لا تُكَدِّرُهُ دِلاءُ الصَّادِرِ والوَارِدِ، لَهُ مِنَ الأدَبِ مَآدِبُ تُغَذِّي الأرْوَاحَ، ومِنَ الكَلامِ لَهُ سُلافَةٌ تَهُزُّ الأعْطَافَ المِرَاحَ .
(وقَالَ بَعْضُهُم :
أرَى العِلْمَ نُوْرًا والتَّأدُّبَ حِلْيَةً فَخُذْ مِنْهُما في رَغْبَةٍ بنَصِيْبِ
ولَيْسَ يَتِمُّ العِلْمُ في النَّاسِ للْفَتَى إذَا لم يَكُنْ في عِلْمِهِ بأدِيْبِ
(وقَالَ آخَرُ :
مَنْ كَانَ مُفْتَخِرًا بالمَالِ والنَّسَبِ فإنَّمَا فَخْرُنَا بالعِلْمِ والأدَبِ

لا خَيْرَ في رَجُلٍ حُرٍّ بِلا أدَبٍ لا، لا، وإنْ كَانَ مَنْسُوْبًا إلى العَرَبِ

(فسَقَى الله؛ تِلْكَ الأيَّامَ الخَالِيَةَ، وتِيْكَ المَجَالِسَ الزَّاوِيَةَ، يَوْمَ كَانَتْ وكُنَّا مَعَ شَيْخِنَا في إفَادَةٍ، ومَعَ عُلْمِهِ وآدَابِهِ في زِيَادَةٍ، ومَعَ حِلْمِهِ ومَآدِبِهِ في وِفَادَةٍ، فَكَانَتْ مَجَالِسُهُ لألْفَاظِ المَسَرَّاتِ كالمَعَاني، ولنُكَاتِ العِلْمِ كالمَبَاني، فِيْهَا أثْمارُ أطَايِبِ الأمَاني، مِنْ أشْجَارِ وِصَالِ الغَوَاني، فرَحِمَكَ الله أبَا عَبْدِ الله!

بكرٌ أبو زَيْدٍ، ومَا أدْرَاكَ مَا بَكْرٌ؟ خَيْرُ قَوْلُهُ، وطَيِّبٌ فِعْلُهُ، رَافِعُ ألْوِيَةِ الفَصَاحَةِ والبَيَانِ، ومَالِكُ رِقَابِ البَلاغَةِ والتِّبْيَانِ، ونَاشِرُ أرْدِيَةِ العِلْمِ والتَّألِيْفِ، وعَامِرُ أبْنِيَةِ الأدَبِ والتَّصْنِيْفِ :

للهِ دَرُّ إمَامٍ كُلُّهُ أدَبُ بفَضْلِهِ يَتَحَلَّى العُجْمُ والعَرَبِ

(الله يَعْلَمُ أنِّي وإنْ شَطَّ بِنَا المَزَارُ، ونَأتْ عَنَّا الدِّيَارُ، لا أنْسَاهُ ولا أُقْلِيْهِ، بَلْ حُبُّهُ تَخَلَّلَ الشِّغَافَ والسُّوَيْدَاءَ، وبِرُّهُ تَدَثَّرَ بالذِّكْرِ والدُّعَاءِ، فَلَهُ عَليَّ أفَاضِلُ الأفْنَانِ، ومَحَاسِنُ التَّصَانِيْفِ والبَيَانِ .

وكَيْفَ أُعْذَلُ في ثَنَائِهِ، أمْ كَيْفَ أُعَاتَبُ في دُعَائِهِ؟ وهُوَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ(العُثَيْمِيْنُ، ومَحْمُوْدُ شَاكِرٌ، وبَكْرٌ أبُو زَيْدٍ!)، قَدْ شَرَحُوا للآدَابِ صَدْرِي، وأجْرُوا بالبَلاغَةِ قَلَمِي وفِكْرِي، وسَقَوْني كُؤُوْسَ العِلْمِ وأحْشَائِي صَادِيَةٌ، وكَسَوْني حُلَلَ الفَضْلِ وعَوْرَاتي بَادِيَةٌ، فَلَهُم مِنِّي العُتْبَى في الدُّعَاءِ، وإلَيْهِم العُقْبَى في الدِّلاءِ!

(لَقَدْ دَانَ للشَّيْخِ في العَقِيْدَةِ والفِقْهِ واللُّغَةِ كُلُّ دَانٍ وقَاصِي، واعْتَرفَ بفَضْلِهِ المُوَافِقُ والمُخَالِفُ، على رُغْمِ أنُوْفِ الجَلاَّدِيْنَ، وإكْفَارِ المُتَعَالِمِيْنَ . فَلَهُ الذِّكْرُ والصِّيْتُ في المَجَالِسِ والمَحَافِلِ، ولَهُ الحُظْوَةُ والهَيْبَةُ بَيْنَ الأكَابِرِ والأمَاثِلِ، فَفِي حَيَاتِهِ أحَاطَتْ بِهِ التَّقَارِيْظُ والإطْرَاءُ، وبَعْدَ مَوْتِهِ اهْتَجَّتْ بِهِ المَدَائِحُ والثَّنَاءُ .

فَلا تَسْتَبْعِدْ مَا هُنَا فالشَّيْخُ قَدِ انْتَشَرتْ للعَالمِيْنَ لطَائِفُ حِلْمِهِ وعِلْمِهِ، وظَهَرَتْ للمُتَعَلِّمِيْنَ طَرَائِفُ آدَابِهِ وشِيَمِهِ، فَقَدْ أخَذَ بنَاصِيَةِ اللُّغَةِ يَقُوْدُهَا في ارْتِجَالٍ، وأمْسَكَ بأعْنَاقِ البَلاغَةِ يَسُوْدُهَا في جَمَالٍ .

* * *

(كَانَ رَحِمَهُ الله إمَامًا هُمَامًا بِلا مُدَافَعٍ، وفَاضِلاً مُنَاضِلاً بِلا مُنَازَعٍ، سَلِيْمَ العَقِيْدَةِ والمَنْهَجِ، نَقِيَّ المَدْخَلِ والمَخْرَجِ، حَسَنَ السِّيْرَةِ، مُحْسِنَ السَّرِيْرَةِ، صَافيَ المَشْرَبِ، طَيِّبَ المَطْلَبِ، عَلَيْهِ طَلاوَةٌ، وفِيْهِ حَلاوَةٌ، تَعْرِفُ مِنْهُ ولا تُنْكِرُ، وَاضِحُ العِبَارَةِ، سَانِحُ الإشَارَةِ، مَنْهُوْمُ عِلْمٍ وأذْكَارٍ، مَقْرُوْمُ تَألِيْفٍ وأسْطَارٍ، رُحْلَةٌ رَحَّالَةٌ خَفِيْفٌ، مُحَقِّقٌ مُدَقِّقٌ ظَرِيْفٌ، غَايَةٌ في التَّحْرِيْرِ، نِهَايَةٌ في التَّقْرِيْرِ .

هَكَذَا مَنْ خَالَطَهُ وعَرَفَهُ يَنْسُبُنِي إلى التَّقْصِيْرِ في وَصْفِهِ، ومَنْ جَهِلَهُ وغَالَطَهُ يَنْسُبُنِي إلى التَّغَالي فِيْهِ، مَعَ أنَّني لا ادَّعِي عِصْمَتَهُ، ولا أقُوْلُ بإجْمَاعِ كِلْمَتِهِ، بَلْ هُوَ بَشَرٌ مِنَ البَشَرِ، لَهُ وعَلَيْهِ، ويُؤخَذُ مِنْهُ ويُرَدُّ عَلَيْهِ، والله حَسِيْبُهُ، ولا نُزَكِّي على الله أحَدًا!

(لاجَرَمَ؛ فَقَدْ تَوَاقَفَتْ عِنْدَهُ التَّأْلِيْفُ، و تَثَاقَفَتْ مِنْهُ التَّصَانِيْفُ، بَارِعُ السَّبْكِ، رَافِعُ الشَّكِّ، لَهُ تَنْقَادُ البَلاغَةُ إرْسَالا، ومِنْهُ تَأتي الفَصَاحَةُ إسْلَالاً، لَيْسَ عَنْهُ أئِمَّةُ اللُّغَةِ والبَلاغَةِ ببَعِيْدٍ، ولا سَحْبَانُ والجَاحِظُ بفَرِيْدٍ، ولا الرَّافِعِيُّ وشَاكِرٌ بشَرِيْدٍ، قَدْ اكْتَسَى مِنَ الكِسَائِي بِكِسَاءٍ، وتَدَثَّرَ مِنَ الفَرَّاءِ بفِرَاءٍ، وانْتَهَلَ مِنَ مَعَيْنِ النُّحَاةِ بدِلاءٍ، وارْتَوَى مِنْ كَأسِ البُلَغَاءِ بصَفَاءٍ.

ولَوْلاَ التَّطَاوُلُ والتَّقْوَالُ، لَقُلْتُ : كَادَ أنْ يَقِفَ فَلَكُ اللُّغَةِ بَعْدَ بَكْرٍ، لَكِنْ لم تَزَلْ بَقِيَّةٌ في تمِيْمٍ وبَكْرٍ، ومَا زَالَ في بِلادِ الرَّافِدَيْنِ وأرْضِ الكِنَانَةِ مِنْ ذِكْرٍ!

نَعَمْ؛ فإنَّ اللُّغَةَ لم تَزَلْ أبِيَّةً قَوِيَّةً، سَلِيْمَةً سَوِيَّةً، فلِرِجَالِهَا قُدْمَةٌ وحَمِيَّةٌ، فَهُمْ حُمَاةٌ لهَا يَقَظَةٌ، وحُرَّاسٌ عِنْدَهَا بُلَغَةٌ، لِذَا فأنْسَابُها بالأمْوَاتِ مُتَأصِّلٌ، وسُلالَتُهَا بالأحْيَاءِ مُتَّصِلٌ!

(وقَدْ قِيْلَ في مِثْلِهِ :

وإذَا نَمْنَمَتْ بَنَانُكَ خَطًّا مُعْرِبًا عَنْ إصَابَةٍ وسَدَادِ
عَجِبَ النَّاسُ مِنْ بَيَاضِ مَعَانٍ يُجْتَنَى مِنْ سَوَادِ ذَاكَ المِدَادِ

* * *

(دَعَتْهُ هِمَّتُهُ، ودَفَعَتْهُ نَهْمَتُهُ فَجَابَ البِلادَ بَحْثًا ومُبَاحَثَةً، وسَائِلاً نَائِلاً، فَطَافَ بَعْضَ البِلادِ، وطَوَّفَ في المُؤتَمرَاتِ والتِّلاد، فالْتَقَى بأفَاضِلِ العُلَماءِ، وأمَاثِلِ الأدَبَاءِ، وأخَذَ مِنْهُم وأعْطَى، وأفَادَ مِنْهُم وأبْدَى، فَكَانَ طَالِبًا مَطْلُوْبًا، وعَالمًا أدِيْبًا!

فَأصْبَحَ بَيْنَهُم ثِقَةً مَوْثُوْقًا، وأضْحَى عِنْدَهُم بأرْفَعِ طَرَفٍ مَرْمُوْقًا، وأمْسَى لَدَيْهِم مِنْ رَوِيِّ الكَأسِ مَصْبُوْحًا مَغْبُوْقًا، فَقَدْ هَدَاهُ الله لأرْشَدِ الطُّرُقِ المُسْتَقِيْمَةِ، وأرَاهُ أقْوَمَ السُّبُلِ القَوِيْمَةِ، فاسْتَمْسَكَ بعُرْوَةٍ مِنَ الدِّيْنِ وَثِيْقَةٍ، وثَبَتَ مِنَ الاسْتِقَامَةِ على بَصِيْرَةٍ وحَقِيْقَةٍ، والله يَهْدِي لفَضْلِهِ مَنْ يَشَاءُ، ومِنَ الله العَوْنُ والسَّدَادُ!

لعَمْرُ أبِيْكَ مَا نَسبَ المُعَلَّى إلى كَرِيْمٍ وفي الدُّنْيَا كَرِيْمُ
ولكِنَّ البِلادَ إذَا اقْشَعَرَّت وَصَوَّحَ نَبْتُهَا رُعِيَ الهَشِيْمُ

* * *

(وممَّا يَدُلُّ على إنَاخَةِ كَلْكَلِ الزَّمَانِ بَعْدَ النَّبَاهَةِ عَلَيْهِ، وصَرْفِ صُرُوْفِهِ بَعْدَ البَلاغَةِ إلَيْهِ، مَا كَتَبَهُ وحَرَّرَهُ في مَجامِيْعِ كُتُبِهِ، ومَضَامِيْنِ رَسَائِلِهِ، ومُخْتَارَاتِ مَشَارِيْعِهِ، ومُجَوَّدَاتِ أطَارِيْحِهِ، وأفْنَانِ مَوَاضِيْعِهِ، فَدُوْنَكَ مَا سَطَّرَهُ وأمْلاهُ، ومَا اخْتَارَهُ وجَنَاهُ، ففِيْهَا كِفَايَةٌ ومَقْنَعٌ، لكُلِّ طَالِبٍ ومُصْقَعٍ، وشَارِبٍ ومُكْرَعٍ!

فَإذَا كَانَ غَيْرُهُ يَكْتُبُ كَما يُرَادُ، فَشَيْخُنَا يَكْتُبُ كَما يُرِيْدُ، وبَيْنَ الحَالَيْنِ بَوْنٌ بَعِيْدٌ، وكَيْفَ جَرَى الأمْرُ ففَرْقٌ بَيْنَ الرَّائِدِ والمُرِيْدِ، ولَهُ التَّصَانِيْفُ السَّائِرَةُ، والتَّآلِيْفُ الرَّائِدَةُ، قَضَى بحُسْنِهَا وتَحْسِيْنِهَا أهْلُ الشَّرْقِ والغَرْبِ، وحَكَمَ ببَيَانِهَا وتَبْيِيْنِهَا أهْلُ العِلْمِ والأدَبِ

فَكَانَ مِنْهَا مَا يَأخُذُ بلُبِّ الحَازِمِ اللَّبِيْبِ، ومِنْهَا مَا يَمْلِكُ لُبَابَ كُلِّ أدِيْبٍ، وبَيْنَهَا مَا يَقْمَعُ المُتَعَالمَ والمَجَاهِيْلَ، ومِنْهَا مَا يَرْفَعُ الظُّلْمَ عَنِ المَرْأةِ والأرَاجِيْلِ .

إذَا ثَنَى قَلَمَهُ في بَحْثِ مَسْألَةٍ فحَدِّثْ ولا حَرَجَ، وإذَا اسْتَرْسَلَ في مَوْضُوْعٍ لا يَكَادُ عَنْهُ يَخْرُجُ، مَعَ فَصَاحَةِ لِسَانٍ، وبَلاغَةِ تِبْيَانٍ، لَهُ اليَدُ الطُّوْلى في حُسْنِ التَّصْنِيْفِ، وسَبْكِ العِبَارَةِ والتَّحْذِيْفِ، وبَرَاعَةِ التَّرتِيْبِ والتَّقْسِيْمِ، وجَوْدَةِ التَّحَرِّي والتَّقْوِيْمِ .

* * *

(شَيْخُ العُلُوْمِ الدِّيْنِيَّةِ، وابنُ بَجْدَةِ الأحَادِيْثِ النَّبَوِيَّةِ، وقَاضِي الأحْكَامِ الفِقْهِيَّةِ، وخِرِّيْتُ المَسَائِلِ النَّازِلَةِ العَصْرِيَّةِ، فإلَيْهِ الغَايَةُ، وعِنْدَهُ النِّهَايَةُ، بَحْرٌ زَاخِرٌ بالنَّقْلِيَّاتِ، وحَبْرٌ مَتَلَفِّعٌ بالعَقْلِيَّاتِ، نَسِيْجُ وَحْدِهِ، وفَرِيْدُ عَصْرِهِ، تَقْصُرُ العِبَارَةُ عَنْ ذِكْرِ صِفَاتِهِ على التَّفْصِيْلِ، وتَعْجَزُ الإشَارَةُ عَنْ إحَاطَةِ شَمائِلِهِ على وَجْهِ التَّكْمِيْلِ، ولَوْ شُرِعَ في تَفَاصِيْلِهَا لأوْقِرَ مِنْهَا الأحْمَالُ، ولثَقُلَتْ بِها أقْتَابُ الجِمالِ .

مَا زَالَ يَسْبِقُ حَتَّى قَالَ حَاسِدُهُ لَهُ طَرِيْقٌ إلى العَلْيَاءِ مُخْتَصَرُ

* * *

(بَلْ كَانَ رَحِمَهُ الله رَجُلاً قوَّالاً بِالحَقِّ، أمَّارًا بالمَعْرُوْفِ نهَّاءً عَنِ المُنْكَرِ، تَبَّاعًا للسُّنَنِ وأقْوَالِ الصَّحَابَةِ، قَفَّاءً لآثَارِ السَّلَفِ أوْلِي الإنَابَةِ، يَتَوَقَّدُ ذَكَاءً، ويَتَلألأ زَكَاءً، إمَامٌ في الكِتَابِ والسُّنَّةِ، وهُمَامٌ لا يَمِيْلُ إلى حَلاوَةٍ مِنَ المِنَّةِ .

نَعَم؛ هُوَ شَيْخُنا الإمَامُ الرَّبَّانيُّ، والسَّيْفُ اليَمانيُّ، المَسْلُوْلُ على المُتَعَالِمِيْنَ والمُخَالِفِيْنَ، والشَّوْكَةُ الشَّجِيَّةُ في حُلُوْقِ أهْلِ الأهْوَاءِ المُبْتَدِعِيْنَ، قُدْوَةُ الخَلَفِ، وبَقِيَّةُ السَّلَفِ، رَجُلٌ ذَكِيْرٌ، وفَحْلٌ كَبِيْرٌ، ثَقْفٌ لَقْفٌ رَامٍ رَاوٍ، وَرِعٌ في تَصَوُّنٍ وزَهَادَةٍ، مُقْتَصِدٌ في الدُّنْيَا والقِيَادَةِ، لا يَكْتَرِثُ بنَضْرَتِها وبِهْجَةِ نَضَارِهَا، ولا يَلْتَفِتُ إلى دِرْهَمِهَا ودِيْنَارِهَا، طَنَّتْ بذِكْرِهِ الأمْصَارُ، وضَنَّتْ بمِثْلِهِ الأعْصَارُ!

(أمَّا مَشَايِخُهُ، وإجَازَاتُهُ العِلْمِيَّةُ :

فَقَدْ تَتَلْمَذَ شَيْخُنَا رَحِمَهُ الله على أئِمَّةٍ أعْلامٍ، وعُلَماءٍ كِرَامٍ، فَقَدَ أخَذَ عِلْمَ «المَيْقَاتِ» عَنْ شَيْخِهِ القَاضِي صَالِحِ بن مُطْلَقٍ رَحِمَهُ الله (1385)، وقَرَأ عَلَيْهِ خَمسًا وعِشْرِيْنَ مَقَامَةً مِنْ «مَقَامَاتِ الحَرِيْرِي» رَحِمَهُ الله (516)، وكَذَا أخَذَ عَلَيْهِ كِتَابَ البُيُوْعِ مِنْ كِتَابِ «زَادِ المُسْتَقْنِعِ» .

وكَذَا أخَذَ عَنْ شَيْخِ الإسْلامِ الحُجَّةِ الرَّبَّانيِّ عَبْدِ العَزِيْزِ بن بَازٍ رَحِمَهُ الله (1421)، كِتَابَ الحَجِّ مِنْ «مُنْتَقَى الأخْبَارِ» للمَجْدِ ابنِ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ الله (652)، وكَانَ ذَلِكَ في حَجِّ عَامِ (1385) .

وقَدْ لازَمَ الشَّيْخَ العَلاَّمَةَ المُفَسِّرَ الأصُوليَّ العَالمَ الرَّبَّانيَّ فَقِيْهَ المَذَاهِبِ مُحمَّدَ الأمِيْنَ الشِّنْقِيْطِيَّ رَحِمَهُ الله، نَحْوَ عَشَرَ سِنِيْنَ؛ حَتَّى وَفَاتِهِ عَامَ (1393)، فَقَرَأ عَلَيْهِ في تَفْسِيْرِهِ «أضْوَاءَ البَيَانِ»، ورِسَالَتَهُ «آدَابَ البَحْثِ والمُنَاظَرَةِ»، وانْفَرَدَ أيْضًا بأخْذِ عِلْمِ النَّسَبِ عَنْهُ، كَما قَرَأ عَلَيْهِ كِتَابَ «القَصْدِ والأمَمِ»، وأيْضًا بَعْضَ كِتَابِ «الأنْبَاهِ» كِلاهُمَا لابنِ عَبْدِ البَرِّ رَحِمَهُ الله (463)، وكَذَا بَعْضَ الرَّسَائِلِ .

* * *

(ولشَيْخِنَا رَحِمَهُ الله عِنَايَةٌ بالإجَازَاتِ العِلْمِيَّةِ؛ حَيْثُ اسْتَجَازَ بَعْضَ أهْلِ العِلْمِ المَعْنِيِّيْنَ بالإجَائِزِ، حَيْثُ أخَذَ مِنَ الشَّيْخِ سُلَيْمانَ بنِ عَبْدِ الرَّحمَنِ الحَمْدَانَ النَّجْدِيِّ الحَنْبَليِّ (1397)، ولَدَيْهِ نَحْوَ عِشْرِيْنَ إجَازَةً مِنْ عُلَماءِ الحَرَمَيْنِ والرِّيَاضِ والمَغْرِبِ والشَّامِ والهِنْدِ وإفْرِيقِيَا وغَيْرِهَا، وقَدْ جَمَعَهَا في ثَبَتٍ مُسْتَقِلٍّ، ولم يُطْبَعْ بَعْدُ!

(أعْمَالُهُ ومَنَاصِبُهُ :

فَقَدْ أسْبَغَ الله على شَيْخِنَا رَحِمَهُ الله وَافِرَ نِعَمِهِ، وألْبَسَهُ ثَوْبَ العِلْمِ وقَدَّمَهُ؛ حَيْثُ نَالَ شَيْخُنَا رَحِمَهُ الله شَرَفَ الإمَامَةِ والخَطَابَةِ في المَسْجِدِ النَّبَوِيِّ خَمْسَ سِنِيْنَ مَا بَيْنَ عَامِ (1391) إلى عَامِ (1396)، قَضَاهَا نَوْبَةً مَعَ إخْوَانِهِ أهْلِ العِلْمِ والنَّبَاهَةِ، فَكَانَ خَطِيْبًا مُفَوَّهًا، وإمَامًا مُجَوِّدًا، وكَذَا جَلَسَ للتَّدْرِيْسِ والتَّعْلِيْمِ في المَسْجِدِ النَّبَوِيِّ عَشْرَ سِنِيْنَ مَا بَيْنَ عَامِ (1390) إلى عَامِ (1400) .

ومَا زَالَ شَيْخُنَا في دُوْرِ العِلْمِ يُعْطِي ويُعَلِّم؛ حَتَّى عُيِّنَ للقَضَاءِ في المَدِيْنَةِ النَّبَوِيَّةِ ثَلاثَ عَشَرَةَ سَنَةً، مَا بَيْنَ عَامِ (1388) إلى عَامِ (1400)، ثُمَّ عُيِّنَ أيْضًا وَكِيْلاً عَامًا لوَزَارَةِ العَدْلِ فمَكَثَ اثْنَتَيْ عَشَرَةَ سَنَةً، مَا بَيْنَ عَامِ (1400) إلى عَامِ (1412)!

وفي عَامِ (1412) صَدَرَ أمْرٌ مَلَكِيٌّ بتَعْيِيْنِهِ عُضْوًا في اللَّجْنَةِ الدَّائِمَةِ للبُحُوْثِ العِلْمِيَّةِ والإفْتَاءِ، وهَيْئَةِ كِبَارِ العُلَماءِ .

وفي عَامِ (1405) صَدَرَ أمْرٌ مَلَكِيٌّ بتَعْيِيْنِهِ مُمثِّلاً للمَمْلَكَةِ العَرَبِيَّةِ السُّعُوْدِيَّةِ في مَجْمَعِ الفِقْهِ الإسْلامِيِّ الدَّوْليِّ المُنْبَثِقِ عَنْ مُنَظَّمَةِ المُؤْتَمرِ الإسْلامِيِّ، وفِيْهَا أيْضًا اخْتِيْرَ رَئِيْسًا للمَجْمَعِ، وكَذَا في عَامِ (1046) عُيِّنَ عُضْوًا في المَجْمَعِ الفِقْهِي برَابِطَةِ العَالمِ الإسْلامِيِّ .

وهَكَذَا كَانَ شَيْخُنَا رَحِمَهُ الله يَتَقَلَّبُ في أنْعُمٍ وَفِيْرَةٍ، ومَنَاقِبَ شَهِيْرَةٍ، فرَحِمَهُ الله وَبَلَّ بالرَّحْمَةِ ثَرَاهُ!

(مِحنتُهُ العِلْمِيَّةُ :

وبَيْنَا شَيْخُنَا رَحِمَهُ الله في صَوْلاتٍ عِلْمِيَّةٍ، وجَوْلاتٍ أدَبِيَّةٍ، هُنَا وهُنَاكَ إذْ دَبَّتْ إلَيْهِ مَكَائِدُ غَوِيَّةٍ، ودَفَائِنُ مَطْوِيَّةٍ، مِنْ مَجَاهِيْلِ أدْعِيَاءِ السَّلَفِيَّةِ، وتَنَابِيْلِ أغْبِيَاءِ الخَلَفِيَّةِ، ومِنْ وَرَائِهم مَجَامِيْلُ في المُنَازَعَةِ، ومَخَاتِيْلُ في المُخَادَعَةِ، فَرَدَّ الله كَيْدَ كُلٍّ في نَحْرِهِ، ونَجَّاهُ بلُطْفٍ مِنْهُ وتَدْبِيْرٍ، وجَعَلَ أعْدَاءهُ في دَبِيْرٍ، فَلَمْ يُبْقِ لهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ، ومَا جَرَتْ لهُم سَاقِيَةٌ، والله نَاصِرُ أوْلِيَائِهِ، في الحَيَاةِ وبَعْدَ المَمَاتِ!

فَلمَّا أحَسَّ شَيْخُنا بمَكَرَةِ اللَّيْلِ، وتَسَامَعَ بمَهَرَةِ التَّضْلِيْلِ؛ قَامَ رَحِمَهُ الله يَزْأرُ كَأنَّهُ غِظَنْفَرٌ هِزَبْرٌ، مُقْبِلٌ مُدْبِرٌ، كَأنَّهُ جُمْلُوْدُ صَخْرٍ، انْحَطَّ مِنْ رَأسِ جَبَلٍ وَعْرٍ، ليَقْضِيَ الله أمْرًا كَانَ مَقْدُوْرًا، فعِنْدَهَا أشْهَرَ شَيْخُنَا رَحِمَهُ الله سَيْفَ أقْلامِهِ، وأطْلَقَ الأعِنَّةَ لإقْدَامِهِ، فأخَذَهُم أخْذَةَ أسَفٍ، واقْتَادَهُم إرْسَافًا في كِتَابِهِ العُجَابِ «تَصْنِيْفِ النَّاسِ بَيْنَ الظَّنِّ واليَقِيْنِ»!

فَعِنْدَهَا أصْبَحَ هَذَا الكِتَابُ تَسْلِيَةً للمُصَابِيْنَ مِنْ وَخَزِ إخْوَانِهِمُ الجَرَّاحِيْنَ، وكَانَ

أيْضًا مَوْعِظَةً وتَذْكِيْرًا للأدْعِيَاءِ المُفْلِسِيْنَ، فانْظُرْهُ لِزَامًا ففِيْهِ امْتِدَادُ يَدٍ مَاسِحَةٍ على جُرُوْحِ أهْلِ العِلْمِ والدَّعْوَةِ، وتَسْلِيَةٌ يتَعَزَّى بِها أهْلُ الغُرْبَةِ السَّلَفِيِّيْنَ، وسَيَأتي لبَعْضِ كُتُبِ شَيْخِنَا رَحِمَهُ الله بَعْضُ التَّوَاصِيْفِ إنْ شَاءَ الله .

* * *

(وعَوْدًا بَعْدَ بَدْءٍ؛ ومَعَ هَذَا وذَاكَ فَقَدَ غَلَّبَ شَيْخُنَا رَحِمَهُ الله جَانِبَ العُزْلَةِ، ورَجَّحَ صَفَاءَ الخَلْوَةِ، فارْتَاضَتْ نَفْسُهُ للوَحْدَةِ، وتَسَامَحَ مَعَ النَفْسِ الفَرْدَةِ، واكْتَفَى بالتَّألِيْفِ والتَّقْيِيْدِ، والقِرَاءةِ والتَّصْيِيْدِ، فانْجَمَعَ عَنِ النَّاسِ، واجْتَمَعَ إلى نَفْسِهِ بإيْنَاسٍ .

فَلا يُخَالِطُ إلاَّ على نُدُرٍ، ولا يُجَالِسُ إلاَّ على قَدَرٍ، فَكَانَ فِيْهِ مِنَ النَّاسِ نُفْرَةٌ، ولَهُ في المَاضِيْنَ عِبْرَةٌ، وفِيْهِ مِنَ الحَنَابِلَةِ نَزْعَةٌ، إذْ كَانُوا يَجِدُوْنَ في الخَلْوَةِ مُتْعَةً ولَيْسَ ذَا بعَيْبٍ يُعِيْبُهُ، ولا رَيْبٍ يُرِيْبُهُ! لاسِيَّما والرَّجُلُ للنَّاسِ بكُتُبِهِ نَافِعٌ، ولنَفْسِهِ باللَّحْظِ جَامِعٌ، ولرَبِّهِ بالعِبَادَةِ طَائِعٌ! هَذَا إذَا عَلِمْنَا أنَّ شَرَّ الزَّمَانِ في ازْدِيَادٍ، وأهْلَهُ في رِيْبٍ وعِنَادٍ، والهَوَى غَالِبٌ غَلاَّبِ، والجَهْلُ جَالِبٌ جَلاَّبٌ، والسَّاعَةُ قَابَ قَوْسَيْنَ أو أدْنَى؟!

ومَا وَرَاءَ شَيْخِنَا إذَا اسْتَكَانَ طَبْعُهُ، ورَاضَ قَلْبُهُ، بحَدِيْثِ النَّبِيِّ ? : «أمْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، ولْيَسَعْكَ بَيْتُكَ وابْكِ على خَطِيْئَتِكَ» التِّرمِذِيُّ .

(ولله دَرُّ القَائِلِ :

تَوَارَيْتُ مِنْ دَهْرِي بظِلِّ جَنَاحِهِ فعَيْنِي تَرَى دَهْرِي ولَيْسَ يَرَانِي
ولَوْ تَسْألُ الأيَّامُ مَا اسْمِي لمَا دَرَتْ وأيْنَ مَكَاني مَا عَرَفْنَ مَكَاني

* * *

(ومِنْ هُنَا (؟!) دَخَلَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ الله ووَلَجَ، ولَوْلا مَا هُنَا لكُمَلَ وخَرَجَ؛ حَيْثُ اعْتَرَاهُ بَعْضُ الأحَايِيْنِ، مَضَائِقُ أخْلاقٍ في لِيْنٍ، وجَفْوَةٌ للغَرِيْبِ يَكَادُهَا ولا يُبِيْنُ، لِذَا تَجَافَلَ عَنْهُ طُلابُهُ، وتَقَالَلَ أحْبَابُهُ، إلاَّ نَزْرٌ في إقْلالٍ، وقَطْرَةٍ في قِلالٍ، لكِنَّهُ إذَا اسْتَكَانَ لزَائِرِهِ وقَاصِدِهِ، كَانَ وَدِيْعًا بَدِيْعًا لعَائِدِهِ، سَهْلاً مَلِيْحًا في مُحَادَثَتِهِ، طَيِّبًا كَرِيمًا في مُبَاحَثَتِهِ ... لَكِنَّ الكَمالَ عَزِيْزٌ، وشَيْخُنَا عَزِيْزٌ!

(ومَا أجْمَلَ مَا قَالَهُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ الله :

تَصَبَّرْ على مُرِّ الجَفَا مِنْ مُعَلِّمٍ فَإنَّ رُسُوْبَ العِلْمِ في نَفَرَاتِهِ
ومَنْ لم يَذُقْ مُرَّ التَّعَلُّمِ سَاعَةً تَجَرَّعَ ذُلَّ الجَهْلِ طُوْلَ حَيَاتِه * *

(فكَانَ رَحِمَهُ الله مُنْكَفًّا على نَفْسِهِ في قِرَاءَةٍ وتَألِيْفٍ، أغْلَقَ بَابَهُ على التَّدْقِيْقِ والتَّصْنِيْفِ، رَاضٍ بخَلَوَاتِهِ مُسْتَأنِسٌ، مَاضٍ في طَلَعَاتِهِ مُتَحَسِّسٌ، صَبُوْرٌ فَخُوْرٌ، فَلِمَاذَا حِيْنَئِذٍ التَّشَكِّي؟!

وقَدْ حَادَثْتُهُ مَرَّةً فَأبَى، ورَاجَعْتُهُ أخْرَى فَنَبَى، فبَايَنَنِي بالحَدِيْثِ وتَنَهَّدَ، وسَارَرَني بكَوَائِنِ الزَّمَانِ وعَدَّدَ، وحَذَّرَني مِنْ بَنَاتِ طَبَقٍ، ومِنْ زَبَدِ مَفَالِيْسِ اللَّقَقِ .

(ومَا أجْمَلَ مَا قَالَهُ الأحَيْمِرُ السَّعْدِيُّ :

عَوَى الذِّئْبُ فَاسْتَأنَسْتُ بالذِّئْبِ إذْ عَوَى وصَوَّتَ إنْسَانٌ فَكِدْتُ أطَيْرُ
رَأى اللهُ أنِّي للأنِيْسِ لشَانِئٌ وتُبْغِضُهُم لي مُقْلَةٌ وضَمِيْرُ

* * *
وهَكَذَا لم يَزَلْ شَيْخُنَا رَحِمَهُ الله يُدَافِعُ الأيَّامَ ويُزْجِيْهَا، ويُعَلِّلُ العُزْلَةَ ويُرَجِّيْهَا، فَامْتَطَى غَارِبَ الأمَلِ إلى الغُرْبَةِ، ورَكِبَ مُتُوْنَ التَّألِيْفِ مَعَ قِلَّةِ الصُّحْبَةِ، فَما زَالَ مَعَ الزَّمَانِ في تَفْنِيْدٍ وعِتَابٍ؛ حَتَّى رَضِيَ مِنَ الغَنِيْمَةِ بالإيَابِ، ومِنَ النَّاسِ بقِلَّةِ الأصْحَابِ، ممَّنْ ارْتَضَى خَلائِقَهُم، وأمِنَ بَوَائِقَهُم .

فَعِنْدَهَا تَسَلَّى بمُلازَمَةِ القَلَمِ والكِتَابِ، ومُطَالَعَةِ صَحَائِفِ أوْلي الألْبَابِ، مَا شَغَلَهُ عَنْ كَثْرَةِ المُخَالَطَةِ، وألهَاهُ عَنْ تَوَقِّي المُغَالَطَةِ، فَظَفَرَ مِنْهَا بضَالَّتِهِ المَنْشُوْدَةِ، وبُغْيَةِ نَفْسِهِ المَفْقُوْدَةِ، فجَعَلَ يَرْتَعُ بَيْنَ أزْهَارِ حَدَائِقِهَا، ويَسْتَمْتِعُ بحُسْنِ حَقَائِقِهَا .

وهَكَذَا اعْتَقَدَ مَقَامُهُ بذَلِكَ الجَنَابِ؛ حَتَّى تَوَارَى تَحْتَ التُّرابِ، فرَحِمَهُ الله الغَفُوْرُ التَّوَّابُ!

إذَا مَا الدَّهْرُ بيَّتَنِي بجَيْشٍ طَلِيْعَتُهُ اغْتِنَامٌ واكْتِئَابُ

شَنَنْتُ عَلَيْهِ مِنْ جِهَتِي كَمِيْنًا أمِيْرَاهُ الذُّبَالَةُ والكِتَابُ
وبِتُّ أنُصُّ مِنْ شِيَمِ اللَّيَالي عَجَائِبَ في حَقَائِقِهَا ارْتِيَابُ
بِها أجْلي هُمُومِي مُسْتَرِيْحًا إذَا جَلَّى هُمُوْمَهُمُ الشَّرَابُ

ولِسَانُ حَالِهِ، كَما قَالَ غَيْرُهُ :

وأدَّبَني الزَّمَانُ فَمَا أبَالي هُجِرْتُ فَلا أُزَارُ ولا أزُوْرُ
ولَسْتُ بقَائِلٍ مَا عِشْتُ يَوْمًا أسَارَ الجُنْدُ أمْ رَحَلَ الأمِيْرُ؟

* * *

(صِفَاتُهُ الخَلْقِيَّةُ :

فَكَانَ رَحِمَهُ الله يَعْلُوْهُ بَيَاضٌ في حُمْرَةٍ، وتَكْسُوْهُ ممَاسِحُ سُمْرَةٍ، رِبْعَةٌ مِنَ الرِّجَالِ، لا قَصِيْرٌ ولا مِطْوَالٌ، ضَخْمُ القَامَةِ، عَظِيْمُ الهَامَةِ، شَثْنُ الكَفَّيْنِ والقَدَمَيْنِ، ضَخْمُ الرَّأسِ أدْعَجُ العَيْنَيْنِ، كَثُّ اللِّحْيَةِ، ضَلِيْعُ الفَمِّ والهَيْئَةِ، بَادِنٌ مُتَماسِكٌ، مُعْتَدِلٌ مُتَمالِكٌ!

(مُؤلَّفَاتُ ابنِ القَيِّمِ الصَّغِيْرِ :

أمَّا مَزْبُوْرَاتُ تَآلِيْفِهِ، ومَسْطُوْرَاتُ تَصَانِيْفِهِ، فمَعْلُوْمَةٌ مَشْهُوْرَةٌ، مَعْرُوْفَةٌ مَأثُوْرَةٌ، سَارَ بِها الرُّكْبَانِ، وطَارَ بِها الطُّلَّبَانِ، فَاقَتْ عُقُوْدَ الجُمانِ، وسَابَقَتْ قَلائِدَ العِقْيَانِ، تَضَوَّعَ مِسْكُ ثَنَايَاهَا، وتَفَوَّحَ عَبِيْرُ خَفَايَاهَا، تَنْهَلُ مِنْهَا المَوَارِدُ، وتَصْدُرُ عَنْهَا المَزَاوِدُ، آثَارُهَا في العَالمِيْنَ مَكْتُوْبَةٌ، وثِمارُهَا في الخَافِقِيْنَ مَجْلُوْبَةٌ، فَهيَ بحُسْنِ سَبْكِهَا غُرَّةٌ في جَبْهَةِ الزَّمَانِ، ودَلَّةٌ يقْتَدِي بِها أهْلُ العَدْلِ والإحْسَانِ، كَأنَّها صُنُوْجُ العَسْجَدِ تُصَفَّقُ، أو دَنَانِيْرُ مِنَ الإبْرِيْزِ تَبْرُقُ ...!

وحَسْبُهُ أنَّ الله تَعَالى نَشَرَ كُتُبَهُ في حَيَاتِهِ، وحَفِظَهَا بطُلابٍ بَعْدَ ممَاتِهِ، وجَعَلَ لهَا قَبُوْلاً في مَشَارِقِ الأرْضِ ومَغَارِبِهَا، وإقْبَالاً مِنْ أهْلِ السُّنَّةِ وطُلابِهَا، ارْتَضَاهَا أهْلُ العِلْمِ على اخْتِلافِ مَشَارِبِهِم، وتَنَوُّعِ طَرَائِقِهِم وأفْكَارِهِم ، فللَّهِ الأمْرُ مِنْ قَبْلُ ومِنْ بَعْدُ!

ولَيْسَ الإطْنَابُ فِيْهَا بكَثِيْرٍ، ولكِنْ يَكْفِي مِنَ القِلادَةِ مَا أحَاطَ بالعُنُقِ .

* * *

(فلشَيْخِنَا رَحِمَهُ الله مِنَ التَّآلِيْفِ العِلْمِيَّةِ، والرَّسَائِلِ القَيِّمَةِ، والتَّحْقِيْقَاتِ المُجَوَّدَةِ، والفَتَاوَى المُحَرَّرَةِ مَا يُقَارِبُ السَّبْعِيْنَ أو يَزِيْدُ، والمَطْبُوْعُ مِنْهَا قَرَابَة بِضْعٍ وسِتِّيْنَ فِيْما أعْلَمُ، كَما أنَّه رَحِمَهُ الله قَدْ أكَّدَ لخَوَاصِهِ مِنَ طُلابِ العِلْمِ، وكَذَا قَدْ وَعَدَ في مَثَاني كُتُبِهِ أنَّهُ عَازِمٌ على إخْرَاجِ بَعْضِ الكُتُبِ المُفِيْدَةِ، والرَّسَائِلِ العَدِيْدَةِ ... فمِنْهَا مَا أظْهَرَ اسْمَهَا، وأخْرَى قَدْ أضْمَرَ رَسْمَهَا، ونَحْنُ في انْتِظَارٍ لاسِيَّما مِنْ أبْنَائِهِ النُّجَبَاءِ، وطُلابِهِ الأكْفَاءِ، والوُعُوْدُ عُهُوْدٌ .

(وهَذِهِ ثَانِيَةً؛ أنَّهُ رَحِمَهُ الله كَانَ لَهُ عِنَايَةٌ تَامَّةٌ لامَّةٌ بكُتُبِ شَيْخِ الإسْلامِ الإمَامِ الحَافِظِ أبي عَبْدِ الله مُحمَّدِ بن أبي بَكْرٍ أيُّوْبَ ابنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ رَحِمَهُ الله (751)، وهَذَا مَا يَشْهَدُ لَهُ أهْلُ العِلْمِ والحِجَى، بَلْ أصْبَحَ اسْمُ بَكْرٍ قَرِيْنًا باسْمِ ابنِ القَيِّمِ، فَلا يُذْكَرُ أحَدُهُما إلاَّ وذُكِرَ الآخَرُ، فللَّهِ الأمْرُ مِنْ قَبْلُ ومِنْ بَعْدُ، و«المَرْءُ مَعَ مَنْ أحَبَّ»! مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

(وثَالِثَةً؛ أنَّ مَجْمُوْعَ أطَارِيْحِهِ رَحِمَهُ الله (المَاجِسْتِيْر والدَّكْتُوْرَاه) كَانَتْ دِرَاسَةً مُحَرَّرَةً عَنْ فِقْهِ ابنِ القَيِّمِ، فرِسَالَتُهُ (للمَاجِسْتِيْر) كَانَتْ بعُنْوَانِ «الحُدُوْدِ والتَّعْزِيْرَاتِ عِنْدَ ابنِ القَيِّمِ»، ورِسَالَتُهُ العَالمِيَّةُ (الدُّكْتُوْرَاه) كَانَتْ بعُنْوَانِ «أحْكَامِ الجِنَايَةِ على النَّفْسِ ومَا دُوْنَها عِنْدَ ابنِ القَيِّمِ»، مَعَ ضَمايِمَ دَائِرَةٍ في فَلِكَ عُلُوْمِ ابنِ القَيِّمِ رَحِمَهُ الله، مِثْلُ : «ابنِ قِيِّم الجَوْزِيَّةِ، حَيَاتُهُ وآثَارُهُ»، و«التَّقْرِيْبِ لعُلُوْمِ ابنِ القَيِّمِ»، وغَيْرِهَا مِنْ مَعْلَمَةِ ابنِ القَيِّمِ .
حَتَّى كَانَ مِنْ آخِرِهَا وأنْفَعِهَا وأوْسَعِهَا : المَشْرُوْعُ القَيِّمِ، الجَامِعُ لعَلُوْمِ وكُتُبِ ابنِ القَيِّمِ، وذَلِكَ بإخْرَاجِ تُرَاثِ مَعْلَمَةِ ابنِ القَيِّم العِلْمِيَّةِ، وتَقْرِيْبُهَا لعَامَّةِ المُسْلِمِيْنَ؛ حَيْثُ قَامَ رَحِمَهُ الله بفِكْرَةِ إخْرَاجِ المَعْلَمَةِ القَيِّمَةِ لمَجَامِيْعِ عُلُوْمِ ابنِ القَيِّمِ وآثَارِهِ العِلْمِيَّةِ، وذَلِكَ تَحْتَ إشْرَافِهِ، فعِنْدَهَا خَرَجَتْ طَلائِعُ كُتُبِ ابنِ القَيِّمِ في مَجْمُوْعَاتٍ مُتَتَابِعَةٍ، بَعْدَ تَنْضِيْدِهَا ومُرَاجَعَتِهَا، وإخْرَاجِهَا بتَحْقِيْقَاتٍ عِلْمِيَّةٍ، وطَبَعَاتٍ قِيِّمةٍ، وبأسْعَارٍ زَهِيْدَةٍ . وقَدْ خَرَجَ مِنْهَا حَتَّى سَاعَتِي هَذِهِ مَجْمُوْعَتَانِ في ثَمانِيَةَ عَشَرَ مُجلَّدًا، فَجَزَاهُ الله عَنْ ابنِ القَيِّمِ والمُسْلِمِيْنَ خَيْرَ الجَزَاءِ!

(وهَكَذَا اعْتَنَى شَيْخُنَا رَحِمَهُ الله بعُلُوْمَ ابنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ رَحِمَهُ الله، عِنَايَةً فَائِقَةً لَيْسَ لهَا نَظِيْرٌ فِيْمَا سَبَقَ، بَلْ إخَالُكَ تَجْزِمُ قَطْعًا أنَّ أحَدًا لم يَخْدِمْ كُتُبَ وعُلُوْمَ ابنِ القَيِّمِ مِثْلَما خَدَمَهَا وقَرَّبَها شَيْخُنَا بَكْرٌ رِحِمَهُ الله!
بَلْ إذَا قِيْلَ : إنَّ ابنَ القَيِّمِ رَحِمَهُ الله كَانَ مِنْ أبَرِّ طُلابِ شَيْخِ الإسْلامِ ابنِ تَيْمِيَّة في عُلُوْمِهِ، فَلا جَرَمَ أنَّ أبرَّ النَّاسِ بابنِ القَيِّم بَعْدَ مَوْتِهِ مَا كَانَ مِنْ شَيْخِنَا بَكْرٍ أبو زَيْدٍ، فعِنْدَهَا كَانَ حَقًّا أنْ يُلَقَّبَ شَيْخُنَا رَحِمَهُ الله : بابنِ القَيِّمِ الصَّغِيْرِ!
ومِنَ الإدْلالِ هُنَا؛ إذَا قِيْلَ : إنَّ أحَدًا لَيْسَ لَهُ حَسَنَةٌ على الإمَامِ الشَّافِعِي رَحِمَهُ الله، إلاَّ مَا كَانَ مِنْ البَيْهَقِيِّ، فَكَذَا القَوْلُ هُنَا : لَيْسَ لأحَدٍ حَسَنَةٌ على الإمامِ ابنِ القَيِّمِ، إلاَّ مَا كَانَ مِنْ شَيْخِنَا رَحِمَهُ الله تَعَالى .
* * *

ثُمَّ اعْلَمْ أنَّ النَّسَبَ ثَلاثَةٌ : نِسْبَةُ طِيْنٍ، ونِسْبَةُ دِيْنٍ، ونِسْبَةُ عِلْمٍ، فَأمَّا الطِّيْنِيَّةُ فَلِلأبَوَيْنِ، وأمَّا الدِّيْنِيَّةُ فللمُؤمِنِيْنَ، وأمَّا العِلْمِيَّةِ فلأهْلِ العِلْمِ، فَكَانَ والحَالَةُ هَذِهِ أنْ حَازَ شَيْخُنَا مِنْ شَيْخِهِ ابنِ القَيِّمِ نِسْبَتَيْنِ : نِسْبَةً دِيْنِيَّةً وعِلْمِيَّةً، فَلْيَهْنَأكَ النِّسْبَةَ أبَا عَبْدِ الله، وجمَعَكَ بشَيْخِكَ في عِلِّيِّينَ، مَعَ العُلَماءِ الرَّبَّانِيِّينَ!

* * *

(وأمَّا كُتُبُ ابنِ القَيِّمِ الصَّغِيْرِ، فكَثِيرَةٌ جِدًّا، قَدَ مَضَى بَعْضُهَا، وبَقِيَ بَعْضٌ، فمِنْهَا (لا كُلَّهَا) :

(كِتَابُ «تَصْنِيْفِ النَّاسِ بَيْنَ الظَّنِّ واليَقِيْنِ»، وقَدْ مَرَّ مَعَنَا .

(وكَذَا كِتَابُ «المَدْخَلِ المُفَصَّلِ إلى مَذْهَبِ الإمَامِ أحمَدَ بنِ حَنْبَلٍ» في مُجَلَّدَيْنِ كَبِيْرَيْنِ، ويُعَدُّ هَذَا الكِتَابُ مِنْ أنْفَعِ كُتُبِ شَيْخِنَا رَحِمَهُ الله؛ حَيْثُ جَمَعَ شَتَاتَ مُتَفَرِّقَاتِ كُتُبِ المَذْهَبِ الحَنْبَلِيِّ وأعْلامِهِ في حُسْنِ تَألِيْفٍ وتِقْسِيْمٍ، وجَوْدَةِ تَرْكِيْبٍ وتَرْقِيْمٍ، وكَذَا تَحْرِيْرٍ وتَقْوِيْمٍ، وسَبْكٍ لم يُسْبَقْ إلَيْهِ، وجَمْعِ مَا سُبِقَ عَلَيْهِ .

فَهُو عُمْدَةُ الحَنَابِلَةِ في هَذَا العَصْرِ، وبِهِ جَمُلَ المَذْهَبُ وزَانَ، وتمَهَّدَ طَرِيْقُهُ ولاَنَ، وكُلُّ مْنَ ألَّفَ في هَذَا الفَنِّ فَهُمْ عِيَالٌ عَلَيْهِ، ومَعَ هَذَا فِفِيْهُ بَعْضُ فَوَائِتُ مُسْتَدْرَكَةٌ!

(ولَهُ أيْضًا كِتَابُ «مُعْجَمِ المَنَاهِي اللَّفْظِيَّةِ» في مُجْلَدٍ كَبِيْرٍ، وهُوَ كِتَابٌ بَدِيْعٌ نَافِعٌ، ومُحرَّرٌ جَامِعٌ، ولَهُ فِيْهِ تَرْتِيْبٌ وتَبْوِيْبٌ، على طَرِيْقَةِ المَعَاجِمِ اللُّغَوِيَّةِ، وفِيْهَ تَقْيِدَاتٌ وانْتِقَاءَاتٌ قَوِيَّةٌ، لم يَسْبِقْهُ إلَيْهِ أحَدٌ فِيْما أعْلَمُ؛ حَيْثُ جَمَعَ فِيْهِ وأوْعَى، وأفَادَ فِيْهِ وأشْفَى، وفَاتَهُ شَيء كَثِيرٌ، وقَدْ رَأيْتُ مَنِ اسْتَدْرَكَهُ مُؤخَّرًا في مُجَلَّدٍ مُتَوَسِّطٍ قِيِّمٍ!

(ولَهُ أيْضًا كِتَابُ «طَبَقَاتُ النَّسَّابِيْنَ» في مُجَلَّدٍ، فَهُوْ جَامِعٌ نَافِعٌ، جَاءَ بِكُلِّ جَدِيْدٍ، وضَمَّهُ كُلَّ مُفِيْدٍ، ومَعَ هَذَا فِفِيْهِ اسْتِدْرَاكَاتٌ وفَوَائِتُ يَسِيْرةٌ، وأحْرُفٌ غَيرُ مُحرَّرَةٍ!

(ولَهُ أيْضًا كِتَابُ «حِرَاسَةِ الفَضِيْلَةِ»، وهَذَا الكِتَابُ مِنْ أنْفَسِ الكُتُبِ وأنْفَعِهَا؛ حَيْثُ خَرَجَ في الوَقْتِ الَّذِي شَالَتْ فِيْهِ العَلْمانِيَّةُ بأذْنَابِهَا في نَشْرِ الرَّذِيْلَةِ، ودَفْعِ المَرْأةِ المُسْلِمَةِ إلى سُوْقِ الشَّهَوَاتِ بَيْعًا وشِرَاءً، فَالله طَلِيْبُهُم!

لِذَا كَانَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ الله مُوَفَّقًا مُسَدَّدًا في تَسْطِيْرِ هَذَا الكِتَابِ؛ حَيْثُ جَمَعَ فِيْهِ خُلاصَةَ مَنْ سَبَقَهُ، مَعَ زِيَادَاتٍ عِلْمِيَّةٌ، وتَحرِيْرَاتٍ قَوِيَّةٍ، ومُنَاقَشَاتٍ نَقْلِيَّةٍ عَقْلِيَّةٍ، فَجَاءَ الكِتَابُ وَاسِطَةَ العِقْدِ لمنَ سَبَقَهُ، وائْتَمَّ بِهِ مَنْ لِحِقَهُ، فعِنْدَهَا انْتَشَرَ انْتِشَارَ الماءِ في عُرُوْقِ الوَرْدِ، والرُّوْحِ في الجَسَدِ، فطُبِعَ مِنْهُ عَشَرَاتُ الألافِ في أشْهُرٍ يَسِيْرةٍ كَما أخْبرني بِهِ شَيْخُنَا رَحِمَهُ الله، ثُمَّ تَوَالَتْ طَبَعَاتُه مِمَّا يَعْسُرُ عَدُّهَا، وذَلِكَ فَضْلُ الله يُؤتِيْهِ مَنْ يَشَاءُ!

(وكَذَا كِتَابُ «حِلْيَةِ طَالِبِ العِلْمِ»، وهُوَ كِتَابٌ مُهِمٌّ لطَالِبِ العِلْمِ، ورَائِمِ عُلُوِّ الهِمَمِ؛ حَيْثُ أتَي فِيْهِ وزَادَ بِمَا يَدُلُّ على عُلُوِّ كَعْبِ صَاحِبِهِ، ويَقْطَعُ بنُبُوْغِ

وبَيَانِ قَلَمِ كَاتِبِهِ، ممَّا يُرَغِّبُ الطَّالِبَ في مُطَالَعَتِهِ، والعَالمَ الجِهْبَذَ في مُقَارَعَتِهِ .

فَكَانَ مِنْ لَبُوْسِ القَبُوْلِ أنَّ شَيْخَنَا العَلامَةَ محَمَّدًا العُثَيْمِيْنَ رَحِمَهُ الله قَدْ شَرَحَ كِتَابَ «الحِلْيَةِ» لطُلابِهِ في عُنَيْزَةَ، والشَّيْخُ بَكْرٌ حَيٌّ يُرْزَقُ، وهَلْ هَذَا إلاَّ اعْتِرَافٌ مِنْهُ بفَضْلِ أهْلِ العِلْمِ؟ وهَلْ العِلْمُ إلاَّ رَحِمٌ بَيْنَ أهْلِهِ؟ فرَحِمَ الله العُلَماءَ الَّذِيْنَ يُقَدِّرُوْنَ العِلْمَ وأهْلَهُ مَهْمَا كَانَ المُتَكَلِّمُ والكَاتِبُ صَغْيرًا كَانَ أو كَبِيرًا .
(وكَذَا كِتَابُ «التَّعَالم»، وهَذَا الكِتَابُ مِنْ مُسْتَطَابَاتِ كُتُبِ الشَّيْخِ ونَوَادِرِهَا، ومُهِمَّاتِ الكُتُبِ وفَرَائِدِهَا، فَهُوَ بَابَاتُ طُلابِ العِلْمِ لمَعْرِفَةِ زَغَلِ العِلْمِ ودُخُولاتِهِ، ومَيَاسِمُ كَيٍّ لأدْعِيَاءِ العِلْمِ، فخُذْهُ بيَمِيْنِكَ، وابْصِرْهُ بعَيْنِكَ، فَهُوَ كِتَابٌ عُبَابٌ، ومَرْجِعٌ لُبَابٌ .
(وكَذَا كِتَابُ «المَدَارِسِ الأجْنَبِيَّةِ»، وهَذَا الكِتَابُ، نَادِرَةٌ فَارِدَةٌ، مخْتَصَرٌ مُعْتَصَرٌ، جَامِعٌ نَافِعٌ، جَاءَ فِيْهِ بخَلائِصِ مَنْ سَلَفَ، وأتَى على دُرَرِهِ مَنْ خَلَفَ، ففِيْهِ نَقْضٌ لأدْعِيَاءِ الحَضَارَةِ الغَرْبِيَةِ، وكَشْفٌ لمُخَطَّطَاتِ (التَّنْصِيْرِ) الصَّلِيْبِيَّةِ، وتَحْذِيْرٌ لأبْنَاءِ المُسْلِمِيْنَ مِنَ الدَّعَوَاتِ الإرْسَالِيَّةِ، وفِيْهِ بَقِيَّةُ حَقَائِقَ ووَثَائِقَ مَيْدَانِيَّةٍ، فَدُوْنَكَهُ .
(وكَذَا كِتَابُ «حُكْمِ الانْتِماءِ»، وهُوَ كِتَابٌ مُهِمٌّ في ضَبْطِ جمَاعَةِ المُسْلِمِيْنَ، وجمْعِ كَلِمَتِهِم، ووِحْدَةِ صَفِّهِم، وأخْذِهِم بالكِتَابِ والسُّنَّةِ للانْضَوَاءِ تحْتَ مُبَايَعَةِ وَليِّ الأمْرِ، ومُنَابَذَةِ التَّفْرِقَةِ وشَقِّ عَصَا جمَاعَةِ المُسْلِمِيْنَ ...!

ومَعَ هَذَا فَقَدْ لاقَى هَذَا الكِتَابُ بَعْضَ الرُّدُوْدِ والتَّعَقُّبَاتِ مِنْ بَعْضِ أهْلِ العِلْمِ مِنَ خَارِجِ هَذِهِ البِلادِ، ولكُلٍّ وُجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيْهَا، فالكِتَابُ إذَا ضَاقَ ببَعْضِ البِلادِ الإسْلامِيَّةِ، فَهُوَ مُوَافِقٌ لأهْلِ هَذِهِ البِلادِ، فَتَأمَّلْ!
* * *
(ومِنْ وَرَائِهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ، ورَسَائِلُ عِلْمِيَّةٌ، لَيْسَ هَذَا مُقَامَ ذِكْرِهَا على وَجْهِ التَّفْصِيْلِ، فَخُذْهَا في مُعَنْوَنَاتِها للتَّذْكِيْرِ والتَّدْبِيْرِ، في حِيْنَ أنَّ الشَّيْخَ رَحِمَهُ الله قَدْ جمَعَ مُتَفَرِّقَاتِ كُتُبِهِ، ولَمَّ ضَمايِمَهَا في مجَلَّدَاتٍ كِبَارٍ كَيْ تَكُوْنَ سَهْلَةَ المنَالِ، وتَبْقَى قَرِيْبَةَ النَّوَالِ، فَدُوْنَكُهَا في مجَلَّدَاتِها الآتِيَةِ، كَما يَلي :
(أحَدُهَا : كِتَابُ «ابنِ القَيِّم، حَيَاتُهُ، وآثَارُهُ، ومَوَارِدُهُ» في مُجَلَّدٍ، وهُوَ جَامِعٌ لسِيرَةِ حَيَاةِ شَيْخِهِ الإمَامِ الهُمامِ شَيْخِ الإسْلامِ ابن قَيِّمِ الجَوْزِيَّةَ رَحِمَهُ الله رَحْمَةً وَاسِعَةً، المُتَوَفَّى سَنَةَ (751) .
(وثَانِيْهَا : كِتَابُ «النَّظَائِرِ» في مُجَلَّدٍ، وهُوَ جَامِعٌ لأرْبَعِ رَسَائِلَ، كَما يَلي : «التَّراجِمُ الذَّاتِيَّةُ»، و«التَّحَوُّلُ المَذْهَبِيُّ»، و«لطَائِفُ الكَلِمِ في العِلْمِ» .
(وثَالِثُهَا : كِتَابُ «الرُّدُوْدِ» في مُجَلَّدٍ، وهُوَ جَامِعٌ لسِتَّةِ كُتُبٍ، كَما يَلي : «الرَّدُّ على المُخَالِفِ»، و«بَرَاءَةُ أهْلِ السُّنَّةِ مِنَ الوَقِيْعَةِ في عُلَماءِ الأمَّةِ»، و«التَّحْذِيْرُ مِنْ مُختَصَرَاتِ الصَّابُوني في التَّفْسِيرِ»، و«تَصْنِيْفِ النَّاسِ بَيْنَ الظَّنِّ واليَقِيْنِ»، و«عَقِيْدَةِ ابنِ أبي زَيْدٍ القَيْرَوانيِّ، وعَبْثُ بَعْضِ المُعَاصِرِيْنَ بِهِ» .

(ورَابِعُهَا : كِتَابُ «التَّقْرِيْبُ لعُلُوْمِ ابنِ القَيِّمِ» في مُجَلَّدٍ، وهَذَا الكِتَابُ جَامِعٌ لمُتَفَرِّقَاتِ مَعْلَمَةِ ابنِ القَيِّمِ رَحِمَهُ الله في مُفَهْرَسَاتٍ وجَدْولاتٍ مُهمَّةٍ مُفِيْدَةٍ، غَيْرَ أنَّه في حَاجَةٍ إلَى تَجْدِيْدِ عِزْوِ مَوْضُوْعَاتِهِ وإحَالاتِهِ إلى المَصَادِرِ الجَدِيْدَةِ في مَطْبُوْعَاتِهَا السَّائِرَةِ، لاسِيَّما إصْدَارَاتُ مَجَامِيْعِ وآثَارِ ابنِ القَيِّمِ الجَدِيْدَةِ الَّتِي أشْرَفَ عَلَيْهَا الشَّيْخُ رَحِمَهُ الله، لِذَا كَانَ مِنْ الأرْفَقِ والأوْفَقِ ألاَّ يُطْبَعُ هَذَا الكِتَابُ حَتَّى تَكْتَمِلَ آثَارُ ابنِ القَيِّمِ لتَقْيِيْدِ الإحَالاتِ والعَزْوِ، والله المُوَفِّقُ .

(وخَامِسُهَا : كِتَابُ «المَجْمُوْعَةُ العِلْمِيَّةُ» في مُجَلَّدٍ، وهُوَ جَامِعٌ لخَمْسِ رَسَائِلَ، كَما يَلي : «التَّعَالمُ»، و«آدَابُ طَالِبِ العِلْمِ» و«حِلْيَةُ طَالِبِ العِلْمِ»، و«الرَّقَابَةُ على التُّراثِ»، و«تَغْرِيْبُ الألْقَابِ العِلْمِيَّةِ» .

(وسَادِسُهَا : كِتَابُ «الأجْزَاءِ الحَدِيْثِيَّةِ» في مُجَلَّدٍ، وهُوَ جَامِعٌ لخَمْسَةِ أجْزَاءٍ، كَما يَلي : «جُزْءٌ في حَدِيْثِ الحَوَالَةِ»، و«جُزْءٌ في مَسْحِ الوَجْهِ باليَدَيْنِ بَعْدَ رَفْعِهِما للدُّعَاءِ»، و«جُزْءٌ في زِيَارَةِ النِّسَاءِ للقُبُوْرِ»، و«جُزْءٌ في كَيْفِيَّةِ النُّهُوْضِ في الصَّلاةِ»، و«جُزْءٌ في مَرْوِيَّاتِ دُعَاءِ خَتْمِ القُرْآنِ» .

* * *

(وهُنَاكَ ضَمَايِمُ عِلْمِيَّةٌ، وبُحُوْثٌ تَأصِيْلِيَّةٌ، أدْرَجَهَا شَيْخُنَا رَحِمَهُ الله في مُجَلَّدَيْنِ، تَحْتَ عُنْوَانِ «فِقْهِ النَّوَازِلِ»، وكُلُّ مُجلَّدٍ يَضُمُّ بَيْنَ دَفَّتَيْهِ خَمْسَ رَسَائِلَ، كَما يَلي :

(الأوَّلُ مِنْهُما : «التَّقْنِيْنُ والإلْزَامُ»، و«المُوَاضَعَةُ في الاصْطِلاحِ»، و«خِطَابُ الضَّمانِ البَنْكِي»، و«جِهَازُ الإنْعَاشِ، وعَلامَةُ الوَفَاةِ»، و«طُرُقُ الإنْجَابِ في الطِّبِّ الحَدِيْثِ» .

(والثَّاني مِنْهُما : «التَّشْرِيْحُ الجُثْماني»، و«النَّقْلُ والتَّعْوِيْضُ الإنْسَاني»، و«المُرَابَحَةُ للآمِرِ بالشِّرَاءِ»، و«حَقُّ التَّأليْفِ، تَارِيخًا وحُكْمًا»، و«الحِسَابُ الفَلَكِيُّ لأوَائِلِ الشُّهُوْرِ العَرَبِيَّةِ»، و«دِلالَةُ البَوْصَلَةِ على القِبْلَةِ» .

وبِهَذَا نَكْتَفِي مِنْ ذِكْرِ كُتُبِ شَيْخِنَا رَحِمَهُ الله، ومِنْ تَوْصِيْفِ مَضَامِيْنِهَا، وتَفَاصِيْلِ مَوْضُوْعَاتِها إلى أجَلٍ قَرِيْبٍ إنْ شَاءَ الله .

* * *

(ومَهْما يَكُنْ؛ فَفِي سَابِقِ عِلْمِنَا أنَّ شَيْخَنَا رَحِمَهُ الله قَدِيْرٌ وجَدِيْرٌ (نَحْسَبُهُ كَذَلِكَ!) بأنْ يَتَصَدَّى ويتَصَدَّرَ لتَفْسِيْرِ كِتَابِ الله، وتَوْضِيْحِ السُّنَّةِ، و شَرْحِ مَا سِوَاهُمَا مِنْ كُتُبِ : العَقِيْدَةِ السَّلَفِيَّةِ، ومُخْتَصَرَاتِ الفِقْهِ الحَنْبلِيَّةِ في غَيْرِهَا، ولَوْ فَعَلَ رَحِمَهُ الله لأتَى بالعَجَبِ العُجَابِ وفَوْقَهُ، ولا نُزَكِّيْهِ على الله تَعَالى .

لكِنَّهُ رَحِمَهُ الله وَقَفَ نَفْسَهُ، وحَبَسَ قَلَمَهُ في إخْرَاجِ مَا يَحتَاجُهُ المُسْلِمُوْنَ اليَوْمَ، ومَا يُرِيْدُوْنَه في وَاقِعِهِم، فَكَانَ كَمَا أرَادَ رَحِمَهُ الله، في حِيْنَ أنَّه لَوْ أخْرَجَ أسْفَارًا عَدِيْدَةً، ومُجلَّدَاتٍ مَبْسُوْطَةً في تَفْسِيْرٍ أو شَرْحٍ أو غَيْرِهِ، فَلَنْ يَأتي على مَوَاقِعِ حَاجَاتِ إخْوَانِهِ المُسْلِمِيْنَ اليَوْمَ كَما هِيَ حَاجَتُهُم في «حِرَاسَةِ الفَضِيْلَةِ»، و«تَصْنِيْفِ النَّاسِ» و«المَدَارِسِ الأجْنَبِيَّةِ»، و«التَّعَالمِ»،

وغَيْرِهَا مِنْ محَاسِنِ الكُتُبِ العِلْمِيَّةِ المُبَارَكَةِ النَّافِعَةِ، وفي كُلٍّ خَيْرٌ، والله على كُلِّ شَيءٍ قَدِيْرٌ!

* * *

فإنْ أبَيْتَ يَا رَعَاكَ الله؛ فَانْظُرْ طَلِيْعَةَ مَشْرُوْعِهِ الحَدِيْثِيِّ المَوْسُوْعِيِّ، في مُجلَّدِهِ الأوَّلِ تَحْتَ عُنْوَانِ «التَّأصِيْلِ في أصُوْلِ التَّخْرِيْجِ، وقَوَاعِدِ الجَرْحِ والتَّعْدِيْلِ»، الَّذِي يُعَدُّ مُقَدِّمَةً وتَوْطِئَةً لمَا يَتْبَعُهُ مِنْ مُجلَّدَاتٍ ... فمَنْ نَظَرَ فِيْهِ عَلِمَ رُسُوْخَ شَيْخِنَا رَحِمَهُ الله في عُلُوْمِ الحَدِيْثِ، وغَوْرَ عِلْمِهِ، وبُعْدَ نَظَرِهِ، وقُوَّةَ بَحْثِهِ ... ولَوْ أكْمَلَهُ رَحِمَهُ الله (أوِ أخْرَجَهُ) لصَارَ آيَةً في عُلُوْمِ الحَدِيْثِ، ومَرْجِعًا لكُلِّ مُحَدِّثٍ وأثَرِيٍّ ... لكِنَّ كما قَالَ اللهِ تَعَالى : «ومَنْ يُؤتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أوْتيَ خَيْرًا كَثِيْرًا»، وقَوْلُ النَّبِيِّ ? : «كُلٌّ مُيَسَّرٌ لمَا خُلِقَ لَهُ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، والله يَهْدِي إلى سَوَاءِ السَّبِيْلِ!

* * *

- وأمَّا المَشَارِيْعُ العِلْمِيَّةُ لابنِ القَيِّمِ الصَّغِيْرِ فَكَثِيْرَةٌ، مِنْهَا :

(أوَّلهَا : مَشْرُوْعُ «آثَارِ شَيْخِ الإسْلامِ ابنِ تَيْمِيَّةَ ومَا لحِقَهَا مِنْ أعْمَالٍ»، حَيْثُ خَرَجَتْ في مَجْمُوعَاتٍ مُتَعَاقِبَةً، مَعَ تَحْقِيْقٍ عِلْمِيٍّ لأكْثَرِها، وسَتَخْرُجُ تِبَاعًا كَامِلَةً إنْ شَاءَ اللهُ، وقَدْ خَرَجَ مِنْهَا حَتَّى سَاعَتِي هَذِهِ ثَلاثُ مَجْمُوعَاتٍ، قَدْ حَوَتَ ثَلاثَةَ عَشَرَ مُجلَّدًا .

وسَتَخْرُجُ تِبَاعًا كَامِلَةً إنْ شَاءَ اللهُ، مَعَ تَحْقِيْقٍ عِلْمِيٍّ لأكْثَرِها .

(ثَانِيْهَا : مَشْرُوْعُ «آثَارِ الإمَامِ ابنِ قيِّمِ الجَوزِيَّةِ ومَا لِحِقَهَا مِنْ أعْمَالٍ» حَيْثُ خَرَجَتْ في مَجْمُوعَاتٍ مُتَعَاقِبَةً، مَعَ تَحْقِيْقٍ عِلْمِيٍّ لأكْثَرِها، وسَتَخْرُجُ تِبَاعًا كَامِلَةً إنْ شَاءَ اللهُ، وقَدْ خَرَجَ مِنْهَا حَتَّى سَاعَتِي هَذِهِ مَجمُوْعَتَانِ، قَدْ حَوَتْ ثَمانِيَةَ عَشَرَ مجَلَّدًا .

(ثَالِثُهَا : مَشْرُوْعُ «آثَارِ الشَّيْخِ العَلامَةِ مُحَمَّدِ الأمِيْنِ الشِّنْقِيْطِيِّ»، حَيْثُ خَرَجَتْ كَامِلَةً ولله الحَمْدُ، مَعَ تَحْقِيْقٍ عِلْمِيٍّ لأكْثَرِهَا، فَكَانَتْ في تَسْعةَ عَشَرَ مجَلَّدًا

(رَابِعُهَا : مَشْرُوْعُ «آثَارِ الشَّيْخِ العَلامَةِ عَبْدِ الرَّحمَنِ المُعَلِّمِي»، وسَتَخْرُجُ قَرِيْبًا إنْ شَاءَ الله، كَما هِيَ في خِطَّةِ المَشْرُوْعِ العِلْمِيِّ المُبَارَكِ .

(في حِيْنَ أنَّنِي أُنَاشِدُ إخْواني طُلابَ العِلْمِ المُعْتَنِيْنَ بمُتَابَعَةِ هَذَا المَشْرُوْعِ العِلْمِيِّ تَحقِيْقًا ومُرَاجَعَةً، وطِبَاعَةً وتَمْوِيْلاً أنْ يَقُوْمُوا بإخْرَاجِ «آثَارِ الشَّيْخِ العَلامَةِ بَكْرٍ أبُو زَيْدٍ»، وَفَاءً لَهُ، وبِرًّا بِهِ، واسْتِجَابَةً لطُلابِهِ ومُحبِّيْهِ مِنْ عُمُوْمِ المُسْلِمِيْنَ .

- فَكَانَ فَضْلُ هَذِهِ المَشَارِيْعِ العِلْمِيَّةِ : لله تعالى أوَّلاً وآخِرَ، ثُمَّ لشَيْخِنَا رَحِمَهُ الله، حيث أوْلاهَا إشْرَافًا ومُتَابَعَةً . وقَدْ شَرُفَتْ أيْضًا مَكْتَبَةُ «دَارِ عَالَمِ الفَوَائِدِ»، للقِيَامِ بإصْدَارَاتِ وطِبَاعَةِ هَذِهِ المَشَارِيْعِ العِلْمِيَّةِ، ثُمَّ يَعُوْدُ الفَضْلُ أيْضًا للرَّجُلِ المُحْسِنِ المُوْسِرِ : سُلَيْمانَ بنِ عَبْدِ العَزِيْزِ الرَّاجِحِيِّ حَفِظَهُ الله، الَّذِي قَامَ بتَمْوِيْلِ طِبَاعَةِ هَذِهِ المَشَارِيْعِ، فجَزَاهُ الله تَعَالى عَنِ العِلْمِ وأهْلِهِ خَيْرًا

(فَهَذِهِ عُجَالَةٌ في سِيْرَةِ شَيْخِنَا رَحِمَهُ الله أرْسَلْتُ فِيْهَا عَنَانَ القَلَمِ، ودَوَّنْتُ فِيْهَا بَعْضُ الفِهَمِ، لَعَلَّ وعَسَى أنْ أنْشَطَ في تَحرِيْرِهَا وتَتْمِيْمِهَا، وتَحْبِيرِهَا وتَنْمِيْمِهَا إذْا شَاءَ الله تَعَالى، فَشُهْرَةُ ذِكْرِ شَيْخِنَا رَحِمَهُ الله تُغْنِي عَنِ الإطْنَابِ، وعُلُوْمُ فِكْرِهِ تَكْفِي عَنِ الإسْهَابِ، وبِهَذا جَرَى القَلَمُ بِما أرِيْدُ ودُوْنَ مَا أرِيْدُ، ولا يَكُوْنَ إلاَّ مَا شَاءَهُ الله، فَهُوَ الفَعَّالُ لمَا يُرِيْدُ(1)!

كَمَا في هَذِهِ العُجَالَةِ اليَسِيْرَةِ فُتُوْحَاتُ أبْوَابٍ مُؤصَدَةٍ، وتَلْقِيْحُ أفْكَارٍ ممْتَدَّةٍ، تَدْفَعُ رُوَّامَ العِلْمِ لاسِيَّما طُلابَ الشَّيْخِ رَحِمَهُ الله إلى تَدْوِيْنِ تَرْجَمَتِهِ في سِيْرَةٍ مَبْسُوْطَةٍ، آخِذَةً بِما للشَّيْخِ مِنْ فَوَائِدِ وفَرَائِدِ مَخْطُوْطَةٍ، كُلُّ ذَلِكَ على وَجْهِ التَّفْصِيْلِ والتَّكْمِيْلِ، والله مِنْ وَرَاءِ القَصْدِ!

* * *

- أمَّا وَفَاةُ ابنِ القَيِّمِ الصَّغِيْرِ، فَهَاكَهَا لاشِيَةَ فِيْهَا :

فَأقُوْلُ : إنَّا لله وإنَّا إلَيْهِ رَاجِعُوْنَ، مِنْ حَادِثَة تَفُتُّ العَضُدَ، وتُضَاعِفُ الكَمَدَ، وتُوْهِي القَلْبَ، وتُوهِنُ اللُّبَّ ... يَوْمَ جَاءَ الأجَلُ بقَضَاءٍ وقَدَرٍ، وجَاءَتِ المَنِيَّةُ بقَضَاءِ الأمْرِ؛ حَيْثُ مَاتَ شَيْخُنَا رَحِمَهُ الله ظُهْرَ يَوْمِ الثُّلاثَاءِ، لثَلاثٍ بَقِيْنَ مِنْ شَهْرِ الله المُحَرَّمِ، لعَامِ ألْفٍ وأرْبَعْمائَةٍ وتِسْعٍ وعِشْرِيْنَ مِنَ الهِجْرَةِ، (27/1/1429).عَنْ عُمُرٍ قَارَبَ الشَهْرَيْنِ وأرْبَعَةٍ وسِتِّيْنَ عَامًا قَضَاهَا في العِلْمِ والتَّعْلِيْمِ، والتَّألِيْفِ والتَّصْنِيْفِ؛ حَتَّى إذَا ضَعُفَتْ قُوَاهُ عَنْ دَرْكِ الآمَالِ، وعَجِزَ عَنْ مَعَارِكِ الزَّمَانِ والنِّزَالِ، إذْ ضَمَّتِ البَسِيْطَةُ إخْوَانَهُ، وحَجَبَ الجَدِيْدَانِ أقْرَانَهُ .

فعِنْدَهَا ألقَى عَصَا العِلْمِ بفِنَاءِ الأرْضِ الفَسِيْحِ، ليُقِيْمَ تَحْتَ أكْنَافِهَا ليَسْتَرِيْحَ، وذَلِكَ بَعْدَ مُقَاوَمَةِ الأمْرَاضِ والأخْطَارِ، ومُدَافَعَةِ الابْتَلاءِ بالاصْطِبَارِ، ومُطَالَبَةِ الأجْرِ بتَمْحِيْصِ الأوْزَارِ، ومُشَارَفَةٍ للهَلاكِ غَيْرَ مَرَّةٍ على البَوَارِ، فَكَانَ شِعَارُهُ كُلَّمَّا عَلا لهَا قَتَبًا، أو قَطَعَ مِنْهَا سَبَبًا :«لَقَدْ لَقِيْنَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا»، فرَحِمَهُ الله رَحْمةً وَاسِعَةً، آمِيْنَ!

* * *

- ولَيْتَكَ رَأيْتَ طَلابَهُ ومُحِبِّيْهِ، وإخْوَانَهُ ومُعَزِّيْهِ؛ وهُم يُشَيِّعُوْنَ جَنَازَتَهُ؟!

أم لَيْتَكَ اطَّلَعْتَ على تِلْكُمُ الجُمُوْعِ الغَفِيْرَةِ الكَثِيْرَةِ وهُم صُفُوْفٌ أمَامَهَا صُفُوْفِ، وجُمُوْعٌ خَلْفَهَا جُمُوْعٌ : كَيْ يُصَلُّوُا عَلَيْهِ في دُعَاءٍ، وليَقِفُوا بَيْنَ يَدَي الله أمَنَاءَ وشُهَدَاءَ؟!

فعِنْدَهَا سَتَعْلَمُ قَانُوْنَ أهْلِ السُّنَّةِ وشِعَارَهُم عِنْدَ الجَنَائِزِ : بَيْنَنَا وبَيْنَكُمُ الجَنَائِزُ!

ومَا أحْسَنَ مَا قَالَهُ الجَزَرِيُّ :

أخِلاَّيَ إنْ شَطَّ الحَبَيْبُ ورَبْعُهُ وعَزَّ تَلاقِيْهِ ونَاءَتْ مَنَازِلُه
وفَاتَكُمْ أنْ تُبْصِرُوْهُ بعَيْنِكُمْ فَمَا فَاتَكُمْ بالعَيْنِ هَذِهِ شَمَائِلُه

- هَذَا آخِرُ مَا عَلَّقْتُهُ مِنْ هَذِهِ التَّرَاجِمِ المُوَفَّقَةِ، بِما جَادَتْ بِهِ القَرِيحَةُ المُغْلَقَةُ، وأنَا ألْتَمِسُ ممَّنْ سَلِمَتْ بَصِيْرَتُهُ، وطَابَتْ سَرِيْرَتُهُ، أنْ يَغُضَّ الطَّرْفَ عَمَّا يَرَى مِنَ الإخْلالِ والإجْحَافِ، وأنْ يَنْظُرَ إلَيْهَا بعَيْنِ الحِلْمِ والإنْصَافِ، فَإنِّي ما سَحَبْتُ ذَيْلَ هَذِهِ الكَرَائِمِ لتِيْكَ التَّرَاجِمِ إلاَّ مِنْ بَابِ

التَّطَفُّلِ والهُجُوْم، إذْ لم أقِفْ لهُم على سَابِقٍ خَبْرٍ مِنَ العُلُوْمِ، فَإنْ أحْسَنْتُ فَرَمْيَةٌ مِنْ غَيْرِ رَامٍ، وإنْ أخْطَأتُ فمَعْذِرَةٌ أطْلُبُهَا عِنْدَ الكِرَامِ، وقَدِ اسْتَفَدْتُ في تَحْرِيْرِ نَسَبِ شَيْخِنَا رَحِمَهُ الله، ومُؤرَّخَاتِ أعْمالِهِ ومَنَاصِبِهِ مِنْ مُقَدِّمَةِ «مَجْمُوعِ فَتَاوَى اللَّجْنَةِ الدَّائِمَةِ»، كَمَا أفَادَهُ ابْنُه الشَّيْخُ عَبْدُ الله حَفِظَهُ الله والله الهَادِي إلى سَوَاءِ السَّبِيْلِ!

تالله تفتأ تذكر الشيخ بكراً..

نعم، ومالي لا أذكره، و﴿ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ ﴾ [يوسف: 86] من فقده..

أمة يموت فيها العالم ثم لا يخلفه فيها غيره؛ ليست تسير على سواء من أمرها..

وإن كان عزاء؛ فإنما هو في أن هذا الموت يحيا به أقوام، وليس أحد أحق بأن يكون له من معنى موته حياة دونها الحياة؛ كعالم رباني..

لن أترجم للشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد - رحمه الله - في هذا المدخل فما كتبت لهذا، لكني سأتحسس بقلمي "شيئاً يسيراً" من مكامن شخصيته..
على أني أحاذر من أمرين لا يكاد يسلم منهما من يكتب عمن يعرف من الأعلام:

1- أحاذر - ما استطعت - أن أجعل كتابتي عن الشيخ ذريعة للحديث عن نفسي.

2- ثم أحاذر - ثانية - أن أصف الشيخ بسبعة عشر وصفاً تصلح كلها لكل عالم، ثم لا ترى فيها واحداً منهم.

إن سيرة بعض العلماء مخجلة!

ألق ديناراً في غيابة تاريخ من تواريخنا؛ ثم ابتعد وانظر كم عمامة تسقط عليه؟

حين تتبين هذا تعرف قدر الشيخ يوم قال لي مرة. حضر عندي قبل أيام أحد كبار الناشرين.. ثم ذكر الشيخ كلاماً قال في آخره: يريدون أن يجعلوا مني مطية لدنياهم، هيهات...

كان الشيخ في عينيه قدح من ذكاء الفطرة، يخيل إلي معه أن لو نشأ نشأة مدنية لعد في دهاة أهل السياسة.

الغيرة حلية جبل الشيخ عليها، ومن لا غيرة عنده لا فضيلة فيه، هو غيور على دين الله أن يجترأ عليه، غيور على عقيدة السلف أن تمس، غيور على محارم المسلمين أن ينال منها، غيور على هذا العلم أن يتسوره من ليس من أهله.

كان مهاباً لا يجسر محدثه على أن يحدق إليه، فإذا أنس بمحدثه تبسط له، فربما رأيته تهزه النادرة فيضحك لها حتى يكاد يخرج عن وقاره.

تملكه معنى العالم وصيانة العلم، وإنك لتستطيع - غير غالط - أن ترد أكثر ما كان فيه الشيخ من نأي عن مخالطة الناس، وبعد عن غشيان محافل العامة إلى شيء من هذا.. بل ربما أسرف فيه - رحمه الله - فخرج به إلى بعض ما تنكره نفس من لقيه أول مرة.. وما به إلا هذا المعنى: "رأى بعض أهل العلم أذال علمه؛ فمقت نفسه أن يراها في صورته".

لا أذكر أن أحداً ممن عرفت من أهل العلم؛ تشده الفاردة اللطيفة، وتستهويه الشاردة الفاذة؛ ما رأيت منه، نعم.. ومن شيخنا العلامة صالح بن عبد العزيز آل الشيخ أمد الله في عمره على الخير.

ذكرت للشيخ بكر مرة أن كرد علي قال في مذكراته:"ابن تيمية للإسلام كمارتن لوثر للنصرانية"؛ فدهش.. واستعاد الكلمة مني، ثم أخذ وجهه يتهلل في جلال من ألق آخذ لم أره في وجه فاتر الذهن قط.

قال ابن حزم: "لذة العالم بعلمه".

جمعتني بالشيخ عدة مجالس في بيته، ودارت بيننا أحاديث كثيرة عن العلم وأهله.. لم أكن من خاصة تلاميذه، ولا من خلص أصفيائه، وإنما كنت - ولا أزال - طويلب علم صغيراً أنس به الشيخ لشيء رآه فيه، ثم إن هذا الطويلب عاد فأخلف ظن الأستاذ.. فيالله ماذا الأيام وما الذي تصنعه مآلات الأمور بنا؟

كنت ألقاه في الشهرين والثلاثة مرة أو نحوها مدة أربع سنوات، فلما مرض - رحمه الله - انقطعت أسبابي عن أسبابه فما رأيته قبل وفاته بثماني سنين.

وهذا الذي أذكره هنا "شيء" من فوائد تلك المجالس، ما كنت عقلت منه حرفاً في حياة الشيخ..

لكن كتبته في هذه الأيام ضناً به على الأيام أن تطويه.. ولأن العقاد كان يقول: "الذاكرة ملكة مستبدة، تحفظ وتنسى على غير قانون ثابت"؛ فما في هذه الفوائد مما يلوح أنه على غير وجهه فالشيخ بريء منه، وإنما تبعته على هذه الملكة المستبدة، وإن شئت فقل: أو على صاحبها.

ثم إني سقت هذه الفوائد هكذا عفو الخاطر كيف اتفق، فلم أرتبها على بابات العلم بابة بابة.. ليكون أروح لنفس قارئها، ولم أعلق على ما ورد فيها إلا يسيراً، حتى تكون أدخل في فطرة العلم منها في صنعته، إذ كانت تلك المجالس مع الشيخ على هذا المثال:

1- قال لي الشيخ - رحمه الله - ما ندمت على شيء في شبابي ندمي على كتابين فرطت فيهما:

أ- كتاب الزهد للإمام أحمد رحمه الله - كنت في مكة فمررت في طريقي على كتبي فإذا به قد عرض نسخاً من كتاب الزهد هذا طبع الهند، وكان إذ ذاك نادراً.. فسألته عن ثمنه فكأن الثمن كان مرتفعاً فتركته، فقال لي الكتبي: خذ نسخة منه ولا تتركه فهو نادر وستندم على تركه فإنما وجدناه في أحد المستودعات، قال الشيخ: فلم آخذ نسخة منه..

وذهبت بعد كلامه هذا مباشرة لزيارة سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز - وقد كان يعرف محبتي للكتب ويسألني عما رأيته منها في المكتبات - فأخبرته عن كتاب الزهد فقال: وما اشتريت منه شيئاً؟

فقلت: لا، فقال: سبحان الله، كتاب الزهد للإمام أحمد تركته وما اشتريت منه شيئاً، هذا عجيب، قال الشيخ: فأحسست عندها بتفريطي، فقال لي سماحة الشيخ: اذهب الآن إلى الكتبي واشتر منه الكمية كلها، قال فنـزلت مسرعاً، فلما وافيت الكتبي لم أر عنده نسخة واحدة، فسألته: أين كتاب الزهد؟ فقال: بعته كله ولم يبق منه شيء وعاتبني قائلاً: ألم أقل لك خذ نسخة منه فهو نادر.

قال الشيخ: لم يكن بين تركي له في المرة الأولى وعودتي إليه إلا زمن يسير باع فيه الكتاب كله، وندمت على فوات هذا الكتاب ندماً شديداً، ثم إن الكتاب طبع بعد ذلك وكثرت نسخة بأيدي طلبة العلم.

ب- قال الشيخ: وأما الكتاب الثاني: فكتاب غرائب الاغتراب رحلة الألوسي المفسر.. رأيته في شبابي عند بعض الكتبيين أخرجه من خزانة خاصة في المتجر، وقلبته فسألته عن ثمنه فإذا به قد بالغ فيه جداً، قال الكتبي: خذه فهو نادر ولعلك لا تجده بعد هذه المرة، فطلبت منه خفض ثمنه بعض الشيء فلم يوافق فتركته.. ثم إني لم أجده بعدها ولم أره في يوم من أيام حياتي على كثرة ما رأيت من الكتب..

قال الشيخ: حتى إني حين قلبت الكتاب عند المكتبي علقت في ذهني مسألة من مسائله، فذكرتها في أحد كتبي وأحلت إلى الكتاب دون ذكر الصفحة هكذا من الذاكرة.

قلت: رأيت في مرض الشيخ - رحمه الله - نسخة من هذا الكتاب، هي نسخة جمال الدين القاسمي، وعليها تعليق بخطه في نصف صفحة فيه: إن الشيخ زكريا الأنصاري كان إذا مرض استشفى بمطالعة كتب أهل العلم!

2- قال الشيخ: لا أحب الإطالة في النـزهة، وليس من عادتي الخروج إلى الصحراء وقت الربيع إلا في القليل.. وإذا خرجت فلتناول الغذاء ونحوه، ثم أعود.

3- قلت للشيخ: سمعت من عالم الجزيرة الشيخ حمد الجاسر أن بعض علماء شقراء رأى تلميذاً له قد أقبل وعليه خاتم، فقال يمازحه:

ألا قل لبعض الناس مثل محمد   متى كان دين الله لبس الخواتم

ثم إن الشيخ ابن سحمان بلغه هذا البيت فرد عليه بقصيدة يسفه فيها قائله ويذكر أن لبس الخاتم سنة..

قلت للشيخ: قرأت أن سماحة الشيخ ابن باز يرى أن لبس الخاتم ليس بسنة، فقال: نعم، ليس لبسه سنة.

4- قال الشيخ: أكثرت في الآونة الأخيرة من كتابة المقدمات لطلبة العلم، أكثرت وليس للعالم أن يبتذل قلمه هكذا، لا بد للعالم من أن يصون قلمه، لا بد للعالم من أن يصون قلمه..

فقلت له: إن العقاد قلّما قدم كتاباً، لكنه إن قدم كتاباً فإنه لا يذكر صاحب الكتاب بكلمة في الغالب، وإنما يتكلم على موضوع الكتاب ويطيل ويستدرك، لذا ربما كانت مقدمته أعلى قيمة من الكتاب فأضرت بمؤلفه، فابتسم الشيخ وقال: والله جيد.

5- قال الشيخ: يؤلمني ويعصر قلبي حين أرى بعض كتابنا - وأشد ما يؤذيني حين أسمع خطيباً على المنبر - يكثر من الاستشهاد بأقوال الغربيين في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم أو الثناء على الإسلام، بلغنا من الهون أن احتاج دين الله إلى أقوال هؤلاء نثني بها عليه.. نعم، تذكر مثل هذه الأقوال لكن في أضيق الحدود.

6- قال الشيخ: زرت مع بعض الرفاق - أظنه قال وقت الشباب - أحد علماء الشناقطة في المدينة، فلما دخلنا عليه وجدناه مضطجعاً وقد جعل تجاه الجدار، وكنا نسأله ويجيبنا وهو على هذه الحالة!

قال: فلما طال بنا المجلس التفت إلينا وقال لي: أسئلتك هذه أسئلة رجل من أهل العلم.

7- قال الشيخ: هل ضاق دين الله حتى لا يبدأ المسلم الطواف إلا بوجود هذا الخط..

8- قال الشيخ: كان يكتب في الأعداد الأولى من مجلة مجمع اللغة العربية بمصر فحول الكتاب، انتفعت بكتاباتهم كثيراً، لا يوجد مثلهم في مجالات المجامع الأخرى، ولا في هذه المجلة نفسها بعد ذلك.

9- قال الشيخ: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - هي أعظم عمل علمي تفاخر به بلادنا.

10- قال الشيخ: قرأت في كتاب بلوغ الأرب لمحمود شكري الألوسي كلاماً يقع في صفحة كاملة استكثرته على متأخر.. فتبين لي بعد ذلك أنه نقله بتمامه من مقدمة ابن خلدون دون أن يشير إلى ذلك.

قلت: أفاد الألوسي في أحد كتبه من كتاب لأحمد فارس الشدياق كثيراً، لكنه لم يشر له في موضع واحد.

11- قال الشيخ: لما زرت الأردن سألني طلبة العلم هناك عن الشيخ الألباني، فقلت لهم: هو صاحب فن، فسرهم جوابي، فقالوا: والشيخ محمد الأمين الشنقيطي؟ قال: فقلت لهم: هو صاحب فنون!

12- قال لي الشيخ في ليلة من الليالي: لو رأيتني البارحة في هذا المجلس وأشار - رحمه الله - إلى مجلس مجاور.. قال: لو رأيتني وأنا أقرأ سيرة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله؛ وقد غلبني البكاء لشدة ما أثرت فيّ حياة هذا الشيخ..

ثم قال: هذه هي الحياة، أين نحن منهم.

قلت للشيخ: قرأت في أحد الكتب التي ألفت عن الشاعر أحمد شوقي؛ أنه كان يعجب من قلة ذكر شعراء العرب للنخلة في شعرهم.

فقال الشيخ: العرب كانت ترى أن من العيب غرس النخل وتربية البقر، ولا زال هذا في الأعراب إلى يومنا هذا، قال: وقد سمعت من شيخنا محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - بيتاً من الشعر ينشده لأحد الشعراء يمدح فيه قوماً يقول فيه: لا يغرسون فسيل النخل حولهم ولا تخاور في مشتاهم البقر

قلت: هذا البيت في جملة أبيات للعباس بن مرداس السلمي يمدح بها قومه، سمعت الشيخ الشنقيطي ينشدها في أحد الأشرطة المسجلة من مجالسه في التفسير.

13- قال الشيخ: لما ألفت كتابي طبقات النسابين انتشر في العراق انتشاراً عجيباً لم ينتشر مثله في بلد آخر.

قلت للشيخ: إن الحافظ السيوطي ثار به صوفية الخانقاه التي كان يتولى نظارتها لأنه قال: إنكم لستم على شرط الواقف، فثاروا به وحملوه وألقوه في فسقية الماء بجبته وعمامته.. ذكر ذلك تلميذه ابن إياس في بدائع الزهور، وأنه خرج من الماء وأصلح ثيابه ثم توجه إلى روضة المقياس فسكن هناك، وأغلق النافذة التي تجاه النيل، وألف كتابه تأخير الظلامة إلى يوم القيامة، وانقطع بعدها هناك إلى التأليف حتى وفاته.

14- فقال الشيخ ما معناه: ليتني أستطيع أن أنقطع إلى العلم لا يشغلني عنه شيء.

15- قال الشيخ: المغاربة لهم أنظار ومدارك في العلم ليست عندنا نحن المشارقة.

16- قال الشيخ: لو كتبت اسم شيخ الإسلام ابن تيمية على ورقة بيضاء لاشتراها الناس..

17- وسألته: هل ذكر شيخ الإسلام في شيء من كتبه أنه عربي النسب؟ فقال: لا أعرف هذا، ما أبعد شيخ الإسلام عن ذكر مثل هذه الأمور!

قال: لكنه عربي من بني نمير.. قلت: وابن القيم؟

قال: لا، لم يكن ذا أصل عربي.

18- قلت للشيخ: حين زرت الدكتور محمود الطناحي في مصر؛ أخبرته أنكم ذكرتم في بعض كتبكم أن الزركلي لم يترجم في أعلامه لأحد من سلاطين آل عثمان لعصبيته العربية، وأنكم لم تروا من نبه على هذا قبلكم، وأن الطناحي قال لي: سلم على الشيخ بكر وقل له: بلى، نبه عليه أحد الكتاب، ثم قال وأحضر كتابه وأراني الموضع، وهو كان طبع قبل الكتاب الذي ذكرتم فيه ما ذكرتم، فقال الشيخ وكأنه ضاق صدره بعض الشيء: والله ما قرأت هذه المعلومة لأحد، وإنما هو شيء توصلت إليه ابتداء.

قلت: ليس كل سلاطين آل عثمان على شرط الزركلي..

19- قال الشيخ: كان أحمد حسن الزيات صاحب الرسالة يكتب بالفرجار والمسطرة.. وكان الشيخ معجباً بأسلوبه.

قال: له مقدمات للرسالة من أرقى الكتابات، إذا أردت أن تعرف قيمتها فاقرأ المقدمات التي يكتبها غيره للرسالة في بعض الأحيان.

قال الشيخ: ألقيت كلمة في أحد المحافل أفدت فيها من بعض مقدمات الزيات هذه.

20- قال الشيخ: رحمه الله -: قال لي سماحة الشيخ عبد الله بن حميد - رحمه الله - لما رأى توافري على دراسة تراث ابن القيم: "ما أظن إلا أن الله - سبحانه - قد ادخر لك هذا الخير حين صرف كثيراً من أهل العلم عن خدمة علمه وهيأ ذلك لك".

للوراق المشهور في وقته زكي مجاهد - رحمه الله - مؤلف عرف به عنوانه الأعلام الشرقية هو متداول بين القراء..

لكن له مؤلف آخر قلت نسخه بين أهل العلم فهو يعد في نوادر المكتبة العربية عنوانه الأخبار التاريخية في السيرة الزكية، ذكر فيه طرفاً من ترجمته، وتاريخ عائلته، وأسفاره، ومن لقيه من الأعلام..

جاء في الصفحة الثانية والخمسين منه هذا النص: "الرحلة الحجازية: وهي رحلة العمرة في مكة المكرمة وزيارة المدينة المنورة.. سافرت على بركة الله من منـزلي بشارع نجيب شنودة شبرا مصر القاهرة في شهر رمضان المبارك سنة 1392هـ 1972م.. وصلنا بالسلامة المدينة المنورة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.. وفي ثاني يوم ذهبت إلى المحكمة الشرعية بجوار المسجد النبوي لزيارة قاضي المدينة الأستاذ بكر أبو زيد، وهو شاب عالم جليل واسع الإطلاع، ومن المشتغلين بالعلم وجمع كتب الحديث النبوي والدينية [كذا]، وكان زارني في مكتبتي بالقاهرة، وسلمت عليه وأهديته الجزء الرابع من كتابي الأعلام الشرقية".

أشعرت كيف غدا الأستاذ الشاب - بعد ذلك - الشيخ العلامة..

وفاةُ الشيخ بكر أبو زيد "ابنِ قيِّم العصر".. ومؤلَّفاتُه وطرَفٌ من سيرته

الأرضُ تَحيا إذا ما عاشَ عالمُها متى يَمُتْ عالمٌ منها يَمُت طرَفُ
كالأرض تحيا إذا ما الغيثُ حلَّ بها وإنْ أبى عاد في أكنافها التَّلَفُ

وروي عن الحسن -رحمه الله-: "موتُ العالم ثُلمة في الإسلام، لا يسدُّها شيءٌ ما اختلف الليل والنهار".

.. وإنّ المصاب ليعظم إذا كان المتوفى فذًّا متميزَ المنهج، كالشيخ الدكتور/ بكر بن عبد الله أبو زيد، رئيس مجمع الفقه الإسلامي الدولي، عضو هيئة كبار العلماء بالمملكة وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء سابقاً.. الذي فقدته الأوساطُ الإسلامية العلمية والفقهية، يوم الثلاثاء 27/1/1429هـ، الموافق 6/2/2008، بعد أن عُمِّر ما ناهز 64 عامًا.

وقد أدّيتْ صلاةُ الميت عليه عقب صلاة العشاء يوم الثلاثاء بمسجده بجوار مسكنه في حي العقيق بمدينة الرياض، وقد أمَّ المصلين زوجُ ابنته الشيخُ أحمد الريس، تنفيذاً لوصيّتة، وتقدم المصلين مفتي المملكة، الشيخ عبد العزيز آل الشيخ.

.. ثم دُفن بمقبرة الدرعية.. يرحمه الله... وقد حضر، للصلاة عليه ولدفنه، جموعٌ غفيرة. وأخيراً فإنه لا مصيبة أعظم من فقد العالم، وبقبض العلماء يقبض العلم، ويكثر الهرج، إلا أن يتداركنا الله برحمته، فيخلف من يقوم مقامه، ويفري فريه، ويسد الثغرة التي كان يرابط فيها، غير أننا نقول كما علَّمنا الرسول -صلى الله عليه وسلم-: إنَّ العين لتدمع، وإن القلب ليحزن، وإنَّا على فراقك يا شيخنا بكر لمحزونون، ولكن لا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

اللهمَّ اغفر للشيخ بكر، وارفع درجتَه في المهديِّين، واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله وللمؤمنين كافة.

أمّا عن سيرة هذا العالم وأخبارِه العلمية، فقد سجّل ابنُه، القاضي عبد الله بن بكر أبو زيد، بعضَ جوانبها، ونقتطف هنا بعضَ ما قال:

"هو بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب بن محمد، ينتهي نسبه إلى بني زيد الأعلى، وهو زيد بن سويد بن زيد بن سويد بن زيد بن حرام بن سويد بن زيد القضاعي، من قبيلة بني زيد القضاعية المشهورة في حاضرة الوشم، وعالية نجد، وفيها ولد عام 1365هـ.

درَس في الكُتّاب حتى السنة الثانية الابتدائية، ثم انتقل إلى الرياض عام 1375هـ، وفيه واصل دراسته الابتدائية، ثم المعهد العلمي، ثم كلية الشريعة، حتى تخرج عام 87هـ / 88هـ في كلية الشريعة بالرياض منتسباً.

وفي عام 1384هـ انتقل إلى المدينة المنورة فعمل أمينًا للمكتبة العامة بالجامعة الإسلامية.

وكان بجانب دراسته النظامية يلازم حِلَقَ عددٍ من المشايخ في الرياض ومكة المكرمة والمدينة المنورة.

ففي الرياض أخذ عِلم الميقات من الشيخ القاضي صالح بن مطلق، وقرأ عليه خمساً وعشرين مقامة من مقامات الحريري، وكان- رحمه الله- يحفظها، وفي الفقه: زاد المستقنع للحجاوي، كتاب البيوع فقط. وفي مكة قرأ على سماحة شيخه، الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز كتاب الحج، من [المنتقى] للمجد ابن تيمية، في حج عام 1385هـ بالمسجد الحرام. واستجاز المدرسَ بالمسجد الحرام الشيخ: سليمان بن عبد الرحمن بن حمدان، فأجازه إجازة مكتوبة بخطه لجميع كتب السنة، وإجازة في المُدّ النبوي. وفي المدينة قرأ على سماحة شيخه الشيخ ابن باز في [فتح الباري] و[بلوغ المرام]، وعددًا من الرسائل في الفقه والتوحيد والحديث في بيته، إذ لازمه نحوَ سنتين وأجازه. ولازم سماحة شيخه الشيخ محمد الأمين الشنقيطي نحو عشر سنين، منذ انتقل إلى المدينة المنورة، حتى توفي الشيخ في حج عام 1393هـ- رحمه الله تعالى- فقرأ عليه في تفسيره [أضواء البيان] ورسالته [آداب البحث والمناظرة]، وانفرد بأخذ علم النسب عنه، فقرأ عليه [القصد والأمم] لابن عبد البر، وبعض [الإنباه] لابن عبد البَرّ أيضًا. وقرأ عليه بعض الرسائل، وله معه مباحثات واستفادات، ولديه نحو عشرين إجازة من علماء الحرمين والرياض والمغرب والشام والهند وإفريقيا وغيرها، وقد جمعها في ثبت مستقل.

ودرَس في المعهد العالي للقضاء منتسبًا، فنال شهادة العالمية .. (الماجستير)، وفي عام 1403هـ، تحصل على شهادة العالمية العالية (الدكتوراه). وقد اختير للقضاء في مدينة النبي -صلى الله عليه وسلم-، واستمر في قضائها حتى عام 1400هـ، كما عيّن مدرسًا في المسجد النبوي الشريف، فاستقر حتى عام 1400هـ.

كما عُين إمامًا وخطيبًا في المسجد النبوي الشريف، فاستمر حتى مطلع عام 1396هـ، وفي عام 1400هـ، اختير وكيلاً عامًّا لوَزارة العدل، واستمرَّ حتى نهاية عام 1412هـ.

وفي عام 1405 هـ صدر أمر ملكي بتعيينه ممثلاً للمملكة العربية السعودية في مجمع الفقه الإسلامي الدولي، المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي، واختير رئيسًا للمجمع.

وعام 1406هـ عين عضوًا في المجمع الفقهي برابطة العالم الإسلامي، وكانت له في أثناء ذلك مشاركةٌ في عدد من اللجان والمؤتمرات داخل المملكة وخارجها، ودرّس في المعهد العالي للقضاء، وفي الدراسات العليا في كلية الشريعة بالرياض". ا.هـ

الشيخ بكر أبو زيد تربطه علاقةُ أخوة وزمالة حميمة بكبار العلماء من .. مختلف الدول، ومن أهمّهم الشيخ الدكتور/ يوسف القرضاوي، الذي أشاد به حين نعيه، باعتباره علمًا من أعلام هذه الأمة.

كما عدّد الشيخ الدكتور/ علي القَرَه داغِي، نائب رئيس جمعية البلاغ والخبير بمجمع الفقه الإسلامي الدولي، مناقبَ الفقيد وجهودَه في خدمة الإسلام، وقال: "عرفتُ الفقيد طوال عدة سنوات، ووجدتُ فيه العلم والصدق والصفاء والإخلاص، لمست فيه الجدّية والخوف من الله سبحانه وتعالى، ووجدت فيه مثلاً حقيقيًّا للعالم العامل القدوة".

وقد كان الشيخ يعدُّ قراراتِ مجمع الفقه الإسلامي توقيعًا عن رب العالمين، بحكم أن المجمع يضم صفوةَ علماء الأمّة. فقد كان يدقق في البيانات والقرارات والفتاوى التي يصدرها المجمعُ، ويقول لزملائه: نحن مسؤولون أمام الله عن كل حرف وكلمة نقولها للأمة.

وإليك –أخي القارئ- قائمة بعناوين مؤلفاته وتحقيقاته.. والمتأمل في هذه العناوين يرى تبحّرَه في التأليف بخاصّة، وتميّزَه في الدقيق من المسائل، وتركيزَه على المعاصر منها..

أمّا لغته في التأليف فهي لغة الفقيه العالِم، واللغويِّ المتمكن، والأديبِ المتضلّع، فهو يمزُج فيها بين كل ذلك بنفَسٍ خاصّ جميل..

وقد جمعت هذه العناوين من مصادر متفرقة، أهمها فهارسُ مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض، وترجمةُ ابنه له..

وقد يكون بينها ما هو مكرر نظراً لتعدد الطبعات وتغير التسميات، ثم أضفت بعض الملحوظات مما لمحته في أثناء البحث، وأشرت إلى بعض أرقام الكتب في القائمة؛ لأهمية مراجعتها:

1- التقنين والإلزام.
2- المواضعة في الاصطلاح على خلاف الشريعة وأفصح اللغى.
3- أجهزة الإنعاش وحقيقة الوفاة بين الفقهاء والأطباء.
4- طفل الأنابيب.
5- خطاب الضمان البنكي.
6- الحساب الفلكي.
7- البوصلة.
8- التأمين.
9- التشريع وزراعة الأعضاء.
10- تغريب الألقاب العلمية.
11- بطاقة الائتمان حقيقتها البنكية التجارية وأحكامها الشرعية.
12- بطاقة التخفيض حقيقتها التجارية وأحكامها الشرعية.
13- عيد اليوبيل بدعة في الإسلام.
14- المثامنة في العقار - نزع ملكيته للمصلحة العامة.
15- التمثيل: حقيقته، تاريخه، حكمه.
16- التقريب لفقه ابن قيم الجوزية.
17- الحدود والتعزيرات عند ابن القيم:دراسة ومقارنة. [وهي رسالته للماجستير عام 1400هـ من المعهد العالي للقضاء. وقد طبعت في دار العاصمة. 1مج].

18- أحكام الجناية على النفس وما دونها عند ابن قيم الجوزية: دراسة وموازنة (مجلد واحد). [وهي رسالته للدكتوراة عام 1402هـ من المعهد العالي للقضاء، وقد طبعت عند مؤسسة الرسالة].
19- اختيارات ابن تيمية للبرهان ابن القيم، تحقيق.
20- حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية.
*[ملحوظة: صدر أيضاً كتاب: مهذّب حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية/ كتب الأصل بكر بن عبد الله أبو زيد؛ تهذيب عبد الله عبد الرحمن التميمي].
21- معجم المناهي اللفظية: يختص بالمنهي عنها شرعًا في نحو 800 لفظ.
* [ملحوظة: صدر حول "معجم المناهي اللفظية":
أ- المستدرك على معجم المناهي اللفظية/ سليمان بن صالح الخراشي.
ب- نظرات في معجم المناهي اللفظية/ علي رضا بن عبد الله علي رضا].
22- لا جديد في أحكام الصلاة، بزيادة عدم مشروعية ضم العقبين في السجود.
23- تصنيف الناس بين الظن واليقين.
24- التعالم وأثره على الفكر والكتاب.
25- حلية طالب العلم. (راجع رقم 85).
26- أذكار طرفي النهار . [كتيّب جيب].
27- الرقابة على التراث.
28- تسمية المولود.
29- أدب الهاتف.
30- حد الثوب والأزرة وتحريم الإسبال ولباس الشهرة.
31- آداب طالب الحديث من "الجامع للخطيب" (انتقائي).
32- المدخل المفصل إلى فقه الإمام أحمد بن حنبل وتخريجات الأصحاب، تقديم محمد الحبيب ابن الخوجة.
33- البلغة في فقه الإمام أحمد بن حنبل للفخر ابن تيمية؛ تحقيق.
34- فتوى السن، عن مهمات المسائل.
35- التأصيل لأصول التخريج وقواعد الجرح والتعديل.
36- معرفة النسخ والصحف الحديثية.
37- التحديث بما قيل: لا يصح فيه حديث.
38- الجدّ الحثيث في بيان ما ليس بحديث/ تأليف أحمد بن عبد الكريم العامري الغزي (تحقيق).
39- مرويات دعاء ختم القرآن الكريم، وحكمه داخل الصلاة وخارجها جزء.
40- نصوص الحوالة - جزء.
41- جزء في زيارة النساء للقبور.
42- مسح الوجه باليدين بعد رفعهما بالدعاء جزء.
43- جزء في كيفية النهوض في الصلاة، وضعف حديث العجن.
44- العزاب من العلماء وغيرهم. (راجع رقم 87).

45- التحول المذهبي. راجع رقم (88).
46- التراجم الذاتية. (راجع رقم 86).
47- لطائف الكلم في العلم.
48- طبقات النسابين.
49- ابن قيم الجوزية: حياته وآثاره.
50- الرد على المخالف: شروطه وآدابه. (ضمن كتاب: الردود).
51- تحريف النصوص من مآخذ أهل الأهواء في الاستدلال. (ضمن: الردود).
52- براءة أهل السنة من الوقيعة في علماء الأمة. (ضمن: الردود) - وهو رد على مجموعة من أقوال محمد زاهد الكوثري، قدم له الشيخ عبد العزيز ابن باز.
53- عقيدة ابن أبي زيد القيرواني وعبث بعض المعاصرين بها. (ضمن: الردود).
54- التحذير من مختصرات الصابوني في التفسير. (ضمن: الردود).
55- بدع القراء القديمة والمعاصرة - رسالة.
56- خصائص جزيرة العرب.
57- السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة/ تأليف محمد بن عبد الله بن حميد؛ حققه وقدم له وعلق علية بكر بن عبد الله أبو زيد، عبد الرحمن بن سليمان العثيمين .
58- تسهيل السابلة إلى معرفة علماء الحنابلة للشيخ صالح بن عبد العزيز بن علي آل عثيمين، (تحقيق في مجلدين).
59- علماء الحنابلة من الإمام أحمد إلى وفيات القرن الخامس عشر الهجري، مجلد على طريقة: الأعلام للزركلي. (راجع رقم 82).
60- دعاء القنوت.
61- فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد/ للشيخ حامد بن محمد الشارقي؛ (تحقيق).
62- الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان.
63- تقريب آداب البحث والمناظرة.
64- جبل إلال بعرفات، تحقيقات تاريخية وشرعية.
65- مدينة النبي -صلى الله عليه وسلم- رأي العين.
66- قبة الصخرة، تحقيقات في تاريخ عمارتها وترميمها.
67- تصحيح الدعاء (مجلد)، وطبع جزء من هذا الكتاب مستقل باسم: السبحة: تاريخها وحكمها. (راجع رقم 77).
68- موارد ابن قيم الجوزية.
69- المجموعة العلمية.
70- العلاَمَةُ الشرعية لبداية الطواف ونهايته.
71- حراسة الفضيلة.
72- درء الفتنة عن أهل السنة – تقديم الشيخ عبد العزيز ابن باز.
73- فتوى جامعة في العقار.

74- المدارس العالمية الأجنبية – الاستعمارية.. تاريخها ومخاطرها.
75- فتوى جامعة في التنبيه على بعض العادات والأعراف القبلية المخالفة للشرع المطهر. 76- هجر المبتدع.
77- السبحة: تاريخها وحكمها.
78- هداية الأريب الأمجد لمعرفة أصحاب الرواية عن أحمد/ لسليمان بن عبد الرحمن بن حمدان؛ (تحقيق).
79- بلْغة الساغب وبغية الراغب/ تأليف فخر الدين أبي عبدالله محمد بن أبي القاسم محمد بن الخضر ابن تيمية، تقديم محمد الحبيب ابن الخوجة؛ (تحقيق).
80- النظام العالمي الجديد والعولمة: التكتلات الإقليمية وآثارها: العرض والمناقشة/ شوقي دنيا، بكر بن عبد الله أبو زيد، وآخرون.
81- تراجم لمتأخري الحنابلة، جمع وتأليف الشيخ سليمان بن حمدان؛ (تحقيق).
82- علماء الحنابلة: من الإمام أحمد المتوفى سنة 241هـ إلى وفيات عام 1420 هـ رحمهم الله تعالى.
83- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، نشره مجمع الفقه الإسلامي بجدة - بإشراف العلامة بكر بن عبد الله أبو زيد - دار عالم الفوائد.
84- حكم إثبات أول الشهر القمري وتوحيد الرؤية.
85- شرح كتاب حلية طالب العلم لبكر بن عبد الله أبو زيد/ شرح الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين؛ تحقيق أبي مالك محمد بن حامد بن عبد الوهاب؛ اعتنت به ترتيبًا وجمعًا: دار البصيرة.
* [ملحوظة: شرحَ "حلية طالب العلم" الشيخُ محمد ابن عثيمين في عدة دروس، وقد سجلتْ ووزّعت في أشرطة صوتية، وكان الشيخ يثني على الكتاب ويشير إلى أهميتة لطالبي العلم. ثم صدرت تلكم الدروس مطبوعة].
86- العلماء الذين ترجموا لأنفسهم "السيرة الذاتية".
87- الذين لم يتزوجوا من العلماء وغيرهم وأسباب ذلك والنقض على من وحد السبب.
88- العلماء الذين تحولوا من مذهب إلى آخر وأسباب التحول.
89- المرابحة للأمر بالشراء (بيع المواعدة): (المرابحة في المصارف الإسلامية) وحديث (لا تبع ما ليس عندك).
90- طرق الإنجاب في الطب الحديث وحكمها الشرعي.

ولمعرفة أسلوب د. بكر أبو زيد وطريقته في الكتابة؛ ننقل لكم أُنموذجين من كتابين من كتبه:

مِن كتابه القيّم: (حِرَاسَةُ الْفَضِيلَةِ):

".. فهذه رسالة نُخرجها للناس لِتَثْبيتِ نساء المؤمنين على الفضيلة، وكشف دعاوى المستغربين إلى الرذيلة، إذ حياة المسلمين المتمسكين بدينهم اليوم، المبنية على إقامة العبودية لله تعالى، وعلى الطهر والعفاف،

والحياء، والغيرة، حياةٌ محفوفة بالأخطار من كل جانب، بجلب أمراض الشبهات في الاعتقادات والعبادات، وأمراض الشهوات في السلوك والاجتماعيات، وتعميقها في حياة المسلمين في أسوأ مخطط مسخّر لحرب الإسلام، وأسوأ مؤامرة على الأمة الإسلامية، تبناها: ((النظام العالمي الجديد)) في إطار نظرية الخلط - وهي المسماة في عصرنا: العولمة، أو الشوملة، أو الكوكبة - بين الحق والباطل، والمعروف والمنكر، والصالح والطالح، والسنة والبدعة، والسني والبدعي، والقرآن والكتب المنسوخة المحرفة كالتوراة والإنجيل، والمسجد والكنيسة، والمسلم والكافر، ووحدة الأديان، ونظرية الخلط هذه أنكى مكيدة، لتذويب الدِّين في نفوس المؤمنين، وتحويل جماعة المسلمين إلى سائمة تُسَام، وقطيع مهزوزٍ اعتقادُه، غارق في شهواته، مستغرق في ملذّاته، متبلد في إحساسه، لا يعرف معروفاً ولا يُنكر منكراً، حتى ينقلب منهم من غلبت عليه الشقاوة على عقبيه خاسراً، ويرتدّ منهم من يرتد عن دينه بالتدريج.
كل هذا يجري باقتحام الولاء والبراء، وتَسريب الحب والبغض في الله، وإلجام الأقلام، وكفّ الألسنة عن قول كلمة الحق، وصناعة الاتهامات لمن بقيت عنده بقية من خير، ورميه بلباس: الإرهاب والتطرف والغلو والرجعية، إلى آخر ألقاب الذين كفروا للذين أسلموا، والذين استغربوا للذين آمنوا وثبتوا، والذين غلبوا على أمرهم للذين استُضعفوا....".

ومن كتابه: (دعاء القنوت):

الفصل الأول: (تنبيهات في بيان مَا يُجْتَنَب في القنوت):

* التنبيه الرابع: وَيُجْتَنَبُ قَصْدُ السَّجع في الدعاء، والبحث عن غرائب الأدعية المسجوعة على حرف واحد. وقد ثبت في صحيح البخاري -رحمه الله تعالى- عن عكرمة عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه قال له: (فانظر السجع في الدعاء، فاجتنبه، فإني عهدت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه لا يفعلونَ إلا ذلك الاجتناب).
ومن الأدعية المخترعة المسجوعة: (اللهم ارحمنا فوق الأرض، وارحمنا تحت الأرض، وارحمنا يوم العرض). ولا يرِد على ذلك ما جاءَ في بعض الأدعية النبوية من أَلْفَاظ مُتَوَالِيَة، فهي غير مقصودة ولا متكلفة، ولهذا فهي في غاية الانسجام.

* التنبيه الخامس: وَيُجْتَنَبُ اختراع أَدعية فيها تفصيل أَو تشقيق في العبارة، لِمَا تُحْدِثُهُ مِنْ تحريك العواطف، وإزعاج الأعضاء، والبكاء، والشهيق، والضجيج، والصَّعَق، إلى غير ذلك مِمَّا يَحْدُثُ لِبَعْضِ النَّاسِ حَسَبَ أحوالهم، وقُدُرَاتِهِم، وطاقاتهم، قُوَّةً، وَضَعفاً.
ومنه: تضمين الاستعاذة بالله من عذاب القبر، ومن أَهوال يوم القيامة، أوصافاً وتفصيلات، ورَصَّ كلمات مترادفات، يُخْرِجُ عن مقصود الاستعاذة والدُّعاء، إلى الوعظ والتخويف والترهيب. وكل هذا خروج عن حدِّ المشروع، واعتداء على الدعاء المشروع، وهجر له، واستدراك عليه، وأخشى أن تكون ظاهرة ملل، وربما كان له حكم الكلام المتعمد غير المشروع في الصلاة فيُبْطِلُها....".روى الشيخان عن عبد الله بن عمرو بن

العاص عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: "إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبق عالماً اتّخذ الناسُ رؤوساً جُهّالاً، فسُئلوا، فأفتوا بغير عِلمٍ، فضلُّوا وأضلُّوا".

ثلمة لا تسد.. رحيل الشيخ بكر أبو زيد

عضو هيئة كبار العلماء ورئيس المجمع الفقهي

• كرَّس جهدَه ووقتَه وعلمَه، في خدمة دينه داعياً ومعلماً وإماماً وخطيباً وباحثاً وقاضياً ومفتياً ومؤلفاً، ومنافحاً عن دين الله.

• كان -رحمه الله- لسانَ عدلٍ يصدع بالحق، وينافح عنه، وقلمَ صدقٍ يفضح الترهات والانحرافات، ويدحض الشبهات والمفتريات، ويفند الدجل والخرافات، ولا يخشى في الله لومة لائم.

• ما أحوجَ الأمةَ اليوم -وقد بلغت الغارةُ أشُدَّها والمحنةُ مداها- إلى هذا الطراز من العلماء العاملين.

• فقدُ العالم ثلمة لا تسد، وفجيعة لا تنسى، تتصدَّع لها الأكباد، وتتزلزل لهولها القلوب حقاً لو وعتها وتدبَّرت عواقبها.

• ألا إن ذهاب العلم ذهاب حملته، من أمثال : الشيخ بكر أبو زيد، والشيخ مصطفى الخن، والشيخ صفي الرحمن المباركفوري وسواهم.

• من حسن العزاء أنَّ هؤلاء العلماء -رحمهم الله- أحياءٌ بعلمهم وتراثهم وتلامذتهم، باقون بذكرهم وآثارهم التي خلفوها من كتبٍ قيِّمة جليلة ومؤلفات مفيدة.

• كان الشيخ بكر أبو زيد زاخر الإنتاج واسع العطاء، ترك لنا ثروة علمية جليلة القدر باقية الذكر عظيمة الأجر، تناهز المئة من المؤلفات في شتى الفنون: علوم الشريعة واللغة العربية والتاريخ والتحقيق والمعارف العامة.

• يتميز منهجُه الدعوي في التعامل مع الآخرين بالعدل في الحكم على المخالف، والشهادة والاعتراف بما أحسن فيه وأجاد ووافق فيه الحق، والحرص على جمع كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم، والمحافظة على بقاء الولاء والمناصرة!.

• منهج أصيل حكيم موزون رسم الشيخ رحمه الله خطوطه العريضة ومعالمه الهادية بدقة ووضوح، لو أخذ به شباب الدعوة وأهلها لصانوها من التشقق والتصدع، وبلغوا بها غايتها بحسب السنن الإلهية.

• لا مصيبة أعظم من فقد العالم، وبقبض العلماء يقبض العلم، ويكثر الهرج، إلا أن يتداركنا الله برحمته، فيخلف من يقوم مقامه، ويفري فريه، ويسد الثغرة التي كان يرابط فيها.

ما كدنا نفيق من فجيعتنا بالشيخ والأديب الكبير أستاذنا مصطفى الخن بالشام حتى فُجعت الأمة كافة بنبأ وفاة فضيلة الشيخ الدكتور بكر بن عبد الله أبو زيد؛ رئيس مجمع الفقه الإسلامي الدولي, وعضو هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية، وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء سابقا، وذلك في يوم الثلاثاء 28/1/1429هـ الموافق لـ 05/02/2008م الساعة 5:57م، بمدينة الرياض، إثر مرض طويل، وبعد جهاد حافل بالطلب والقراءة والسماع ومزاحمة طلبة العلم والجثيّ بالركب بين أيدي العلماء الربَّانيين،

ثم بعد أن نضج حكماً وعلماً قضى شطر عمره في التعليم والتربية والتأليف والتصنيف والدعوة إلى الله على بصيرة، وكرَّس جهده ووقته وعلمه، في خدمة دينه داعياً إلى الله، ومعلماً الناس الخير وإماماً في الدعوة والفكر متميِّزاً في عرضه ومنهجه، وخطيباً وباحثاً وقاضياً ومفتياً ومؤلفاً، ومنافحاً عن دين الله.

وبرحيل الشيخ العلامة بكر بن عبد الله أبو زيد، فقدت الأمة علماً من أعلامها الشوامخ ونجماً من نجومها الزاهرة الني يهتدى بها في دياجير الفتن المدلهمة كالتي تحدق بالأمة اليوم. فقد كان - رحمه الله - لسان عدلٍ يصدع بالحق، وينافح عنه، وقلم صدق يفضح الترهات والانحرافات، ويدحض الشبهات والمفتريات، ويفند الدجل والخرافات، ولا يخشى في الله لومة لائم، اقرأ من كتب الردود؛ مثلاً : ((نظرية الخلط بين الإسلام وغيره من الأديان)) و((الرد على المخالف: شروطه وآدابه))، و((تحريف النصوص من مآخذ أهل الأهواء في الاستدلال)) و((براءة أهل السنة من الوقيعة في علماء الأمة))، وانظر كتبه: ((عقيدة ابن أبي زيد القيرواني وعبث بعض المعاصرين بها))، و((التحذير من مختصرات الصابوني في التفسير))، و((بدع القراء القديمة والمعاصرة))...إلخ. كما تصدى الشيخ لأباطيل الحضارة المعاصرة وشبهاتها، كما في كتابه ((حراسة الفضيلة)) و((المدارس العالمية الأجنبية-الاستعمارية.. تاريخها ومخاطرها))، و((النظام العالمي الجديد والعولمة: التكتلات الإقليمية وآثارها)) وسواه.

وما أحوج الأمة اليوم -وقد بلغت الغارة أشدَّها والمحنة مداها- إلى هذا الطراز من العلماء العاملين، {الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ..} [الأحزاب: 39]. ولكنها سنة الله تجيء في موعدها المعلوم وأجلها المحتوم، وصدق الحيُّ الذي لا يموت: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ} [الأنبياء :35]. فإنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

إن رحيل العلماء الربانين، والأئمة المهتدين، كالشيخ بكر -ولا نزكِّي على الله أحداً- ثلمة لا تسد، وفجيعة لا تنسى، تتصدَّع لها الأكباد، وتتزلزل لهولها القلوب حقاً لو وعتها وتدبَّرت عواقبها، فهم للأمة مصابيح دجاها، وأنوار هداها، يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون به أهل العمى، والمصيبة بهم تذكِّر بمصاب الأمة بفقد رسولها –صلى الله عليه وسلم- لأنَّ العلماء ورثته وحملة هديه وأهل حكمته، ولأنه بموتهم يرفع العلم، ويلتمس عند الأصاغر من أهل البدع والأهواء، ويُسندُ الأمر إلى غير أهله، فإذا رُفِع، وثبت الجهل، وانتشر وشاع، انتشرت الفتن، وشاعت الفواحش، وهلكت الأمة جمعاء بل البشرية بأسرها؛ لأن الفساد الأخلاقي يفضي إلى فساد الكون واضطراب نظامه، كما ربط الله سبحانه بينهما، فقال: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [الروم: 41]. ولذلك عُدَّ موت العلماء من أمارات الساعة وخراب العالم، كما جاء في صحيح البخاري، عن أنس -رضي الله عنه- قال: لأحدثنَّكم حديثاً سمعته من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لا يحدثكم به أحد غيري، سمعت

رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول : ((أن من أشراط الساعة أن يرفع العلم، ويكثر الجهل، ويكثر الزنا، ويكثر شرب الخمر، ويقل الرجال، ويكثر النساء؛ حتى يكون لخمسين امرأةً القيمُ الواحد)).
ألا إن ذهاب العلم ذهاب حملته، من أمثال: الشيخ بكر أبو زيد، والشيخ مصطفى الخن، والشيخ صفي الرحمن المباركفوري وسواهم، رحم الله الجميع، أخرج الإمامان البخاري ومسلم في صحيحيهما عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنْ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا)). قال الحافظ في الفتح: والمراد برفعه موت حملته.
فالعلم يذهب بفناء العلماء وترئيس أهل الجهل كلما ذهب عالم ذهب بما معه من العلم، هذا وإنَّ بقاء الكتب بعد رفع العلم بموت العلماء لا يغني من ليس بعالم شيئاً، فقد سأل أعرابي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: يا نبي الله كيف يرفع العلم منا وبين أظهرنا المصاحف، وقد تعلمنا ما فيها وعلمناها أبناءنا ونساءنا وخدمنا؟ فرفع إليه رأسه، وهو مغضب، فقال: وهذه اليهود والنصارى بين أظهرهم المصاحف، لم يتعلقوا منها بحرف فيما جاءهم به أنبياؤهم!.
ولقد فسَّر حبر الأمة وترجمان القرآن عبدُ الله بن عباس -رضي الله عنهما- قوله تعالى: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا} [الرعد: 41]، قال في رواية عنه: خرابها بموت علمائها وفقهائها وأهل الخير منها، وكذا قال مجاهد أيضاً: هو موت العلماء. وقال الحسن رحمه الله: (موت العالم ثلمة في الإسلام، لا يسدها شيء ما اختلف الليل والنهار). نعم هذا صحيح، لا مُعارِض له، لكن من حسن العزاء عند فقد العلماء أن دين الله محفوظٌ من التبديل والتحريف والزيادة والنقصان بحفظ الله له، وشريعته باقية إلى قيام الساعة، وخيره يفيض ولا يغيض، قال الحق سبحانه : {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر: 9]، وفي الصحيحين: ((لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة)) وفي رواية: ((حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك)).
كما أنَّ من حسن العزاء أنَّ هؤلاء العلماء -رحمهم الله- أحياءٌ بعلمهم وتراثهم وتلامذتهم، باقون بذكرهم وآثارهم التي خلفوها من كتبٍ قيِّمة جليلة ومؤلفات مفيدة، وخاصة فقيدنا العلامة الشيخ بكر أبو زيد؛ فقد كان زاخر الإنتاج، واسع العطاء، ترك لنا ثروة علمية جليلة القدر باقية الذكر عظيمة الأجر، تزيد عن ستين مؤلفاً في شتى الفنون: علوم الشريعة واللغة العربية والتاريخ والتحقيق والمعارف العامة, تمتاز بالدقة في البحث، والتجرد للحق، والجزالة في الأسلوب، وقوة البيان وسحره، كما تميَّز منهجه بالمعاصرة والتعرض للمشكلات الحديثة والمسائل المستجدة، وله كتاب ((فقه النوازل)) ثلاثة مجلدات، فيه خمس عشرة قضية فقهية مستجدة، من مثل: التقنين والإلزام، والمواضعة في الاصطلاح، وأجهزة الإنعاش وعلامة الوفاة، وطفل الأنابيب، وخطاب الضمان البنكي ونحوها.

كما تعرض لمسائل وقضايا مهمة تتعلق بالدعوة ومناهجها وأخطاء الدعاة والمزالق التي وقعوا فيها، من مثل: ((حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية))، و((تصنيف الناس بين الظن واليقين))، و((التعالم وأثره على الفكر والكتاب))، و((براءة أهل السنة من الوقيعة في علماء الأمة)). ومن أحسن كتبه في موضوعه: ((حلية طالب العلم))، وقد شرحه غيرُ واحد من أهل العلم، منهم الشيخ محمد بن صالح العثيمين -رحمه الله- وأثنى عليه. وتضيق هذه المقالة المختصرة عن استعراض جميع كتبه ومؤلفاته.

من ملامح منهج الشيخ في الدعوة إلى الله:

الشيخ بكر أبو زيد –كما أشرت- علم من أعلام السنة والفقه والفكر الإسلامي، وهو من أبرز أئمة الدعوة المعاصرين في الجزيرة، ويتميز منهجه الدعوي في التعامل مع الآخرين بالعدل في الحكم على المخالف، والشهادة والاعتراف بما أحسن فيه وأجاد ووافق فيه الحق، وتحرير محل النزاع والابتعاد عن الإجمال والإبهام والتهويش على المخالف، وحسن الظن بالمسلم وحمل كلامه على ما أراد، دون تحميل كلامه ما لا يحتمل، والحرص على أن يكون القصد من الحوار جمع كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم، والمحافظة على بقاء الولاء والمناصرة!.

هذا مجمل منهج الشيخ في الدعوة والحوار والتعامل مع المخالفين، وإنه لمنهج أصيل حكيم موزون رسم الشيخ -رحمه الله- خطوطه العريضة ومعالمه الهادية بدقة ووضوح، لو أخذ به شباب الدعوة وأهلها لصانوا الدعوة من التشقق والتصدع، وبلغوا بها غايتها بحسب السنن الإلهية.

إن العطاء الباهر والإنتاج الزاخر الذي ورَّثه الشيخ لم يأت من فراغ -خاصَّة أنَّ الشيخ لم يعمَّر طويلاً، فهو لم يتجاوز الرابعة والستين- وإنما جاء ثمرة كدٍّ واجتهادٍ، وطريقٍ طويلٍ حافل وصبرٍ عجيبٍ –بالنسبة إلى أبناء هذا الزمان- في الطلب، وأخلاقٍ عالية وشمائل كريمة، أسس بنيانها أسرةٌ ملتزمة مؤمنة ذات ثراء ونسب عريق، عاش في أحضانها ودرج في مرابعها الفقيد رحمه الله، فهو بكر بن عبد الله أبو زيد، من قبيلة بني زيد القضاعية المشهورة في حاضرة الوشم، وعالية نجد، وفيها ولد عام 1365هـ.

نشأة الشيخ وطلبه العلم:

نشأ الشيخ الفقيد –رحمه الله- نشأة كريمة في بيت صلاح ودين وعلم، والبيت هو المدرسة الأولى، ثم درس في الكتّاب، ثم التحق بالمدرسة الابتدائية، وأكملها في مدينة الرياض، حيث واصل جميع مراحل التعليم الابتدائي، ثم المعهد العلمي، ثم كلية الشريعة، ثم المعهد العالي للقضاء، وكان بجانب دراسته النظامية يتلقى العلم عن عدد من المشايخ، فأخذ اللغة عن الشيخ صالح بن عبد الله بن مطلق القاضي المتقاعد في الرياض، وكان يحفظ من مقامات الحريري خمساً وعشرين مقاماً بشرحها لأبي العباس الشريشي، وقد ضبطها عليه، وأخذ عنه علم الميقات، وحفظ منظومته المتداولة على ألسنة المشايخ.

ثم ارتحل إلى المدينة المنوَّرة عام ثلاثة وثمانين وثلاث مئة وألف، حيث

لازم شيخه سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز –رحمه الله-، وقرأ عليه عدداً من الرسائل، ودرس عليه كتاب الحج من المنتقى في المسجد الحرام، ولازم شيخه الشيخ محمد الأمين الشنقيطي –رحمه الله– المتوفى سنة ثلاث وتسعين وثلاث مئة وألف من الهجرة عشر سنين دأباً في المسجد النبوي، وقرأ عليه بعض تفسيره "أضواء البيان"، والجزء الأول من "آداب البحث والمناظرة"، ومواضع من المذكرة في أصول الفقه، وعلم النسب من كتاب ابن عبد البر "القصد والأمم في أنساب العرب والعجم" ونُبَذاً سواها. وقد أثر فيه الشيخ الشنقيطي –رحمه الله– تأثيراً بالغاً، فأُشرِب قلبُه حبَّ العربية والنظر في آدابها وأصولها حتى ظهر أثره في أسلوبه الأخَّاذ وبيانه الناصع، وبالجملة فقد كان مختصًّا به، وتخرج على يديه، وأولع بتحصيل الإجازات العلمية في كتب السنة، ولديه نحو عشرين إجازة من كبار علماء العالم الإسلامي.

وقد تخرج من كلية الشريعة عام ثمانية وثمانين وثلاث مئة وألف من الهجرة منتسباً، وكان ترتيبه الأول من بين الخريجين. واختير للقضاء فعمل قاضياً في محكمة المدينة الكبرى ثلاث عشرة سنة، وعُيِّنَ في ذلك الوقت مدرساً بالمسجد النبوي الشريف فدرس فيه الفرائض والحديث، ثم عُيِّنَ بعدها بسنة وكيلاً لوزارة العدل، حتى عام ثلاثة عشر وأربع مئة وألف من الهجرة، وعُيِّنَ عضوًا لمجلس القضاء الأعلى بهيئته العامة، ثم ممثلاً للمملكة في مجمع الفقه الإسلامي الدولي، وعُيِّنَ رئيساً له منذ عام خمسة وأربع مئة وألف، وعُيِّنَ أيضا عام خمسة وأربع مئة وألف عضوًا في المجمع الفقهي برابطة العالم الإسلامي.وفي عام ثلاثة عشر وأربع مئة وألف عُيِّنَ عضواً في هيئة كبار العلماء، وعضواً في اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.وفي أثناء عمله في القضاء واصل الدراسة منتسباً في المعهد العالي للقضاء، فحصل منه على درجة الماجستير عام 1400هـ، وكانت عن ((الحدود والتعزيرات عند ابن القيم: دراسة وموازنة)). وكذا حصل على الدكتوراة، وكانت عن ((أحكام الجناية على النفس وما دونها عند ابن قيم الجوزية: دراسة وموازنة)) وكلتاهما مطبوعتان.

وأخيراً فإنه لا مصيبة أعظم من فقد العالم، وبقبض العلماء يقبض العلم، ويكثر الهرج، إلا أن يتداركنا الله برحمته، فيخلف من يقوم مقامه، ويفري فريه، ويسد الثغرة التي كان يرابط فيها، غير أننا نقول كما علَّمنا الرسول -صلى الله عليه وسلم-: إنَّ العين لتدمع، وإن القلب ليحزن، وإنَّا على فراقك يا شيخنا بكر لمحزونون، ولكن لا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا لله وإنا إليه راجعون.اللهمَّ اغفر للشيخ بكر، وارفع درجتَه في المهديِّين، واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله وللمؤمنين كافة.وصلى الله على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

فضائل القرآن

للحافظ ابن كثير

فضائل القرآن

قال البخارى رحمه الله كيف نزل الوحى وأول ما نزل قال ابن عباس : المهيمن الأمين القرآن أمين على كل كتاب قبله.
حدثنا عبيد الله بن موسى عن شيبان عن يحيى عن أبى سلمه قال: أخبرتنى عائشة و ابن عباس قالا: لبث النبى صلى الله عليه وسلم بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن، وبالمدينة عشرا .
ذكر البخارى رحمه الله كتاب فضائل القرآن بعد كتاب التفسير لأن التفسيرأهم فلهذا بدأ به، فجرينا على منواله وسننه مقتضين به، وقول ابن عباس فى المهيمن: إنما يريد به البخارى قوله تعالى فى المائدة بعد ذكر التوراة والانجيل (وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه) قال الإمام أبو جعفر بن جرير رحمه الله:ثنا المثنى ثنا عبد الله بن صالح حدثنى معاويه عن علي يعنى ابن أبى طلحة عن ابن عباس قوله ومهيمنا عليه قال: المهيمن الأمين قال: القرآن أمين على كل كتاب قبله وفى رواية شهيدا عليه . وقال سفيان الثورى وغير واحد من الأئمة عن أبى اسحاق السبيعي عن التميمى عن ابن عباس ومهيمنا عليه قال: مؤتمنا، وبنحو ذلك قال مجاهد و السدى و قتادة و ابن جريج و الحسن البصرى وغير واحد من أئمة السلف وأصل الهيمنة الحفظ والإرتقاب، يقال إذا أرقب الرجل الشىء وحفظه وشهده: قد هيمن فلان عليه، فهو مهيمن هيمنة، وهو عليه مهيمن، وفى أسماء الله تعالى المهيمن وهو الشهيد على كل شىء الرقيب الحفيظ بكل شىء.
وأما الحديث الذى أسنده البخارى أنه عليه السلام أقام بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن وبالمدينة عشرا، فهو مما انفرد به البخارى دون مسلم وإنما رواه النسائى من

حديث شيبان وهو ابن عبد الرحمن عن يحيى وهو ابن كثير عن أبى سلمة عنهما، وقال أبوعبيد القاسم بن سلام : ثنا يزيد عن داود بن أبى هند عن عكرمة عن ابن عباس قال: أنزل القران جملة واحدة إلى سماء الدنيا فى ليلة القدر، ثم نزل بعد ذلك فى عشرين سنة. ثم قرأ (وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا)هذا إسناد صحيح أما إقامته بالمدينة عشرا فهذا مما لا خلاف فيه. وأما إقامته بمكة بعد النبوة فالمشهور ثلاث عشرة سنة، لأنه عليه السلام أوحى إليه وهو ابن أربعين سنة، وتوفى وهو ابن ثلاث وستين سنة على الصحيح، ويحتمل أنه حذف ما زاد على العشر اختصارا فى الكلام، لأن العرب كثيرا ما يحذفون الكسور فى كلامهم، أو أنهما اعتبراقرن جبريل عليه السلام، فإنه قد روى الإمام أحمد أنه قرن به عليه السلام ميكائيل فى ابتداء الأمر يلقى اليه الكلمة وشىء ثم قرن به جبريل . ووجه مناسبة هذا الحديث بـ فضائل القرآن أنه ابتدئ بنزوله فى مكان شريف وهو البلد الحرام، كما أنه فى زمن شريف، وهو شهر رمضان، فاجتمع له شرف الزمان والمكان.

ولهذا يستحب إكثار تلاوة القرآن فى شهر رمضان، لأنه ابتدئ بنزوله، ولهذا كان جبريل يعارض به رسول الله فى كل سنة فى شهر رمضان، فلما كانت السنة التى توفى فيها عارضه مرتين تأكيدا وتثبيتا وأيضا ففى الحديث بيان أنه من القرآن مكى، ومنه مدنى، فالمكى ما نزل قبل الهجرة، والمدنى ما نزل بعد الهجرة سواء كان بالمدينة أو بغيرها من أى البلاد كان، حتى ولوكان بمكة أو عرفة.

وقد أجمعوا على سور أنها من المكى وأخر أنها من المدنى، واختلفوا فى أخر وأراد بعضهم ضبط ذلك بضوابط فى تقييدها عسر ونظر ولكن قال بعضهم: كل سورة فى أولها شىء من الحروف المقطعة فهى مكية، إلا البقرة وآل عمران، كما أن كل سورة فيها يا أيها الذين آمنوا فهى مدنية، وما فيه يا أيها الناس فيحتمل أن تكون من هذا ومن

هذا، والغالب أنه مكى، وقد يكون مدنيا كما فى البقرة: (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون)- (يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين) .
قال أبوعبيد : ثنا أبومعاوية ثنا من سمع الأعمش يحدث عن إبراهيم عن علقمة : كل شىء فى القرآن يا أيها الذين آمنوا فانه أنزل بالمدينة، وما كان منها يا أيها الناس فانه أنزل بمكة ثم قال: ثنا على بن معبد عن أبى المليح عن ميمون بن مهران قال: ما كان فى القرآن يا أيها الناس و يا بني آدم فإنه مكى وما كان يا أيها الذين آمنوا فإنه مدنى.
ومنهم من يقول: إن بعض السور نزل مرتين: مرة بالمدينة ومرة بمكة، والله أعلم. ومنهم من يستثنى من المكى آيات، يدعى أنها من المدنى، كما فى سورة الحج وغيرها.
والحق فى ذلك ما دل عليه الدليل الصحيح، فالله أعلم.
وقال أبوعبيد : حدثنا عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة قال: نزلت بالمدينة سورة البقرة، وال عمران والنساء، وا لمائدة، والأنفال، والتوبة، والحج، وا لنور، والأحزاب، والذ ين كفروا، والفتح، والحد يد، والمجادلة، والحشر، والممتحنة، والحواريون، والتغابن، و(يا أيها النبي إذا طلقتم النساء) و(يا أيها النبي لم تحرم و الفجر ، و الليل إذا يغشى و إنا أنزلناه في ليلة القدر و لم يكن . و إذا زلزلت و إذا جاء نصر الله والفتح . وسائر ذلك بمكة، هذا إسناد صحيح عن ابن أبى طلحة مشهور، وهو أحد أصحاب ابن عباس الذين رووا عنه التفسير.
وقد ذكر فى المدنى سورا فى كونها مدنية نظر. وما به الحجرات المعوذات.

الحديث الثانى
وقال البخارى : ثنا موسى بن إسماعيل ثنا معتمر قال: سمعت أبى عن أبى عثمان قال، قال: أنبئت أن جبريل عليه السلام أتى النبى صلى الله عليه وسلم وعنده أم سلمة

فجعل يتحدث، فقال النبى صلى الله عليه وسلم لأم سلمة : من هذا أو كما قال، قالت: هذا دحيه، فلما قام قالت: والله ما حسبته إلا إياه حتى سمعت خطبة النبى صلى الله عليه وسلم يخبر خبر جبريل أو كما قال قال أبى: قلت لأبى عثمان : ممن سمعت هذا؟ قال: من أسامة بن زيد رضي الله عنه .
وهكذا رواه أيضا فى علامات النبوة عن عباس بن الوليد النرسى و مسلم فى فضائل أم سلمة عن عبدالأعلى بن حماد و محمد بن عبد الأعلى كلهم عن معتمر بن سليمان به. والغرض من ايراده هذا الحديث ههنا أن السفير بين الله وبين محمد صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام، وهو ملك كريم، ذو وجاهة وجلالة ومكانة، كما قال تعالى: (نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين وقال تعالى: إنه لقول رسول كريم * ذي قوة عند ذي العرش مكين * مطاع ثم أمين * وما صاحبكم بمجنون) الآيات.
فمدح الرب تبارك وتعالى عبديه ورسوليه جبريل ومحمدا صلى الله وسلم عليهما، وسنستقصى الكلام على تفسيرهذا المكان فى موضعه إذا وصلنا إليه إن شاء الله تعالى وبه الثقة وفى الحديث فضيلة عظيمة لأم سلمة رضى الله عنها- كما بينه مسلم رحمه الله، لرؤيتها هذا الملك العظيم
وفضيلة أيضا لدحية بن خليفة الكلبى وذلك أن جبريل عليه السلام كان كثيرا ما يأتى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على صورة دحية وكان جميل الصورة رضى الله عنه، وكان من قبيلة أسامة بن زيد بن حارثة الكلبى وهم من قبيلة قضاعة، وقضاعة قيل: إنهم من عدنان، وقيل من قحطان، كلهم ينسبون إلى كلب بن وبره، وقيل بطن مستقل بنفسه، والله أعلم.
الحديث الثالث
حدثنا عبد الله بن يوسف ثنا الليث ثنا سعيد المقبرى عن أبيه، عن أبى هريرة قال، قال النبى صلى الله عليه وسلم: ما من الانبياء نبى إلا أعطى من الأيات ما مثله آمن عليه

البشر، وإنما كان الذى أوتيت وحيا أوحاه الله إلى، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة ورواه أيضا فى الاعتصام عن عبد العزيز بن عبد الله و مسلم و النسائى عن قتيبة جميعا عن الليث بن سعد عن سعيد بن أبى سعيد عن أبيه واسمه كيسان المقبرى به.

وفى هذا الحديث فضيلة عظيمة للقرآن المجيد على كل معجزة أعطيها بنى من الأنبياء وعلى كل كتاب أنزله، وذلك أن معنى الحديث: ما من نبى إلا أعطى- أى من المعجزات- ما آمن عليه البشر، أى ما كان دليلا على تصديقه فيما جاءهم به واتبعه من اتبعه من البشر، ثم لما مات الأنبياء لم تبق لهم معجزة بعدهم إلا ما يحكيه أتباعهم عما شاهدوه فى زمانه .

وأما الرسول الخاتم للرسالة محمد صلى الله عليه وسلم فإنما كان معظم ما آتاه الله وحيا منه إليه منقولا الى الناس بالتواتر، ففى كل حين هو كما أنزل. فلهذا قال: فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا وكذلك وقع فإن أتباعه أكثر من أتباع الأنبياء لعموم رسالته، ودوامها الى قيام الساعة واستمرار معجزته. ولهذا قال الله تعالى: تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا وقال تعالى: قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا .

ثم تقاصر معهم إلى عشر سور منه فقال أم يقولون افتراه قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين ثم تحداهم إلى أن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا، فقال أم يقولون افتراه قل فاتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين وقصر التحدى على هذ المقام فى السور المكية- كما ذكرنا فى المدنية أيضا، كما فى سورة البقرة حيث قال تعالى: وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين * فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس

والحجارة أعدت للكافرين وأخبرهم أنهم عاجزون عن معارضته بمثله وأنهم لا يفعلون ذلك فى المستقبل أيضا. هذا وهم أفصح الخلق وأعلمهم بالبلاغة والشعر وقريض الكلام وضروبه، لكن جاءهم من الله مالا قبل لأحد من البشر به من الكلام الفصيح البليغ الوجيز المحتوى على العلوم الكثيرة الصحيحة النافعة، والأخبار الصادقة، عن الغيوب الماضية والآتية، والأحكام العادلة المحكمة، كما قال تعالى: وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا .

وقال الإمام أحمد بن حنبل : ثنا يعقوب بن إبراهيم ثنا أبى، ثنا محمد بن اسحاق قال: ذكر محمد بن كعب القرظى عن الحارث بن عبد الله الأعور قال: قلت لآتين أمير المؤمنين فلأ سألنه عما سمعت العشية، قال: فجئته بعد العشاء فدخلت عليه، فذكر الحديث. قال ثم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: أتانى جبريل فقال: يامحمد إن أمتك مختلفة بعدك- قال- فقلت له: فأين المخرج يا جبريل؟ قال: فقال: كتاب الله، به يقصم الله كل جبار، من اعتصم به نجا، ومن تركه هلك- مرتين- قول فصل، وليس بالهزل، لا تخلقه الألسن، ولا تفنى عجائبه، فيه نبأ من كان قبلكم، وفصل مابينكم، وخبرماهو كائن بعدكم رواه الإمام أحمد .

وقد قال أبوعيسى الترمذى : ثنا عبد بن حميد ثنا حسين بن على الجعفى ثنا حمزة الزيات عن أبى المختار الطائى عن ابن أخى الحارث الأعور عن الحارث الأعور قال: مررت إلى المسجد فاذا الناس يخوضون فى الأحاديث، فدخلت على علي فقلت: يا أمير المؤمنين ألا ترى الناس قد خاضو فى الأحاديث؟ قال: أوقد فعلوها؟ قلت: نعم، قال: أما إنى قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:ألا إنها ستكون فتنة فقلت: فما المخرج منها يارسول الله؟ قال: كتاب الله فيه نبأ ماقبلكم، وخبر مابعدكم وحكم مابينكم، وهو الفصل، ليس بالهزل، من تركه من جبارقصمه الله، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله. وهو حبل الله المتين.

وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم هو التى لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنه، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضى عجائبه، هو الذى لم تنته الجن إذا سمعته حتى قالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا * يهدي إلى الرشد فآمنا به من قال به صدق، ومن عمل به أجر. ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم خذها اليك يا أعور . ثم قال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حمزة الزيات وإسناده مجهول، وفى حديث الحارث مقال.

قلت: لم ينفرد بروايته حمزة بن حبيب الزيات بل قد رواه محمد بن إسحاق عن محمد بن كعب القرظى عن الحارث الأعور فبرئ حمزة من عهدته على أنه وإن كان ضعيف الحديث فإنه إمام فى القراءة. والحديث مشهور من رواية الحارث الأعور وقد تكلموا فيه بل قد كذبه بعضهم من جهة رأيه واعتقاده، أما أنه تعمد الكذب فى الحديث فلا، والله أعلم.

وقصارى هذا الحديث أنما يكون من كلام أمير المؤمنين على رضى الله عنه، وقد وهم بعضهم فى رفعه، وهو كلام حسن صحيح على أنه قد روى له شاهد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم.

قال الإمام العلم أبوعبيد الله القاسم بن سلام رحمه الله فى كتابة فضائل القرآن : ثنا أبو اليقظان عمار بن محمد الثورى أو غيره عن أبى إسحاق الهجرى عن أبى الاحوص عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن هذا القرآن مأدبة الله فتعلموا من مأدبته ما استطعتم، إن هذا القرآن حبل الله، وهو النور المبين، والشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن تبعه، لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعتب ولا تنقضى عجائبه، ولا يخلق عن كثرة الرد، فاتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات، أما أنى لا أقول: الم، حرف، ولكن ألف عشر ولام عشر وميم عشر .

وهذا غريب من هذا الوجه، ورواه محمد بن تفضيل عن أبى إسحاق الهجرى واسمه إبراهيم بن مسلم وهو أحد التابعين، ولكن تكلموا فيه كثيرا، وقال أبو حاتم الرازى : لين ليس بالقوى. وقال أبو الفتح الأزدى : رفاع كثير الوهم.
قلت: فيحتمل- والله أعلم- أن يكون وهم فى رفع هذا الحديث وإنما هو من كلام بن مسعود ولكن له شاهد من وجه أخر والله أعلم.
وقال أبو عبيد أيضا: ثنا حجاج عن إسرائيل عن أبى اسحاق عن عبد الله بن يزيد عن عبد الله بن مسعود قال: لا يسأل عبد عن نفسه الا القرآن فإن كان يحب القرآن فإنه يحب الله ورسوله.

الحديث الرابع

قال البخارى : ثنا عمرو بن محمد ثنا يعقوب بن ابراهيم ثنا أبى عن صالح بن كيسان عن ابن شهاب قال: أخبرنى أنس بن مالك أن الله تابع الوحى على رسوله صلى الله عليه وسلم قبل وفاته حتى توفاه أكثر ما كان الوحى ثم توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده .
وهكذا رواه مسلم عن عمرو بن محمد هكذا وهوالناقد و حسن الحلوانى و عبد بن حميد و النسائى عن اسحاق بن منصور الكوسج أربعتهم عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد الزهرى به.
ومعناه أن الله تعالى تابع نزول الوحى على رسوله صلى الله عليه وسلم شيئا بعد شىء كل وقت بما يحتاج اليه، ولم تقع فترة بعد الفترة الاولى التى كانت بعد نزول الملك أول مرة بقوله تعالى اقرأ باسم ربك فإنه استلبث الوحى بعدها حينا، يقال قريبا من سنتين أو أكثر، ثم حمى الوحى وتتابع، وكان أول شىء نزل بعد تلك الفترة يا أيها المدثر * قم فأنذر .

الحديث الخامس

قال البخارى : حدثنا أبو نعيم ثنا سفيان عن الأسود بن قيس قال سمعت جندبا يقول: إشتكى رسول الله صلى الله عليه

وسلم فلم يقم ليلة أو ليلتين، فأتته امرأة فقالت: يامحمد ما أرى شيطانك الا تركك فأنزل الله تعالى: والضحى * والليل إذا سجى * ما ودعك ربك وما قلى .
وقد رواه البخارى فى غير موضع و مسلم و الترمذى و النسائى من طرق أخر عن سفيان وهو الثورى و شعبة بن الحجاج كلاهما عن قيس العبدى عن جندب بن عبد الله البجلى به. وقد تقدم الكلام على هذا الحديث فى تفسير سورة الضحى.
والمناسبة فى ذكر هذا الحديث والذى قبله فى فضائل القرآن أن الله تعالى له برسوله عناية عظيمة ومحبة شديدة، حيث جعل الوحى متابعا عليه ولم يقطعه عنه ولهذا إنما أنزل عليه القرآن مفرقا ليكون ذلك أبلغ في العناية والإكرام.
قال البخارى رحمه الله: نزل القرآن بلسان قريش والعرب قرآنا عربيا بلسان عربى مبين.
حدثنا أبواليمان ثنا شعيب عن الزهرى أخبرنى أنس بن مالك قال: فأمر عثمان بن عفان زيد بن ثابت و سعيد بن العاص و عبد الله بن الزبير و عبد الله بن الحارث بن هشام أن ينسخوها من المصاحف وقال لهم: إذا اختلفتم أنتم و زيد فى عربية من عربية القرآن فاكتبوها بلسان قريش ، فإن القرآن نزل بلسانهم، ففعلوا .
هذا الحديث قطعة من حديث سيأتى قريبا الكلام عليه ومقصود البخارى منه ظاهر، وهو أن القرآن الكريم نزل بلغة قريش وقريش خلاصة العرب، ولهذا قال: أبوبكر بن أبي داود : حدثنا عبد الله بن محمد بن خلاد ثنا يزيد أخبرنا شيبان عن عبدالمالك بن عمير عن جابر بن سمرة قال: سمعت عمربن الخطاب يقول: لا يملين فى مصاحفنا هذه إلا غلمان قريش أو غلمان ثقيف وهذا إسناد صحيح.
وقال أيضا: حدثنا إسماعيل بن أسد ثنا هوذة ثنا عوف عن عبد الله ابن فضالة قال: لما أراد عمر أن يكتب الإمام أقعد له نفرا من أصحابه وقال: إذا اختلفتم فى اللغة فاكتبوها

بلغة مضر فإن القرآن نزل بلغة رجل من مصر وقد قال الله تعالى: قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون وقال تعالى: وإنه لتنزيل رب العالمين * نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربي مبين وقال تعالى: وهذا لسان عربي مبين وقال تعالى: ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي الآية، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على ذلك.

ثم ذكر البخارى رحمه الله حديث يعلى بن أمية أنه كان يقول: ليتنى أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ينزل عليه الوحى، فذكر الحديث فى الذى سأل عمن أحرم بعمرة وهو متضمخ بطيب وعليه جبة، قال: فنظررسول الله ساعة ثم فجأة الوحى، فأشار عمر إلى يعلى- أى تعال- فجاء يعلى . فأدخل رأسه فإذا هو محمر الوجه يغط كذلك ساعة، ثم سرى عنه فقال:

أين الذى سألنى عن العمرة آنفا فذكر أمره بنزع الجبة وغسل الطيب .

وهذا الحديث رواه جماعة من طرق عديدة، والكلام عليه فى كتاب الحج ولا تظهر مناسبة ما بينه وبين هذه الترجمة، ولا يكاد ولو ذكر فى الترجمة التى قبلها لكان أظهر وأبين، والله أعلم .

جمع القرآن

قال البخاري : حدثنا موسى بن اسماعيل عن إبراهيم بن سعد ، ثنا ابن شهاب عن عبيد بن السباق أن زيد بن ثابت قال: أرسل إلى أبوبكر مقتل أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده، فقال أبوبكر: إن عمر بن الخطاب أتانى، فقال: إن القتل قد استحر بقراء القرآن، وإنى أخشى أن يستحر القتل بالقراء فى المواطن، فيذهب كثير من القرآن، وإنى أرى أن تأمر بجمع القرآن، قلت لعمر: كيف نفعل شيئًا لم يفعله رسول الله؟ قال عمر: هذا والله خير؟ فلم يزل عمر يراجعنى حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت فى ذلك

الذى رأى عمر، قال زيد: قال أبوبكر: إنك رجل شاب عاقل لانتهمك، وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فاجمعه، فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان على أثقل مما أمرنى به من جمع القرآن، قلت: كيف تفعلون شيئًا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم قال؟ هو والله خير. فلم يزل أبوبكر يراجعنى حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدرأبى بكر وعمر رضى الله عنهما، فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال، ووجدت آخر سورة التوبة مع أبى خزيمة الأنصارى لم أجدها مع غيره لقد جاءكم رسول من أنفسكم حتى خاتمة براءة.

فكانت الصحف عند أبى بكرحتى توفاه ألله ثم عند عمرحياته ثم عند حفصة بنت عمررضى الله عنهم.

وقد روى البخارى هذا في غير موضع من كتابه. ورواه الإمام أحمد والترمذى والنسائى من طرق عن الزهرى به. وهذا من أحسن وأجل وأعظم ما فعله الصديق رضى الله عنه، فإنه أقامه الله تعالى بعد النبي صلى الله عليه وسلم مقاما لا ينبغى لأحد من بعده: قاتل الاعداء من مانعى الزكاة والمرتدين والفرس والروم، ونفذ الجيوش، وبعث البعوث والسرايا، ورد الأمر إلى نصابه، بعد الخوف من تفرقه وذهابه، وجمع القرآن العظيم من أماكنه المتفرقة حتى تمكن القارىء من حفظه كله. وكان هذا من سر قوله تعالى: إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون .

فجمع الصديق الخير وكف الشرور، رضى الله عنه وأرضاه، ولهذا روى عن غير واحد من الأئمة منهم وكيع وابن زيد وقبيصة عن سفيان الثورى عن إسماعيل بن عبدالرحمن السدى الكبير ، عن عبد خير عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال: أعظم الناس أجرًا فى المصاحف أبوبكر، إن أبا بكر كان أول من جمع القرآن بين اللوحين هذا إسناد صحيح.

وقال أبو بكر بن أبى داود فى كتاب المصاحف :حدثنا هارون

بن إسحاق ، ثنا عبدة عن هشام عن أبيه أن أبا بكر رضى الله عنه هو الذى جمع القرآن بعد النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ختمه صحيح أيضًا ، وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه هو الذى تنبه لذلك لما استحرالقتل بالقراء، أى اشتد القتل وكثرفى قراء القرآن يوم اليمامة.. يعنى يوم قتال مسيلمة الكذاب وأصحابه بنى حنيفة، بأرض اليمامة فى حديقة الموت.

وذلك أن مسيلمة التف معه من المرتدين قريب من مائة ألف. فجهز الصديق لقتاله خالد بن الوليد فى قريب من ثلاثة عشرألفا، فالتقوا معهم، فانكشف الجيش الإسلامى لكثرة من فيه من الأعراب. فنادى القراء من كبار الصحابة: ياخالد خلصنا، يقولون ميزنا من هؤلاء الأعراب. فتميزوا منهم وانفردوا، فكانوا قريبا من ثلاثة آلاف. ثم صدقوا الحملة وقاتلوا قتالا شديدا، وجعلوا يتنادون:يا أصحاب سورة البقرة، فلم يزل ذلك دأبهم، حتى فتح الله عليهم، وولى جيش الكفار فارًا، واتبعتهم السيوف المسلمة فى أقفيتهم قتلاً وأسرًا، وقتل الله مسيلمةوفرق شمل أصحابه، ثم رجعوا إلى الإسلام.

ولكن قتل من القراء يومئذ قريب من خمسمائة رضى الله عنهم، فلهذا أشار عمرعلى الصديق، بأن يجمع القرآن لئلا يذهب منه بسبب موت من يكون يحفظه من الصحابة بعد ذلك فى مواطن القتال. فإذا كتب وحفظ صار محفوظا، فلا فرق بين حياة من بلغه أو موته. فراجعه الصديق قليلا ليستثبت الأمر، ثم وافقه وكذلك راجعهما زيد بن ثابت فى ذلك. ثم صار إلى ما رأياه رضى الله عنهم أجمعين. وهذا المقام من أعظم فضائل زيد بن ثابت الأنصارى ، ولهذا قال أبو بكر بن أبى داود :حدثنا يزيد بن مبارك ، عن فضالة عن الحسن أن عمر بن الخطاب سأل عن آية من كتاب الله، فقيل كانت مع فلان فقتل يوم اليمامة، فقال: إنا لله، ثم أمر بالقرآن فجمع فكان أول من جمعه فى المصحف وهذا منقطع فإن الحسن لم يدرك عمر ومعناه أنه أشار بجمعه

فجمع، ولهذا كان مهيمنًا على حفظه وجمعه كما رواه ابن أبى داود حيث قال:ثنا أبو الطاهر ، ثنا ابن وهب ، ثنا عمر بن طلحة الليثى ، عن محمد بن عمرو بن علقمة ، عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب ، أن عمر لما جمع القرآن، كان لايقبل من أحد شيئًا حتى يشهد شاهدان،وذلك عن أمر الصديق له فى ذلك . كما قال أبو بكر بن أبى داود :ثنا أبو الطاهر ، أنا ابن وهب ، أخبرنى ابن أبى الزناد ، عن هشام ابن عروة عن أبيه قال: لما استحر القتل بالقراء يومئذ فرق أبوبكر رضى الله عنه أن يضيع فقال لعمر بن الخطاب ولزيد بن ثابت:فمن جاءكما بشاهدين على شىء من كتاب الله فاكتباه ، منقطع حسن.

ولهذا قال زيد بن ثابت : ووجدت آخر سورة التوبة- يعنى قوله تعالى: لقد جاءكم رسول من أنفسكم إلى آخر الآيتين- مع أبى خزيمة الأنصارى . وفى رواية مع خزيمة بن ثابت الذى جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادتين لم أجدها مع غيره . فكتبوها عنه لأنه جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادتين فى قصة الفرس التى ابتاعها رسول الله صلى الله عليه وسلم.
من الأعرابى، فأنكر الأعرابى البيع، فشهد خزيمة هذا بتصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمضى شهادته وقبض الفرس من الأعرابى.

والحديث رواه أهل السنن وهو مشهور.

وروى أبو جعفر الرازى عن الربيع ، عن أبى العالية أن أبى بن كعب أملاها عليهم مع خزيمة بن ثابت . وقد روى ابن وهب عن عمر بن طلحة الليثى عن محمد بن عمرو بن علقمة عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب ، أن عثمان شهد بذلك أيضًا.

وأما قول زيد بن ثابت : فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال. وفى رواية: من العسب والرقاع والاضلاع. وفى رواية: من الاكتاف والأقتاب وصدور الرجال.
أما العسب فجمع عسيب، قال أبونصر اسماعيل بن حماد

الجوهرى وهو من السعف فويق الكرب، لم ينبت عليه الخوص، وما نبت عليه الخوص فهو السعف. واللخاف جمع لخفة، وهى القطعة من الحجارة مستدقة، كا نوا يكتبون عليها وعلى العسب وغير ذلك ممايمكنهم الكتابة عليه بما يناسب ما يسمعونه من القرآن من رسول الله صلى الله عليه وسلم.
ومنهم من لم يكن يحسن الكتابة أو يثق بحفظه، فكان يحفظه،فتلقاه زيد هذا من عسبه، وهذا من لخافه، ومن صدر هذا، أى من حفظه وكانوا أحرص شىء على أداء الأمانات. وهذا من أعظم الأمانة، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم أودعهم ذلك ليبلغوه إلى من بعده، كما قال تعالى: يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ففعل صلوات الله وسلامه عليه .
ولهذا سألهم فى حجة الوداع يوم عرفة على رؤوس الأشهاد، والصحابة أوفر ما كانوامجتمعين، فقال: إنكم مسئولون عنى فما أنتم قائلون قالوا: نشهد أنك بلغت وأديت ونصحت. فجعل يشير بأصبعه إلى السماء عليهم ويقول: اللهم اشهد، اللهم اشهد، اللهم اشهد رواه مسلم عن جابر وقد أمر أمته أن يبلغ الشاهد الغائب وقال: بلغوا عنى ولو آية يعنى ولو لم يكن مع أحدكم سوى آية واحدة فليؤدها إلى من وراءه، فبلغوا عنه أمرهم به، فأدوا القرآن قرآنا، والسنة سنة، لم يلبسوا هذا بهذا.
ولهذا قال عليه السلام: من كتب عني سوى القرآن فليمحه أى لئلا يختلط بالقرآن، وليس معناه أن لا يحفظوا السنة ويرووها، والله أعلم، فلهذا نعلم بالضرورة أنه لم يبق من القرآن ما أداه الرسول صلى الله عليه وسلم إليهم - إلا وقد بلغوه إلينا، ولله الحمد والمنة.
فكان الذى فعله الشيخان أبوبكر وعمر رضى الله عنهما من أكبر المصالح الدينية وأعظمها من حفظهما كتاب الله فى الصحف لئلا يذهب منه شىء بموت من تلقاه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم كانت تلك الصحف عند

الصديق أيام حياته، ثم أخذها عمر بعده، فكانت عنده محروسة معظمة مكرمة، فلما مات كانت عند حفصة أم المؤمنين، لأنها كانت وصيته من أولاده على أوقافه وتركته، وكانت عند أم المؤمنين حتى أخذها أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه كما سنذكره إن شاء الله.

كتابة عثمان رضي الله عنه للمصاحف
قال البخارى رحمه الله:
ثنا موسى بن إسماعيل ، ثنا إبراهيم ثنا ابن شهاب أن أنس بن مالك حدثه، أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان بن عفان رضى الله عنهما، وكان يغازى أهل الشام فى فتح أرمينيه وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم فى القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا فى الكتاب اختلاف اليهود والنصارى. فأرسل عثمان إلى حفصة: أن ارسلى الينا بالصحف فننسخها، ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت وعبدالله بن الزبير وسعيد ابن العاص وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها فى المصاحف.
وقال عثمان للرهط القريشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شىء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما أنزل بلسانهم، ففعلوا، حتى إذا نسخوا الصحف فى المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن فى كل صحيفة أومصحف أن يحرق.
قال ابن شهاب الزهرى : فأخبرنى خارجة بن زيد بن ثابت سمع زيد بن ثابت فقال: فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف، قد كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها، فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصارى من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فألحقناها فى سورتها بالمصحف . وهذا أيضا من أكبر مناقب أمير

المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه.
فإن الشيخين سبقاه إلى حفظ القرآن أن يذهب منه شيء؟ وهو جمع الناس على قراءة واحدة لئلا يختلفوا فى القرآن، ووافقه على ذلك جميع الصحابة. وانما روى عن عبدالله بن مسعود شيء من التغضب بسبب أنه لم يكن ممن كتب المصاحف وأمرأصحابه بغل مصاحفهم لما أمر عثمان بحرق ما عدا المصحف الإمام. ثم رجع ابن مسعود إلى الوفاق حتى قال على بن أبى طالب : لو لم يفعل ذلك عثمان لفعلته أنا. فاتفق الأئمة الأربعة أبوبكر وعمر وعثمان وعلى على أن ذلك من مصالح الدين وهم الخلفاء الذين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: عليكم بسنتى وسنة الخلفاءالراشدين من بعدى ، وكان السبب فى هذا حذيفة بن اليمان رضى الله عنه. فإنه لما كان غازيا فى فتح أرمينية وأذربيجان وكان قد اجتمع هناك أهل الشام والعراق، وجعل حذيفة يسمع منهم قراءات على حروف شتى، ورأى منهم اختلافا وافتراقا، فلما رجع إلى عثمان أعلمه، وقال لعثمان: أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا فى الكتاب اختلاف اليهود والنصارى.
وذلك أن اليهود والنصارى مختلفون فيما بأيديهم من الكتب، فاليهود بأيديهم نسخة من التوراة والسامرة يخالفونهم فى ألفاظ كثيرة ومعانى أيضا، وليس فى توراة السامرة حروف الهمزة، ولا حرف الهاء ولا الياء، والنصارى أيضا بأيديهم توراة يسمونها العتيقة وهى مخالفة لنسختى اليهود والسامرة.
وأما الأناجيل التى بأيدى النصارى فأربعة: إنجيل مرقس، وإنجيل لوقا، وإنجيل متى، وإنجيل يوحنا، وهى مختلفة أيضا اختلافا كثيرا. وهذه الأناجيل الأربعة كل منها لطيف الحجم منها ما هو قريب من أربع عشرة ورقة بخط متوسط ومنها ما هو أكثر من ذلك، إما بالنصف أو الضعف. ومضمونها سيرة عيسى عليه السلام، وأيامه، وأحكامه، وكلامه، ومعه شىء قليل مما يدعون أنه كلام الله، وهى مع هذا مختلفة

كما قلنا. وكذلك التوراة مع ما فيها من التحريف والتبديل، ثم هما منسوخان بعد ذلك بهذه الشريعة المحمدية المطهرة.

فلما قال حذيفة لعثمان أفزعه، وأرسل إلى حفصة أم المؤمنين أن ترسل إليه بالصحف التى عندها مما جمعه الشيخان ليكتب ذلك فى مصحف واحد، وينفذه إلى الآفاق ويجمع الناس على القراءة به وترك ما سواه، ففعلت حفصة.

وأمر عثمان هؤلاء الأربعة، وهم زيد بن ثابت الأنصارى ، أحد كتاب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وعبدالله بن الزبير بن العوام القرشى الأسدى أحد فقهاء الصحابة ونجبائهم علما وعملا، وأصلا وفضلا، وسعيد بن العاص ابن أمية القرشى الأموى وكان كريما جوادا ممدحا، وكان أشبه الناس لهجة برسول الله صلى الله عليه وسلم، وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم القرشى المخزومى .

فجلس هؤلاء النفر الأربعة يكتبون بالقرآن نسخًا. وإذا اختلفوا فى موضع الكتابة على أى لغة رجعوا إلى عثمان ، كما اختلفوا فى التابوت، أيكتبونه بالتاء أو الهاء؟ فقال زيد بن ثابت : إنما هو التابوه، وقال الثلاثة القرشيون: إنما هو التابوت، فتراجعوا إلى عثمان فقال: اكتبوه بلغة قريش، فإن القرآن نزل بلغتهم. وكان عثمان رضى الله عنه- والله أعلم- رتب السور فى المصحف، وقدم السبع الطول، وثنى بالمئين.

ولهذا روى ابن جرير وأبو داود والترمذى والنسائى من حديث غير واحد من الأئمة الكتاب: عن عوف الأعرابى عن يزيد الفارسى عن ابن عباس قال: قلت لعثمان ابن عفان: ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال، وهى من المثانى ، وإلى براءة وهى من المئين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتموها فى السبع الطول، ما حملكم على ذلك؟ فقال عثمان: كان رسول الله

صلى الله عليه وسلم مما يأتى عليه الزمان وهو ينزل عليه السور ذوات العدد، فكان إذا نزل عليه الشىء دعا بعض من كان يكتب فيقول: ضعوا هؤلاء الآيات فى السورة التى يذكر فيها كذا وكذا .
وكانت الأنفال من أول ما نزلت بالمدينة، وكانت براءة من آخر القرآن، وكانت قصتها شبيهة بقصتها، وحسبت أنها منها، فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتبين لنا أنها منها، فمن أجل ذلك قرنت بينهما، ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم، فوضعتها فى السبع الطول.ففهم من هذا الحديث أن ترتيب الآيات فى الصور أمر توقيفى متلقى عن النبي صلى الله عليه وسلم.
وأما ترتيب السور فمن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه ولهذا ليس لأحد أن يقرأ القرآن إلا مرتبا آياته. فإن نكسه أخطأ كثيرًا وأما ترتيب السور فمستحب اقتداء بعثمان رضى الله عنه. والأولى إذا قرأ أن يقرأ متواليا، كما قرأ عليه السلام فى صلاة الجمعة بسورة الجمعة والمنافقين، وتارة بسبح، و هل أتاك حديث الغاشية . فإن فرق جاز، كما صح أن رسول الله قرأ فى العيد بقاف و اقتربت الساعة ، رواه مسلم عن أبى قتادة .وفى الصحيحين عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ فى صلاة الصبح يوم الجمعة ألم السجدة و هل أتى على الإنسان . وان قدم بعض السور على بعض جازأيضًا ، فقد روى حذيفة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ البقرة ثم النساء ثم آل عمران ، أخرجه مسلم .وقرأ عمر فى الفجر بسورة النحل ثم بيوسف.
ثم إن عثمان رضى الله عنه رد الصحف إلى حفصة رضى الله عنها، فلم تزل عندها حتى أرسل إليها مروان بن الحكم يطلبها فلم تعطه حتى ماتت، فأخذها من عبدالله بن عمر فحرقها لئلا يكون فيها شىء يخالف المصاحف الأئمة التى نفذها عثمان إلى الآفاق، مصحفا إلى مكة، ومصحفا إلى البصرة، وآخرإلى الكوفة، وآخر إلى الشام، وآخر إلى اليمن،

وآخر إلي البحرين، وترك عند أهل المدينة مصحفا. رواه أبو بكر بن أبى داود عن أبى حاتم السجستانى ، سمعه يقوله. وصحح القرطبى أنه إنما نفذ إلى الآفاق أربعة مصاحف- وهذا غريب- وأمر بما عدا ذلك من مصاحف الناس أن يحرق لئلا تختلف قراءات الناس فى الآفاق. وقد وافقه الصحابة فى عصره على ذلك ولم ينكره أحد منهم. وإنما نقم عليه ذلك الرهط الذين تمالؤا عليه وقتلوه- قاتلهم الله- وذلك فى جملة ما أنكروا ممالا أصل له. وأما سادات المسلمين من الصحابة ومن نشأ فى عصرهم ذلك. من التابعين، فكلهم وافقوه.

قال أبو داود الطيالسى وابن مهدى وغندر عن شعبة ، عن علقمة ابن مرثد عن رجل عن سويد بن غفلة : قال على حين حرق عثمان المصاحف: لو لم يصنعه هو لصنعته.

وقال أبو بكر بن أبى داود : ثنا أحمد بن سنان ، ثنا عبدالرحمن ثنا شعبة عن أبى إسحق عن مصعب بن سعد بن أبى وقاص قال: أدركت الناس متوافرين حين حرق عثمان المصاحف، فأعجبهم ذلك أو قال لم ينكر ذلك منهم أحد ، وهذا اسناد صحيح.وقال أيضًا: حدثنا اسحق بن ابراهيم الصواف ، ثنا بن كثير ، ثنا ثابت بن عمارة الحنفى قال: سمعت غنيم بن قيس المازنى قال: قرأت القرآن على الحرفين جميعا، والله ما يسرنى أن عثمان لم يكتب المصحف وأنه ولد لكل مسلم كلما أصبح غلام فأصبح له مثل ماله. قال: قلنا له يا أبا العنبر لم؟ قال لو لم يكتب عثمان المصحف لطفق الناس يقرءون الشعر.وحدثنا يعقوب بن سفيان حدثنا محمدبن عبدالله - حدثنى عمران بن حدير عن أبى مجلز قال: لولا أن عثمان كتب القران لألفيت الناس يقرءون الشعر.

وحدثنا أحمد بن سنان ، سمعت ابن مهدى يقول: خصلتان لعثمان بن عفان ليستا لأبى بكر ولالعمر: صبره نفسه حتى قتل مظلوما، وجمعه الناس على المصحف .وأما عبدالله بن مسعود رضى الله عنه، فقد قال إسرائيل عن أبى إسحاق

عن حميد بن مالك قال: لما أمر بالمصاحف- يعنى بتحريقها- ساء ذلك عبدالله بن مسعود وقال: من استطاع منكم أن يغل مصحفا فليغلل، فإنه من غل شيئًا جاء بما غل يوم القيامة، ثم قال عبدالله: لقد قرأت القرآن من في رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين سورة وزيد صبى، أفأترك ما أخذت من فى رسول الله صلى الله عليه وسلم.وقال أبو بكر : ثنا محمد بن عبدالله بن محمد بن النضر ، ثنا سعيد بن سليمان ، ثنا ابن شهاب عن الأعمش عن أبى وائل قال: خطبنا ابن مسعود على المنبر فقال: من يغلل يأت بما غل يوم القيامة، غلوا مصاحفكم، وكيف تأمرونى أن أقرأ على قراءة زيد بن ثابت وقد قرأت القرآن من فى رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعا وسبعين سورة وأن زيد بن ثابت ليأتى مع الغلمان له ذؤابتان، والله ما نزل من القرآن شىء إلا وأنا أعلم فى أى شىء نزل، وما أحد أعلم بكتاب الله منى، وما أنا بخيركم، ولو أعلم مكانا تبلغه الابل أعلم بكتاب الله منى لأتيته قال أبو وائل : فلما نزل عن المنبر جلست فى الخلق، فما أحد ينكر ما قال. أصل هذا مخرج فى الصحيحين، وعندهما: ولقد علم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أنى من أعلمهم بكتاب الله.

وقول أبى وائل : فما أحد ينكرما قال، يعنى من فضله وحفظه وعلمه، والله أعلم، وأما أمره بغل المصاحف وكتمانها فقد أنكره عليه غير واحد.

قال الأعمش عن إبراهيم عن علقمة قال: قدمت الشام فلقيت أبا الدرداء فقال: كنا نعد عبدالله جبانا فما باله يواثب الأمراء؟ وقال أبو بكر بن أبى داود ، باب رضى عبدالله بن مسعود بجمع عثمان المصاحف بعد ذلك.

حدثنا عبدالله بن سعيد و محمد بن عثمان بن حسان العامرى عن فلفلة الجعفى قال: فزعت فيمن فزع إلى عبدالله فى المصاحف، فدخلنا عليه فقال رجل من القوم: انا لم نأتك زائرين، ولكننا جئنا حين راعنا هذا الخبر، فقال: إن القرآن أنزل على نبيكم من سبعة أبواب على سبعة

أحرف- أو حروف- وإن الكتاب قبلكم كان ينزل- أو نزل- من باب واحد على حرف واحد . وهذا الذى استدل به أبو بكر رحمه الله على رجوع ابن مسعود فيه نظرمن جهة أنه لا تظهرمن هذا اللفظ رجوع عما كان يذهب إليه، والله أعلم.
وقال أبو بكر أيضًا: حدثنى عمى، ثنا أبو رجاء ، أنا اسرائيل عن أبى إسحق عن مصعب بن سعد قال: قام عثمان فخطب الناس فقال: أيها الناس عهد نبيكم منذ ثلاث عشرة وأنتم تمترون فى القرآن وتقولون قراءة أبى وقراءة عبدالله ، يقول الرجل: والله ما يقيم قراءتك وأعزم على كل رجل منكم ما كان معه من كتاب الله شىء لما جاء به فكان الرجل يجىء بالورقة والأديم فيه القرآن حتى تجمع من ذلك شىء كثير، ثم دخل عثمان فدعاهم رجلا رجلا فناشدهم: لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أملاه عليك فيقول نعم فلما فرغ من ذلك عثمان قيل من أكتب الناس قال كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت قال فأي الناس أعرب قالوا : سعيد بن العاص ،قال عثمان : فليمل سعيد وليكتب زيد مصاحفا ففرقها - فى الناس، فسمعت بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون: قد أحسن ، إسناد صحيح.
وقال أيضًا: ثنا إسحق بن إبراهيم بن زيد ، ثنا أبو بكر بن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن كثير بن أفلح قال: لما أراد عثمان أن يكتب المصاحف جمع له اثنى عشر رجلا من قريش والأنصار فيهم أبى بن كعب وزيد بن ثابت ، قال: فبعثوا إلى الربعة التى فى بيت عمر فجىء بها، قال: وكان عثمان يتعاهدهم ، فكانوا إذا تدارءوا فى شىء أخروه، قال محمد: فقلت لكثير وكان فيهم فيمن يكتب: هل تدرون لم كانوا يؤخرونه؟ قال: لا، قال محمد: فظننت ظنًا كانوا يؤخرونها لينظروا أحدثهم عهدا بالعرضة الأخيرة فيكتبونها على قوله صحيح أيضًا.
قلت: الربعة هى الكتب المجتمعة، وكانت عند حفصة رضى الله عنها، فلما جمعها عثمان رضى الله عنه في المصحف

ردها إليها ولم يحرقها فى جملة ما حرقه مما سواها لأنها هى بعينها الذى كتبه وانما رتبه، ثم أنه كان قد عاهدها على أن يردها إليها، فمازالت عندها حتى ماتت، ثم أخذها مروان بن الحكم فحرقها وتأول فى ذلك ما تأول عثمان، كما رواه أبو بكر بن أبى داود : حدثنا محمد بن عوف ، ثنا أبو اليمان ، ثنا شعيب عن الزهرى ، أخبرنى سالم بن عبدالله أن مروان كان يرسل إلى حفصة يسألها عن الصحف التى كتب منها القرآن فتأبى حفصة أن تعطيه اياها، قال سالم : فلما توفيت حفصة ورجعنا من دفنها، أرسل مروان بالعزيمة إلى عبدالله ابن عمر ليرسلن إليه بتلك الصحف، فأرسل بها إليه عبدالله بن عمر ، فأمر بها مروان فشققت.وقال مروان : إنما فعلت هذا لأن ما فيها قد كتب وحفظ بالمصحف، فخشيت ان طال بالناس زمان أن يرتاب فى شأن هذه الصحف مرتاب، أو يقول إنه قد كان شىء منها لم يكتب، إسناد صحيح .

وأما ما رواه الزهرى عن خارجة عن أبيه فى شأن آية الأحزاب والحاقهم إياها فى سورتها، فذكره لهذا بعد جمع عثمان فيه نظر، وإنما هذا كان حال جمع الصديق الصحف كما جاء مصرحا به فى غير هذه الرواية عن الزهرى عن عبيد بن السباق عن زيد بن ثابت ، والدليل على ذلك أنه قال فالحقناها فى سورتها من المصحف، وليست هذه الآية ملحقة فى الحاشية في المصاحف العثمانية.

فهذه الأفعال من أكبر القربات التى بادر إليها الأئمة الراشدون: أبوبكروعمر رضى الله عنهما. حفظا على الناس القرآن وجمعاه لئلا يذهب منه شىء و عثمان رضى الله عنه جمع قراءات الناس على مصحف واحد ووضعه على العرضة الأخيرة التي عارض بها جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آخر رمضان من عمره عليه السلام، فإنه عارضه به عامئذ مرتين، ولهذا قال رسول الله لفاطمة ابنته لما مرض: وما أرى ذلك إلا لاقتراب أجلى أخرجاه فى الصحيحين .

وقد روى أن عليا رضى الله عنه أراد أن يجمع القرآن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتبا حسب نزوله أولا فأول، كما رواه ابن أبى داود رحمه الله حيث قال: ثنا محمد بن اسماعيل الأحمسى ، ثنا ابن تفضيل عن أشعث عن محمد ابن سيرين قال: لما توفى النبى صلى الله عليه وسلم أقسم علي أن لا يرتدي برداء إلا لجمعة حتى يجمع القرآن فى مصحف ففعل، فأرسل إليه أبو بكر رضى الله عنه أيام أكرهت إمارتى يا أبا الحسن؟ فقال: لا والله، إلا أنى أقسمت أن لا أرتدى برداء إلا لجمعة، فبايعه ثم رجع .
هكذا رواه وفيه انقطاع. ثم قال لم يذكر المصحف أحد إلا أشعث وهو لين الحديث، وإنما رووا حتى أجمع القرآن، يعنى أتم حفظه، فإنه يقال للذى يجمع القرآن قد جمع قلت وهذا الذى قاله أبو بكر أظهر، والله أعلم، فإن عليا لم ينقل عنه مصحف علىما قيل ولا غيرذلك ولكن قد توجد مصاحف على الوضع العثماني يقال انها بخط علي رضى الله عنه، وفى ذلك نظر فإن فى بعضهم (كتبه علي بن أبى طالب) وهذا لحن من الكلام، وعلي رضى الله عنه من أبعد الناس عن ذلك، فإنه كما هو المشهور عنه هو أول من وضع علم النحو فيما رواه عنه الأسود ظالم بن عمرو الدؤلي ، وأنه قسم الكلام إلى اسم وفعل وحرف، وذكر أشياء أخر تممها أبو الأسود بعده، ثم أخذ الناس عن أبى الاسود فوسعوه ووضحوه، وصار علما مستقلا.
وأما المصاحف العثمانية الأئمة فأشهرها اليوم الذى فى الشام بجامع دمشق عند الركن، شرقى المقصورة المعمورة بذكر الله، وقد كان قديما بمدينة طبرية، ثم نقل منها إلى دمشق فى حدود ثمانى عشرة وخمسمائة، وقد رأيته كتابا عزيزا جليلا عظيمًا ضخمًا بخط حسن مبين قوى بحبر محكم، فى رق أظنه من جلود الإبل، والله أعلم، زاده الله تشريفًا وتعظيمًا وتكريمًا.فأما عثمان رضى الله عنه، فيما يعرف أنه كتب بخطه هذه المصاحف،وإنما كتبها زيد بن ثابت فى أيامه وغيره، فنسبت إلى عثمان لأنها بأمره

واشارته، ثم قرئت على الصحابة بين يدى عثمان، ثم نفذت إلى الآفاق رضى الله عنه.
وقد قال أبو بكر بن أبى داود : ثنا على بن حرب الطائى ثنا قريش بن أنس ، ثنا سليمان التيمى عن أبى نضرة عن أبى سعيد مولى بنى أسيد قال: لما دخل المصريون على عثمان ضربوه بالسيف على يده، فوقعت على فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم فمد يده وقال: والله إنها لأول يدخطت المفصل.وقال أيضًا: ثنا أبو الطاهر ، ثنا ابن وهب قال: سألت مالكا عن مصحف عثمان فقال لى: ذهب، يحتمل أنه سأله عن المصحف الذى كتبه بيده ويحتمل أن يكون سأله عن المصحف الذى تركه فى المدينة، والله أعلم.
قلت: وقد كانت الكتابة فى العرب قليلة جدا، وإنما أول ما تعلموا ذلك ما ذكره هشام بن محمد بن السائب الكلبى وغيره أن بشر ابن عبدالملك أخا أكيدر دومة تعلم الخط من الأنبار، ثم قدم مكة فتزوج الصهباء بنت حرب بن أمية أخت أبى سفيان صخر بن حرب بن أمية، فعلمه حرب بن أمية وابنه سفيان، وتعلمه عمر بن الخطاب من حرب ابن أمية، وتعلمه من عمه سفيان بن حرب ، وقيل: إن أول من تعلمه من الأنبار قوم من طيئ من قرية هناك يقال لها بقة ثم هذبوه ونشروه فى جزيرة العرب، فتعلمه الناس ولهذا قال أبو بكر بن أبى داود : ثنا عبد الله بن محمد الزهرى ، ثنا سفيان عن مجاهد عن الشعبى قال: سألنا المهاجرون: من أين تعلمتم الكتابة؟ قالوا: من أهل الأنبار.قلت: والذى كان يغلب على زمان السلف الكتابة المكتوبة، ثم هذبها أبو على بن مقلة الوزير ، وصار له فى ذلك نهج وأسلوب فى الكتابة، ثم قربها على بن هلال البغدادى المعروف بابن البواب، وسلك الناس وراءه، وطريقته فى ذلك واضحة جيدة.
والغرض أن الكتابة لما كانت فى ذلك الزمان لم تحكم جيدا، وقع فى كتابة المصاحف اختلاف فى وضع الكلمات من حيث صناعة الكتابة لا من حيث المعنى، وصنف الناس فى ذلك.
واعتنى بذلك الإمام أبو بكر بن أبى داود رحمه الله، فبوبا

على ذلك، وذكر قطعة صالحة هى من صناعة القرآن ليست مقصدنا ههنا.
ولهذا نص الإمام مالك على أنه لاتوضع المصاحف إلا على وضع كتابة الامام. ورخص غيره فى ذلك واختلفوا فى الشكل والنقط، فمن مرخص ومن مانع.
فأما كتابة السورة وآياتها والتعشير والأجزاء والأحزاب فكثير من مصاحف زماننا. والأولى اتباع السلف الصالح. ثم قال البخارى

ذكركتاب النبى صلى الله عليه وسلم
وأورد فيه من حديث الزهري ،عن ابن السباق عن زيد بن ثابت أن أبا بكرالصديق قال له: وكنت تكتب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر نحو ما تقدم فى جمعه القرآن وقد تقدم ، وأورد حديث زيد بن ثابت فى نزول لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر ولم يذكر البخارى أحدًا من الكتاب فى هذا الباب سوى زيد بن ثابت وهذا عجب، وكأنه لم يقع له حديث يورده سوى هذا، والله أعلم. وموضع هذا فى كتاب السيرة عند ذكر كتابه عليه الصلاة والسلام .
ثم قال البخارى رحمه الله أنزل القرآن على سبعة أحرف.
حدثنا سعيد بن عفير ، ثنا الليث ، حدثنى عقيل عن ابن شهاب قال حدثنى عبيد الله بن عبدالله أن عبدالله بن عباس حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أقرأنى جبريل عليه السلام على حرف فراجعته، فلم أزل أستزيده ويزيدنى حتى انتهى إلى سبعة أحرف
وقد رواه أيضًا فى بدء الخلق، ومسلم من حديث يونس ، ومسلم أيضًا عن معمر ، كلاهما عن الزهرى بنحوه، ورواه ابن جرير من حديث الزهرى به، ثم قال الزهرى : بلغنى أن تلك السبعة الأحرف إنما هى فى الأمر الذي يكون واحدا لا يختلف فى حلال ولا فى حرام، وهذا مبسوط فى الحديث الذى رواه الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام حيث قال:

حدثنا يزيد ويحيى بن سعيد ، كلاهما عن حميد الطويل عن أنس بن مالك عن أبى بن كعب قال: ما حك فى صدرى شىء منذ أسلمت، إلا أننى قرأت آية وقرأها آخر غير قراءتى، فقلت: أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أقرأتنى آية كذا وكذا؟ قال: نعم. وقال الآخر: أليس تقرئنى آية كذا وكذا قال: نعم فقال:إن جبريل وميكائيل أتيانى فقعد جبريل عن يمينى وميكائيل عن يسارى، فقال جبريل: أقرأ القرآن على حرف، فقال ميكائيل: استزده حتى بلغ سبعة أحرف، وكل حرف كاف شاف .

وقد رواه النسائى من حديث يزيد - وهو ابن هارون- ويحيى بن سعيد القطان ، كلاهما عن حميد الطويل عن أنس عن أبى بن كعب بنحوه وكذا رواه ابن أبى عدى ومحمود بن ميمون الزعفراني ويحيى بن أيوب كلهم عن حميد به. وقال ابن جرير ثنا محمد بن مرزوق ،ثنا أبو الوليد ، ثنا حماد بن سلمة بن حميد عن أنس بن عبادة بن الصامت عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنزل القرآن على سبعة أحرف فأدخل بينهما عبادة بن الصامت وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله:
ثنا يحيى بن سعيد عن إسماعيل بن أبى خالد ، حدثنى عبدالله بن عيسى عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن أبى بن كعب ، قال: كنت فى المسجد، فدخل رجل فقرأ قراءة أنكرتها عليه، ثم دخل آخرفقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه، فقمنا جميعا فدخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه، ثم دخل هذا فقرأ سوى قراءة صاحبه، فقال لهما النبى صلى الله عليه وسلم: اقرءا- فقرءا- فقال- أصبتما فلما قال لهما النبي صلى الله عليه وسلم الذى قال، كبر على ولا إذا كنت فى الجاهلية، فلما رأى الذي غشينى ضرب فى صدرى، ففضت عرقا. وكأنما أنظر إلى الله فرقا، فقال:يا أبى إن الله أرسل إلى أن اقرأ القران على حرف، فرددت إليه أن

هون على أمتى، فأرسل إلى أن أقرأ على حرفين، فرددت
إليه أن هون على أمتى ، فأرسل أن أقرأه على سبعة
أحرف، ولك بكل ردة مسألة تسألينها- قال- قلت: اللهم
اغفر لأمتى، اللهم اغفر لأمتى ، وأخرت الثالثة ليوم يرغب
إلي فيه الخلق حتى إبراهيم عليه السلام . وهكذا رواه
مسلم من حديث إسماعيل بن أبى خالد به.
وقال ابن جرير : حدثنا أبو كريب ، ثنا محمد بن تفضيل عن
اسماعيل بن أبى خالد ، عن عبد الله بن عيسى بن عبد
الرحمن بن أبى ليلى عن أبيه عن جده، عن أبى بن كعب
قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
إن الله أمرنى أن اقرأ القرآن على حرف واحد، فقلت: رب
خفف عن أمتى، فقال: اقرأه على حرفين، فقلت: رب
خفف عن أمتى، فأمرنى أن أقرأه على سبعة أحرف من
سبعة أبواب الجنة، كلها شاف كاف .
وقال ابن جرير :حدثنى يونس عن ابن وهب ، أخبرنى هشام
بن سعد عن عبيد الله ابن عمر ، عن عبد الرحمن بن أبى
ليلى عن أبى بن كعب أنه قال: سمعت رجلا يقرأ فى سورة
النحل قراءة تخالف قراءتى ، ثم سمعت آخر يقرؤها بخلاف
ذلك، فانطلقت بهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقلت: إنى سمعت هذين يقرآن فى سورة النحل، فسألتهما
من أقرأهما؟ فقالا: رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت:
لأذهبن بكما إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ
خالفتما ما أقرأنى رسول الله، فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لأحدهما: أقرأ- فقرأ فقال- أحسنت- ثم قال
للآخر اقرأ- فقرأ- فقال- أحسنت قال أبى: فوجدت فى
نفسى وسوسة الشيطان حتى احمر وجهى ، فعرف ذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وجهى، فضرب يده
فى صدرى ، ثم قال: اللهم أخسىء الشيطان عنه، يا أبى
أتانى آت من ربى فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على
حرف واحد، فقلت: رب خفف عن أمتى، ثم أتانى الثانية
فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على حرفين، فقلت:

رب خفف عن أمتى، ثم أتانى الثالثة فقال مثل ذلك، وقلت مثل ذلك، ثم أتانى الرابعة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف ولك بكل ردة مسألة- فقال- يارب اللهم اغفر لأمتى، يارب اغفر لأمتى، واختبأت الثالثة شفاعة لأمتى يوم القيامة اسناد صحيح.

قلت: وهذا الشك الذى حصل لأبى فى تلك الساعة هو- والله أعلم- السبب الذى لأجله قرأ عليه رسول الله قراءة اعلام وابلاغ ودواء لما كان حصل له سورة لم يكن إلى آخرها لاشتمالها على قوله تعالى
رسول من الله يتلو صحفا مطهرة * فيها كتب قيمة ، وهذا نظير تلاوته سورة الفتح حين أنزلت مرجعه من الحديبية على عمر بن الخطاب ، وذلك لما كان تقدم له من الأسئلة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأبى بكر الصديق، وفيها قوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين .وقال ابن جرير :
ثنا محمد بن مثنى ، ثنا محمد بن جعفر ، ثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد عن ابن أبى ليلى عن أبى بن كعب أن رسول الله كان عند أضاة بنى غفار، فأتاه جبريل فقال: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرف، قال: أسأل الله معافاته ومغفرته فإن أمتى لا تطيق ذلك، قال: ثم أتاه الثانية فقال: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرفين، قال: أسأل الله معافاته ومغفرته ان أمتى، لا تطيق ذلك، ثم جاءه الثالثة فقال: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف، قال : أسأل الله معافاته ومغفرته، إن أمتى لا تطيق ذلك، ثم جاءه الرابعة فقال: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على سبعة أحرف فأيما حرف قرءوا عليه فقد أصابوا .

وأخرجه مسلم و أبو داود والنسائى من رواية شعبة به.

وفى لفظ لأبى داود عن أبى بن كعب قال: قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إنى اقرئت القرآن، فقيل: على حرف أو حرفين؟ فقال الملك الذى معى: قل على حرفين، فقيل

لى: على حرفين أو ثلاثة؟ فقال الملك الذى معى: قل على ثلاثة حتى بلغ سبعة أحرف، ثم قال: ليس منها الا شاف كاف ان قلت سميعا عليما عزيزا حكيما ما لم تخلط آية عذاب برحمة أو آية رحمة بعذاب .
وقد روى ثابت بن قاسم نحوا من هذا عن أبى هريرة عن النبي صلى اله عليه وسلم ومن كلام ابن مسعود نحو ذلك.
وقال الإمام أحمد :حدثنا حسين بن على الجعفى عن زائدة عن عاصم ، عن زر عن أبى قال: لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عند أحجار المرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل:
إنى بعثت إلى أمة أميين، فيهم الشيخ (الفاني) والعجوز الكبيرة والغلام، فقال: مرهم فليقرءوا القرآن على سبعة أحرف .وأخرجه الترمذى من حديث عاصم بن أبى النجود عن زر عن حذيفة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقى جبريل عند احجار المرا، فذكر الحديث، والله أعلم، وهكذا رواه أحمد عن خالد عن حماد عن عاصم عن زر ، عن حذيفة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لقيت جبريل عندأحجار المرا فقلت يا جبريل انى أرسلت أمة أمية، الرجل والمرأة والغلام والجارية والشيخ (الفانى)الذي لم يقرأ كتابا قط، فقال: إن القرآن أنزل على سبعة أحرف
وقال أحمد أيضًا:ثنا وكيع وعبد الرحمن عن سفيان عن إبراهيم بن مهاجر عن ربعي ابن خراش قال: حدثنى من لم يكذبنى- حذيفة- قال: لقى النبى صلى الله عليه وسلم عند أحجار المرا فقال:ان أمتك يقرءون القرآن على سبعة أحرف، فمن قرأ منهم فليقرأ كما علم ولا يرجع عنه . وقال عبد الرحمن : إن من أمتك الضعيف فمن قرأعلى حرف فلا يتحول عنه إلى غيره رغبة عنه هذا إسناد صحيح ولم يخرجوه.
(حديث آخر) فى معناه عن سليمان بن صرد : قال ابن جرير :ثنا إسماعيل بن موسى السدى ، ثنا شريك عن أبى إسحاق ، عن سليمان بن صرد يرفعه قال:

أتانى ملكان فقال أحدهما: اقرأ، قال: على كم؟ قال: على حرف، قال: زده، حتى انتهى إلى سبعة أحرف
ورواه النسائى فى اليوم والليلة عن عبد الرحمن بن محمد بن سلام ، عن اسحاق الأزرق عن العوام بن حوشب ، عن أبى إسحاق عن سليمان ابن صرد ، قال: أتىأبى ابن كعب رسول الله صلى الله عليه وسلم برجلين اختلفا فى القراءة، فذكر الحديث .
وهكذا رواه أحمد بن منيع عن يزيد بن هارون عن العوام ، عن أبى اسحاق ، عن سليمان بن صرد ، عن أبى أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم برجلين، فذكره.
وقال ابن جرير :ثنا أبو كريب ، ثنا يحيي بن آدم، ثنا إسرائيل عن أبى إسحاق عن فلان العبدى - قال ابن جرير : ذهب عنى اسمه- عن سليمان بن صرد عن أبى بن كعب ، قال : رحت إلى المسجد فسمعت رجلا يقرأ، فقلت: من أقرأك؟ قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانطلقت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: استقرىء هذا، قال: فقرأ، فقال: أحسنت قال: قلت: إنك اقرأتنى كذا وكذا فقال: وأنت قد أحسنت. قال: فقلت: قد أحسنت قد أحسنت قال: فضرب بيده على صدرى ثم قال: اللهم أذهب عن أبى الشك قال: ففضت عرقا، وامتلأ جوفى فرقًا، قال الآخر: زده، قال: قلت زدنى، فقال: اقرأه على حرفين، حتى بلغ سبعة أحرف، اقرأه على سبعة أحرف .
وقد رواه أبو عبيد عن حجاج عن إسرائيل، عن أبى اسحاق عن سقير العبدى عن سليمان بن صرد ، عن أبي عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحو ذلك .
ورواه أبو داوود عن أبى الوليد الطيالسى عن همام عن قتادة ، عن يحيى بن عمر عن سليمان بن صرد ، عن أبى بن كعب بنحوه.
فهذا الحديث محفوظ من حيث الجملة عن أبى ابن كعب ، والظاهر أن سليمان بن صرد الخزاعى شاهد ذلك والله أعلم.

(حديث آخر عن أبى بكرة)- قال الإمام أحمد :ثنا عبد الرحمن عفان بن مهدى عن حماد بن سلمة عن على بن زيد عن عبد الرحمن ابن أبى بكرة عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أتانى جبريل وميكائيل عليهما السلام، فقال جبريل: اقرأ القرآن على حرف واحد، فقال ميكائيل: استزده، قال: اقرأ القرآن على سبعة أحرف، كلها شاف كاف، ما لم تختم آية رحمة بعذاب، أو آية عذاب برحمة. وهكذا رواه ابن جرير عن أبى كريب عن زيد بن الحباب عن حماد بن سلمة به، وزاد فى آخره كقولك: هلم وتعال .

(حديث آخر عن سمرة)- قال الإمام أحمد :ثنا بهز - وعفان ، كلاهما عن حماد بن سلمة ، أنا قتادة عن الحسن عن سمرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أنزل القرآن على سبعة أحرف إسناد صحيح، ولم يخرجوه.(حديث آخر عن أبى هريرة)- قال الإمام أحمد :

ثنا أنس بن عياض ، حدثنى أبو حازم عن أبى سلمة لا أعلمه إلا عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

نزل القرآن على سبعة أحرف، المراء فى القرآن كفر- ثلاث مرات- فما علمتم منه فاعملوا وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه . رواه النسائى عن قتيبة عن أبي ضمرة أنس بن عياض به.

(حديث آخر عن أم أيوب)- قال الإمام أحمد :حدثنا سفيان عن عبيد الله - وهو ابن أبى يزيد - عن أبيه عن أم أيوب- يعنى امرأة أبى أيوب الأنصارية - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

أنزل القرآن على سبعة أحرف أيها قرأت أجزاك .

وهذا إسناد صحيح، ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة.

(حديث آخر عن أبى جهم)- قال أبوعبيد :ثنا إسماعيل بن جعفر عن يزيد ابن خصيفة عن مسلم بن سعيد . مولى الحضرمى- وقال غيره عن بسر بن سعيد - عن أبى جهم

الأنصارى أن رجلين اختلفا فى آية من القرآن، كلاهما يزعم أنه تلقاها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فمشيا جميعا حتى أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر أبو جهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فلا تماروا، فإن مراء فيه كفر .
وهكذا رواه أبو عبيد على الشك، وقد رواه الإمام أحمد على الصواب فقال: حدثنا أبو سلمة الخزاعى ، ثنا سليمان بن بلال ، حدثنى يزيد بن خصيفة أخبرني بسر بن سعيد حدثنى أبو جهم أن رجلين اختلفا فى آية من القرآن قال هذا: تلقيتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال هذا: تلقيتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألا النبي صلى الله عليه وسلم فقال:القرآن يقرأ على سبعة أحرف، فلا تماروا فى القرآن، فإن مراء في القرآن كفر . وهذا إسناد صحيح أيضًا، ولم يخرجوه.
ثم قال أبو عبيد :ثنا عبد بن صالح عن الليث عن يزيد بن الهاد ، عن محمد بن ابراهيم عن بسر بن سعيد ، عن أبى قيس مولى عمرو بن العاص أن رجلا قرأ آية من القرآن فقال عمرو- يعنى بن العاص -: إنما هى كذا وكذا بغير ما قرأ الرجل، فقال الرجل: هكذا أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتياه فذكرا ذلك له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن هذا القرآن نزل على سبعة أحرف، فأى ذلك قرأتم أصبتم، فلا تماروا فى القرآن فإن مراء فيه كفر .
ورواه الإمام أحمد عن أبى سلمة الخزاعى عن عبدالله بن جعفر عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة ، عن يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد عن بسر بن سعيد عن أبى قيس مولى عمرو بن العاص به نحوه، فإن المراء فيه كفر إنه الكفر به .
وهذا أيضًا جيد.(حديث آخرعن ابن مسعود)- قال ابن جرير : ثنا يونس بن عبد الأعلى أنا ابن وهب ، أخبرنى حيوة بن

شريح عقيل بن خالد عن سلمة بن عبد الرحمن عن أبيه، عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: كان الكتاب الأول نزل من باب واحد وعلى حرف ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف: زاجر وآمر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال، فأحلوا حلاله وحرموا حرامه، وافعلوا ما أمرتم به، وانتهوا عما نهيتم عنه،واعتبروا بأمثاله، واعملوا بمحكمه، وآمنوا بمتشابهه ، وقولوا:آمنا به كل من عند ربنا .
ثم رواه عن أبى كريب عن المحاربى عن ضمرة بن حبيب عن القاسم بن عبد الرحمن ، عن ابن مسعود من كلامه وهو أشبه ، والله أعلم.

فصل

قال أبو عبيد : قد تواترت هذه الأحاديث كلها على الأحرف السبعة الا حديثاً واحدًا يروى عن سمرة) (ما) حدثنى عفان عن حماد بن سلمة عن قتادة ، عن الحسن عن سمرة بن جندب عن النبى صلى الله عليه وسلم قال:
نزل القرآن على ثلاثة أحرف
قال أبو عبيد : ولا نرى المحفوظ إلا السبعة لأنهاالمشهورة وليس معنى تلك(السبعة)، أن يكون الحرف الواحد يقرأ على سبعة أوجه وهذا شيءغير موجود، ولكنه عندنا أنه نزل على

سبع لغات متفرقة في جميع القرآن من لغات العرب، فيكون الحرف الواحد منها بلغة قبيلة أخرى والثانى بلغة أخرى سوى الأولى، والثالثة بلغة أخرى سواهما كذلك إلى السبعة وبعض الأحياء أسعد بها وأكثر حظا فيها من بعض، وذلك بين فى أحاديث تترى.
قال: وقد روى الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس قال نزل القرآن على سبع لغات منها خمس بلغة العجرمن هوازن،قال أبوعبيد والعجر هم بنوا أسعد بن بكر وخيثم بن بكرونصر بن معاوية وثقيف وهم علياء هوازن الذين قال أبو عمرو بن العلاء أفصح العرب علياء هوازن وسفلى تميم

يعنى بنى دارم، ولهذا قال عمر : لا يملى فى مصاحفنا إلا غلمان قريش أو ثقيف، قال ابن جرير : واللغتان الآخرتان قريش وخزاعه رواه قتادة عن ابن عباس ولكن لم يلقه.
قال أبوعبيد :ثنا هشيم عن حصين بن عبد الرحمن عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس أنه كان يسئل عن القرآن فينشد فيه الشعر.
قال أبوعبيد : يعنى أنه كان يستشهد به على التفسير.
وحدثنا هشيم عن أبى بشر عن سعيد أو مجاهد عن ابن عباس فى قوله: والليل وما وسق قال: ما جمع أنشد: قد اتسقن لو يجدن سائقا.
حدثنا هشيم : أنا حصين عن عكرمة ، عن ابن عباس فى قوله تعالى فإذا هم بالساهرة قال: الأرض، قال: وقال ابن عباس : قال أمية بن أبى الصلت .
عندهم لحم بحر ولحم ساهرة.
حدثنا يحيى بن سعيد عن سفيان عن ابراهيم بن مهاجر عن ابن عباس قال: كنت لا أدرى ما فاطر السموات والأرض؟ حتى أتاني أعرابيان يختصمان فى بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها، أنا ابتدأتها إسناد جيد أيضًا.
وقال الإمام أبو جعفر بن جرير الطبرى رحمه الله بعد ما أورد طرفا مما تقدم: وصح وثبت أن الذى نزل به القرآن من ألسن العرب البعض منها دون الجمع، إذ كان معلوما أن ألسنتها ولغاتها أكثر من سبع بما يعجز عن إحصائه.
ثم قال: وما برهانك على ما قلته دون أن يكون معناه ما قاله مخالفوك من أنه نزل بأمر وزجر وترغيب وترهيب وقصص ومثل، ونحو ذلك من الأقوال فقد علمت قائل ذلك عن سلف الأئمة وخيار الأئمة؟ قيل له: إن الذين قالوا ذلك لم يدعوا أن تأويل الأخبار التى تقدم ذكرها هو ما زعمت أنهم قالوه فى الأحرف السبعة التى نزل بهاالقرآن دون غيره،فيكون ذلك لقولنا مخالفا، وإنما أخبروا أن القرآن نزل على سبعة أحرف يعنون بذلك أنه نزل على سبعة أوجه،والذى قالوا من ذلك كما قالوا، وقد روينا

بمثل الذى قالوا من ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن جماعة من الصحابة من أنه نزل من سبعة أبواب الجنة كما تقدم . يعنى كما تقدم فى رواية أبى بن كعب وعبدالله بن مسعود أن القرآن نزل من سبعة أبواب الجنة.

قال ابن جرير : والأبواب السبعة من الجنة هى المعانى التى فيها من الأمر والنهى، والترغيب والترهيب، والقصص والمثل، التى إذا عمل بها العامل وانتهى إلى حدودها المنتهى استوجب به الجنة. ثم بسط القول فى هذا بما حاصله أن الشارع رخص للأمة التلاوة على سبعة أحرف. ثم لما رأى الامام أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه إختلاف الناس فى القراءة، وخاف من تفرق كلمتهم جمعهم على حرف واحد، وهو هذا المصحف الإمام. قال: واستوسقت له الأمة على ذلك، بل أطاعت ورأت أن فيما فعله الرشد والهداية، وتركت القراءة بالأحرف الستة. التى عزم عليها إمامها العادل فى تركها طاعة منها له، ونظرا منها لأنفسها ولمن بعدها من سائر أهل ملتها، حتى درست من الأمة معرفتها، وانعفت آثارها. فلا سبيل اليوم لأحد إلى القراءة بها، لدثورها وعفو آثارها- إلى أن قال: فإن قال من ضعفت معرفته: وكيف جاز لهم ترك قراءة أقرأهموها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرهم بقراءتها؟ قيل ان أمره أياهم بذلك لم يكن أمر إيجاب وفرض، وإنما إباحة ورخصة، لأن القراءة بها لو كانت فرضا عليهم لوجب أن يكون العمل بكل حرف من تلك الأحرف السبعة عند من تقوم بنقله الحجة، ويقطع خبره العذر ويزيل الشك من قراءة الأمة. وفى تركهم نقل ذلك في كذلك أوضح دليل على أنهم كانوا فى القراءة بها مخيرين- إلى أن قال- فأما ما كان ممن اختلاف القراءة فى رفع حرف ونصبه وجره، وتسكين حرف وتحريكه، ونقل حرف إلى آخر مع اتفاق الصورة، فعن معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقرأ القرآن على سبعة أحرف بمعزل، لأن المراء فى

مثل هذا ليس بكفر فى قول أحد من علماء الأمة. وقد أوجب صلى الله عليه وسلم بالمراء فى الأحرف السبعة الكفر كما تقدم .

الحديث الثانى

قال البخارى رحمه الله:

ثنا سعيد بن عفير ، ثنا الليث ، حدثنى عقيل عن ابن شهاب قال: أخبرنى عروة بن الزبير أن المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن عبد القارى حدثاه أنهما سمعا عمر بن الخطاب يقول: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكدت أساوره فى الصلاة. فتصبرت حتى سلم فلببته بردائه، فقلت: من أقرأك هذه السورة التى سمعتك تقرأ؟ قال: اقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: كذبت، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أقرأنيها على غير ما قرأت، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: إنى سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أرسله .

اقرأ يا هشام فقرأ عليه القراءة التى سمعته يقرأ، فقال صلى الله عليه وسلم: كذلك أنزلت ثم قال: اقرأ يا عمر فقرأت القراءة التى أقرأنى، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كذلك أنزلت، إن القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ماتيسر منه .

وقد رواه الإمام أحمد والبخارى أيضًا ومسلم وأبوداود والنسائى والترمذى من طرق عن الزهرى ، ورواه الإمام أحمد أيضًا عن ابن مهدى عن مالك عن الزهرى عن عروة عن عبدالرحمن بن عبد (القارئ) عن عمر ، فذكر الحديث بنحوه.

وقد قال الإمام أحمد :

ثنا عبد الصمد ، ثنا حرب بن ثابت ، ثنا إسحاق بن عبد الله

ابن أبى طلحة عن أبيه عن جده قال: قرأ رجل عند عمر فغير عليه، فقال: قرأت على رسول الله فلم يغير على، قال: فاجتمعنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ الرجل على النبى صلى الله عليه وسلم فقال له: قد أحسنت قال: فكأن عمر وجد من ذلك، فقال رسول ال صلى الله عليه وسلم له يا عمر إن القرآن كله صواب ما لم يجعل عذاب مغفرة، ومغفرة عذابا وهذا إسناد حسن. و حرب بن ثابت هذا يكنى بأبى ثابت لانعرف أحدا جرحه.

أقوال العلماء فى معنى السبعة الأحرف

وقد إختلف العلماء فى معنى هذه السبعة الأحرف وما أريد منها على أقوال. قال أبو عبدالله محمد بن أبى بكر بن فرح الأنصارى القرطبى المالكى فى مقدمات تفسيره: وقد اختلف العلماء فى المراد بالأحرف السبعة على خمسة وثلاثين قولاً ذكرها أبو حاتم محمد بن حبان البستى ، ونحن نذكر منها خمسة أقوال.

قلت: ثم سردها القرطبى وحاصلها ما أنا مورده ملخصا:
(الأول) وهو قول أكثرأهل العلم منهم سفيان بن عيينة وعبدالله ابن وهب وأبو جعفر محمد بن جرير والطحاوى : أن المراد سبعة أوجه من المعانى المتقاربة بألفاظ مختلفة نحو أقبل وتعال وهلم. وقال الطحاوى : وأبين ما ذكرفى ذلك حديث أبى بكرة قال: جاء جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: اقرأ على حرف، فقال ميكائيل: استزده، فقال: اقرأ على حرفين، فقال ميكائيل: استزده. حتى بلغ سبعة أحرف فقال: اقرأ فكل كاف شاف إلا أن تخلط آية رحمة بآية عذاب، أو آية عذاب بآية رحمة، نحو هلم وتعال وأقبل واذهب وأسرع وعجل.
وروى ورقاء عن أبى نجيح عن مجاهد عن ابن عباس عن أبى بن كعب أنه كان يقرأ يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم : للذين أمنوا أمهلونا، للذين آمنواأخرونا، للذين آمنوا أرقبونا، وكان يقرأ كلما أضاء

لهم مشوا فيه : مروا فيه، سعوا فيه، قال الطحاوى وغيره:
وإنما كان ذلك رخصة أن يقرأ الناس القرآن على سبع لغات، وذلك لما كان يتعسر على كثير من الناس التلاوة على لغة قريش وقراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم لعدم علمهم بالكتابة والضبط واتقان الحفظ، وقد ادعى الطحاوى والقاضى والباقلانى والشيخ أبو عمر بن عبد البر أن ذلك كان رخصة فى أول الأمر، ثم نسح بزوال العذر وتيسير الحفظ وكثرة الضبط وتعلم الكتابة.
قلت: وقال بعضهم: إنما كان الذى جمعهم على قراءة واحدة أمير المؤمنين عثمان بن عفان أحد الخلفاء الراشدين المهديين المأمور بإتباعهم وإنما جمعهم عليها لما رأى من اختلافهم فى القراءة المفضية إلى تفرق الأمه وتكفير بعضهم بعضا. فرتب لهم المصاحف الأئمة على العرضة الأخير التى عارض بها جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آخر رمضان كان من عمره علمه السلام وعزم عليهم أن لايقرءوا بغيرها. وأن لا يتعاطوا الرخصة التى كانت لهم فيها سعة. ولكنها أدت إلى الاختلاف والفرقة، كما ألزم عمر بن الخطاب الناس بالطلاق الثلاث المجموعة حتى تتابعوا فيها وأكثروا منها قال: فلو أنا أمضيناه عليهم، وأمضاه عليهم، وكذلك كان ينهى عن المتعه فى أشهر الحج لئلا تقطع زيارة البيت فى غير أشهر الحج. وقد كان أبو موسى يبيح التمتع، فترك فتياه اتباعًا لأمير المؤمنين وسمعًا وطاعة للأئمة المهديين.
(القول الثانى)- أن القرآن نزل على سبعة أحرف، وليس المراد أن جميعه يقرأ على سبعة أحرف، ولكن بعضه على حرف وبعضه على حرف آخر، قال الخطابى : وقد يقرأ بعضه بالسبع لغات كما فى قوله
وعبد الطاغوت ، و يرتع ويلعب قال القرطبى : ذهب إلى هذا القول أبو عبيد ، واختاره ابن عطية قال أبو عبيد :
وبعض اللغات أسعد به من بعض، وقال القاضى الباقلانى :
ومعنى قول عثمان إنه نزل بلسان قريش أى معظمه، ولم

يقم دليل على أن جميعه بلغة قريش كله، قال الله تعالى: قرآنا عربياً ولم يقل قرشيا، قال: واسم العرب يتناول جميع القبائل تناولاً واحداً يعنى حجازها ويمنها، وكذا قال الشيخ أبو عمر بن عبد البر ، قال: لأن لغة غير قريش موجودة فى صحيح القراءات كتحقيق الهمزات، فإن قريشا لا تهمز، وقال ابن عطية : قال ابن عباس : ما كنت أدرى معنى فاطر السماوات والأرض حتى سمعت أعرابيا يقول لبئرابتدأ حفرها: أنا فطرتها.

(القول الثالث)- إن لغات القرآن السبع منحصرة فى مضر على اختلاف قبائله خاصة، لقول عثمان أن القرآن نزل بلغة قريش، وقريش هم بنو النضر ابن الحارث على الصحيح من أقوال أهل النسب، كما ينطق به الحديث فى سنن ابن ماجه وغيره .

(القول الرابع)- وحكاه الباقلانى عن بعض العلماء أن وجوه القراءات ترجع إلى سبعة أشياء منها ما لاتتغيرحركته ولاتتغيرصورته ولا معناه، مثل (ويضيق صدرى) ويضيق ومنها ما لا تتغيرصورته ويختلف معناه، مثل (فقالوا ربنا باعد- وباعد- بين أسفارنا) وقد يكون الاختلاف فى الصورة والمعنى بالحرف، مثل ننشزها وننشرها أوبالكلمة مع بقاء المعنى مثل (كالعهن المنفوش- أو- كالصوف المنقوش) أو باختلاف الكلمة وإختلاف المعانى، مثل (وطلح منضود- وطلع منضود) أو بالتقدم والتأخر: مثل (وجاءت سكرة الموت بالحق- أو - سكرة الحق بالموت) أو بالزيادة، مثل (تسع وتسعون نعجة- أنثى- وأما الغلام فكان كافرأوكان أبواه مؤمنين- فإن الله بعد اكراههن لهن غفور رحيم).

(القول الخامس)- أن المراد بالأحرف السبعة معانى القرآن، وهى أمر، ونهى ووعد، ووعيد، وقصص، ومجادلة، وأمثال، قال ابن عطية: وهذا ضعيف لأن هذه لاتسمى. حروفا، وأيضا فالاجماع أن التوسعة لم تقع فى تحليل حلال، ولا فى تغييرشىء من المعانى، وقد أورد القاضى الباقلانى فى هذا حديثا، ثم قال: وليست هذه هى التى أجاز لهم القراءة بها.

فصل
قال القرطبى : قال كثير من علمائنا كالداودى وابن أبى صفرة وغيرهما: هذه القراءات السبع ليست هى الأحرف السبعة التى اتسعت الصحابة فى القراءة بها، وإنما هى راجعة إلى حرف واحد من السبعة وهو الذى جمع عليه عثمان المصحف، ذكره ابن النحاس وغيره، قال القرطبى : وقد سوغ كل واحد من القراء السبعة قراءة الآخر وأجازها. وإنما اختار القراءة المنسوبة إلية لأنه رآها أحسن وأولى عنده، قال:ولقد أجمع المسلمون فى هذه الأمصار على الاعتماد على ما صح عن هؤلاء الأئمة فيما رووه ورأوه من القراءات، وكتبوا فى ذلك مصنفات،واستمر الاجماع على الصواب، وحصل ما وعد الله من حفظه الكتاب.

تأليف القرآن

قال البخاري رحمه الله:حدثنا ابراهيم بن موسى ، أنا هشام بن يوسف أن ابن جريج أخبرهم قال وأخبروني يوسف بن ماهك قال: إنى عند عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها اذ جاءها عراقى فقال: أى الكفن خير؟ قالت ويحك ما يضرك؟ قال ياأم المؤمنين أرينى مصحفك، فقالت: لم؟ قال: لعلى أولف القرآن عليه فإنه يقرأ غير مؤلف، قالت: وما يضرك أية قرأت قبل؟ إنما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا ثاب الناس الى الاسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شىء نزل: لا تشربوا لقالوا لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل لا تزنوا، لقالوا لاندع الزنا أبدًا.لقد نزل بمكة على محمد صلى الله عليه وسلم وإنى لجارية ألعب بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وانا عنده، قال:فأخرجت له المصحف فأملت عليه آى السور.
والمراد من التأليف ههنا- ترتيب سوره، وهذا العراقي سأل أولا عن أي الكفن خير أو أفضل، فأخبرته عائشة رضى الله عنها أن هذا مما لا ينبغى أن يعتنى بالسؤال عنه ولا القصد

له ولا الاستعداد، فإن فى هذا تكلفا لاطائل تحته، وكانوا فى ذلك الزمان يصفون أهل العراق بالتعنت
فى الاسئلة، كما سأل بعضهم عبدالله بن عمر عن دم البعوض يصيب الثوب، فقال ابن عمر : انظروا إلى أهل العراق يسألون عن دم البعوض وقد قتلوا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا لم تبالغ معه عائشة رضى الله عنها فى الكلام لئلا يظن أن ذلك أمر مهم، وإلا فقد روى أحمد وأهل السنن من حديث سمرة وابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: البسوا من ثيابكم البياض، وكفنوا فيها موتاكم، فإنها أطهر وأطيب وصححه الترمذى من الوجهين، وفى الصحيحين عن عائشة أنها قالت: كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثلاثة أثواب بيض سحولية ليس فيها قميص ولا عمامة ، وهذا محرر 1فى باب الكفن من كتاب الجنائز. ثم سألها عن ترتيب القرآن، فانتقل إلى سؤال كبير، وأخبرها أنه يقرأ غير مؤلف أى مرتب السور، وكأن هذا قبل أن يبعث أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه إلى الآفاق بالمصاحف الائمة المؤلفة على هذا الترتيب المشهور اليوم وقبل الالزام به، والله أعلم ، ولهذا أخبرته أنه لا يضرك بأى سورة بدأت، وأن أول سورة نزلت فيها ذكر الجنة والنار وهذه إن لم تكن (اقرأ) فقد يحتمل أنها أرادت اسم جنس لسور المفصل التى فيها الوعد والوعيد. ثم لما انقاد الناس إلى التصديق أمروا ونهوا بالتدريج أولا فأولا، وهذا من حكمة الله ورحمته، ومعنى هذا الكلام أن هذه السورة أو السور التى فيها ذكر الجنة والنار ليست البداءة بها فى أوائل المصاحف مع أنها من أول ما نزلت، وهذه البقرة والنساء من أوائل ما فى المصحف وقد نزلت عليه فى المدينة وأنا عنده.
فأما ترتيب الآيات فى السور، فليس فى ذلك رخصة بل هو أمر توقيعى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم تقرير ذلك، ولهذا لم ترخص له فى ذلك، بل أخرجت له مصحفها فأملت عليه أى السور، والله أعلم، وقول عائشة:

لا يضرك بأى سورة بدأت يدل على أنه لو قدم بعض السور
أو كما يدل عليه حديث حذيفة وهو فى الصحيح أخرعليه
السلام قرأ فى قيام الليل البقرة ثم النساء ثم آل عمران .
وقد حكى القرطبى عن أبى بكر بن الأتبارى فى كتاب الرد
أنه
قال: فمن آخر سورة مقدمة أو قدم أخرى مؤخرة كمن
أفسد نظم الايات، وغير الحروف والكلمات ، وكان مستنده
اتباع مصحف عثمان رضى الله عنه، فإنه مرتب على هذا
النحو المشهور.
والظاهر أن ترتيب السور منه ما هو راجع إلى رأى عثمان
رضى الله عنه، وذلك ظاهر فى سؤال ابن عباس له عن
ترك البسلمة فى أول براءة وذكره الأنفال من الطول ،
والحديث فى الترمذى وغيره بإسناد جيد قوى.
وقد ذكرنا عن على أنه كان قد عزم على ترتيب القرآن
بحسب نزوله ولهذا حكى القاضى الباقلانى أن أول مصحفه
كان اقرأ باسم ربك الأكرم وأول مصحف ابن مسعود مالك
يوم الدين ثم البقرة ثم النساء على ترتيب مختلف، وأول
مصحف أبى الحمد لله ثم النساء ثم آل عمران ثم الأنعام ثم
المائدة ثم كذا على اختلاف شديد.
ثم قال القاضى : ويحتمل أن ترتيب السور فى المصحف
على ماهو عليه اليوم من اجتهاد الصحابة رضى الله عنهم.
وكذا ذكر مكى فى تفسير سورة براءة، قال: فأما ترتيب
الآيات والبسملة فى الأوائل فهو من النبى صلى الله عليه
وسلم . وقال ابن وهب فى طائفة: سمعت سليمان بن بلال
يقول: سئل ربيعة لم قدمت البقرة وآل عمران وقد نزل
قبلهما بضع وثمانون سورة؟ فقال: قدمتا وألف القرآن على
علم ممن ألفه، وقد أجمعوا على العلم بذلك، فهذا مما
ينتهى إليه ولا يسئل عنه، قال ابن وهب : وسمعت مالكا
يقول: إنما ألف القرآن على ما كانوا يسمعونه من النبى
صلى الله عليه وسلم قال أبو الحسن ابن بطال : إنا نجد
تأليف سورة فى الرسم والخط خاصة، ولا نعلم أن أحدًا قال

إن ترتيب ذلك واجب فى الصلاة وفى القرآن ودرسه، وأنه لا يحل لأحد أن يتلقن الكهف قبل البقرة، ولا الحج بعد الكهف، ألا ترى إلى قول عائشة: لايضرك أية قرأت قبل ، وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ فى الصلاة السورة فى ركعة، ثم يقرأ فى الركعة الأخرى بغير السورة التى تليها ، قال: وأما ما روى عن ابن مسعود وابن عمر أنهما كرها أن يقرأ القرآن منكوسا، وقالا: إنما ذلك منكوس القلب، فإنما عنيا بذلك من يقرأ السورة منكوسة فيبتذئ بآخرها إلى أولها، فإن ذلك حرام محظور.(ثم قال البخارى : ثنا آدم عن شعبة عن أبى اسحاق ، قال: سمعت عبدالرحمن بن يزيد قال: سمعت ابن مسعود يقول فى بنى إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء انهن من العتاق الأول وهن من تلادى.

انفرد بإخراجه البخارى ، والمراد منه ذكر ترتيب هذه السور فى مصحف ابن مسعود كالمصاحف العثمانية، وقوله من العتاق الأول أى من قديم ما نزل، وقوله وهن من تلادى، أى من قديم ماقنيت وحفظت والتالد فى لغتهم قديم المال والمتاع، والطارق حديثه وجديده والله أعلم.

حدثنا أبو الوليد ، ثنا شعبة ، أنا أبو اسحق سمع البراء بن عازب رضى الله عنه يقول: تعلمت سبح اسم ربك الأعلى قبل أن يقدم النبى صلى الله عليه وسلم وهذا متفق عليه وهو قطعة من حديث الهجرة. والمراد منه أن سبح اسم ربك الأعلى سورة مكية نزلت قبل الهجرة، والله أعلم.

(ثم قال) ثنا عبدان عن أبى حمزة عن الأعمش عن شقيق قال: قال عبدالله : لقد علمت النظائر التى كان النبى صلى الله عليه وسلم يقرؤهن اثنين اثنين فى كل ركعة، فقام عبدالله ودخل معه علقمة، وخرج علقمة فسألناه فقال: عشرون سورة من أول المفصل على تأليف ابن مسعود، آخرهن من الحواميم حم الدخان وعم يتساءلون .

هذا التأليف الذى عن ابن مسعود غريب مخالف لتأليف عثمان رضى الله عنه، فان المفصل فى مصحف عثمان

رضى الله عنه من سورة الحجرات إلى آخره وسورة الدخان لا تدخل فيه بوجه، والدليل على ذلك ما رواه الإمام أحمد : ثنا عبدالرحمن بن مهدى ، ثنا عبدالله بن عبدالرحمن الطائفى عن عثمان بن عبدالله ابن أوس الثقفى عن جده أوس بن حذيفة قال: كنت فى الوفد الذين اتوا النبى صلى الله عليه وسلم فذكر حديثا فيه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان سمر معهم بعد العشاء، فمكث عنا ليلة لم يأتنا حتى طال ذلك علينا بعد العشاء،قال: قلنا ما أمكثك عنا يارسول الله؟ قال طرأ على حزب من القرآن فأردت أن لا أخرج حتى أقضيه قال: فسألنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أصبحنا، قال: قلنا كيف تخرجون القرآن؟ قالوا نحزبه ثلاث سور، وخمس سور، وسبع سور، وتسع سور، وإحدى عشرة سورة وثلاث عشرة سورة، وحزب المفصل من (ق) حتى يختم . ورواه أبو داود وابن ماجه من حديث عبدالله بن عبدالرحمن بن يعلى الطائفى به، وهذا إسناد حسن.

فصل

فأما نقط المصحف وشكله، فيقال أن أول من أمر به عبدالملك ابن مروان فتصدى لذلك الحجاج وهو بواسط، فأمر الحسن البصرى ويحيى ابن يعمر ففعلا ذلك، ويقال أن أول من نقط المصحف أبو الأسود الدولى ، وذكروا أنه كان لمحمد بن سيرين مصحف قد نقطه له يحيى ابن يعمر ، والله أعلم.

وأما كتابة الأعشار على الحواشى، فينسب إلى الحجاج أيضًا وقيل: بل أول من فعله المأمون ، وحكى أبوعمرو الدانى عن ابن مسعود أنه كره التعشير فى المصحف وكان يحكه، وكره مجاهد ذلك أيضًا، وقال مالك : لا بأس به بالحبر فأما بالألوان المصبغة فلا. واكره تعداد آى السور فى أولها فى المصاحف الأمهات، فأما ما يتعلم فيه الغلمان فلا أرى به بأسًا، وقال قتادة : بدأوا فنقطوا ثم خمسوا ثم عشروا. وقال يحيى بن كثير أول ما أحدثوا النقط، وقال: هو نور له،

ثم أحدثوا النقط عند آخر الاى، ثم أحدثوا الفواتح والخواتم، ورأى إبراهيم النخعى فاتحة سورة كذا فأمر بمحوها، وقال: قال ابن مسعود : لا تخلطوا بكتاب الله ما ليس فيه. قال أبو عمرو الدانى : ثم قد أطبق المسلمون فى ذلك فى سائر الآفاق على جواز ذلك فى الأمهات وغيرها.

معارضة جبريل النبى صلى الله عليه وسلم القرآن

ثم قال البخارى رحمه الله كان جبريل يعرض القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم قال مسروق عن فاطمه عن عائشة: أسر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن جبريل كان يعارضنى بالقرآن كل سنة، وإنه عارضنى العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلى هكذا ذكره معلقا، وقد أسند فى مواضع أخر، ثم قال: ثنا يحيى بن قزعة ثنا إبراهيم بن سعد عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال: كان النبى صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير، وأجود ما يكون فى رمضان، لأن جبريل كان يلقاه فى كل ليلة فى شهررمضان حتى ينسلخ يعرض عليه رسول الله القرآق فإذا لقيه جبريل كان أجود بالخير من الريح المرسلة وهذا الحديث متفق عليه، وقد تقدم الكلام عليه فى أول الصحيح وما فيه من الحكم والفوائد، والله أعلم.
ثم قال: ثنا خالد بن يزيد ، ثنا أبو بكر عن أبى حصين عن أبى صالح عن أبى هريرة قال: كان يعرض على النبى صلى الله عليه وسلم القرآن كل عام مره فعرض عليه مرتين فى العام الذى قبض فيه وكان يعتكف كل عام عشرا فاعتكف عشرين فى العام الذى قبض .
ورواه أبو داود و النسائى و ابن ماجه من غير وجه عن أبى بكر وهو ابن عياش عن أبى حصين واسمه عثمان بن عاصم به. والمراد من معارضته له بالقرآن كل سنة مقابلته على ما أوحاه إليه عن الله تعالى ليبقى ما بقى، ويذهب ما نسخ توكيدا واستثباتا وحفظا. ولهذا عارضه فى السنة الأخيرة من

عمره عليه السلام على جبريل مرتين وعارضه به جبريل كذلك، ولهذا فهم عليه السلام اقتراب أجله.
وعثمان رضي الله عنه جمع المصحف الإمام على العرضة الأخيرة رضى الله عنه وأرضاه، وخص بذلك رمضان من بين الشهور، لأن ابتداء الإيحاء كان فيه، ولهذا يستحب دراسة القرآن وتكراره فيه، ومن ثم كثر اجتهاد الأئمة فى تلاوة القرآن، كما تقدم ذكرنا لذلك.

القراء من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم

حدثنا حفص بن عمر ثنا شعبة عن عمرو عن إبراهيم عن مسروق ذكر عبدالله ابن عمر و عبدالله بن مسعود فقال: لا أزال أحبه، سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول:
خذوا القرآن من أربعة: عبد الله بن مسعود وسالم ومعاذ بن جبل وأبى بن كعب رضى الله عنهم .
وقد أخرجه البخارى فى المناقب فى غير موضع و مسلم و النسائى من حديث الأعمش بن أبى وائل عن مسروق به.
فهؤلاء أربعة: اثنان من المهاجرين الأولين عبد الله بن مسعود و سالم مولى أبى حذيفة وقد كان سالم هذا من سادات المسلمين وكان يؤم الناس قبل مقدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة، واثنان من الأنصار معاذ بن جبل و أبى بن كعب وهما سيدان كبيران رضى الله عنهم أجمعين.
ثم قال: حدثنا عمر بن حفص ، ثنا أبى، ثنا الأعمش ثنا شقيق بن سلمة قال: خطبنا عبدالله فقال: والله لقد أخذت من فى رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعاً وسبعين سورة. والله لقد علم أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أنى من أعلمهم بكتاب الله وما أنا بخيرهم. قال شقيق : فجلست فى الحلق أسمع ما يقولون، فما سمعت رادا يقول غيرذلك .
حدثنا محمد بن كثير ، ثنا سفيان عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة قال: كنا بحمص فقرأ ابن مسعود سورة يوسف فقال رجل: ما هكذا أنزلت، فقال: قرأت على رسول الله

صلى الله عليه وسلم فقال أحسنت ووجد منه ريح الخمر فقال: أتجترئ أن تكذب بكتاب الله وتشرب الخمر؟ فجلده الحد .

حدثنا عمر بن حفص ثنا أبى، ثنا الأعمش ، ثنا مسلم عن مسروق قال: قال عبدالله : والذى لا إله غيره ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين انزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيم أنزلت، ولو أعلم أحدا أعلم منى بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه .

وهذا كله حق وصدق وهو من أخبار الرجل عما يعلم من نفسه مما قد يجهله غيره، فيجوز ذلك للحاجة كما قال تعالى إخبارا عن يوسف كما قال لصاحب مصر اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم ويكفيه مدحا وثناء قول رسول الله صلى الله عليه وسلم استقرئوا القرآن من أربعة فبدأ به. وقال أبو عبيد ثنا مصعب بن المقدام عن سفيان عن الأعمش عن ابراهيم عن عمرو عن النبى صلى الله عليه وسلم: من أحب أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأ على قراءة ابن أم عبد وهكذا رواه الإمام أحمد عن أبى معاوية عن الأعمش به مطولا، وفيه قصة. وأخرجه الترمذي و النسائى من حديث أبى معاوية به، وصححه الدارقطنى وقد ذكرته فى مسند عمر وفى مسند الإمام أحمد أيضاً عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

من أحب يقرأ القرآن غضا كما أنزل، فليقرأ على قراءة ابن أم عبد وابن أم عبد هو عبدالله بن مسعو كان يعرف بذلك.

ثم قال البخارى : ثنا حفص بن عمر ، ثنا همام ، ثنا قتادة قال: سألت أنس بن مالك : من جمع القرآن على عهد النبى صلى الله عليه وسلم قال: أربعة كلهم من الأنصار: أبى بن كعب ، ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت و أبو زيد ورواه مسلم من حديث همام . ثم قال البخارى تابعه الفضل عن حسين بن واقد عن ثمامة عن أنس بن مالك حدثنا معلى بن أسد ثنا عبدالله بن المثنى ثنا ثابت و ثمامة عن أنس بن مالك قال: مات النبى صلى الله عليه وسلم ولم يجمع القرآن غير

أربعة أبوالدرداء و معاذ بن جبل و زيد بن ثابت و أبو زيد قال: ونحن ورثناه.
فهذا الحديث ظاهره أنه لم يجمع القرآن من الصحابة سوى هؤلاء الأربعة فقط وليس هذا هكذا بل الذي لايشك فيه أنه جمعه غير واحد من المهاجرين أيضاً، ولعل مراده لم يجمع القرآن من الأنصار وهم أبى ابن كعب فى الرواية الأولى المتفق عليها. وفى الثانية من أفراد البخارى أبو الدرداء و معاذ بن جبل و زيد بن ثابت و أبو زيد وكلهم مشهورون، إلا أبا زيد هذا فإنه غير معروف إلا فى هذا الحديث، وقد اختلف فى اسمه فقال الواقدي وأسمه قيس بن السكن بن قيس بن ذعور بن حرام بن جندب ابن عامر غنم بن عدى بن النجار وقال ابن نمير : اسمه سعد بن عبيدابن النعمان بن قيس بن عمرو بن زيد بن أمية من الأوس وقيل: هما اثنان جمعا القرآن، حكاه أبوعمر بن عبدالبر وهذا بعيد، وقول الواقدى أصح، لأنه خزرجى لأن أنسا قال: نحن ورثناه وهم من الخزرج، وفى الألفاظ: وكان أحد عمومتى، وقال قتادة عن أنس قال افتخر الحيان الأوس والخزرج، فقالت الأوس: منا غسيل الملائكة حنظلة بن أبى عامر ومنا الذى حمته الدبر عاصم بن ثابت ، ومنا الذى اهتز لموته العرش سعد بن معاذ ومنا من اجيزت شهادته بشهادة رجلين خزيمة بن ثابت فقالت الخزرج: منا أربعة جمعوا القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم: أبي بن كعب و معاذ بن جبل و زيد بن ثابت و أبو زيد فهذا كله يدل على صحة قول الواقدى وقد شهد أبوزيد هذا- بدرا فيما ذكره غير واحد، وقال موسى بن عقبة عن الزهرى قتل أبوزيد قيس بن السكن يوم جسر أبى عبيد على رأس خمس عشرة سنة من الهجرة.
والدليل على أن من المهاجرين من جمع القرآن أن الصديق رضي الله عنه قدمه رسول الله فى مرضه إماما على المهاجرين والأنصار مع أنه قال: يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله فلولا أنه كان اقرأهم لكتاب الله لما قدمه عليهم. هذا

مضمون ما قرره الشيخ أبو الحسن على بن إسماعيل الأشعرى ، وقد بسطت تقريرذلك فى مسند الشيخين رضى الله عنهما.
ومنهم عثمان بن عفان قد قرأه فى ركعة كما سنذكره،
وعلى بن أبى طالب يقال أنه جمعه على ترتيب ما أنزل، وقد قدمنا هذا.
ومنهم عبدالله بن مسعود وقد تقدم عنه أنه قال: ما من آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت وفيم أنزلت، ولو علمت أحدًا أعلم منى بكتاب الله تبلغه المطى لذهبت إليه .

ومنهم سالم مولى أبى حذيفة ، وكان من السادات النجباء، والأئمة النقباء، وقد قتل يوم اليمامة شهيدًا.
ومنهم الحبر البحر عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب بن عم الرسول وترجمان القرآن، وقد تقدم عن مجاهد أنه قال: عرضت القرآن على ابن عباس مرتين أقفه عند كل آية وأسأله عنها.
ومنهم عبدالله بن عمرو ، كما رواه النسائى وابن ماجة من حديث ابن جريج عن عبدالله بن أبى مليكة ، عن يحيى بن حكيم بن صفوان ، عن عبدالله بن عمرو قال: جمعت القرآن فقرأت به كل ليلة فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: اقرأه فى شهر وذكر تمام الحديث.
ثم قال البخارى : حدثنا صدقة بن الفضل ، أنا يحيى عن سفيان عن حبيب ابن أبى ثابت ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال عمر : على أقضانا، وأبى أقرؤنا، وإنا لندع من لحن أبى وأبى يقول أخذته من فى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا أتركه لشىء قال الله تعالى ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها وهذا يدل على أن الرجل الكبير قد يقول الشىء يظنه صوابا وهو خطأ فى نفس الأمر، ولهذا قال الامام مالك : ما من أحد إلا يؤخذ من قوله ويرد إلا قول صاحب هذا القبر أى فكله مقبول صلوات الله وسلامه عليه.

ثم ذكر البخارى فضل فاتحة الكتاب وغيرها، وذكرنا فى كل سورة عندها ليكون ذلك أنسب. ثم قال:

نزول السكينة والملائكة عند القراءة

وقال الليث : حدثنى يزيد بن الهاد بن محمد بن ابراهيم عن الحضير قال: بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة، وفرسه مربوط عنده اذ جالت الفرس،فسكت فسكنت، فقرأ فجالت الفرس، فسكت فسكنت ثم قرأ فجالت الفرس فانصرف، وكان ابنه يحيى قريبا منها فأشفق أن تصيبه فلمااجتره رفع رأسه إلى السماء حتى يراها فلما أصبح حدث النبي صلى الله عليه وسلم فقال:اقرأ يا ابن حضير،اقرأ يا ابن حضير قال:فأشفقت أن تطأ يحيى وكان منها قريبًا، فرفعت رأسى فانصرفت إليه، فرفعت رأسي الى السماء فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح فخرجت حتى لا أراها قال وتدرى ما ذاك قال: لا، قال: تلك الملائكة دنت لصوتك، ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها لا تتوارى منهم .

قال ابن الهاد : وحدثنى هذا الحديث عبدالله بن خباب عن أبي سعيد الخدرى عن أسيد بن الحضير .

هكذاأورد البخارى هذا الحديث معلقًا وفيه انقطاع فى الرواية الأولى فان محمدا بن ابراهيم بن الحارث التيمى المدنى تابعي صغير لم يدرك أسيدا لانه مات سنة عشرين، وصلى عليه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ثم فيه غرابة من حيث انه قال: وقال الليث : حدثنى يزيد بن الهاد ، ولم أره بسند متصل عن الليث بذلك إلا ما ذكره الحافظ أبو القاسم بن عساكر فى الأطراف أن يحيى بن عبدالله بن بكير رواه عن الليث كذلك.

وقد رواه الإمام أبو عبيد فى فضائل القرآن فقال: وحدثنا عبدالله بن صالح ويحيى بن بكير عن الليث عن يزيد بن عبدالله بن أسامة بن الهاد عن محمد بن ابراهيم بن الحارث التيمى عن أسيد بن حضير ، فذكر الحديث إلى آخره ، ثم قال: قال ابن الهاد : وحدثنى عبدالله بن خباب عن أبى

سعيد بن أسيد بن حضير بهذا الحديث.
وقد رواه النسائى فى فضائل القرآن عن محمد بن عبدالله بن عبدالحكم عن شعيب بن الليث ، وعن على بن محمد بن على عن داود بن منصور ، كلاهما عن الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبى هلال عن يزيدابن عبدالله - وهو ابن الهاد عن عبدالله بن خباب عن أبى سعيد عن أسيد به،
ورواه يحيى بن بكير عن الليث كذلك أيضًا، فجمع بين الإسنادين ورواه فى المناقب عن أحمد بن سعيد الرباطى عن يعقوب بن ابراهيم ، عن أبيه، عن يزيد ابن الهاد ، عن عبدالله بن خباب ، عن أبى سعيد أن أسيد ابن حضير بينما هو ليلة يقرأ فى مربده.. الحديث ولم يقل عن أسيد، ولكن ظاهره أنه عنه، والله أعلم.
وقال أبو عبيد : حدثنى عبدالله بن صالح عن الليث عن ابن شهاب عن أبى كعب بن مالك عن أسيد بن حضير أنه كان يقرأ على ظهر بيته، يقرأ القرآن وهو حسن الصوت. ثم ذكر مثل هذا الحديث أو نحوه .
وحدثنا قبيصة عن حماد بن سلمة عن ثابت البنانى ، عن عبدالرحمن ابن أبى ليلى عن أسيد بن حضير قال: قلت يا رسول الله بينما أنا اقرأ البارحة بسورة، فلما انتهيت إلى آخرها سمعت وجبة من خلفى حتى ظننت أن فرسى تطلق، فقال رسول صلى الله عليه وسلم: اقرأ أبا عتيك مرتين قال:فالتفت فرأيت الى أمثال المصابيح ما بين السماء والأرض، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إقرأ أبا عتيك فقال: والله ما استطعت أن أمضى، فقال: تلك الملائكة تنزلت لقراءة القرآن، أما أنك لو مضيت لرأيت الأعاجيب
وقال أبو داود الطيالسى :
ثنا شعبة عن أبى إسحق سمع البراء يقول: بينما رجل يقرأ سورة الكهف ليلة إذ رأى دابته تركض- أو قال فرسه يركض- فنظر فإذا مثل الضبابة أو مثل الغمامة، فذكر ذلك لرسول الله، فقال: تلك السكينة تنزلت للقرآن- أو تنزلت

على القرآن .
وقد أخرجه صاحبا الصحيح من حديث شعبة .
والظاهر أن هذا هو أسيد بن الحضير رضي الله عنه، فهذا يتعلق بصناعة الإسناد وهذا من أغرب تعليقات البخارى رحمه الله، ثم سياقه ظاهر فيما ترجم عليه من نزول السكينة والملائكة عند القراءة، وقد اتفق نحو هذا الذى وقع لأسيد بن الخضير لثابت بن قيس بن شماس ، كما قال أبو عبيد : ثنا عباد بن عباد عن جرير بن حازم عن عمه جرير بن يزيد أن أشياخ أهل المدينة حدثوه أن رسول الله قيل له: ألم تر ثابت بن قيس ابن شماس؟ لم تزل داره البارحة تزهر مصابيح قال: فلعله قرأ سورة البقرة قال فسئل ثابت فقال: قرأت سورة البقرة.
وفى الحديث المشهور الصحيح
ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا تنزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده .
رواه مسلم عن أبى هريرة ، ولهذا قال الله تعالى: وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا جاء فى بعض التفاسيرأن الملائكة تشهده.وقد جاء فى الصحيحين عن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر، فيعرج إليه الذين نزلوا فيكم، فيسألهم وهو أعلم بكم كيف تركتم عبادى؟ فيقولون أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون .

من قال لم يترك النبى صلى الله عليه وسلم إلا ما بين الدفتين
حدثنا قتيبة بن سعيد ، ثنا سفيان عن عبدالعزيز بن رفيع قال: دخلت وشداد بن معقل على ابن عباس ، فقال له شداد بن معقل : أترك النبى صلى الله عليه وسلم من شىء؟ قال: ما ترك إلا ما بين الدفتين. قال: ودخلنا على

محمد بن الحنفية فسألناه، فقال: ما ترك إلا ما بين الدفتين .
تفرد به البخارى ، ومعناه أنه صلى الله عليه وسلم ما ترك مالاً ولا شيئًا يورث عنه، كما قال عمرو بن الحارث أخو جويرية : ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم دينارًا ولا درهمًا ولا عبدًا ولا أمة ولا شيئًا.وفى حديث أبى الدرداء : إن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، إنما ورثوا العلم فمن أخذه بحظ وافر. ولهذا قا ل ابن عباس : وإنما ترك ما بين الدفتين يعنى القرآن، والسنة مفسرة له ومبينة وموضحة، أى تابعة له. والمقصود الأعظم كتاب الله تعالى، كما قال تعالى: ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الآية.
فالأنبياء عليهم السلام لم يخلقوا للدنيا يجمعونها ويورثونها، وإنما خلقوا للآخرة يدعون اليها ويرغبون فيها،ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مما تركنا فهو صدقة
وكان أول من أظهر هذه المحاسن من هذا الوجه أبوبكر الصديق رضى الله عنه لما سئل ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبر عنه بذلك، ووافقه على نقله عنه عليه السلام غير واحد من الصحابة منهم عمر وعثمان وعلى والعباس وطلحة والزبير وعبدالرحمن بن عوف وأبو هريرة وعائشة وغيرهم، وهذا ابن عباس يقوله أيضا عنه عليه السلام، رضى الله عنهم أجمعين.

فضل القرآن على سائر الكلام

حدثنا هدبة بن خالد أبو خالد ، ثنا همام (ثنا قتادة) ثنا أنس بن مالك عن أبى موسى رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: مثل الذى يقرأ القرآن كمثل الأترجة طعمها طيب وريحها طيب، والذى لايقرأ القرآن كالتمرة طعمها طيب ولا ريح لها. ومثل الفاجر الذى يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل الفاجر الذى لايقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مرولاريح لها .
وهكذا رواه فى مواضع أخر مع بقية الجماعة من طرق عن

قتادة به، ووجه مناسبة الباب لهذا الحديث أن طيب الرائحة دار مع القرآن وجودًا وعدمًا، فدل على شرفه على ما سواه من الكلام الصادر من البر والفاجر. ثم قال:ثنا مسدد ، ثنا يحيى عن سفيان ،حدثنى عبدالله بن دينار قال:سمعت ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال:
انما أجلكم فى أجل من خلا من الأمم كما بين صلاة العصر ومغرب الشمس، ومثلكم ومثل اليهود والنصارى كمثل رجل استعمل عمالاً فقال: من يعمل لى إلى نصف النهار على قيراط؟فعملت اليهود، فقال: من يعمل لى من نصف النهار إلى العصر؟ فعملت النصارى، ثم أنتم تعملون من العصر إلى المغرب بقيراطين قيراطين، قالوا: نحن أكثر عملا وأقل عطاء، قال:هل ظلمتكم من حقكم شيئًا؟ قالوا: لا، قال: فذاك فضلى أوتيته من شئت .
تفرد به من هذا الوجه. ومناسبته للترجمة أن هذه الأمة مع قصر مدتها فضلت الأمم الماضية مع طول مدتها،كما قال تعالى: كنتم خير أمة أخرجت للناس .
وفى المسند والسنن عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
أنتم توفون سبعين أمة، أنتم خيرها وأكرمها على الله . وإنما فازوا بهذا ببركة الكتاب العظيم القرآن الذى شرفه الله على كل كتاب أنزله، وجعله مهيمنًا عليه وناسخًا له وخاتمًا له، لأن كل الكتب المتقدمة نزلت إلى الأرض جملة واحدة، وهذا القرآن نزل بحسب الوقائع لشدة الاعتناء به وبمن أنزل عليه، فكل مرة كنزول كتاب من الكتب المتقدمة. وأعظم الأمم المتقدمة هم اليهود والنصارى، فاليهود استعملهم الله من لدن موسى إلى زمان عيسى، والنصارى من ثم إلى أن بعث محمدا صلى الله عليه وسلم ثم استعمل أمته إلى قيام الساعة وهو المشبه بآخر النهار، وأعطى المتقدمين قيراطا قيراطًا، وأعطى هؤلاء قيراطين ضعفى ما أعطى أولئك، فقالوا، أى ربنا ما لنا أكثر عملا وأقل أجرًا؟ فقال: هل ظلمتكم من أجركم شيئًا؟ قالوا: لا،

قال: فذاك فضلى- أى الزائد على ما أعطيتكم أوتيه من اشاء كما قال تعالى: يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم * لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

الوصاة بكتاب الله

حدثنا محمد بن يوسف ، ثنا مالك بن مغول ، ثنا طلحة هو ابن مصرف سألت عبدالله بن أبى أوفى : أوصى النبى صلى الله عليه وسلم؟ قال:لا قال:قلت فكيف كتب على الناس الوصية أمروا بها ولم يوص؟ قال: أوصى بكتاب الله عز وجل .

وقد رواه فى مواضع أخر مع بقية الجماعة إلا أبا داود من طرق عن مالك ابن مغول به، وهذانظير ما تقدم عن ابن عباس أنه ما ترك إلا ما بين الدفتين. وذلك أن الناس كتب عليهم الوصية فى أموالهم كما قال تعالى كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرًا الوصية للوالدين والأقربين وأما هو صلى الله عليه وسلم فلم يترك شيئًا يورث عنه، وأما له صدقة جارية من بعده فلم يحتج إلى وصية فى ذلك، ولم يوص الى خليفة يكون بعده على التنصيص لأن الأمر كان ظاهرًا من إشاراته وايماءاته إلى الصديق ولهذا لما هم بالوصية إلى أبى بكر ثم عدل عن ذلك قال: يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر وكان كذلك وإنما أوصى الناس باتباع كلام الله.

من لم يتغن بالقرآن

وقول الله تعالى أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم .

حدثنا يحيى بن بكير : ثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب ، قال أخبرنى أبو سلمة بن عبدالرحمن عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه كان يقول: قال رسول الله؟

لم يأذن الله لشىء ما أذن لنبى يتغنى بالقرآن وقال صاحب له: يريد يجهر به، فرد من هذا الوجه، ثم رواه عن على بن عبدالله بن المدينى عن سفيان بن عيينة عن الزهرى به.
قال سفيان : تفسيره يستغنى به.
وقد أخرجه مسلم والنسائى من حديث سفيان بن عيينه به، ومعناه أن الله تعالى ما استمع لشىء كاستماعه لقراءة نبى يجهر بقراءته ويحسنها،وذلك أنه يجتمع فى قراءة الأنبياء طيب الصوت لكمال خلقهم وتمام الخشية، وذلك هو الغاية فى ذلك، وهو سبحانه وتعالى يسمع أصوات العباد كلهم برهم وفاجرهم، كما قالت عائشة رضى الله عنها: سبحان الذى وسع سمعه الأصوات. ولكن استماعه لقراءة عباده المؤمنين أعظم، كما قال تعالى وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه الآية، ثم استماعه لقراءة أنبيائه أبلغ كما دل عليه هذا الحديث العظيم،ومنهم من فسرالاذن ههنا بالأمر، والأول أولى لقوله:
ما أذن الله لشىء، ما أذن لنبى يتغنى بالقرآن أى يجهر والاذن الاستماع لدلالة السياق عليه، وكما قال تعالى إذا السماء انشقت * وأذنت لربها وحقت * وإذا الأرض مدت * وألقت ما فيها وتخلت * وأذنت لربها وحقت أى استمعت لربها وحقت أى وحق لها أن تستمع أمره وتطيعه، فالاذن ههنا هو الاستماع. ولهذا جاء فى حديث رواه ابن ماجه بسند جيدعن فضالة بن عبيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لله أشد أذنا إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلي قينته .
وقول سفيان بن عيينة أن المراد بالتغنى به فان أرادأنه يستغنى به عن الدنيا وهو الظاهرمن كلامه الذي تابعه عليه أبوعبيدالقاسم بن سلام وغيره، فخلاف الظاهر من مراد الحديث لأنه قد فسر بعض رواته بالجهر وهوتحسين القراءة والتحزين بها قال حرملة سمعت ابن عيينة يقول معناه يستغنى به، فقال لى الشافعى ليس هو هكذا ولو كان هكذا

لكان يتغانى، إنما هو يتحزن ويترنم به قال حرملة وسمعت ابن وهب يقول: يترنم به، وهكذا نقل المزنى والربيع عن الشافعى رحمه الله.

وعلى هذا فتصدير البخارى الباب بقوله تعالى أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون فيه نظر لأن هذه الآية ذكرت ردا على الذين سألو آيات تدل على صدقه حيث قال وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين * أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم الآية ومعنى ذلك أو لم يكفهم آية دالة على صدقك إنزالنا القرآن عليك وأنت رجل أمي وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون أى وقد جئت فيه بخبر الأولين والآخرين فأين هذا من التغنى بالقرآن وهو تحسين الصوت به أو الاستغناء به عما عداه من أمور الدنيا؟ فعلى كل تقدير تصدير الباب بهذه الآية فيه نظر.

فصل فى إيراد أحاديث فى معنى الباب وذكر أحكام التلاوة بالأصوات.

قال أبو عبيد : حدثنا عبدالله بن صالح عن قباث بن رزين عن على بن رباح اللخمى عن عقبة بن عامر قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ونحن فى المسجد نتدارس. القرآن قال:

تعلموا كتاب الله واقتنوه- قال: وحسبت أنه قال وتغنوا به- فوالذى نفسى بيده لهو اشد تفلتا من المخاض العقل

.وحدثنا عبدالله بن صالح عن موسى بن على عن أبيه عن عقبة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ذلك إلا أنه قال:

واقتنوه وتغنوا به ولم يشك.

وهكذا رواه النسائى فى كتاب فضائل القرآن من حديث موسى بن على عن أبيه به ومن حديث عبدالله بن يزيد المقرى عن قباث بن رزين عن على ابن رباح عن عقبة - وفى بعض ألفاظه: خرج علينا ونحن نقرأ القرآن فسلم علينا

وذكرالحديث ، ففيه دلالة على السلام على القارىء وقال أبو عبيد : ثنا أبو اليمان عن أبى بكر بن عبدالله بن أبى مريم المهاجر ابن حبيب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أهل القرآن لا توسدوا القرآن واتلوه حق تلاوته آناء الليل والنهار وتغنوه وتقنوه واذكروا ما فيه لعلكم تفلحون وهذا مرسل، ثم قال أبو عبيد : قوله تغنوه أى اجعلوه غناءكم من الفقر ولاتعدوا الإقلال معه فقرًا. وقوله وتقنوه يقول:اقتنوه كما تقتنوا الأموال، إجعلوه ما لكم.

وقال أبوعبيد : حدثنى هشام بن عمار بن يحيى بن حمرة عن الأوزاعى قال: حدثنى إسماعيل بن عبيد الله بن أبى المهاجر عن فضالة بن عبيد عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: لله أشد أذنًا الى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته .

قال أبو عبيد : هذا الحديث بعضهم يزيد فى إسناده يقول عن إسماعيل عبيد الله عن مولى فضالة عن فضالة. وهكذا رواه ابن ماجة عن راشد سعيد بن أبى راشد عن الوليد عن الأوزاعى عن إسماعيل بن عبيد الله عن ميسرة مولى فضالة عن فضالة عن النبى صلى الله عليه وسلم: لله أشد أذنا إلى الرجل الحسن الصوت بالقرأن من صاحب القينة إلى قينته .

قال أبو عبيد : يعنى الاستماع، وقوله فى الحديث الاخر ما أذن الله لشىء أى ما استمع.

وقال أبو القاسم البغوى : حدثنا محمد بن حميد ، ثنا سلمة بن الفضل ثنا عبدالله بن عبدالرحمن بن أبى مليكة ، حدثنا القاسم بن محمد ، حدثنى السائب قال: قال لى سعد : يا ابن أخى هل قرأت القرآن؟ قلت: نعم قال: غن به فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: غنوا بالقرآن، ليس منا من لم يغن بالقرآن، وابكوا فإن لم تقدروا على البكاء فتباكوا .

وقد روى أبو داود من حديث الليث عن عبدالله بن أبى مليكة عن عبدالله بن أبى نهيك عن سعد بن أبى وقاص

قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
إن هذا القرآن نزل بحزن فإذا قرأتموه فابكوا فإن لم تبكو فتباكوا، وتغنوا به فمن لم يتغن به فليس منا وفى الحديث كلام طويل يتعلق بسنده ليس هذا موضعه، والله أعلم.
وقال أبو داود : ثنا عبد الأعلى بن حماد ، ثنا عبدالجبار بن الورد قال: سمعت ابن أبى مليكة يقول: قال عبيد الله بن أبى زيد : مر بنا أبو لبابة فاتبعناه حتى دخل بيته، فدخلنا عليه، فإذا رجل رث البيت رث الهيئة (فانتسبنا له، فقال: تجار كسبة) فسمعته يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ليس منا من لم يتغن بالقرآن قال: فقلت لابن أبى مليكة يا أبا محمد أرأيت إذا لم يكن حسن الصوت، قال: يحسنه ما استطاع. تفرد به أبو داود . فقد فهم من هذا أن السلف رضى الله عنهم إنما فهموا من التغنى بالقرآن إنما هو تحسين الصوت به وتحزينه، كما قال الأئمة رحمهم الله. ويدل على ذلك أيضًا ما رواه أبو داود حيث قال: ثنا عثمان بن أبى شيبة ، ثنا جرير عن الأعمش عن طلحة عن عبدالرحمن بن عوسجة عن البراء بن عازب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: زينوا القرآن بأصواتكم .
وأخرجه النسائى وأبن ماجة من حديث شعبة عن طلحة ، وهذا اسناد جيد. وقد وثق النسائى وابن حبان عبدالرحمن بن عوسجة هذا.ونقل الأزدى عن يحيى بن سعيد القطان أنه قال: سألت عنه بالمدينة فلم يحمدونه.
وقال أبو عبيد القاسم بن سلام : حدثنا يحيى بن سعيد عن شعبة قال نهاني أيوب أن أحدث بهذا الحديث زينوا القرآن بأصواتكم قال أبو عبيد : وانما كره أيوب فيما نرى أن يتأول الناس بهذا الحديث الرخصة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الألحان المبتدعة، فلهذا نهاه أن يحدث به.(قلت): ثم إن شعبة رحمه الله، روى الحديث متوكلا على الله كما روى له، ولو ترك كل حديث يتأوله مبطل لترك من السنة شيء كثير، بل قد تطرقوا إلى تأويل آيات كثيرة من القرآن وحملوها على محاملها الشرعية المرادة، وبالله المستعان

وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله. والمراد تحسين الصوت بالقرآن تطريبه وتحزينه والتخشع به،كما رواه الحافظ الكبير تقى بن مخلد رحمه الله حيث قال: ثنا أحمد بن ابراهيم عن أبى موسى عن أبيه قال: قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم:يا أبا موسى لو رأيتنى وأنا أستمع قراءتك البارحة قلت أما والله لو علمت آنك تسمع قراءتى لحبرتها لك تحبيرًا.

رواه مسلم من حديث طلحة به. وزاد لقد أوتيت مزمارًا من مزامير آل داود وسيأتى هذا فى- بابه حيث يذكره البخارى .

والغرض أن أبا موسى قال: لو أعلم أنك تسمعه لحبرته لك تحبيرًا، فدل على جواز تعاطى ذلك وتكلفه وقد كان أبو موسى كما قال عليه السلام: قد أعطى صوتا حسنا- كما سأذكره إن شاء الله- مع خشية تامة ورقة أهل اليمن، فدل على أن هذامن الأمور الشرعية.قال أبو عبيد : حدثنا عبد الله بن صالح عن الليث عن يونس عن ابن شهاب عن أبى سلمة قال: كان عمر إذا رأى أبا موسى قال: ذكرنا ربنا يا أبا موسى ، فيقرأ عنده .قال أبو عبيد : ثنا سليمان التيمى أو نبئت عنه، ثنا أبو عثمان النهدى كان أبو موسى يصلى بنا، فلو قلت أنى لم أسمع صوت صنج قط ولايربط قط ولاشيئًا قط أحسن من صوته .

وقال ابن ماجه : حدثنا العباس بن الدمشقى ، ثنا الوليد بن مسلم حدثنى حنظلة بن أبى سفيان أنه سمع عبدالرحمن بن سابط الجمحي يحدث عن عائشة قالت: ابطأت على رسول الله ليلة بعدالعشاء ثم جئت فقال:أين كنت؟ قلت: كنت أسمع قراءة رجل من أصحابك مثل قراءته وصوته من أحد، قالت: فقام فقمت معه حتى أستمع له ثم التفت إلى فقال:هذا سالم مولى أبى حذيفة ، الحمد لله الذى جعل فى أمتى مثل هذا إسناد جيد.وفى الصحيحين عن جبير بن مطعم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فى المغرب بالطور فما سمعت أحدًا أحسن صوتًا أو قراءةً منه وفى بعض ألفاظه فلما بلغ هذه الآية أم خلقوا من غير

شيء أم هم الخالقون * أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون * أم عندهم خزائن ربك أم هم المصيطرون كاد قلبى أن يطير وكان جبير لما سمع هذا بعد مشركا على دين قومه وإنما كان قدم فى فداء الأساري بعد بدر، وناهيك بمن تؤثر قراءته فى المشرك المصر على الكفر هذا سبب هدايته، ولهذا كان أحسن القراءات ما كان عن خشوع القلب كما قال قال أبو عبيد : ثنا إسماعيل بن إبراهيم عن ليث عن طاوس قال: أحسن الناس صوتًا بالقرآن أخشاهم لله وحدثنا قبيصة عن سفيان عن ابن جريج عن ابن طاوس عن أبيه، وعن الحسن بن مسلم عن طاوس قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الناس أحسن صوتا بالقرآن؟ فقال: الذى إذا سمعته رأيته يخشى الله .

وقد روى هذا متصلا من وجه آخر فقال ابن ماجه حدثنا بشر بن معاذ الضرير ثنا عبدالله بن جعفر المدينى ثنا ابراهيم بن اسماعيل بن مجمع عن الزبير عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ان من أحسن الناس صوتا بالقرآن الذى إذا سمعتموه يقرأ حسبتموه يخشى الله ولكن عبدالله بن جعفر هذا- وهو والد على بن المدينى - وشيخه ضعيفان والله أعلم.والغرض أن المطلوب شرعا إنما هو التحسين بالصوت الباعث على تدبر القرآن وتفهمه والخشوع والخضوع والإنقياد للطاعة.فأما الأصوات بالنغمات المحدثة المركبة على الأوزان والأوضاع الملهية والقانون الموسيقائى فالقرآن ينزه عن هذا ويجل ويعظم أن يسلك فى أدائه هذا المذهب. وقد جاءت السنة بالزجر عن ذلك كما قال الإمام العلم عبيد القاسم بن سلام رحمه الله حدثنا نعيم بن حماد عن بقية ابن الوليد عن حصين بن مالك الفزارى قال سمعت شيخا يكنى أبا محمد يحدث عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقرءوا القرآن بلحون العرب وأصواتها، وإياكم ولحون أهل الفسق وأهل الكبائر وسيجىء قوم من بعدى بالقرآن يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح،لايجاوز

حناجرهم مفتونة قلوبهم وقلوب الذين يعجبهم شأنهم .
وحدثنا يزيد عن شريك عن أبى اليقظان عثمان بن عمير زاذان أبي عمر عن عليم قال: كنا على سطح ومعنا رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قال يزيد لا أعلمه الا قال عابس الغفارى فرأى الناس يخرجون فى الطاعون قال: ما هولاء؟ قال يفرون من الطاعون فقال يا طاعون خذني فقالوا أتتمنى الموت وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لايتمنين أحدكم الموت فقال: إنى أبادر خصالاً سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوفهن على أمته بيع الحكم والاستخفاف بالدم وقطيعة الرحم وقوم يتخذون القرآن مزامير، يقدمون أحدهم ليس بافقههم ولا أفضلهم إلا ليغنيهم به غناء، وذكر خلتين آخرتين.
وحدثنا يعقوب بن إبراهيم عن ليث بن أبى سليم عن عثمان بن عمير عن زاذان عن عابس الغفارى عن النبى صلى الله عليه وسلم مثل ذلك أو نحوه وحدثنا يعقوب عن ابراهيم عن الأعمش عن رجل عن أنس أنه سمع رجلاً يقرأالقرآن بهذه الألحان التى أحدث الناس فأنكر ذلك ونهى عنه. وهذه طرق حسنة
باب الترهيب.وهذا يدل على أنه محذور كبير وهو قراءة القرآن بالألحان التى يسلك بها مذاهب الغناء، وقد نص الأئمة رحمهم الله على النهى عنه، فأما إن خرج به إلى التمطيط الفاحش الذى يزيد بسببه حرفا أو ينقص حرفا فقد اتفق العلماء على تحريمه، والله أعلم.
وقال الحافظ أبو بكر البزار : ثنا محمد بن معمر ، ثنا روح ، ثنا عبيدالله بن الأخنس عن ابن أبى مليكة عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليس منا من لم يتغن بالقرآن ثم قال:إنما ذكرنا هذا لتبيين الاختلاف على ابن أبى مليكة فيه فرواه عبدالجبار بن الورد عنه، عن ابن أبى مليكة عن أبى لبابة ورواه عمرو بن دينار ، والليث عنه عن أبى نهيك عن سعد ، ورواه عسل بن سفيان

عنه عن عائشة، ورواه نافع مولى ابن عمر عنه عن ابن الزبير .

اغتباط صاحب القرآن

حدثنا أبواليمان ، أنا شعيب عن الزهرى ، حدثنى سالم بن عبد الله أن عبدالله بن عمر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لاحسد إلا على اثنتين: رجل آتاه الله الكتاب فهو يقوم به آناء الليل والنهار، ورجل اعطاه الله مالا فهو يتصدق به آناء الليل والنهار انفرد به البخارى من هذا الوجه واتفقا على إخراجه من رواية سفيان عن الزهرى .ثم قال البخارى : ثنا على بن إبراهيم ، ثنا روح ، ثنا شعبة عن سليمان قال: سمعت ذكوان عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

لا حسد إلا فى اثنتين: رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل والنهار فسمعه جار له فقال: ليتنى أوتيت مثلما أوتيت فلان، فعملت مثل ما يعمل، ورجل آتاه الله مالاً فهو يهلكه في الحق،فقال رجل:ليتنى أوتيت مثل ماأوتى فلان فعملت مثل ما يعمل . ومضمون هذين الحديثين أن صاحب القرآن فى غبطة، وهى حسن الحال، فينبغى أن يكون شديد الاغتباط بما هو فيه، ويستحب تغبيطه بذلك، يقال: غبطه يغبطه بالكسر غبطًا إذا تمنى مثل ما هوفيه من النعمة،وهذا بخلاف الحسد المذموم، وهو تمنى زوال نعمة المحسود عنه سواء حصلت لذلك الحاسد أولا، وهذا مذموم شرعًا مهلك، وهو أول معاصى ابليس حين حسد آدم على ما منحه الله تعالى من الكرامة والإحترام والإعظام. والحسد الشرعى الممدوح هو تمنى حال مثل ذاك الذى هو على حالة سارة، ولهذا قال عليه السلام: لا حسد إلا فى اثنتين فذكر النعمة القاصرة وهو تلاوة القرآن آناء الليل والنهاروالنعمة المتعدية، وهى نفاق المال بالليل والنهار ، كما قال تعالى إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور .

وقد روى نحو هذا من وجه آخر، فقال عبد الله بن الإمام أحمد : وجدت فى كتاب أبى بخط يده: كتب إلى أبو توبة الربيع بن نافع ، فكان فى كتابه: حدثنا الهيثم بن حميد عن زيد بن واقد عن سليمان بن موسى عن كثير بن مرة عن يزيد بن الأخنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
لا تنافس بينكم إلا فى اثنتين: رجل آعطاه لله القرآن فهو يقوم به آناء الليل والنهار، ويتبع ما فيه فيقول رجل: لوأن الله أعطانى مثل ما أعطى فلانا. فأقوم به كما يقوم به، ورجل أعطاه الله مالاً فهو ينفق ويتصدق، فيقول رجل: لو أن الله
أعطانى مثل ما أعطى فلانا فأتصدق به .وقريب من هذا ما قال الإمام أحمد : ثنا عبدالله بن محمد بن نمير ثنا عبادة بن مسلم ، وحدثنى يونس بن حباب عن سعيد أبى البحترى الطائى عن أبى بن كبشة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:
ثلاث أقسم عليهن وأحدثكم حديثاً فاحفظوه فأما الثلاث التى أقسم عليهن فإنه ما نقص مال عبد من صدقة، ولا ظلم أحد مظلمة فيصبر عليها الا زاده الله بها عزًا، ولا يفتح عبدًا باب مسألة إلا فتح الله له باب فقر- وأما الذى أحدثكم حديثا فاحفظوه فإنه قال- إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالاً وعلمًا، فهو يتقى فيه ربه ويصل رحمه ويعلم لله فيه حقه - قال- فهذا بأفضل المنازل وعبد رزقه الله علمًا ولم يرزقه مالاً، فهو يقول: لو كان لى مال عملت بعمل فلان- قال- فأجرهما سواء، وعبد رزقه الله مالًا ولم يرزقه علمًا فهو يخبط فى ماله بغيرعلم، لايتقى فيه ربه، ولا يصل فيه رحمه، ولا يعلم الله فيه حقه، فهذا بأخبث المنازل وعبد لم يرزقه الله مالاً ولا علمًا، فهو يقول: لو كان لى مال لفعلت بعمل فلان- قال- هى نيته فوزرهما فيه سواء .
وقال أيضًا: حدثنا وكيع ، ثنا الأعمش عن سالم بن أبى الجعد عن أبى كبشة الأنمارى قال:- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مثل هذه الأمة مثل أربعة نفر: رجل آتاه الله

مالاً وعلمًا، فهو يعمل به فى ماله فينفقه فى حقه، ورجل آتاه الله علمًا ولم يؤته مالاً، فهو يقول: لو كان لى مثل هذا عملت فيه مثل الذى يعمل قال رسول الله- فهما فى الأجر سواء، ورجل آتاه الله مالاً ولم يؤته علمًا، فهو يخبط فيه ينفقه فى غير حقه ، ورجل لم يؤته الله مالاً ولا علمًا، فهو يقول لو كان لى مثل مال هذا عملت فيه مثل الذى يعمل- قال: قال رسول الله- فهما فى الوزر سواء إسناد صحيح، ولله الحمد والمنة.

خيركم من تعلم القرآن وعلمه

حدثنا حجاج بن منهال ، ثنا شعبة ، أخبرنى علقمة بن مرثد سمعت سعد ابن عبيدة عن أبى عبد الرحمن عن عثمان بن عفان رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: خيركم من تعلم القرآن وعلمه وأقرأ أبو عبدالرحمن إمرة عثمان رضى الله عنه حتى كان الحجاج ، قال: وذلك الذى أقعدنى مقعدى هذا.

وقد أخرج الجماعة هذا الحديث سوى مسلم من رواية شعبة عن علقمة بن مرثد عن سعد بن عبيدة عن أبى عبدالرحمن وهو عبدالله بن حبيب السلمى رحمه الله.وحدثنا أبو نعيم ، ثنا سفيان عن علقمة بن مرثد عن أبى عبدالرحمن السلمى عن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال: قال النبى صلى الله عليه وسلم: إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه وهكذا رواه الترمذي والنسائى وابن ماجه من طرق عن سفيان عن علقمة عن أبى عبد الرحمن من غيرذكر سعد بن عبيدة ، كما رواه شعبة ولم يختلف عليه فيه، وهذا المقام مما حكم لسفيان الثورى فيه على شعبة . وخطأ بندار يحيى بن سعيد فى روايته ذلك عن سفيان عن علقمة عن سعد ابن عبيدة عن أبى عبدالرحمن ، وقال: رواه الجماعة من أصحاب سفيان بإسقاط سعد بن عبيدة ورواية سفيان أصح. وفى هذا المقام المتعلق بصناعة الإسناد طول لولا الملالة لذكرناه. وفيما ذكر كفاية وإرشاد

إلى ما ترك، والله أعلم.
والغرض أنه عليه الصلاة والسلام قال: خيركم من تعلم القرآن وعلمه . وهذه صفات المؤمنين المتبعين للرسل وهم الكمل فى أنفسهم المكملين لغيرهم، وذلك جمع بين النفع القاصر والمتعدى، وهذا بخلاف صفة الكفار الجبارين الذين لاينفعون ولا يتركون أحدًا ممن أمكنهم أن ينتفع، كما قال تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب وكما قال تعالى وهم ينهون عنه وينأون عنه فى أصح قولي المفسرين فى هذا هو أنهم ينهون الناس عن اتباع القرآن مع نأيهم وبعدهم عنه أيضًا، فجمعوا بين التكذيب والصد، كما قال تعالى فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها فهذا شأن شرار الكفار، كما أن شأن الأخيار الأبرار أن يتكمل فى نفسه، وأن يسعى فى تكميل غيره كما قال عليه السلام خيركم من تعلم القرآن وعلمه وكما قال تعالى ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين فجمع بين الدعوة إلى الله سواء كان بالأذان أو بغيره من أنواع الدعوة إلى الله تعالى من تعليم القرآن والحديث والفقه وغير ذلك مما يبتغى به وجه الله، وعمل هو فى نفسه صالحًا، وقال قولاً صالحًا أيضًا فلا أحد أحسن حالاً من هذا. وقد كان أبو عبدالرحمن عبدالله بن حبيب السلمى الكوفى أحد أئمة الإسلام ومشايخهم ممن رغب فى هذا المقام فقعد يعلم الناس من إمارة عثمان إلى أيام الحجاج. قالوا: وكان مقدار ذلك الذى مكث يعلم فيه القرآن سبعين سنة رحمه الله وأثابه، وآتاه ما طلبه ورامه آمين.
قال البخارى : حدثنا عمرو بن عون ،ثنا حماد بن أبى حازم عن سهل ابن سعد قال: أتت النبى صلى االله عليه وسلم امرأة فقالت إنها قد وهبت نفسها لله ولرسوله، فقال: مالى فى النساء من حاجة فقال رجل: زوجنيها قال أعطها ثوبا قال: لا أجده قال: أعطها ولو خاتما من حديد فاعتل له، فقال:ما معك من القرآن قال: كذا وكذا قد زوجتكها بما

معك من القرآن .
وهذا الحديث متفق على صحة إخراجه من طرق عديدة، والغرض منه الذى قصده البخارى أن هذا الرجل تعلم الذى تعلمه من القرآن، وأمره النبى صلى الله عليه وسلم أن يعلم تلك المرأة ويكون ذلك صداقا لها على ذلك، وهذا فيه نزاع بين العلماء: هل يجوز أن يجعل صداقا؟ أو هل يجوز أخذ الأجرة على تعليم القرآن؟ وهل هذا كان خاصا بذلك الرجل؟ وما معنى قوله عليه السلام زوجتكها بما معك من القرآن أى بسبب ما معك، كما قاله أحمد بن حنبل : نكرمك بذلك أو بعوض ما معك، وهذا أقوى لقوله فى صحيح مسلم فعلمها وهذا هو الذى أراده البخاري ههنا، وتحرير باقى الخلاف مذكور فى باب النكاح والإجارات ، وبالله المستعان.

القراءة عن ظهرقلب

إنما أورد البخارى فى هذه الترجمة حديث أبى حازم عن سهل ابن سعد الحديث الذى تقدم الآن، وفيه أنه عليه السلام قال للرجل: فما معك من القرآن؟ قال: معى سورة كذا وسورة كذا لسور عدها، قال:اتقرأهن عن ظهر قلب؟ قال: نعم، اذهب قد ملكتها بما معك من القرآن وهذه الترجمة من البخارى رحمه الله مشعرة بأن قراءة القرآن عن ظهر قلب أفضل ، والله أعلم. ولكن الذى صرح به كثيرون من العلماء أن قراءة القرآن من المصحف أفضل لأنه يشتمل على التلاوة والنظر فى المصحف، وهو عبادة كما صرح به غير واحد من السلف، وكرهوا أن يمضى على الرجل يوم لاينظرفى مصحفه.واستدلوا على أفضلية التلاوة فى المصحف بما رواه الإمام العلم أبو عبيد رحمه الله فى كتابه فضائل القرآن : حدثنا نعيم بن حماد عن بقية ابن الوليد عن معاوية بن يحيى عن سليم بن مسلم عن عبدالله بن عبد الرحمن عن بعض أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قال: قال النبى صلى الله عليه وسلم: فضل قراءة القرآن نظرًا على من يقرؤه ظهرًا كفضل الفريضة على

النافلة ، وهذا الإسناد فيه ضعف فإن معاوية ابن يحيى هذا هو الصدفى أو الأطرابلسى وأيا ما كان فهو ضعيف. وقال الثورى عن عاصم عن زر عن ابن مسعود قال: أديموا النظر في المصحف. وقال حماد بن سلمة عن على بن زيد عن يوسف بن ماهك عن ابن عباس عن عمر أنه كان إذا دخل بيته نشر المصحف فقرأ فيه. وقال حماد أيضًا عن ثابت عن عبدالرحمن بن أبى ليلى عن ابن مسعود أنه كان إذا اجتمع اليه إخوانه نشروا المصحف فقرأ أو فسر لهم. إسناد صحيح.وقال حماد بن سلمة عن حجاج بن أرطاة ، عن ثوير بن أبى فاخته عن ابن عمر ، قال: إذا رجع أحدكم من سوقه فلينشر المصحف وليقرأ.وقال الأعمش عن خيثمة : دخلت على ابن عمرو وهو يقرأ فى المصحف فقال: هذا جزئى الذى أقرأ به الليلة.

فهذه الاثار تدل على أن هذا أمر مطلوب لئلا يعطل المصحف فلا يقرأ منه ولعله قد يقع لبعض الحفظة نسيان فيستذكر منه، أو تحريف كلمة أو آية أو تقديم أو تأخير فالاستثبات أولى والرجوع إلى المصحف أثبت من أفواه الرجال.فأما تلقين القرآن فمن فم الملقن أحسن، لأن الكتابة لا تدل على الأداء كما أن المشاهد من كثير ممن يحفظ من الكتابة فقط يكثر تصحيفه وغلطه، وإذا أدى الحال إلى هذا منع منه إذا وجد شيخًا يوقفه على ألفاظ القرآن. فأما عند العجز عما يلقن فلا يكلف الله نفسًا إلا وسعها، فيجوز عند الضرورة ما لا يجوز عند الرفاهية، فاذا قرأ فى المصحف والحالة هذه فلا حرج عليه، ولو فرض أنه قد يحرف بعض الكلمات عن لفظها على لغته ولفظه، فقد قال الإمام أبوعبيد : حدثنى هشام بن إسماعيل الدمشقى عن محمد بن شعيب عن الأوزاعى أن رجلا صحبهم فى سفر، قال: فحدثنا حديثا. ما أعلمه إلا رفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن العبد إذا قرأ فحرف أو أخطأ، كتبه الملك كما أنزل وحدثنا حفص بن أبى غياث عن الشيبانى عن بكير بن الأخنس قال كان يقال إذا قرأ

الأعجمى والذى لايقيم القرآن كتبه الملك كما أنزل وقال بعض العلماء: المدار فى هذه المسئلة على الخشوع، فإن كان الخشوع أكثر عند القرا ءة عن ظهر قلب فهو أفضل، وإن كان عند النظر في المصحف أكثر فهو أفضل. فإن استويا فالقراءة نظرًا أولى لأنها أثبت وتمتاز بالنظر إلى المصحف.قال الشيخ أبو زكريا النواوى رحمه الله فى التبيان : والظاهر أن كلام السلف وفعلهم محمول على هذا التفضيل.

تنبيه إن كان البخارى رحمه الله أراد بذكره حديث سهل الدلالة على أن تلاوة القرآن عن ظهرقلب أفضل منها فى المصحف ففيه نظر، لأنها قضية عين، فيحتمل أن ذلك الرجل كان لا يحسن الكتابة ويعلم ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم منه، فلا يدل على أن التلاوة عن ظهرقلب أفضل مطلقًا فى حق من يحسن، إذ لو دل على هذا لكان ذكر حال رسول الله وتلاوته عن ظهر قلب- لأنه أمى لايدرك الكتابة- أولى من ذكر هذا الحديث بمفرده .

الثانى:إن سياق الحديث إنما هو لأجل استثبات أنه يحفظ تلك السورعن ظهر قلب ليمكنه تعليمها لزوجته، وليس المراد ههنا أن هذا أفضل من التلاوة نظرًا ولا عدمه، والله سبحانه وتعالى أعلم.

استذكار القرآن وتعاهده

حدثنا عبدالله بن يوسف ، أنا مالك عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إنما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعقلة، إن عاهد عليها أمسكها، وإن أطلقها ذهبت .

هكذا رواه مسلم والنسائى من حديث مالك به. وقال الإمام أحمد :ثنا عبدالرزاق ، أنا معمر عن أيوب عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مثل القرآن إذا عاهد عليه صاحبه فقرأه بالليل والنهار كمثل رجل له إبل، فإن عقلها حفظها وإن أطلق عقالها ذهبت، فكذلك

صاحب القرآن أخرجاه، قاله ابن الجوزى فى جامع المسانيد
، وإنما هو من أفراد مسلم من حديث عبد الرزاق به.حدثنا
محمد بن عرعرة ، ثنا شعبة عن منصور عن أبى وائل عن
عبدالله قال: قال النبى صلى الله عليه وسلم: بئس ما
لأحدهم أن يقول نسيت آية كيت وكيت بل نسى، واستذكروا
القرآن فإنه أشد تفصيًا من صدور الرجال من النعم .تابعه
بشر هو ابن محمد السختيانى عن ابن المبارك عن شعبة ،
وقد رواه الترمذى عن محمود بن غيلان عن أبى داود
الطيالسى عن شعبة به، وقال: حسن صحيح.
وأخرجه النسائى من رواية شعبة ، وحدثنا عثمان بن جرير
عن منصور مثله وهكذا رواه مسلم عن عثمان وزهير بن
حرب وإسحاق بن إبراهيم عن جرير به،. وستأتى رواية
البخارى له عن أبى نعيم عن سفيان الثورى عن منصور به،
والنسائى من رواية ابن عيينه عن منصور به، فقد رواه
هؤلاء عن منصور به مرفوعا فى رواية هولاء كلهم، وقد رواه
النسائى عن قتيبة ،
عن حماد بن زيد عن منصور ، عن أبى وائل عن عبدالله
موقوفًا، وهذا غريب وفي مسند أبى يعلى فإنما هو نسى
بالتخفيف، وتابعه ابن جريج عن عبدة عن شقيق قال:
سمعت عبدالله قال: سمعت النبى صلى الله عليه وسلم
وهكذا أسنده مسلم من حديث ابن جريج به.ورواه النسائي
في اليوم والليلة، من حديث محمد بن جارة عن عبدة وهو
ابن ابى لبابة حدثنا محمد بن العلاء حدثنا أبو أسامة عن بريد
عن أبي بردة عن أبى موسى عن النبى صلى الله عليه
وسلم قال: تعاهدوا القرآن فوالذى نفسى بيده. لهو أشد
تفصيًا من الابل فى عقلها .
وهكذا رواه مسلم عن أبى كريب محمد بن العلاء وعبدالله
بن براد الأشعري كلاهما عن أبي أسامة حماد بن أسامة به.
وقال الامام أحمد ثنا على بن إسحاق ، أنا عبدالله بن
المبارك ، أنا موسى بن على سمعت أبى يقول: سمعت
عقبة بن عامر يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

تعلموا كتاب الله وتعاهدوا وتغنوا به، فوالذى نفسى بيده لهوأشد تفلتا من المخاض فى العقل .
ومضمون هذه الأحاديث الترغيب فى كثرة تلاوة القرآن واستذكاره وتعاهده لئلا يعرضه حافظة للنسيان، فإن ذلك خطأ كبير نسأل الله العافية منه، فإنه قال الإمام أحمد :
حدثنا خلف بن الوليد ، ثنا خالد عن يزيد بن أبى زياد عن عيسى بن فايد عن رجل عن سعد بن عبادة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما من أمير عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولاً لا يفكه من ذلك الغل إلا العدل وما من رجل قرأ القرآن فنسيه إلا لقى الله يوم يلقاه وهو أجذم ، وهكذا رواه جرير بن عبدالحميد ومحمد بن فضيل عن يزيد بن أبى زياد ، كما رواه خالد بن عبدالله وقد أخرجه أبو داود عن محمد بن العلاء عن ابن ادريس عن يزيد بن أبى زياد عن عيسى بن فايد عن سعد بن عبادة عن النبى صلى الله عليه وسلم بقصة نسيان القرآن، ولم يذكر الرجل المبهم، وكذا رواه أبو بكر بن عياش عن يزيد عن أبى زياد وقد رواه سعيد عن زيد ، ووهم فى إسناده، ورواه وكيع عن أصحابه عن يزيد عن عيسى بن فايد عن النبى صلى الله عليه وسلم مرسلاً، وقد رواه الإمام أحمد فى مسند عبادة بن الصامت فقال: ثنا عبد الصمد ثنا عبدالعزيز بن مسلم ، ثنا يزيد بن أبى زياد
عن عيسى بن فايد عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
ما من أميرعشرة إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولاً لا يفكه منها إلا عدله، وما من رجل تعلم القرآن ثم نسيه إلا لقى الله القيامة أجذم وكذا رواه أبو عوانة عن يزيد بن أبى زياد ، ففيه اختلاف لكن هذا فى باب الترهيب مقبول، والله أعلم، لاسيما ان كان له شاهد من آخر، كما قال أبو عبيد :
ثنا حجاج عن ابن جريج قال: حدثت عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: عرضت على أجور أمتى حتى القذاة والعبرة يخرجها الرجل من المسجد،

وعرضت على ذنوب أمتى فلم أر ذنبًا أكبر من آية أو سورة من كتاب الله أوليتها رجل فنسيها .قال ابن جريج : وحدثت عن سلمان الفارسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
من أكبر ذنوب توافى به أمتى يوم القيامة سورة من كتاب الله كانت مع أحدهم فنسيها .وقد روى أبوداود والترمذى وأبو يعلى والبزار وغيرهم من حديث ابن أبى رواد عن ابن جريج عن المطلب بن عبدالله بن حنطب عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
عرضت على أجور أمتى حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد، وعرضت على ذنوب أمتى فلم أر ذنبًا أعظم من سورة من القرآن أو آية أوتيها رجل ثم نسيها .
قال الترمذى : غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه،وذاكرت به البخارى فاستغربه.
وحكى الوابلى عن عبدالله بن عبدالرحمن الدارمى أنه أنكر سماع المطلب من أنس بن مالك قلت: وقد رواه محمد بن يزيد الآدمى عن ابن أبى (رواد) عن ابن جريج عن الزهرى عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم به، فالله أعلم.وقد أدخل بعض المفسرين هذاالمعنى فى قوله تعالى ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى * قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا * قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وهذا الذى قاله هذا وان لم يكن هو المراد جميعه فهو بعضه، فإن الإعراض عن تلاوة القرآن وتعريضه للنسيان وعدم الاعتناء به فيه تهاون كبير وتفريط شديد نعوذ بالله منه، ولهذا قال عليه السلام: تعاهدوا القرآن وفى لفظ استذكروا القرآن، فإنه أشد تفصيًا من صدور الرجال من النعم .التقصى التخلص: يقال تفصى فلان من البلية إذا تخلص منها تقصى النوى من الثمرة إذا تخلص منها، أي أن القرآن أشد تفلتا من الصدور من النعم إذا أرسلت من غير عقال.
وقال أبو عبيد : ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن إبراهيم قال

عبدالله يعنى ابن مسعود - إنى لأمقت القارىء أن أراه سمينًا نسيًا للقرآن. وحديث عبدالله بن المبارك عن عبدالعزيز بن أبى داود قال: سمعت الضحاك بن مزاحم يقول: ما من أحد تعلم القرآن فنسيه إلا بذنب يحدثه، لأن الله تعالى يقول وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم وإن نسيان القرآن من أعظم المصائب. ولهذا قال اسحاق ابن راهويه وغيره: يكره للرجل أن يمرعليه أربعون يومًا لا يقرأ فيها القرآن، كما أنه يكره له أن يقرأه فى أقل من ثلاثة أيام، كما سيأتى هذا حيث يذكره البخارى بعد هذا، وكان الأليق أن يتبعه هذا الباب، ولكن ذكر بعد هذا قوله:

القراءة على الدابة

حدثنا حجاج ، أنا شعبة ، أنا أبو إياس قال: سمعت عبدالله ابن مغفل رضى الله عنه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة وهو يقرأ على راحلته سورة الفتح .وهذا الحديث قد خرجه الجماعة سوى ابن ماجه من طرق عن شعبة عن أبى إياس وهو معاوية بن قرة به، وهذا أيضًا له تعلق بما تقدم من القرآن وتلاوته سفرًا وحضرًا، ولا يكره ذلك عند أكثر العلماء إذا لم يتله القارىء فى الطريق، وقد نقله ابن أبى داود عن أبى الدرداء أنه كان يقرأ فى الطريق، وقد روى عن عمر بن عبدالعزيز أنه أذن فى ذلك، وعن الإمام مالك أنه كره ذلك، كما قال ابن أبى داود : حدثنى أبو الربيع أنا ابن وهب قال: سألت مالكا عن الرجل يصلى من آخر الليل، فخرج الى المسجد وقد بقى من السورة التى كان يقرأ منها شىء فقال: ما أعلم القراءة تكون فى الطريق، وقال الشعبى : تكره قراءة القرآن فى ثلاثة مواضع فى الحمام، وفى الحشوش ، وفى بيت الرحى وهى تدور، وخالفه القراءة فى الحمام كثير من السلف أنها لا تكره، وهو مذهب مالك و الشافعى و إبراهيم النخعى وغيرهم، وروى ابن أبى داود عن على ابن أبى طالب أنه كره ذلك، ونقله ابن المنذر عن أبى وائل شقيق بن سلمة

والشعبى والحسن البصرى ومكحول وقبيصة بن ذؤيب وهو رواية عن إبراهيم النخعى .
ويحكى عن أبى حنيفة رحمه الله أن القراءة فى الحمام تكره، وأما القراءة فى الحش فكراهتها ظاهره ولو قبل بتحريم ذلك صيانة لشرف القرآن لكان مذهبا. وأما القراءة فى بيت الرحى وهى تدور فلئلا يعلو غير القرآن عليه، والحق يعلو ولا يعلى، والله أعلم.

تعلم الصبيان القرآن

حدثنا موسى بن إسماعيل ، ثنا أبو عوانة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير قال: إن الذى تدعونه المفصل هو المحكم ، قال: وقال ابن عباس : توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ابن عشر سنين، وقد قرأت المحكم حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، ثنا هشيم أنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال جمعت المحكم فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم فقلت له: وما المحكم ؟ قال المفصل انفرد بإخراجه البخارى ، وفيه دلالة على جواز تعلم الصبيان القرآن لأن ابن عباس أخبرعن سنه حين موت رسول الله وقد كان جمع المفصل وهو من الحجرات، كما تقدم ذلك، وعمره إذ ذاك عشر سنين.
وقد روى البخارى أنه قال: توفى رسول الله وأنا مختون ، وكانوا لايختتنون حتى يحتلم فيحتمل أنه احتلم لعشر سنين جمعًا بين هذه الرواية وتلك ويحتمل أنه تجوز فى هذه الرواية بذكر العشر وترك مازاد عليها من الكسر، والله أعلم.
وعلى كل تقدير ففيه دلالة على جواز تعليم القرآن فى الصبا، وهو ظاهر بل قد يكون مستحبا أو واجبا، لأن الصبى إذا تعلم القرآن بلغ وهويعرف ما يصلى به، وحفظه فى الصغر أولى من حفظه كبيرا وأشد علوقا بخاطره، وأرسخ وأثبت كما هو المعهود من حال الناس.وقد استحب بعض السلف أن يترك الصبى فى ابتداء عمره قليلا للعب، ثم

توفر همته على القراءة لئلا يلزم أولاً بالقراءة فيملها ويعدل عنها إلى اللعب ،وكره بعضهم تعليمه القرآن وهو لايعقل ما يقال له، ولكن يترك حتى إذا عقل وميزعلم قليلا بحسب همته ونهمته وحفظه وجودة ذهنه.واستحب عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن يلقن خمس آيات، رويناه عنه بسند جيد.

نسيان القرآن وهل يقول نسيت آية كذا وكذا؟

وقول الله سنقرئك فلا تنسى * إلا ما شاء الله حدثنا الربيع بن يحيى ، ثنا زائدة ، ثنا هشام عن عروة عن عائشة قالت: لقد سمع النبى صلى الله عليه وسلم رجلا يقرأ فى المسجد فقال:رحمه الله لقد أذكرنى أية كذا وكذا من سورة كذا انفرد به، وحدثنا محمد بن عبيد ابن ميمون ، ثنا عيسى بن يونس عن هشام وقال: أسقطتهن من سورة كذا وكذا .انفرد به أيضا. تابعه على بن مسهر وعبدة عن هشام وقد أسندهما البخارى فى موضع آخر ومسلم معه فى عبدة.حدثنا أحمد بن أبى رجاء ، ثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً يقرأ فى سورة بالليل فقال: يرحمه الله لقد أذكرنى كذا وكذا أية كنت أنسيتها من سورة كذا وكذا .ورواه مسلم من حديث أبى أسامة حماد بن أسامة .

(الحديث الثانى) حدثنا أبو نعيم ، ثنا سفيان عن منصور عن أبى وائل عن عبدالله رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بئس ما لأحدهم أن يقول نسيت كيت وكيت بل هو نسى .ورواه مسلم والنسائى من حديث منصور به، وقد تقدم. وفى مسند أبى يعلى إنما هو نسى بالتخفيف هذا لفظه وفى هذا الحديث والذى قبله دليل على أن حصول النسيان للشخص ليس بنقص له إذا كان بعد الاجتهاد والحرص.وفى حديث ابن مسعود أدب فى التعبير عن حصول ذلك، فلا يقول نسيت كذا، فإن النسيان ليس من فعل العبد، وقد تصدر عنه أسبابه من التناسى والتغافل والتهاون المفضى إلى ذلك، فأما النسيان نفسه فليس

بفعله، ولهذا قال، بل هو نسى مبنى لما لم يسم فاعله، وأدب أيضًا فى ترك إضافة ذلك إلى الله تعالى، وقد أسند النسيان إلى العبد فى قوله تعالى: واذكر ربك إذا نسيت وهو- والله أعلم- من باب المجاز الشائع بذكر المسبب وإرادة السبب، لان النسيان عن سبب قد يكون ذنبا، كما تقدم عن الضحاك بن مزاحم فأمر الله تعالى بذكره ليذهب الشيطان عن القلب كما يذهب عند النداء بالأذان، والحسنة تذهب السيئة، فإذا زال السبب للنسيان انزاح فحصل الذكر للشىء بسبب ذكر الله تعالى، والله أعلم.

من لم ير بأسا أن يقول سورة البقرة وسورة كذا وكذا
حدثنا عمر بن حفص بن غياث ، ثنا أبى، ثنا الأعمش ، حدثنى ابراهيم عن علقمة وعبدالرحمن بن يزيد عن أبى مسعود الأنصارى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأ بهما فى ليلة كفتاه .
وهذا الحديث قد أخرجه الجماعة من حديث عبدالرحمن بن يزيد وصاحبا الصحيح والنسائى وابن ماجة من حديث علقمة ، كلاهما عن أبى مسعود عتبة ابن عمرو الأنصارى البدرى .
(الحديث الثانى)- ما رواه من حديث الزهرى عن عروة عن المسور وعبد الرحمن بن عبد القارى ، كلاهما عن عمر قال: سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان وذكرالحديث بطوله كما تقدم وكما سيأتى.
(الحديث الثالث)- ما رواه من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قارئا يقرأ من الليل فى المسجد فقال:رحمه الله، أذكرنى كذا وكذا آية، كنت أسقطتهن من سورة كذا وكذا وهكذا فى الصحيحين عن ابن مسعود أنه كان يرمى الجمرة من الوادى ويقول: هذا مقام الذى أنزلت عليه سورة البقرة .وكره بعض السلف ذلك، ولم يروا أن يقال إلا السورة التى يذكر فيها كذا وكذا، كما جاء وتقدم من رواية يزيد الفارسى عن ابن عباس عن عثمان أنه قال: إذا نزل من القرآن شىء

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : اجعلوا هذا فى السورة التى يذكر فيها كذا وكذا .ولاشك أن هذا أحوط وأولى، ولكن قد صحت أحاديث بالرخصة فى الآخر وعليه عمل الناس اليوم فى ترجمة السور فى مصاحفهم. وبالله التوفيق.

الترتيل فى القراءة

وقوله عزوجل، ورتل القرآن ترتيلا . وقوله، وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث وما يكره أن يهذ كهذ الشر. (يفرق فيها) يفصل، قال ابن عباس (فرقناه) فصلناه.حدثنا أبو النعمان ، ثنا مهدى بن ميمون ، ثنا واصل عن أبى وائل عن عبدالله قال: غدونا على عبدالله فقال رجل: قرأت المفصل البارحة فقال: هذا كهذ الشعر؟ إنا قد سمعنا القراءة وإنى لأحفظ القرناء اللاتى كان يقرأ بهن النبى صلى الله عليه وسلم ثمانى عشرة سورة من المفصل ، وسورتين من آل حم . ورواه مسلم عن شيبان بن فروخ عن مهدى بن ميمون عن واصل وهو ابن حبان الأحدب عن أبى وائل شقيق بن سلمة عن ابن مسعود به.وقال الإمام أحمد : ثنا قتيبة ، ثنا ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد عن زياد بن نعيم عن مسلم بن مخراق عن عائشة أنه ذكر لها أن ناسًا يقرءون القرآن في الليل مرة أو مرتين، فقالت: أولئك قرأوا ولم يقرأوا، كنت أقوم مع النبى صلى الله عليه وسلم ليلة التمام، فكان يقرأ سورة البقرة وآل عمران والنساء، فلا يمر بآية فيها تخوف إلا دعا الله واستعاذ، ولا يمر بآية فيها استبشار إلا دعا الله ورغب إليه.

(الحديث الثانى)- ثنا قتيبة ثنا جرير عن موسى بن أبى عائشة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل جبريل بالوحى كان يحرك به لسانه أو شفتيه فيشتد عليه ، وذكر تمام الحديث كما سيأتي وهو متفق عليه، وفيه وفى الذى قبله دليل على استحباب ترتيل

القراءة والترسل فيها من غير هذرمة ولا بسرعة مفرطة بل بتأمل وتفكر، قال الله تعالى كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب وقال الإمام أحمد : ثنا عبدالرحمن عن سفيإن عن عاصم عن زر عن عبدالله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يقال لصاحب القرآن: اقرأ وأرق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا فإن منزلك عند آخرآية تقرؤها .
وقال أبو عبيد : ثنا جرير عن مغيرة عن إبراهيم قال: قرأ علقمة على عبد الله فكأنه عجل، فقال عبد الله: فداك أبى وأمى، رتل فإنه زين القرآن. قال: وكان علقمة حسن الصوت بالقرآن
وحدثنا اسماعيل بن ابراهيم عن أيوب عن أبى حمزة قال، قلت لابن عباس : إنى سريع القراءة، وإنى أقرأ القرآن فى ثلاث، فقال: لأن اقرأ البقرة فى ليلة فأدبرها وأرتلها أحب إلى من أن أقرأ كما تقول.وحدثنا حجاج عن شعبة وحماد بن سلمة عن أبى حمزة عن ابن عباس نحو ذلك إلا أن فى حديث حماد أحب إلى من أن أقرأ القرآن أجمع هذرمة.
ثم قال البخارى

مد القراءة

حدثنا مسلم بن ابراهيم ، ثنا جرير بن حازم الأزدى ، ثنا قتادة : سألت أنس بن مالك عن قراءة النبى صلى الله عليه وسلم فقال: كان يمد مدًا .
وهكذا رواه أهل السنن من حديث جرير بن حازم به، حدثنا عمرو بن عاصم ، ثنا همام عن قتادة قال: سئل أنس بن مالك : كيف كان قراءة النبى صلى الله عليه وسلم؟ فقال: كانت مدًا ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم يمد ببسم الله ويمد الرحمان ويمد الرحيم انفرد به البخارى من هذا الوجه.
وفى معناه الحديث الذى رواه الإمام أبو عبيد ، ثنا أحمد بن عثمان عن عبد الله بن المبارك عن الليث بن سعد عن ابن أبى مليكة عن يعلى بن مملك عن أم سلمة أنها نعتت قراءة

رسول الله صلى الله عليه وسلم مفسرة حرفا حرفا وهكذا رواه الإمام أحمد بن حنبل عن يحيى بن إسحق وأبو داود بن يزيد بن خالد الرملى والترمذى والنسائى كلاهما عن قتيب ة كلهم عن الليث بن سعد به، وقال الترمذى : حسن صحيح.ثم قال أبو عبيد : وحدثنا يحيى بن سعيد الأموى عن ابن جريج عن ابن ابى مليكة عن أم سلمة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع قراءته بسم الله الرحمن الرحيم * الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين وهكذا رواه أبو داود من حديث ابن جريج ، وقال الترمذى : غريب وليس إسناده بمتصل، يعنى أن عبد الله بن عبيد الله بن أبى مليكة لم يسمعه من أم سلمة انما رواه عن يعلى بن مملك كما تقدم، والله تعالى أعلم.

الترجيع

حدثنا آدم بن أبى إياس ، حدثنا شعبة ، حدثنا أبو إياس قال: سمعت عبدالله بن مغفل قال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم وهويقرأ سورة الفتح على ناقته أو جمله و يسير به وهو يقرأ سورة الفتح أو من سورة الفتح قراءة لينة وهو يرجع . وقد تقدم هذا الحديث فى القراءة على الدابة، وأنه من المتفق عليه وفيه أن ذلك كان يوم الفتح، وأما الترجيع فهو الترديد فى الصوت، كما جاء أيضًا فى البخارى أنه جعل يقول: وكأن ذلك صدر من حركة الدابة تحته، فدل على جواز التلاوة عليه وإن أفضى إلى ذلك ولا يكون ذلك من باب الزيادة فى الحروف بل ذلك مغتفرللحاجة كما يصلى على الدابة حيث توجهت به مع إمكان تأخير ذلك، والصلاة إلى القبلة، والله أعلم.

حسن الصوت بالقراءة

حدثنا محمد بن خلف أبو بكر ، حدثنا (أبويحيى) الحمانى ، ثنا بريد بن عبدالله بن أبى بردة عن جده أبى بردة عن أبى موسى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يا أبا موسى لقد أوتيت مزمارًا من مزامير آل داود .

وهكذا رواه الترمذى عن موسى بن عبدالرحمن الكندى عن أبى يحيى الحمانى واسمه عبدالحميد بن عبد الرحمن وقال: حسن صحيح- وقد رواه مسلم من حديث طلحة بن يحيى بن طلحة عن أبى بردة عن موسى وفيه قصة، وقد تقدم الكلام على تحسين الصوت عند قول البخارى : من لم يتغن بالقرآن، وذكرت هناك أحكاما أغنى عن إعادتها ههنا، والله تعالى أعلم.

حسن الصوت بالقراءة

حدثنا محمد بن خلف أبو بكر ، حدثنا (أبويحيى) الحمانى ، ثنا بريد بن عبدالله بن أبى بردة عن جده أبى بردة عن أبى موسى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يا أبا موسى لقد أوتيت مزمارًا من مزامير آل داود .

وهكذا رواه الترمذى عن موسى بن عبدالرحمن الكندى عن أبى يحيى الحمانى واسمه عبدالحميد بن عبد الرحمن وقال: حسن صحيح- وقد رواه مسلم من حديث طلحة بن يحيى بن طلحة عن أبى بردة عن موسى وفيه قصة، وقد تقدم الكلام على تحسين الصوت عند قول البخارى : من لم يتغن بالقرآن، وذكرت هناك أحكاما أغنى عن إعادتها ههنا، والله تعالى أعلم.

من أحب أن يسمع القراءة من غيره

حدثنا عمر بن حفص بن غياث ، ثنا أبى، ثنا الأعمش عن إبراهيم عن عبيدة عن عبدالله قال: قال لى النبى صلى الله عليه وسلم: اقرأ على القرآن قلت: أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: ((إنى أحب أن أسمعه من غيرى .وقد رواه الجماعة إلا ابن ماجة من طريق الأعمش ، وله طرق يطول بسطها وقد تقدم فيما رواه مسلم من حديث طلحة عن يحيى بن طلحة عن أبى بردة عن أبى موسى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: يا أبا موسى لو رأيتنى وأنا أستمع لقراءتك البارحة فقال: أما والله لوأعلم أنك تستمع قراءتى لحبرتها لك تحبيرًا .

وقال الزهرى عن أبى سلمة : كان عمر إذا رأى أبا موسى قال: ذكرنا ربنا يا أبا موسى ، فيقرأ عنده، وقال أبوعثمان النهدى : كان أبو موسى يصلى بنا فلو قلت أنى لم أسمع صوت صنج قط ولا بربط قط ولا شيئا قط أحسن من صوته.

قول المقرىء للقارىء حسبك

حدثنا محمد بن يوسف ، ثنا سفيان عن الأعمش عن إبراهيم عن عبيدة عن عبدالله قال: قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقرأ على فقلت: يا رسول الله اقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: نعم فقرأت عليه سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا قال: حسبك الآن فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان .

أخرجه الجماعة إلا ابن ماجة من رواية الأعمش به ، ووجه الدلالة ظاهر، وكذا الحديث الاخر اقرؤوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم عليه فإذا اختلفتم فقوموا .

في كم يقرأ القرآن

وقول الله تعالى فاقرؤوا ما تيسر منه حدثنا علي ، حدثنا سفيان قال قال لى ابن شبرمة نظرت كم يكفى الرجل من القرآن؟ فلم أجد سورة أقل من ثلاث آيات فقلت لا عن ابراهيم عن عبدالرحمن بن يزيد أخبره عن علقمة عن أبى مسعود فلقيته وهو يطوف بالبيت، فذكر النبى صلى الله عليه وسلم أن:

من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه .وقد تقدم أن هذا الحديث متفق عليه وقد جمع البخارى فيما بين عبدالرحمن بن يزيد وعلقمة عن ابن مسعود وهو صحيح لأن عبد الرحمن سمعه أولا من علقمة ، ثم لقى أبا مسعود وهو يطوف فسمعه منه وعلى هذا هو ابن المدينى وشيخه سفيان ابن عيينة وما قاله عبد الله قاضي الكوفة وفقيه الكوفة فى زمانه استنباط حسن.

وقد جاء فى حديث فى السنن لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب وثلاث آيات ولكن هذا الحديث- أعنى حديث أبى مسعود - أصح وأشهر وأخص، ولكن وجه مناسبته للترجمة التى ذكرها البخارى فيه نظر والله أعلم ، والحديث الثانى أظهر فى المناسبة وهو قوله:حدثنا موسى بن إسماعيل ، ثنا أبو عوانة عن مغيرة عن مجاهد عن عبدالله ابن عمرو قال: أنكحنى أبى امرأة ذات حسب، فكان يتعاهدها كبنته فيسألها عن بعلها، فتقول: نعم الرجل من رجل، لم يطأ لنا فراشاولم يفتش لنا كنفا منذ اتيناه. فلما طال ذلك عليه ذكرللنبى صلى الله عليه وسلم فقال:القنى به فلقيته بعد، فقال: كيف تصوم؟ قال: كل يوم. قال: كيف تختم؟ . قال: كل ليلة، قال: صم كل شهر ثلاثة، واقرأ القرآن فى كل شهر قال: قلت: انى أطيق أكثر من ذلك،قال : صم ثلاثة أيام فى الجمعة قلت: أطيق أكثر من ذلك، قال: أفطر يومين وصم يوما قلت: أطيق أكثر من ذلك قال: صم، أفضل الصوم صوم داود: صيام يوم وإفطار يوم، واقرأ فى كل سبع ليال مرة فليتنى قبلت رخصة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك أنى كبرت وضعفت، فكان يقرأ على بعض أهله السبع من القرآن بالنهار، والذى يقرأ يعرضه بالنهار ليكون أخف عليه بالليل، وإذا أراد أن
يتقوى أفطرأياما وأحصى وصام مثلهن كراهية أن يترك شيئا فارق عليه النبى صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم: فى ثلاث وفى خمس، وأكثرهم على سبع .
وقد رواه فى الصوم، والنسائى أيضًا عن بندار عن غندر عن شعبة عن مغيرة ، والنسائى من حديث حصين ، كلاهما عن مجاهد به.
ثم روى البخارى ومسلم وأبو داود من حديث يحيى بن أبى كثير عن محمد بن عبدالرحمن مولى بنى زهرة عن أبى سلمة قال: وأحسبنى سمعت أنا من أبى سلمة عن عبدالله ابن عمرو قال: قال النبى صلى الله عليه وسلم: اقرأ القرآن فى شهر قلت: إنى أجد قوة، قال: فاقرأه فى سبع

ولا تزد على ذلك فهذا السياق ظاهره يقتضى المنع من قراءة القرآن فى أقل من سبع، وهكذا الحديث الذى رواه أبو عبيد : ثنا حجاج وعمر بن طارق ويحيى بن بكير كلهم عن ابن لهيعة عن حبان بن واسع عن أبيه عن قيس بن أبى صعصعة أنه قال للنبى صلى الله عليه وسلم يا رسول الله فى كم اقرأ القرآن؟ قال: فى كل خمس عشرة قال: إنى أجدنى أقوى من ذلك، قال: ففى كل جمعة .

وحدثنا حجاج عن شعبة عن محمد بن ذكوان رجل من أهل الكوفة قال: سمعت عبدالرحمن بن عبدالله بن مسعود يقول: كان عبدالله بن مسعود يقرأ القرآن فى غير رمضان من الجمعة إلى الجمعة. وعن حجاج عن شعبة عن أيوب، سمعت أبا قلابة عن أبى المهلب قال: كان أبى بن كعب يختم القرآن فى كل ثمان، وكان تميم الدارى يختمه فى كل سبع، وحدثنا هشيم عن الأعمش عن ابراهيم قال: كان الأسود يختم القرآن فى كل ست، وكان علقمة يختمه فى كل خمس، فلو تركنا ومجرد هذا لكان الأمرفى ذلك جليا، ولكن دلت أحاديث أخر على جواز قراءته فيما دون ذلك، كما رواه الإمام أحمد فى مسنده: حدثنا حسن ، ثنا ابن لهيعة ، حدثنا حبان بن واسع عن أبيه عن سعد بن المنذر الأنصارى أنه قال: يا رسول الله اقرأ القرآن فى ثلاث؟ قال: نعم قال: فكان يقرؤه حتى توفى وهذا إسناد جيد قوى حسن، فإن حسن بن موسى الأشيب ثقة متفق على جلالته، روى له الجماعة، وابن لهيعة إنما يخشى من تدليسه أوسوء حفظه، وقد صرح ههنا بالسماع، وهو من أئمة العلماء بالديار المصرية فى زمانه، وشيخه حبان بن واسع بن حبان وأبوه، كلاهما من رجال مسلم والصحابى لم يخرج له أحد من أهل الكتب الستة، وهذا على شرط كثير منهم، والله أعلم.

وقد رواه أبو عبيد رحمه الله عن ابن بكير عن ابن لهيعة عن حبان واسع عن أبيه عن سعد بن المنذرالأنصارى أنه قال: يا رسول الله أقرأ فى ثلاث؟ قال: نعم إن استطعت قال:

فكان يقرؤه كذلك حتى توفى .
(حديث آخر)- قال أبو عبيد : ثنا يزيد عن همام عن قتادة عن يزيد بن عبدالله بن الشخير عن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفقه من قرأه في أقل من ثلاث وهكذا أخرجه أحمد وأصحاب السنن الأربعة من حديث قتادة به، وقال الترمذى : حسن صحيح.
(حديث آخر)- قال أبو عبيد : ثنا يوسف بن العرق عن الطيب ابن سليمان قال: حدثتنا عمرة بنت عبدالرحمن أنهاسمعت عائشة تقول: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لايختم القرآن فى أقل من ثلاث . هذا حديث غريب جدًا وفيه ضعف، فإن الطيب بن سليمان هذا بصرى ضعفه الدارقطنى وليس هو بذاك المشهور، والله أعلم.
وقد كره غير واحد من السلف قراءة القرآن فى أقل من ثلاث، كماهو مذهب أبى عبيد وإسحاق بن راهويه وغيرهما من الخلف أيضًا.
قال أبوعبيد : ثنا يزيد عن هشام بن حسان عن حفصة بن أبى العالية عن معاذ بن جبل أنه كان يكره أن يقرأ القرآن فى أقل من ثلاث ، صحيح.
وحدثنا يزيد عن سفيان عن على بن بذيمة عن أبى عبيدة قال عبدالله : من قرأ القرآن فى أقل من ثلاث فهو راجز.
وحدثنا حجاج عن شعبة عن على بن بذيمة عن أبى عبيدة عن عبدال له مثله، وحدثنا حجاج عن شعبة عن محمد بن ذكوان عن عبدالله بن مسعود عن أبيه أنه كان يقرأ القرآن فى رمضان فى ثلاث . إسناد صحيح.
فصل
وقد ترخص جماعات من السلف فى تلاوة القرآن فى أقل من ذلك،منهم أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه قال أبو عبيد رحمه الله: حدثنا حجاج عن ابن جريج ، أخبرنى ابن خصيفة عن السائب بن يزيد أن رجلا سأل عبد الرحمن بن عثمان التيمى عن صلاة طلحة بن عبيد الله فقال: إن شئت أخبرتك عن صلاة عثمان رضى الله عنه، فقال: نعم، قال:

قلت لأغلبن الليلة على الحجرفقمت، فلما قمت إذا أنا برجل مقنع يزحمنى، فنظرت فإذا عثمان بن عفان رضى الله عنه، فتأخرت عنه فصلى، فإذا هو يسجد سجود القرآن حتى إذا قلت: هذه هوادى الفجرأوتر بركعة لم يصل غيرها . وهذا إسناد صحيح.
ثم قال: ثنا هشيم ، أنا منصور عن ابن سيرين قال: قالت نائلة بنت الفرافصة الكلبية حين دخلوا على عثمان ليقتلوه: إن تقتلوه أو تدعوه فقد كان يحيى الليل كله بركعة يجمع فيها القرآن . وهذا حسن.
وقال أيضًا: حدثنا أبو معاوية عاصم بن سليمان عن ابن سيرين أن تميما الدارى قرأ القرآن فى ركعة. حدثنا حجاج عن شعبة عن حماد عن سعيد بن جبير أنه قال: قرأت القرآن فى ركعة. حدثنا حجاج عن شعبة عن حماد عن سعيد بن جبير أنه قال: قرأت القرآن فى ركعة فى البيت، يعنى الكعبة .
وحدثنا جرير عن منصور عن إبراهيم عن علقمة أنه قرأ القرآن في ليلة، طاف بالبيت أسبوعًا، ثم أتى المقام فصلى عنده فقرأ بالمئين، ثم طاف أسبوعًا ثم أتى المقام فصلى عنده فقرأ بالمثانى، ثم طاف بالبيت أسبوعًا ثم أتى المقام فصلى عنده فقرأ بقية القرآن وهذه كلها أسانيد صحيحة.
ومن أغرب ما ههنا ما رواه أبو عبيد رحمه الله، حدثنا سعيد بن غفير عن بكر عن مضر أن سليم بن عترالتجيبى كان يقرأ القرآن فى ليلة ثلاث مرات، ويجامع ثلاث مرات، قال: فلما مات قالت امرأته: رحمك الله إن كنت لترضى ربك وترضى أهلك، قالوا: وكيف ذلك؟ قالت: كان يقوم من الليل فيختم بالقرآن، ثم يلم بأهله ثم يغتسل ويعود فيقرأ حتى يختم، ثم يلم بأهله، ثم يغتسل ويعود فيقرأحتى يختم، ثم يلم بأهله، ثم يغتسل ويخرج إلى صلاة الصبح.
(قلت): كان سليم بن عتر تابعيا جليلا ثقة نبيلا وكان قاضيا بمصر أيام معاوية وقاصها، قال أبو حاتم : روى عن أبى الدرداء وعنه ابن زحر ، ثم قال: حدثنى محمد بن عون عن

أبى صالح كاتب الليث ، حدثنى حرملة بن عمران عن كعب بن علقمة قال: كان سليم بن عتر من خير التابعين وذكره ابن يونس فى تاريخ مصر- وقد روى ابن أبى داود عن مجاهد أنه كان يختم القرآن فيما بين المغرب والعشاء، وعن منصور قال: كان على الأزدى يختم فيما بين المغرب والعشاء كل ليلة من رمضان، وعن إبراهيم بن سعد قال: كان أبى يحتبى فما يحل حبوته حتي يختم القرآن.

قلت: وروى عن منصور بن زاذان أنه كان يختم فيما بين الظهر والعصر، ويختم أخرى فيما بين المغرب والعشاء، وكانوا يؤخرونها قليلا، وعن الإمام الشافعى رحمه الله أنه كان يختم فى اليوم والليلة من شهررمضان ختمتين وفى غيره ختمة. وعن أبى عبدالله البخارى صاحب الصحيح أنه كان يختم فى الليلة ويومها من رمضان ختمة.

ومن غريب هذا وبديعه ما ذكره الشيخ أبو عبدالرحمن السلمى الصوفى قال سمعت الشيخ أبا عثمان المغربى يقول: كان ابن الكاتب يختم بالنهار أربع ختمات، وبالليل أربع ختمات، وهذا نادر جدا، فهذا وأمثاله من الصحيح عن السلف محمول. إما على أنه ما بلغهم فى ذلك حديث مما تقدم، أو أنهم كانوا يفهمون ويتفكرون فيما يقرءونه مع هذه السرعة، والله سبحانه وتعالى أعلم.

قال الشيخ أبو زكريا النواوى فى كتابه البيان بعد ذكر طرف مما تقدم، والاختيار أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص فمن كان له بدقيق الفكر لطائف ومعارف فليقتصر على قدر يحصل له كمال فهم ما يقرؤه وكذا من كان مشغولا بنشر العلم وغيره من مهمات الدين ومصالح المسلمين العامة فليقتصر على قدر لا يحصل بسببه إخلال بما هو مرصد له، وإن لم يكن من هؤلاء فليستكثر ما أمكنه من غيرخروج إلى حد الملل والهذرمة. ثم قال البخاري رحمه الله:

البكاء عند قراءة القرآن

وأورد فيه من رواية الأعمش عن إبراهيم (عن) عبيدة عن

عبدالله هو ابن مسعود - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اقرأ علي قلت: اقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: إنى أشتهى أن أسمعه من غيري قال:فقرأت النساء حتى إذا بلغت فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا قال لى: كف أو أمسك فإذا عيناه تذرفان ، وهذا من المتفق عليه كما تقدم، وكما سيأتى إن شاء الله.

من راءى بقراءة القرآن أو تأكل به أوفخر به

حدثنا محمد بن كثير ، أنا سفيان ، ثنا الأعمش عن خيثمة عن سويد بن غفلة ، عن على رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:
يأتى فى آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من خيرقول البرية، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لايجاوز إيمانهم حناجرهم، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة .

وقد روى فى موضعين آخرين، و مسلم وأبو داود والنسائى من طرق عن الأعمش به.
حدثنا عبدالله بن يوسف ، ثنا مالك عن يحيى بن سعيد عن محمدابن إبراهيم بن الحارث التيمى عن أبى سلمة بن عبدالرحمن ، عن أبى سعيد الخدرى قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم وعملكم مع عملهم، ويقرءون القرآن لايجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ينظر فى النصل فلا يرى شيئًا، وينظر فى القدح فلا يرى شيئًا، وينظر فى الريش فلا يرى شيئًا، ويتمارى فى الفوق . ورواه فى موضع آخر ومسلم أيضًا والنسائى من طرق عن الزهرى عن أبى سلمة به، وابن ماجة من رواية محمد بن عمرو بن علقمة عن أبى سلمة به.
حدثنا مسدد بن مسرهد ، حدثنا يحيى بن سعيد عن شعبة

عن قتادة عن أنس بن مالك عن أبى موسى رضى الله
عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال:
المؤمن الذى يقرأ القرآن ويعمل به كالأترجة طعمها طيب
وريحها طيب، والمؤمن الذى لايقرأ القرآن ويعمل به،
كالتمرة طعمها طيب ولا ريح لها، ومثل المنافق الذى يقرأ
القرآن كالريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق
الذى لا يقرأ القرآن كالحنظلة طعمها مر أو خبيث- وريحها
مر .
ورواه فى موضع آخرمع بقية الجماعة من طرق عن قتادة
به
ومضمون هذه الأحاديث التحذير من المراءاة بتلاوة القرآن
التى هى من أعظم القرب، كما جاء فى الحديث واعلم أنك
لن تتقرب إلى الله بأعظم مماخرج منه يعنى القرآن.
والمذكورون فى حديث على وأبى سعيد هم الخوارج وهم
الذين يجاوز إيمانهم حناجرهم، وقد قال فى الرواية الأخرى
يحقرأحدكم قراءته مع قراءتهم، وصلاته مع صلاتهم، وصيامه
مع صيامهم . ومع هذا أمر بقتلهم لأنهم مراءون فى أعمالهم
فى نفس الأمر وإن كان بعضهم قد لايقصد ذلك إلا أنهم
أسسوا أعمالهم على اعتقاد غير صالح، فكانوا فى ذلك
كالمذمومين فى قوله أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله
ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار
به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين وقد اختلف
العلماء فى تكفير الخوارج وتفسيقهم ورد رواياتهم، كما
سيأتى تفصيله فى موضعه إن شاء الله تعالى.
والمنافق المشبه بالريحانة التى لها ريح ظاهر وطعمها مر
هو المرائى بتلاوته، كما قال تعالى إن المنافقين يخادعون
الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى
يراؤون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا ثم قال البخارى :

اقرءوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم

حدثنا أبو النعمان محمد بن الفضيل عارم ثنا حماد بن زيد

عن أبى عمران الجونى عن جندب بن عبدالله رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: اقرءوا القرآن ما ائتلفت قلوبكم، فإذا اختلفتم فقوموا عنه .
حدثنا عمرو بن على بن بحر الفلاس ثنا عبد الرحمن بن مهدى ثنا سلام بن أبى مطيع عن أبى عمران الجونى عن جندب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقرءوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم فإذا اختلفتم فقوموا .
تابعه الحارث بن عبيد و سعيد بن زيد عن أبى عمران ولم يرفعه حماد بن سلمة وأبان. وقال غندر عن شعبة عن أبى عمران قال: سمعت جندبا قوله وقال ابن عون عن أبى عمران عن عبدالله بن الصامت عن عمر قوله، و جندب أكثر وأصح.
وقد رواه فى مواضع أخر و مسلم كلاهما عن إسحق بن منصور عن عبدالصمد عن همام عن أبى عمران به، و مسلم أيضاً عن يحيى بن يحيى عن الحارث ابن عبيد أبى قدامة عن أبى عمران ورواه مسلم أيضا عن أحمد بن سعيد بن حبان بن هلال عن أبان العطار عن أبى عمران به مرفوعا، وقد حكى البخارى أن أباناً و حماد بن سلمة لم يرفعاه، فالله أعلم، ورواه النسائى و الطبرانى من حديث مسلم بن ابراهيم عن هارون بن موسى الأعور النحوى عن أبى عمران به. ورواه النسائى أيضاً من طرق عن سفيان عن الحجاج بن قرافصة عن أبى عمران به مرفوعا، وفى رواية عن هارون ابن زيد بن أبى الزرقاء عن أبيه عن سفيان عن حجاج عن أبى عمران عن جندب موقوفا. ورواه عن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم عن إسحق ابن الأزرق عن عبدالله بن عون عن أبى عمران عن عبدالله بن الصامت عن عمر قوله، قال أبوبكر بن أبى داود لم يخطىء ابن عون فى حديث قط إلا فى هذا، والصواب عن جندب .
ورواه الطبرانى عن على بن عبدالعزيز عن مسلم بن إبراهيم و سعيد بن منصور قالا: ثنا الحارث بن عبيد عن أبى عمران عن جندب مرفوعا. فهذا ما تيسر من ذكرطرق هذا

الحديث على سبيل الاختصار. والصحيح منها ما أرشد إليه شيخ هذه الصناعة أبو عبدالله البخارى من الاكثر والأصح أنه عن جندب بن عبدالله مرفوعا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومعنى الحديث أنه عليه السلام أرشد وحض أمته على تلاوة القرآن إذا كانت القلوب مجتمعة على تلاوته متفكرة متدبرة له لا فى حال شغلها وملالها، فإنه لايحصل المقصود من التلاوة بذلك، كما ثبت فى الحديث أنه قال عليه السلام: اكلفوا من العمل ما تطيقون، فإن الله لا يمل حتى تملوا وقال: أحب الأعمال إلى الله ما داوم عليه صاحبه- وفى اللفظ الآخر- أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل .

ثم قال البخارى : ثنا سليمان بن حرب ثنا شعبة عن عبدالملك ابن ميسرة عن النزال بن سبرة عن عبدالله هو ابن مسعود أنه سمع رجلا يقرأ آية سمع من النبى صلى الله عليه وسلم خلافها، فأخذت بيده فانطلقت إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال: كلاكما محسن فاقرآ أكبر علمى قال فإن من قبلكم اختلفوا فيه فأهلكهم الله عزوجل .

وأخرجه النسائى من رواية شعبة به. وهذا فى معنى الحديث الذى تقدمه، وأنه ينهى عن الاختلاف فى القراءة والمنازعة فى ذلك والمراء فيه، كما تقدم فى النهى عن ذلك، والله أعلم.

وقريب من هذا ما رواه عبدالله بن الإمام أحمد فى مسند أبيه، ثنا أبو محمد سعيد بن محمد الجرمى ثنا يحيى بن سعيد الأموى عن الأعمش عن عاصم عن زر بن حبيش قال: قال عبدالله بن مسعود : تمارينا فى سورة من القرآن فقلنا: خمس وثلاثون آية، ست وثلاثون اية، قال: فانطلقنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدنا عليا يناجيه، فقلنا له: اختلفنا فى القراءة فاحمر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال على: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم أن تقرءوا كما علمتم .

وهذا آخر ما أورده البخارى رحمه الله فى كتاب فضائل القرآن، ولله الحمد والمنة.

كتاب الجامع لأحاديث شتى تتعلق بتلاوة القرآن وفضائله وفضل أهله

(فصل)- قال أحمد : ثنا معاوية بن هشام ، ثنا هشام ، ثنا شيبان عن فراس عن عطية عن أبى سعيد قال: قال نبى الله صلى الله عليه وسلم: يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة: اقرأ وارق واصعد، فيقرأ ويصعد بكل آية درجة حتى يقرأ آخر شىء معه .

وقال أحمد : ثنا أبو عبدالرحمن ، حدثنا حيوة ، حدثنى بشير بن أبى عمرو الخولانى أن الوليد بن قيس التجيبنى حدثه أنه سمع أبا سعيد الخدرى يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: يكون خلف من بعد الستين سنة، أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا، ثم يكون خلف يقرءون القرآن لايعدو تراقيهم ويقرأ القرآن ثلاثة: مؤمن ومنافق وفاجر .

قال بشير : فقلت للوليد : ما هؤلاء الثلاثة؟ قال: المنافق كافر به، والفاجر يتأكل به، والمومن يومن به.

وقال أحمد : ثنا حجاج ، ثنا ليث ، حدثنى يزيد بن أبى حبيب عن أبى الخير عن أبى الخطاب عن أبى سعيد أنه قال: أن رسول الله عام تبوك خطب الناس وهو مسند ظهره إلى نخلة، فقال:

ألا أخبركم بخير الناس وشر الناس؟ إن خير الناس رجل عمل فى سبيل الله على ظهرفرسه أو على ظهر بعيره أو على قدميه حتى يأتيه الموت، وإن من شر الناس رجلاً فاجرا يقرأ كتاب الله لا يرعوى إلى شىء منه .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : ثنا محمد بن عمر بن هياج الكوفى ، ثنا الحسين بن عبد الأعلى ، ثنا محمد بن الحسن الهمدانى عن عمرو بن قيس عن عطية عن أبى سعيد قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من شغله قراءة القرآن عن دعائى أعطيته أفضل ثواب الشا كرين .
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه .
ثم قال: تفرد به محمد بن الحسن ولم يتابع عليه.
وقال الإمام أحمد : ثنا أبو عبيدة الحداد ، حدثنى عبد الرحمن ابن بديل ابن ميسرة ، حدثنى أبى عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن لله اهلين من الناس قيل: من هم يا رسول الله قال: أهل القرآن هم أهل الله وخاصته
وقال أبو القاسم الطبرانى : ثنا محمد بن على بن شعيب السمسار ، ثنا خالد بن خداش ، ثنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس بن مالك رضى الله عنه كان إذا ختم القرآن جمع أهله وولده فدعا لهم. وقال الحافظ أبو القاسم الطبرانى : ثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل ، ثنا محمد بن عباد المكى ، ثنا حاتم بن اسماعيل عن شريك عن الأعمش عن يزيد بن أبان عن الحسن عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : القرآن غنى لا فقر بعده ولاغنى بدونه
وقال الحافظ أبو بكر البزار : ثنا سلمة بن شبيب ، ثنا عبدالرزاق ، ثنا عبدالله بن المحرر عن قتادة عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لكل شىء حلية، وحلية القرآن الصوت الحسن ابن المحرر ضعيف.
وقال الإمام أحمد : حدثنا حسن : ثنا ابن لهيعة ، ثنا بكر بن سوادة عن وفاء الخولانى عن أنس بن مالك قال: بينما نحن (نقرأ) فينا العربى والعجمى والأسود والأبيض إذ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أنتم فى خير تقرءون كتاب الله وفيكم رسول الله، وسيأتى على الناس زمان يثقفونه كما يثقف القدح يتعجلون اجورهم ولا يتأجلونها

وقال الحافظ أبو بكر البزار : ثنا يوسف بن موسى ، ثنا

عبدالله بن الجهم ، ثنا عمرو بن أبى قيس عن عبد ربه بن عبدالله عن عمر بن نبهان عن الحسن عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: أن البيت الذى يقرأ فيه القرآن يكثر خيره، والبيت الذى لايقرأ فيه القرآن يقل خيره

وقال الحافظ أبو يعلى : حدثنا الفضل بن الصبح ، حدثنا أبو عبيدة ، حدثنى يزيد الرقاشي عن أنس قال: قعد أبو موسى فى بيت واجتمع إليه ناس فأنشأ يقرأ عليهم القرآن قال: فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فقال: يا رسول الله ألا أعجبك من أبى موسى أنه قعد فى بيت واجتمع إليه ناس، فأنشأ فقرأ عليهم القرآن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

أتستطيع أن تقعدنى حيث لا يرانى منهم أحد؟ قال نعم قال: فخرج رسول صلى الله عليه وسلم فأقعده الرجل حيث لا يراه منهم أحد، فسمع قراءة أبى موسى فقال: إنه ليقرأ على مزمار من مزامير داود عليه السلام .

وقال الإمام أحمد : حدثنا مصعب بن سلام ، ثنا جعفر هو ابن محمد ابن على بن الحسين عن أبيه عن جابر بن عبدالله قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه بما هوأهله، ثم قال: أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأن أفضل الهدى هدى محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة، ثم يرفع صوته وتحمر وجنتاه ويشتد غضبه إذا ذكر الساعة كانه منذر جيش قال: ثم يقول أتتكم الساعة، بعثت أنا والساعة هكذا - وأشار بإصبعيه السبابة والوسطى- صبحتكم الساعة ومستكم، من ترك مالاً لأهله ومن ترك دينًا أو ضياعًا فإلى وعلي

وقال الإمام أحمد : ثنا عبدالوهاب - يعنى ابن عطاء - أنا أسامة ابن زيد الليثى عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبدالله قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد، فإذا قوم يقرءون القرآن قال:اقرأوا القرآن وابتغوا به الله عز وجل من قبل أن يأتى قوم يقيمونه إقامة القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه

وقال أحمد أيضًا: ثنا خلف بن الوليد ، ثنا خالد عن حميد الأعرج عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبدالله قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نقرأ القرآن وفينا العجمى والأعرابى قال فاستمع، قال: فقال: اقرأوا فكل حسن، وسيأتى قوم يقيمونه كما يقام القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه .

وقال أبو بكر البزار : ثنا أبو كريب محمد بن العلاء ، ثنا عبدالله بن الأجلح عن الأعمش عن المعلى الكندى ، عن عبدالله بن مسعود قال: إن هذا القرآن شافع مشفع من اتبعه قاده إلى الجنة، ومن تركه أو أعرض عنه - أو كلمة نحوها-؟دح فى قفاه إلى النار. وحدثنا أبو كريب ، ثنا عبدالله بن الأجلح عن الأعمش عن أبى سفيان عن جابر عن عبدالله عن النبى صلى الله عليه وسلم نحوه.

وقال الحافظ أبو يعلى : ثنا أحمد بن عبدالعزيز بن مروان أبو صخر ، حدثنى بكير عن يونس عن موسى بن على عن أبيه، عن يحيى بن أبى كثير اليمامى ، عن جابر عن عبدالله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من قرأ ألف آية كتب له قنطارًا، والقنطار مائة رطل والرطل ثنتا عشرة أوقية، والأوقية ستة دنانير، والدينار أربعة وعشرون قيراطًا، والقيراط مثل أحد، ومن قرأ ثلاثمائة قال الله لملائكته: نصب عبدى كى أشهدكم يا ملائكتى أنى قد غفرت له، ومن بلغه عن الله فضيلة فعمل بها إيمانًا به ورجاء ثوابه أعطاه الله ذلك، وإن لم يكن ذلك كذلك .

وقال أحمد : ثنا جرير عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الرجل الذى ليس فى جوفه شىء من القرأن كالبيت الخرب .

قال البزار : لا نعلمه يروى عن ابن عباس إلا من هذا الوجه.

وقال الطبرانى : ثنا محمد بن عثمان بن أبى شيبة ، حدثنى أبى قال: وجدت فى كتاب أبى بخطه عن عمران بن أبى عمران عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم: من اتبع كتاب الله هداه الله من الضلالة، ووقاه سوء الحساب يوم القيامة ، وذلك أن الله عزوجل يقول، فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى وقال الطبرانى : ثنا (عثمان بن يحيى بن صالح) ، ثنا أبى ثنا ابن لهيعة عن عمرو بن دينار عن طاوس عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن أحسن الناس قراءة من قرأ القرآن يتحزن به وقال أيضًا: حدثنى أبو زيد القراطيسى ، ثنا نعيم بن حماد ، ثنا (عبدة ابن سليمان) عن سعيد أبى سعد البقال ، عن الضحاك عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أحسنوا الأصوات بالقرآن وروى أيضًا بسنده إلى الضحاك عن ابن عباس مرفوعًا أشراف أمتى حملة القرآن .
وقال الطبرانى : ثنا معاذ بن المثنى ، ثنا (ابراهيم بن أبى سويد الذارع) ثنا صالح المري عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن ابن عباس قال: سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أى الأعمال أحب إلى الله؟ فقال: الحال المرتحل قال: يارسول الله ما الحال المرتحل؟ قال:صاحب القرآن يضرب فى أوله حتى يبلغ آخره، وفى آخره حتى يبلغ أوله .

ذكر الدعاء المأثور لتحفيظ القرآن وطرد النسيان

قال أبو القاسم الطبرانى فى معجمه الكبير: ثنا الحسين بن إسحاق التسنترى ثنا هشام بن عمار ثنا محمد بن إبراهيم القرشى حدثنى أبو صالح و عكرمة عن ابن عباس قال: قال على بن أبى طالب : يا رسول الله القرآن يتفلت من صدرى، فقال النبى صلى الله عليه وسلم: أعلمك كلمات ينفعك الله بهن وينفع من علمته قال: نعم بأبى أنت وأمى قال صل ليلة الجمعة أربع ركعات تقرأ فى الركعة الأولى بفاتحة الكتاب ويس، وفى الثانية بفاتحة الكتاب وبحم الدخان. وفى الثالثة بفاتحة الكتاب (وآلم) تنزيل السجدة، وفى الرابعة بفاتحة الكتاب وتبارك المفصل، فإذا فرغت من

التشهد، فاحمد الله واثن عليه وصل على النبيين واستغفر للمؤمنين، ثم قل اللهم ارحمنى بترك المعاصى أبدا ما أبقيتنى، وارحمنى من أن أتكلف ما لا يعنينى، وارزقنى حسن النظر فيما يرضيك عنى ، اللهم بديع السماوات والأرض ذو الجلال والإكرام، والعزة التى لا ترام، أسألك يا الله يا رحمن بجلالك ونور وجهك أن تلزم قلبى حب كتابك كما علمتنى وارزقنى أن أتلوه على النحو الذى يرضيك عنى وأسألك أن تنور بالكتاب بصرى، وتطلق به لسانى، وتفرج به عن قلبى، وتشرح به صدرى، وتستعمل به بدنى، وتقوينى على ذلك وتعيننى عليه، فإنه لايعيننى على الخيرغيرك، ولا موفق له إلا أنت، فافعل ذلك ثلاث جمع أو خمسا أو سبعا تحفظه بإذن الله وما اخطأ مؤمنا قط . فأتى النبى صلى الله عليه وسلم بعد ذلك بسبع جمع فأخبره بحفظ القرآن والحديث، فقال النبى صلى الله عليه وسلم: مؤمن ورب الكعبة، علم أبا الحسن علم أبا الحسن . هذا سياق الطبرانى.

وقال أبوعيسى الترمذى فى كتاب الدعوات من جامعه، حدثنا احمد ابن الحسن ثنا سليمان بن عبدالرحمن الدمشقى ثنا الوليد بن مسلم ثنا ابن جريج عن عطاء بن أبى رباح و عكرمة مولى ابن عباس عن ابن عباس أنه قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاءه على بن أبى طالب فقال: بأبى أنت وأمى، تفلت هذا القرآن من صدرى فما أجدنى أقدر عليه؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أبا الحسن، أفلا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن وتنفع بهن من علمته ويثبت ما تعلمت فى صدرك قال: أجل يا رسول الله فعلمنى قال- إذا كانت ليلة الجمعة فإن استطعت أن تقوم فى ثلث الليل الآخر فإنها ساعة مشهودة والدعاء فيها مستجاب وقال أخى يعقوب لبنيه، سوف أستغفر لكم ربي يقول حتى تأتى ليلة الجمعة، فإن لم تستطع فقم فى وسطها، فإن لم تستطع فقم فى أولها فصل أربع ركعات تقرأ فى الأولى بفاتحة الكتاب وسورة

يس، وفى الركعة الثانية بفاتحة الكتاب وحم الدخان، وفى الركعة الثالثة بفاتحة الكتاب وألم تنزيل السجدة، وفى الركعة الرابعة بفاتحة الكتاب وتبارك المفصل، فإذا فرغت من التشهد فاحمد الله وأحسن الثناء على الله، وصل على وأحسن وعلى سائر النبيين، واستغفر للمؤمنين والمؤمنات ولاخوانك الذين سبقوك بالإيمان، ثم قل فى آخر ذلك: اللهم ارحمنى بترك المعاصى أبدا ما أبقيتنى، وارحمنى أن أتكلف ما لايعنينى، وارزقنى حسن النظر فيما يرضيك عنى، اللهم بديع السماوات والأرض ذا الجلال والاكرام، والعزة التى لاترام، أسألك يا الله يا رحمان بجلالك ونور وجهك أن تلزم قلبى حفظ كتابك كما علمتنى، وارزقنى أن أتلوه على النحو الذي يرضيك عنى. اللهم بديع السموات والأرض ذا الجلال والإكرام والعزة التى لا ترام أسألك يا الله يا رحمان بجلالك ونور وجهك أن تنور بكتابك بصرى، وأن تطلق به لسانى، وأن تفرج به عن قلبى، وأن تشرح به صدرى، وأن تغسل به بدنى، فإنه لايعيننى على الخير غيرك ولا يؤتيه الا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، يا أبا الحسن تفعل ذلك ثلاث جمع أو خمسا أو سبعا تجاب بإذن الله، والذى بعثنى بالحق ما أخطأ مؤمنا قط . قال ابن عباس : فوالله ما لبث على إلا خمسا أو سبعا حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك المجلس فقال: يا رسول الله والله إنى كنت فيما خلا لا آخذ إلا أربع آيات أو نحوهن: فإذا قرأتهن على نفسى تفلتن وأنا أتعلم اليوم أربعين آية أو نحوها فإذا قرأتها على نفسى فكأنما كتاب الله بين عينى، ولقد كنت أسمع الحديث فإذا قرأته تفلت، وأنا اليوم أسمع الأحاديث فإذا تحدثت بها لم أحزم منها حرفا. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك: مؤمن ورب الكعبة أبا الحسن ثم قال الترمذى : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث الوليد ابن مسلم كذا قال، وقد تقدم من غير طريق. ورواه الحاكم فى مستدركه من طريق الوليد ثم قال: على شرط الشيخين، ولاشك، أن سنده من الوليد على شرط

الشيخين حيث صرح الوليد بالسماع من ابن جريج فالله أعلم فإنه من البين غرابته بل نكارته والله أعلم.

وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع : ثنا العمرى عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مثل القرآن مثل الإبل المعقلة إن تعاهدها صاحبها أمسكها، وإن تركها ذهبت .

ورواه أيضا عن محمد بن عبيد و يحيى بن سعيد عن عبدالله العمر به ورواه أيضا عن عبدالرزاق عن معمر عن أيوب عن نافع عن ابن عمر مرفوعا بنحوه.

وقال البزار : ثنا محمد بن معمر ثنا حميد بن حماد بن أبى الخوار ثنا مسعر عن عبدالله بن دينار عن ابن عمر قال: سئل رسول الله: أى الناس أحسن قراءة قال: من إذا سمعته يقرأ رؤيت أنه يخشى الله عز وجل .

قال الإمام أحمد : ثنا عبدالرحمن عن سفيان عن عاصم عن زر عن عبدالله بن عمرو عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها .

وقال أحمد : ثنا حسن ثنا ابن لهيعة حدثنى حيى بن عبدالله . عن أبى عبدالرحمن عن عبدالله بن عمرو قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إنى أقرأ القرآن فلا أجد قلبى يعقل عليه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:إن قلبك حشى الإيمان وإن العبد يعطى الإيمان قبل القرآن .

وبهذا الإسناد أن رجلا جاء بابن له فقال: يا رسول الله إن ابنى يقرأ المصحف بالنهار، ويبيت بالليل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما تنقم إن ابنك يظل ذاكرا ويبيت سالما .

وقال أحمد : ثنا موسى بن داود ثنا ابن لهيعة عن حيى عن أبى عبدالرحمن عن عبدالله بن عمرو أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أى رب منعته الطعام والشهوات بالنهار

فشفعنى فيه ويقول القرآن منعته النوم بالليل فشفعنى فيه قال فيشفعان .
وقال أحمد : ثنا حسن ثنا ابن لهيعة عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: أكثر منافقى أمتى قراؤها .
وقال أحمد : ثنا وكيع حدثنى همام عن قتادة عن يزيد بن عبدالله ابن الشخير عن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قرأ القرآن فى أقل من ثلاث لم يفقهه ورواه أيضا عن غندر عن شعبة عن قتادة به، وقال الترمذى : حسن صحيح.
وقال أبو القاسم الطبرانى : ثنا محمد بن إسحاق بن راهويه ثنا أبى ثنا عيسى بن يونس و يحيى بن أبى حجاج التميمى عن اسماعيل بن رافع عن اسماعيل بن عبدالله بن أبى المهاجر عن عبدالله بن عمرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من قرأ القرآن فكأنما استدرجت النبوة بين جنبيه غير أنه لايوحى إليه. ومن قرأ القرآن فرأى أن أحدا أعطى أفضل مما أعطى، فقد عظم ما صغرالله وصغرما عظم الله، وليس ينبغى لحامل القرآن أن يسفه فيمن يسفه أو يغضب فيمن يغضب، أو يحتد فيمن يحتد، ولكن يعفو ويصفح لفضل القرآن .
وقال الإمام أحمد : ثنا أبو سعيد مولى بنى هاشم م ثنا عباد بن ميسرة عن الحسن عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من استمع إلى آية من كتاب الله كتبت له حسنة مضاعفة، ومن تلاها كانت له نورا يوم القيامة .
وقال البزار : حدثنا محمد بن حرب ثنا يحيى بن المتوكل ثنا عنبسة بن مهران عن الزهرى عن شعبة و أبى سلمة عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: مراء فى القرآن كفر . ثم قال: عنبسة هذا ليس بالقوى. وعنده فيه إسناد آخر.
وقال الحافظ أبو يعلى : ثنا أبو بكر بن أبى إدريس ثنا المقبرى عن جده عن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم: أعربوا القرآن والتمسواغرائبه
وقال الطبرانى : ثنا موسى بن خازم الأصبهانى ثنا محمد بن بكير الحضرمى ثنا اسماعيل بن عياش عن يحيى بن الحارث الذمارى عن القاسم أبى عبد الرحمن عن فضالة بن عبيد و تميم الدارى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: من قرأ عشر آيات فى ليلة، كتب له قنطار، والقنطار خير من الدنيا وما فيها، فإذا كان يوم القيامة يقول ربك عز وجل: اقرأ وارق بكل آية درجة حتى ينتهى إلى آخر آية معه، يقول ربك اقبض، فيقول العبد بيده يارب أنت أعلم، (فيقول) بهذه الخلد وبهذه النعيم .
آخر فضائل القرآن للحافظ العلامة الرحلة الجهبذ مفيد الطالبين الشيخ عماد الدين إسماعيل الشهير بابن كثير كثر الله فوائده.
تم بحمد الله.

وكتاب فضائل القرآن للإمام بن كثير – رحمه الله – حققه الشيخ أبو اسحاق الحوينى في مجلد حوى أكثر من ثلثمائة صفحة

أخلاق أهل القرآن

أبو بكر محمد بن الحسين الآجري

قسَّم الكتاب إلى أبواب، وجعل لكل باب عنوانًا، وأورد تحته ما يناسبه من أحاديث وآثار.ثم عقَّب على كثير من الأحاديث والآثار التي أوردها بالشرح والبيان، كما أنه لم يخل هذه التعليقات من توجيهات ونصائح ينتفع بها أهل القرآن.و لم يلتزم الصحة فيما يورده من النصوص.و لم يرتب النصوص التي أوردها ترتيبًا محددًا.وبلغ عدد النصوص المسندة(96) نصًّا، تتنوع بين أحاديث مرفوعة وآثار موقوفة على الصحابة والتابعين.

نص على نسبته إليه السيوطي في الإتقان(182، 282)، المناوي في فيض القدير(48)، والعجلوني في كشف الخفاء(275)

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه ثقتي وما توفيقي إلا بالله

أخبرنا الشيخان الصالحان الثقتان: الشيخ تاج الدين أبو العباس أحمد بن علي بن أبي الفضائل العكبري الفقيه الشافعي، والشيخ كما الدين أبو حفص عمر بن محمد بن محمد بن حسين سبط الشيخ الإمام العالم الحافظ أبي محمد عبد الرحيم بن محمد بن الزجاج.

قراءة عليهما وأنا أسمع، في يوم الجمعة السادس عشر من شهر ربيع الآخر من سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة في مسجد السلامي بدار الخليفة مشرقي بغداد.

قيل لهما: أخبركما الشيخ الإمام العالم مجد الدين أبو الفضل عبد الله بن محمود بن مودود بن محمود بن بلدجي إجازة فأقرابه.

قالا: أخبرنا الشيخ الإمام الزاهد الصالح أبو بكر مسمار بن عمر بن محمد بن العويس النيار المقرئ البغدادي سماعاً لجميعه قال: أخبرنا أبو الفضل محمد بن ناصر بن محمد بن علي الحافظ قال: أنا أبو بكر أحمد بن علي الطريبي قال: أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عمر بن حفص الحماني رحمة الله عليه، قال: قال أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري، رحمه الله: أحق ما أستفتح به الكلام، الحمد لمولانا الكريم، وأفضل الحمد ما حمد به الكريم نفسه، فنحن نحمده به.

)الحَمدُ لِلّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلى عَبدِهِ الكِتابُ وَلَم يَجعَلُ لَهُ عِوجاً قيماً ليُنذِرَ بَأساً شَدِيداً مِن لَدُنهِ، وَيُبَشِر المُؤمِنينَ الَّذين يَعمَلونَ الصالِحاتِ أَن لَهُم أجراً حَسَناً ماكِثينَ فيهِ أَبَدَاً(.

و)الحَمدُ لِلّه الَّذي لَهُ ما في السَمَواتِ وَما في الأَرض وَلَهُ الحَمدُ في الآَخِرَةِ وَهُوَ الحَكيمُ الخَبير يَعلَمُ ما يَلِجُ في الأَرضِ وَما يَخرِجُ مِنها وَما يَنزِلُ مِن السَماءِ وَما يَعرِجُ فيها وَهُوَ الرَحيمُ الغَفور(.

أحمده على قديم إحسانه، وتواتر نعمه، حمد من يعلم أن

مولاه الكريم علمه ما لم يكن يعلم، وكان فضله عليه عظيماً.
وأسأله المزيد من فضله، والشكر على ما تفضل به من نعمه، إنه ذو فضل عظيم.
وصلى الله على محمد عبده ورسوله، ونبيه، وأمينه على وحيه وعباده، صلاة تكون له رضاً، ولنا بها مغفرة، وعلى آله أجمعين وسلم كثيراً طيباً.
أما بعد: فإني قائل وبالله ألق التوفيق والصواب من القول والعمل، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.
قال أبو بكر: أنزل الله عز وجل القرآن على نبيه صلى الله عليه وسلم، وأعلمه فضل ما أنزل عليه، وأعلم خلقه في كتابه، وعلى لسان رسوله: أن القرآن عصمة لمن اعتصم به، وحرز من النار لمن اتبعه ونور لمن استنار به، وشفاء لما في الصدور، وهدى ورحمة للمؤمنين.
ثم أمر الله خلقه أن يؤمنوا به، ويعملوا بمحكمة: فيحلوا حلاله، ويحرموا حرامه، ويؤمنوا بمتشابهه، ويعتبروا بأمثاله، ويقولوا:)آمنا بِهِ كُلُ مِن عِندَ رَبَنا(.
ثم وعدهم على تلاوته والعمل به: النجاة من النار والدخول إلى الجنة ثم ندب خلقه عز وجل إذا هم تلوا كتابه أن يتدبروه ويتفكروا فيه بقلوبهم، وإذا سمعوه من غيرهم: أحسنوا استماعه.
ثم وعدهم على ذلك الثواب الجزيل فله الحمد.
ثم أعلم خلقه: أن من تلى القرآن وأراد به متاجرة مولاه الكريم فإنه يربحه الربح الذي لا بعده ربح، ويعرفه بركة المتاجرة في الدنيا والآخرة.
قال محمد بن الحسين: جميع ما ذكرته وما سأذكره إن شاء الله، بيانه في كتاب الله عز وجل وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن قول صحابته رضي الله عنهم وسائر العلماء، وسأذكر منه ما حضرني ذكره إن شاء الله والله الموفق لذلك. قال الله عز وجل)إِنَّ الَّذين يَتلونَ

كِتابَ اللَهِ وَأَقاموا الصَلاةَ وأنفَقوا مَمّا رَزقناهُمُ سِراً وَعلانيةً يَرجونَ تِجارَةً لَن تَبورَ ليوفيهُمُ أجورَهُم وَيزيدَهُم مِن فَضلِهِ إِنه غَفورٌ شَكور(.

وقال عز وجل:)إِنَّ هَذا القُرآن يَهدي لِلَتي هِيَ أَقوَمُ وَيُبَشِرُ المُؤمِنينَ الّذينَ يَعمَلونَ الصالِحاتِ أَنَّ لَهُمُ أجراً كَبيراً. وَإِنَّ الَّذينَ لا يُؤمِنونُ بِالآخِرَةِ أَعتَدنا لَهُمُ عَذاباً أَليماً(.

وقال عز وجل:)وَنُنَزِّلُ مِن القُرآنِ ما هُوَ شَفاءٌ وَرَحمَةٌ لِلمُؤمِنينَ وَلا يَزيدُ الظالِمينَ إِلا خَساراً(.

وقال عز وجل:)يا أَيُّها الناسُ قَد جاءَتكُم مَوعِظَةً مِن رَبِكُم وَشِفاءٌ لِما في الصُدورِ وَهُدَىً وَرَحمَةً لِلمُؤمِنين(.

وقال عز وجل:)يا أَيُّها الناسُ قَد جاءَكُم بُرهانٌ مِن رَبِكُم وأنزَلنا إِلَيكُم نُورَاً مُبيناً. فَأما الَّذينَ آمَنوا بِاللَهِ وَاعتَصَموا بِهِ فَسَيُدخِلَهُم في رَحمَةٍ مِنهُ وَفضل وَيَهديهُم إِلَيهِ صِراطاً مُستَقيماً(.

وقال عز وجل:)وَاعتَصِموا بِحَبلِ اللَهِ جَميعاً وَلا تَفَرَقوا(.

وحبل الله هو القرآن.

وقال عز وجل:)اللَهُ نَزَّلَ أَحسَنَ الحَديثِ كِتاباً مُتشابِهاً مُثاني تَقشَعِرُ مِنهُ جُلودُ الَّذينَ يَخشونُ رَبَهُم ثُمَ تَلينُ جُلودَهُم وَقُلوبَهُم إِلى ذِكرِ اللهِ ذَلِكَ هدى اللَهِ يَهدي مَن يَشاءُ وَمَن يُضَلِلِ اللَهُ فَما لَهُ مِن هادٍ(.

وقال عز وجل:)وَكَذَلِكَ أَنزَلناهُ قُرآناً عَرَبياً وَصَرَفنا فيهِ مِن الوَعيدِ لَعَلَهُم يَتَقون أَو يَحدِثُ لَهُم ذِكراً(.

ثم إن الله عز وجل وعد لمن استمع إلى كلامه فأحسن الأدب عند استماعه بلا اعتبار الجميل، ولزوم الواجب لاتباعه والعمل به، يبشره منه بكل خير، ووعده على ذلك أفضل الثواب.

فقال عز وجل)فبشر عِبادي الَّذينَ يَستَمِعونَ القَولَ فَيتَبِعونَ أَحسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذينَ هَداهُمُ اللَهُ وَأُولَئِكَ هُمُ أُولوا الألباب(.

وقال عز وجل:)وَأَنيبوا إِلى رَبَكُم وَأَسلَموا لَهُ مِن قَبلِ أَن يَأتيكُمُ العَذابَ ثُمَ لا تَنصُرونَ(إلى قوله)مِن قَبلِ أَن يَأتيكُمُ العَذابُ بَغتَةً وَأَنتُمُ لا تَشعُرونَ(.

قال محمد بن الحسين: فكل كلام ربنا حسن لمن تلاه، ولمن استمع إليه، وإنما هذا والله أعلم صفة قوم إذا سمعوا القرآن تتبعوا من القرآن أحسن ما يتقربون إلى الله تعالى، مما دلهم عليه مولاهم الكريم، يطلبون بذلك رضاه، ويرجون رحمته، سمعوا الله قال:)وَإِذا قُرِئَ القُرآنَ فَاِستَمِعوا لَهُ وَأَنصِتوا لَعَلَكُم تُرحَمون(.
فكان حسن استماعهم يبعثهم على التذكر فيما لهم وعليهم. وسمعوا الله عز وجل قال:)فَذَكر بِالقُرآنَ مِن يَخافُ وَعيد(.
وقد أخبرنا الله عن الجن، وحسن استماعهم للقرآن، واستجابتهم فيما يجذبهم إليه، ثم رجعوا إلى قومهم فوعظوهم بما سمعوا القرآن بأحسن ما يكون من الموعظة.
قال الله عز وجل:)قُل اوحِيَ إِلَيَّ أَنَهُ اِستَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الجِنِ فَقالوا إِنا سَمِعنا قُرآناً عَجَباً يَهدي إِلى الرُشدِ فَآمنا بِهِ وَلَن نُشرِك بِرَبِنا أَحَداً(
وقال عز وجل:)وَإِذ صَرَفنا إِلَيكَ نَفَراً مِنَ الجِن يَستَمِعونَ القُرآنَ، فَلَما حَضَروهُ قالوا: أَنصِتوا فَلَما قُضِيَ وَلّوا إِلى قَومِهُم مُنذِرينَ قالوا يا قَومَنا إِنّا سَمِعنا كِتاباً أُنزِلَ مِن بَعدِ موسى مُصَدِقاً لِما بَينَ يَدَيهِ يَهدي إِلى الحَقِ وَإِلَى طَريقٍ مُستَقيم يا قَومَنا أَجيبوا داعِيَ اللَهِ وَآمَنوا بِهِ(
قال محمد بن الحسين: وقد قال الله عز وجل في سورة ق والقرآن المجيد، ما دلنا على عظيم ما خلق من السموات والأرض وما بينهما من عجائب حكمته في خلقه، ثم ذكر الموت وعظيم شأنه، ثم ذكر النار وعظيم شأنها، وذكر الجنة وما أعد فيها لأوليائه فقال عز وجل:)لَهُمُ ما يَشاءونَ فيها وَلَدَينا مَزيدٌ(إلى آخر الآية.
ثم قال بعد ذلك:)إِنَّ في ذَلِكَ لِذِكرى لِمَن كانَ لَهُ قَلبٌ أَو أَلقى السَمعَ وَهُوَ شَهيد(.
فأخبر جل ذكره أن المستمع بأذنيه ينبغي أن يكون شاهداً بقلبه ما يتلو وما يسمع لينتفع بتلاوته للقرآن بالاستماع ممن يتلوه. ثم إن الله عز وجل حث خلقه على أن يتدبروا

القرآن، فقال عز وجل:)أَفَلا يَتَدَبَرونَ القُرآنَ أَم عَلى قُلوبِ أَقفالَها*(.
ثم قال بعد ذلك:)إِنَّ في ذَلِكَ لِذِكرى لِمَن كانَ لَه قَلبٌ أَو أَلقى السَمعَ وَهُوَ شَهيد(.
فأخبر جل ذكره أن المستمع بأذنيه ينبغي أن يكون شاهداً بقلبه ما يتلو وما يسمع لينتفع بتلاوته للقرآن بالاستماع ممن يتلوه. ثم إن الله عز وجل حث خلقه على أن يتدبروا القرآن، فقال عز وجل:)أَفَلا يَتَدَبَرونَ القُرآنَ أَم عَلى قُلوبِ أَقفالِها(.
وقال عز وجل:
)أَفَلا يَتَدَبرونَ القُرآنَ وَلَو كانَ مِن عِندِ غَيرِ اللَهِ لَوَجَدوا فيهِ اِختِلافاً كَثيراً(.
قال محمد بن الحسين: ألا ترون رحمكم الله إلى مولاكم الكريم كيف يحث خلقه على أن يتدبروا كلامه، ومن تدبر كلامه عرف الرب عز وجل، وعرف عظيم سلطانه وقدرته، وعرف عظيم تفضله على المؤمنين، وعرف ما عليه من فرض عبادته، فألزم نفسه الواجب، فحذر مما حذره مولاه الكريم، ورغب فيما رغبه فيه، ومن كانت هذه صفته عند تلاوته للقرآن وعند استماعه من غيره كان القرآن له شفاء، فاستغنى بلا مال، وعز بلا عشيرة، وأنس بما يستوحش منه غيره، وكان همه عند التلاوة السورة إذا افتتحها: متى أتعظ بما أتلوه؟ ولم يكن مراده متى أختم السورة؟ وإنما مراده متى أعقل من الله الخطاب؟ متى أذدجر؟ متى أعتبر؟ لأن تلاوته للقرآن عبادة، والعبادة لا تكون بغفلة، والله الموفق.
حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي قال ثنا زيد بن أخزم قال نا محمد بن الفضل قال نا سعيد بن زيد عن أبي حمزة عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله يعني ابن مسعود قال: لا تنثروه نثر الدقل. ولا تهذوه هذ الشعر، قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب، ولا يكن هم أحدكم آخر السورة.
وحدثنا أبو بكر أيضاً قال: نا الحسن بن محمد بن الصباح

الزعفراني قال: نا عبد الوهاب بن عطاء قال: سمعت أبا عبيدة الناجي يقول إنه سمع الحسن يقول: الزموا كتاب الله وتتبعوا ما فيه من الأمثال وكونوا فيه من أهل البصر.
ثم قال: رحم الله عبداً عرض نفسه وعمله على كتاب الله فإن وافق كتاب الله حمد الله وسأله الزيادة وإن خالف كتاب الله أعتب نفسه ورجع من قريب.
أخبرنا أبو عبد الله أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفي قال نا شجاع بن مخلد قال نا ابن علية، قال نا زياد بن مخراق عن معاوية بن قرة عن أبي كنانة أن أبا موسى الأشعري جمع الذين قرأوا القرآن وهم قريب من ثلاثمائة فعظم القرآن وقال: إن هذا القرآن كائن لكم ذخراً وكائن عليكم وزراً فاتبعوا القرآن ولا يتبعكم فإنه من اتبع القرآن هبط به على رياض الجنة، ومن اتبعه القرآن زخ به في قفاه فقذفه في النار.
الحسين بن الحسن المروزي قال نا ابن المبارك قال نا سالم المكي عن الحسن قال: من أحب أن يعلم ما هو فليعرض نفسه على القرآن.
حدثنا أبو بكر قال حدثنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد قال نا وحدثنا أبو محمد أيضاً قال نا الحسين قال نا عبد الله قال نا عبد الملك بن أبي ليمان عن عطاء وقيس بن سعد عن مجاهد في قوله عز وجل)يَتلونَهُ حَقَ تِلاوَتِهِ(قال: يعملون به حق عمله.
أخبرنا أبو عبد الله أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفي قال: نا شجاع بن مخلد قال نا أبو معاوية الضرير قال نا عبد رب بن أيمن عن عطاء قال: إنما القرآن عبر إنما القرآن عبر.
قال محمد بن الحسين: وقبل أن أذكر أخلاق أهل القرآن وما ينبغي أن يتأدبوا به أذكر فضل حملة القرآن ليرغبوا في تلاوته والعمل به والتواضع لمن تعلموا منه أو علموه.

باب فضل حملة القرآن

حدثنا أبو العباس حامد بن محمد بن شعيب البلخي قال نا يعقوب الدورقي قال نا عبد الرحمن بن مهدي عن عبد الرحمن بن بديل عن أبيه عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لله من الناس أهلون، قيل: من هم يا رسول الله قال: أهل القرآن هم أهل الله وخاصته.
حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي قال نا زياد ابن أيوب قال نا أبو عبيدة الحداد قال نا عبد الرحمن بن بديل عن أبيه عن أنس ابن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن لله أهلين قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: أهل القرآن هم أهل الله وخاصته.
حدثنا أبو جعفر أحمد بن يحيى الحلواني قال نا يحيى بن عبد الحميد الحماني قال نا حماد بن شعيب عن عاصم عن زر عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يقال لصاحب القرآن يوم القيامة: إقرأ وارق في الدرجات ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية كنت تقرأها.
وأخبرنا أبو عبد الله أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفي قال نا شجاع بن مخلد قال نا الفضل بن دكين قال نا سفيان عن عاصم عن زر عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يقال: إقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها.
وروي عن أم الدرداء أنها قالت: سألت عائشة عمن دخل الجنة ممن قرأ القرآن ما فضله على من لم يقرأه؟ فقالت عائشة عمن دخل الجنة ممن قرأ القرآن ما فضله على من لم يقرأه؟ فقالت عائشة إن عدد درج الجنة بعدد آي القرآن فمن دخل الجنة ممن قرأ القرآن فليس فوقه أحد.
حدثنا أبو الفضل جعفر بن محمد الصندلي قال نا الحسن بن محمد الزعفراني قال نا علي بن عاصم عن إبراهيم الهجري عن أبي الأحوص عن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تعلموا هذا القرآن واتلوه فإنكم تؤجرون

على تلاوته بكل حرف عشر حسنات أما إني لا أقول الم عشر ولكن الألف عشر واللام عشر والميم عشر، إن هذا النور المبين والشفاء النافع ونجاة من اتبعه وعصمة من تمسك به لا يعوج فيقوم ولا تنقض عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد.

وأخبرنا أبو عبد الله أحمد بن الحسين بن عبد الجبار الصوفي قال نا شجاع بن مخلد قال نا حجاج بن المنهال قال حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن أبي الأحوص وأبي البختري أن ابن مسعود قال: تعلموا القرآن واتلوه فإنكم تؤجرون به، إن بكل اسم منه عشراً أما إني لا أقول بالم عشر ولكن بالألف عشر وباللام عشر وبالميم عشر.

حدثنا أبو بكر عبد الله بن أبي داود قال نا أبو الطاهر أحمد بن عمرو وقال نا ابن وهب قال نا يحيى بن أيوب عن خالد بن يزيد بن ثعلبة بن أبي الكنود عن عبيد الله بن عمرو بن العاص قال: من جمع القرآن فقد حمل أمراً عظيماً، لقد أدرجت النبوة بين كتفيه غير أنه لا يوحي إليه فلا ينبغي لحامل القرآن أن يحد من يحد ولا يجهل مع من يجهل لأن القرآن في جوفه.

وحدثنا أبو بكر بن أبي داود أيضاً قال نا أبو الطاهر قال نا ابن وهب قال اخبرني مسلمة بن علي عن زيد بن واقد عن مكحول عن أبي أمامة الباهلي يرفعه قال: من قرأ ربع القرآن فقد أوتي ربع النبوة، ومن قرأ ثلث القرآن فقد أوتي ثلث النبوة ومن قرأ ثلثي القرآن فقد أوتي ثلثي النبوة.

باب فضل من تعلم القرآن وعلمه

حدثنا أبو شعيب عبد الله بن الحسن الحراني قال نا علي بن الجعد قال نا شعبة عن علقمة بن مرثد قال: سمعت سعد بن عبيدة يحدث عن أبي عبد الرحمن السلمي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال شعبة قلت له عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نعم قال: خيركم من تعلم القرآن وعلمه.

قال أبو عبد الرحمن: فذلك أقعدني مقعدي هذا فكان يعلم

من خلافة عثمان إلى إمرة الحجاج.
حدثنا أبو جعفر أحمد بن يحيى الحلواني قال حدثنا فيض بن وثيق قال نا عبد الواحد بن زيد عن عبد الرحمن بن إسحاق عن النعمان بن سعد عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: خيركم من تعلم القرآن وعلمه.
حدثنا أبو خبيب العباس بن أحمد البرتي قال نا عبد الله بن معاوية الجمحي قال نا الحارث بن نبهان قال نا عاصم بن بهدلة عن مصعب بن سعد عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: خيركم من تعلم القرآن وعلمه وأخذ بيدي فأقعدني في مجلسي اقرأ.
حدثنا أبو الفضل جعفر بن محمد الصندلي قال نا زهير بن محمد قال نا عبد الله بن يزيد المقرئ قال نا موسى بن علي بن رباح قال سمعت أبي يقول سمعت عقبة بن عامر يقول خرج إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في الصفة فقال: أيكم يجب أن يغدو إلى بطحان أو العقيق فيأتي كل يوم بناقتين كوماوين زهراوين فيأخذهما في غير إثم ولا قطع رحم قال: قلنا: كلنا يا رسول الله يحب ذلك قال: فلأن يغدو أحدكم إلى المسجد فيتعلم آيتين من كتاب الله خير له من أربع ومن أعدادهن من الإبل.

باب فضل الاجتماع في المسجد لدرس القرآن

حدثنا الفريابي قال نا إسحاق بن راهويه قال نا جرير يعني ابن عبد الحميد عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ما تجالس قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا حفت بهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه.
وحدثنا الفريابي أيضاً قال نا أبو بكر بن أبي شيبة عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله عز وجل يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة

وغشيتهم الرحمة وحفت بهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده.

وحدثنا الفريابي قال نا منجاب بن الحارث قال نا أبو الأحوص عن هارون بن عنترة عن أبيه قال قلت لابن عامر: أي العمل أفضل؟ قال: ذكر الله أكبر وما جلس قوم في بيت من بيوت الله يدرسون فيه كتاب الله ويتعاطونه بينهم إلا أظلتهم الملائكة بأجنحتها وكانوا أضياف الله ما داموا فيه حتى يخوضوا في حديث غيره.

باب ذكر أخلاق أهل القرآن

قال محمد بن الحسين: ينبغي لمن علمه الله القرآن، وفضله على غيره ممن لم يعلم كتابه وأحب أن يكون من أهل القرآن، وأهل الله وخاصته، وممن وعده الله من الفضل العظيم ماتقدم ذكرنا له.

وقال الله عز وجل)يَتلونَهُ حَقَ تِلاوَتِهِ(

قيل في التفسير: يعملون به حق عمله.

وممن قال النبي صلى الله عليه وسلم.

)لذي يقرأ القرآن، وهو ماهر به مع الكرام السفرة، والذي يقرأ القرآن وهو علين شاق، له أجران(

وقال بشر بن الحارث: سمعت عيسى بن يونس يقول: إذا ختم العبد القرآن، قبل الملك بين عينيه فينبغي له أن يجعل القرآن ربيعاً لقلبه، يعمر به ما خرب من قلبه، يتأدب بآداب القرآن، ويتخلق بأخلاق شريفة، تبين به عن سائر الناس ممن لا يقرأ القرآن.

فأول ما ينبغي له أن يستعمل تقوى الله في السر والعلانية باستعمال الورع في مطعمه ومشربه وملبسه ومسكنه.

بصيراً بزمانه وفساد أهله، فهو يحذرهم على دينه، مقبلاً على شأنه، مهموماً بإصلاح ما فسد من أمره، حافظاً للسانه مميزاً لكلامه. إن تكلم: تكلم بعلم، إذا رأى الكلام صواباً. وإذا سكت: سكت بعلم إذا كان السكوت صواباً، قليل الخوض فيما لا يعنيه، يخاف من لسانه أشد مما يخاف من عدوه. يحبس لسانه كحبسه لعدوه: ليأمن من شره

وشر عاقبته. قليل الضحك مما يضحك منه الناس لسوء عاقبة الضحك إن مر بشيء مما يوافق الحق تبسم.
يكره المزاح خوفاً من اللعب، فإن مزح: قال حقاً. باسط الوجه، طيب الكلام، لا يمدح نفسه بما فيه، فكيف بما ليس فيه، يحذر نفسه أن تغلبه على ما تهوى مما يسخط مولاه، لا يغتاب أحداً، ولا يحقر أحداً، ولا يسب أحداً، ولا يشمت بمصيبة، ولا يبغي على أحد، ولا يحسده ولا يسيء الظن بأحد إلا لمن يستحق، يحسد بعلم ويظن بعلم ويتكلم بما في الإنسان من عيب بعلم ويسكت عن حقيقة ما فيه بعلم قد جعل القرآن والسنة والفقه دليله إلى كل خلق حسن جميل حافظاً لجميع جوارحه عما نهي عنه إن مشى مشى بعلم وإن قعد قعد بعلم يجتهد ليسلم الناس من لسانه ويده، ولا يجهل فإن جهل عليه حلم لا يظلم وإن ظلم عفى لا يبغي وإن بغي عليه صبر بكظم غيظه ليرضي ربه ويغيظ عدوه متواضع في نفسه إذا قيل له الحق قبله من صغير أو كبير، يطلب الرفعة من الله لا من المخلوقين ماقت للكبر خائفاً على نفسه منه، لا يتآكل بالقرآن ولا يحب أن تقضى له به الحوائج ولا يسعى به إلى أبناء الملوك ولا يجالس به الأغنياء ليكرموهن، إن كسب الناس من الدنيا الكثير بلا فقه ولا بصيرة كسب هو القليل بفقه وعلم، إن لبس الناس الليّن الفاخر لبس هو من الحلال ما يستر به عورته إن وسع عليه وسع وإن أمسك عنه أمسك، يقنع بالقليل فيكفيه ويحذر على نفسه من الدنيا ما يطغيه، يتبع واجبات القرآن والسنة يأكل الطعام بعلم ويأكل بعلم ويشرب بعلم وينام بعلم ويجامع أهله بعلم ويصحب الإخوان بعلم يزورهم بعلم ويستأذن عليهم بعلم ويسلم عليهم بعلم ويحاور جاره بعلم، يلزم نفسه بر والديه فيخفض لهما جناحه ويخفض لصوتهما صوته ويبذل لهما ماله وينظر إليهما بعين الوقار والرحمة يدعو لهما بالبقاء ويشكر لهما عند الكبر، لا يضجر بهما ولا يحقرهما إن استعانا به على طاعة أعانهما وإن استعانا به على معصية لم يعنهما عليها ورفق بهمان من معصيته إياهما

يحسن الأدب ليرجعا عن قبيح ما أرادا مما لا يحسن بهما فعله، يصل الرحم ويكره القطيعة، من قطعه لم يقطعه، من عصى الله فيه أطاع الله فيه، يصحب المؤمنين بعلم ويجالسهم بعلم، من صحبه نفعه، حسن المجالسة لمن جالس، إن علم غيره رفق به، لا يعنف من أخطأ ولا يخجله رفيق من أموره، صبور على تعليم الخير، يأنس به المتعلم ويفرح به المجالس، مجالسته تفيد خيراً، مؤدب لمن جالسه بأدب القرآن والسنة وإذا أصيب بمصيبة فالقرآن والسنة له مؤدبان، يحزن بعلم ويبكي بعلم ويصبى بعلم يتطهر بعلم ويصلي بعلم ويزكي بعلم ويتصدق بعلم ويصوم بعلم ويحج بعلم ويجاهد بعلم ويكتسب بعلم وينفق وينبسط في الأمور بعلم وينقبض عنها بعلم قد أدبه القرآن والسنة. يتصفح القرآن ليؤدب به نفسه لا يرضى من نفسه أن يؤدي ما فرض الله عليه بجهل قد جعل العلم والفقه دليله إلى كل خير إذا درس القرآن فبحضور فهم وعقل، همته إيقاع الفهم لما ألزمه الله من إتباع ما أمر والانتهاء عما نهى، ليس همته متى أختم السورة همته متى استغني بالله عن غيرهن متى أكون من المتقين، متى أكون من المحسنين، متى أكون من المتوكلين متى أكون من الخاشعين، متى أكون من الصابرين، متى أكون من الصادقين متى أكون من الخائفين متى أكون من الراجين متى أزهد في الدنيا متى أرغب في الآخرة، متى أتوب من الذنوب متى أعرف النعم المتواترة، متى أشكره عليها، متى أعقل عن الله الخطاب، متى أفقه ما أتلو، متى أغلب نفسي على ما تهوي متى أجاهد في الله حق الجهاد، متى أحفظ لساني، متى أغض طرفي، متى أحفظ فرجي، متى أحاسب نفسي، متى أتذود ليوم معادي متى أكون عن الله راضياً متى أكون بالله واثقاً، متى أكون بزجر القرآن متعظاً، متى أكون بذكره عن ذكر غيره مشتغلاً متى أحب ما أحب ومتى أبغض ما أبغض متى أنصح لله متى أخلص له عملي، متى أقصر أملي، متى أتأهب ليوم موتي وقد غيب عني أجلي متى أعمر قبري متى أفكر في الموت

وشدته، متى أفكر في خلوتي مع ربي متى أفكر في المنقلب، متى أحذر مما حذرني منه ربي من نار حرها شديد وقعرها بعيد وعمقها طويل، لا يموت أهلها فيستريحوا ولا تقال عثرتهم ولا ترحم عبرتهم طعامهم الزقوم وشرابهم الحميم، كلما نضجت جلودهم بدلوا جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب، ندموا حيث لا ينفعهم الندم، وعضوا على الأيدي أسفاً على تقصيرهم في طاعة الله وركوبهم لمعاصي الله، فقال منهم قائل يا ليتني قدمت لحياتي

وقال قائل رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً فيما تركت وقال قائل يا ويلنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها وقال قائل يا ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً وقالت فرقة منهم ووجوههم تتقلب في أنواع من العذاب فقالوا يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا.قائل رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً فيما تركت وقال قائل يا ويلنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها وقال قائل يا ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً وقالت فرقة منهم ووجوههم تتقلب في أنواع من العذاب فقالوا يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا.

فهذه النار يا معشر المسلمين يا حملة القرآن حذرها الله المؤمنين في غير موضع من كتابه فقال عز وجل:)ا أَيُّها الَّذينَ آمَنوا قَوا أَنفُسَكُم وَأَهليكُم ناراً وقودُها الناسُ وَالحِجارَة عَلَيها مَلائِكَةً غِلاظ شِدادٌ لا يَعصونَ اللَهَ ما أَمَرَهُم وَيفعَلونَ ما يُؤمَرون(وقال عز وجل)اتَقوا النارَ الَّتي أُعِدَت لِلكافِرين(وقال عز وجل)ا أَيُّها الَّذين آمَنوا اَتَقوا اللَهَ وَلتَنظُر نَفسٌ ما قَدَمَت لِغَدٍ وَاتَقوا اللَهَ إِن اللَهَ خَبيرٌ بِما تَعمَلون(

ثم حذر المؤمنين أن يغفلوا عما فرض عليهم وما عهده إليهم أن لا يضيعوه وأن يحفظوا ما استرعاهم من حدوده ولا يكونوا كغيرهم ممن فسق عن أمره فعذبه بأنواع العذاب.

وقال عز وجل:)لا تَكونوا كَالَّذينَ نَسوا اللَهَ فَأَنساهُم أَنفُسَهُم أُولَئِكَ هُمُ الفاسِقون(ثم أعلم المؤمنين أنه لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة فقال عز وجل

)لايَستوي أَصحابُ النارِ وَأَصحابُ الجَنةِ أَصحابُ الجَنَةِ هُمُ الفائِزون(فالمؤمن العاقل إذا تلا القرأن استعرض فكان كالمرآة يرى بها ما حسن من فعله وما قبح فيه فما حذره مولاه حذره وما خوفه به من عقابه خافه وما رغب فيه مولاه رغب فيه ورجاه.

فمن كانت هذه صفته أو ما قارب هذه الصفة فقد تلاه حق تلاوته ورعاه حق رعايته وكان له القرآن شاهداً وشفيعاً وأنيساً وحرزاً، ومن كان هذا وصفه نفع نفسه ونفع أهله وعاد على والديه وعلى ولده كل خير في الدنيا والآخرة.

حدثنا أبو بكر عبد الله بن سليمان السجستاني قال نا أبو الطاهر أحمد بن عمرو قال أنا ابن وهب قال أخبرني يحيى بن أيوب عن زبان بن فائد عن سهل بن معاذ الجهني عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من قرأ القرآن وعمل بما فيه ألبس والديه تاجاً يوم القيامة ضوءه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا لو كانت فيه فما ظنكم بالذي عمل بهذا.

أخبرنا أبو عبد الله أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفي قال: أنا شجاع بن مخلد قال أنا يعلى بن عبيد عن الأعمش عن خيثمة قال: مرت امرأة بعيسى بن مريم فقالت: طوبى لحجرٍ حملك ولثديٍ رضعت منه فقال عيسى: طوبى لمن قرأ ثم عمل به.

حدثنا عمر بن أيوب السقطي قال أنا عبيد الله بن عمر القواريري قال أنا أبو أحمد الزبيري قال أنا بشير بن مهاجر عن عبد الله بن بريدة عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يجيء القرآن يوم القيامة إلى الرجل كالرجل الشاحب فيقول له من أنت فيقول: أنا الذي أظمأت نهارك وأسهرت ليلك.

حدثنا أبو بكر عبد الله بن سليمان قال أنا أبو الطاهر أحمد بن عمرو قال أنا عبد الله بن وهب قال أخبرني موسى بن أيوب عن عمه إياس بن عامر أن علي بن أبي طالب قال

له: إنك إن بقيت فسيقرأ القرآن على ثلاثة أصناف، صنف الله، صنف للدنيا، وصنف للجدل فمن طلب به أدرك.

باب أخلاق من قرأ القرآن لا يريد به الله عز وجل

قال محمد بن الحسين:

فأما من قرأ القرآن للدنيا أو لأبناء الدنيا فإن من أخلاقه أن يكون حافظاً لحروف القرآن مضيعاً لحدوده متعظماً في نفسه متكبراً على غيره قد اتخذ القرآن بضاعة يتأكل به الأغنياء ويستقضي به الحوائج يعظم أبناء الدنيا ويحقر الفقراء إن علم الغنى رفق به طمعاً في دنياه وإن علم الفقير زجره وعنفه لأنه لا دنيا له يطمع فيها يستخدم به الفقراء ويتيه به على الأغنياء، إن كان حسن الصوت أحب أن يقرأ للملوك ويصلي بهم طمعاً في دنياهم وإن سأله الفقراء الصلاة بهم ثقل ذلك عليه لقلة الدنيا في أيديهم إنما طلبه الدنيا حيث كانت ربض عندها يفخر على الناس بالقرآن ويحتج على من دونه في الحفظ بفضل ما معه من القرآن وزيادة المعرفة بالغرائب من القرآن التي لو عقل لعلم أنه يجب عليه أن لا يقرأ بها فتراه تائهاً متكبراً كثير الكلام بغير تمييز، يعيب كل من لم يحفظ كحفظه ومن علم أنه يحفظ كحفظه طلب عيبه، متكبراً في جلسته، متعاظماً في تعليمه لغيره ليس للخشوع في قلبه موضع. كثير الضحك والخوض فيما لا يعنيه، يشتغل عمن يأخذ عليه بحديث من جالسه هو إلى إستماع حديث جليسه أصغى منه إلى استماع من يجب عليه أن يستمع له، يروي أنه لم يستمع حافظاً، فهو إلى كلام الناس أشهى منه إلى كلام الرب عز وجل، لا يخشع عند استماع القرآن ولا يبكي ولا يحزن ولا يأخذ نفسه بالفكر فيما يتلى عليه وقد ندب إلى ذلك راغب في الدنيا وما قرب منها لها، يغضب ويرضى، إن قصر رجل في حقه قال أهل القرآن لا يقصر في حقوقهم وأهل القرآن تقضى حوائجهم، يستقضي من الناس حق نفسه، ولا يستقضي من نفسه حق الله عليها، يغضب على غيره زعم لله، ولا يغضب على نفسه لله، لا يبالي من أين

اكتسب من حرام أو من حلال قد عظمت الدنيا في قلبه إن فاته شيء لا يحل له أخذه حزن على فوته، لا يتأدب بأدب القرآن ولا يزجر نفسه عند الوعد والوعيد لاهٍ غافل عما يتلو أو يتلى عليه، همته حفظ الحروف، إن أخطأ في حرف ساءه ذلك لئلا ينقص جاهه عند المخلوقين فتنقض رتبته عندهم فتراه محزوناً مهموماً بذلك، وما قد ضيعه فيما بينه وبين الله مما أمر به في القرآن أو نهي عنه، غير مكترث به أخلاقه في كثير من أموره أخلاق الجهال الذين لا يعلمون، لا يأخذ نفسه بالعمل بما أوجب عليه القرآن إذا سمع الله عز وجل قال: ﴿ما آتاكُم الرسول فَخُذوهُ وَما نَهاكُم عَنهُ فَاِنتَهوا﴾ فكان الواجب عليه أن يلزم نفسه طلب العلم لمعرفة ما نهى عنه الرسول صلى الله عليه وسلم فينتهي عنه، قليل النظر في العلم الذي هو واجب عليه فيما بينه وبين الله عز وجل، كثير النظر في العلم الذي يتزين به عند أهل الدنيا ليكرموه بذلك، قليل المعرفة بالحلال والحرام الذي ندب الله إليه ثم رسوله ليأخذ الحلال بعلم ويترك الحرام بعلم، لا يرغب في معرفة علم النعم ولا في علم شكر المنعم، تلاوته للقرآن تدل على كره في نفسه وتزين عند السامعين منه، ليس له خشوع فيظهر على جوارحه، إذا درس القرآن أو درسه عليه غيره همته متى يقطع ليس همته متى يفهم، لا يتفكر عند التلاوة بضروب أمثال القرآن، ولا يقف عند الوعد والوعيد، يأخذ نفسه برضى المخلوقين ولا يبالي بسخط رب العالمين، يحب أن يعرف بكثرة الدرس ويظهر ختمه للقرآن ليحظى عندهم، قد فتنه حسن ثناء الجهلة من جهله يفرح بمدح الباطل وأعماله أعمال أهل الجهل، يتبع هواه فيما تحب نفسه غير متصفح لما زجره القرآن عنه، إن كان مما يقرئ غضب على من قرأ على غيره، إن ذكر عنده رجل من أهل القرآن بالصلاح كره ذلك، وإن ذكر عنده بمكروه سره ذلك، يسخر بمن دونه يهمز بمن فوقه، يتتبع عيوب أهل القرآن ليضع منهم ويرفع من نفسه، يتمنى أن يخطئ غيره، ويكون هو المصيب.

ومن كانت هذه صفته فقد تعرض لسخط مولاه الكريم، وأعظم من ذلك أن أظهر على نفسه شعار الصالحين بتلاوة القرآن وقد ضيع في الباطن ما يجب لله وركب ما نهاه عنه مولاه، كل ذلك بحب الرياسة والميل إلى الدنيا قد فتنه العجب بحفظ القرآن والإشارة إليه بالأصابع، إن مرض أحد من أهل الدنيا أو ملوكها فسأله أن يختم عليه سارع إليه وسر بذلك وإن مرض الفقير المستوى فسأله أن يختم عليه ثقل ذلك عليه يحفظ القرآن ويتلوه بلسانه وقد ضيع الكثير من أحكامه.

أخلاقه أخلاق الجهال إن أكل فبغير علم وإن شرب فبغير علم وإن لبس فبغير علم وإن جامع أهله فبغير علم وإن نام فبغير علم وإن صحب أقواماً أو زارهم أو سلم عليهم، واستأذن عليهم فجميع ذلك يجري بغير علم من الكتاب أو سنة.

وغيره ممن يحفظ جزء من القرآن مطالب لنفسه بما أوجب الله عليه من علم أداء فرائضه واجتناب محارمه وإن كان لا يؤبه له ولا يشار إليه بالأصابع.

قال محمد بن الحسين: فمن كانت هذه أخلاقه صار فتنة لكل مفتون لأنه إذا عمل بالأخلاق التي لا تحسن لمثله اقتدى به الجهال فإذا عيب على الجاهل قال فلان الحامل لكتاب الله فعل هذا فنحن أولى نفعله ومن كانت هذه حاله فقد تعرض لعظيم وثبتت عليه الحجة ولا عذر له إلا أن يتوب وإنما حداني على ما بينت من قبيح هذه الأخلاق نصيحة مني لأهل القرآن ليتخلقوا بالأخلاق الشريفة ويتخلفوا عن الأخلاق الدنية والله يوفقنا وإياهم للرشاد.

واعلموا رحمكم الله أني قد رويت فيما ذكرت أخباراً تدل على ما كرهته لأهل القرآن فأنا أذكر منها ما حضرني ليكون الناظر من كتابنا ينصح نفسه عند تلاوته للقرآن ويلزم نفسه الواجب والله الموفق.

حدثنا أبو بكر جعفر بن محمد الفريابي قال أنا إبراهيم بن العلاء الزبيدي قال أنا بقية بن الوليد عن شعبة عن سعيد

الجريري عن أبي نضرة عن أبي فراس عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لقد أتى علينا حين وما نرى أن أحداً يتعلم القرآن يريد به إلا الله فلما كان ههنا بآخرة خشيت أن رجالاً يتعلمونه يريدون به الناس وما عندهم، فأريدوا بقراءتكم وأعمالكم وإنا كنا نعرفكم إذ فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وإذا ينزل الوحي وإذ ينبئنا الله من أخباركم، فأما اليوم فقد مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وانقطع الوحي وإنما أعرفكم بما أقول من أعلن خيراً أحببناه عليه وظننا به خيراً، ومن أظهر شراً بغضناه عليه وظننا به شراً، سرائركم فيما بينكم وبين الله عز وجل.

حدثنا أبو بكر محمد بن يحيى بن سليمان المروزي قال حدثنا عبيد الله بن محمد العيشي قال نا حماد بن سلمة قال أنا الجريري عن أبي نضرة أن عمر بن الخطاب قال: يا أيها الناس. وذكر نحواً من حديث الفريابي.

قال محمد بن الحسين: فإذا كان عمر بن الخطاب قد خاف على قوم قرأوا القرآن في ذلك الوقت ميلهم إلى الدنيا فما ظنك بهم اليوم. وقد أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم أنه يكون أقوام يقرأون القرآن يقيمونه كما تقيمون القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه يطلبون به عاجلة الدنيا ولا يطلبون به الآخرة.

حدثنا أبو محمد الحسن بن علوية القطان قال أنا خلف بن هشام البزار قال أنا خالد بن عبد الله الواسطي عن حميد الأعرج عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم: ونحن نقرأ القرآن وفينا الأعجمي والأعرابي قال فاستمع فقال: اقرءوا فكل حسن. سيأتي قوم يقيمونه كما يقيمون القدح، يتعجلونه ولا يتأجلونه.

حدثنا ابو محمد يحيى بن محمد بن صاعد قال نا الحسين بن الحسن المروزي قال نا ابن المبارك قال أنا موسى بن عبيدة الربذي عن عبد الله بن عبيدة وهو أخوه عن سهل بن سعد الساعدي قال: بينا نحن نقترئ إذ خرج علينا رسول

الله صلى الله عليه وسلم فقال: الحمد لله، كتاب الله واحد وفيكم الأخيار وفيكم الأحمر والأسود، اقرأوا القرآن، أقرأوا قبل أن يأتي أقوام يقرأونه يقيمون حروفه كما يقام السهم لا يجاوز تراقيه، يتعجلون أجره ولا يتأجلونه.

وحدثنا أبو محمد أيضاً قال أنا الحسين بن الحسن قال أنا ابن المبارك قال نا موسى بن عبيد عن محمد بن إبراهيم بن الحارث عن ابن الهاد عن العباس بن عبد المطلب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يظهر هذا الدين حتى يجاوز البحار وحتى يخاض بالخيل في سبيل الله ثم يأتي قوم يقرأون القرآن فإذا قرأوه قالوا قد قرأنا القرآن فمن أقرأ منا فمن أعلم منا. ثم التفت إلى أصحابه فقال: هل ترون في أولئك من خير? قالوا: لا. قال: فأولئك منكم، وأولئك من هذه الأمة، وأولئك هم وقود النار.

وحدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي قال نا زهير بن محمد قال أنا ابن نمير عن موسى بن عبيدة عن محمد بن إبراهيم عن ابن الهاد عن العباس بن عبد المطلب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الحديث مثله.

وحدثنا ابن عبد الحميد أيضاً قال أنا زهير بن محمد قال أنا أبو نعيم قال أنا إسماعيل بن إبراهيم بن المهاجر قال سمعت أبي يذكر عن مجاهد عن ابن عمر قال: كنا صدر هذه الأمة وكان الرجل من خيار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما معه إلا السورة من القرآن أو شبه ذلك وكان القرآن ثقيلاً عليهم ورزقوا العمل به، وإن آخر هذه الأمة يخفف عليهم القرآن حتى يقرآه الصبي والأعجمي فلا يعملون به.

وحدثنا ابن عبد الحميد قال أنا زهير بن محمد قال أنا سعيد بن سليمان قال أنا خلف يعني الواسطي عن عطاء بن السائب قال: كان أبو عبد الرحمن يقرئنا فقال يوماً: قال عبد الله بن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليقرأن هذا القرآن قوم يشربونه كما يشرب الماء يقرأونه

فلا يجاوز تراقيهم.
حدثنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد قال حدثنا الحسين بن الحسن المروزي قال أنا ابن المبارك قال أن معمر عن يحيى بن المختار عن الحسن قال إن هذا القرآن قد قرأه عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله ولم يتأولوا الأمر مزاولة.
قال الله عز وجل)كِتابٌ أَنزَلناهُ إِلَيكَ مُبارَكٌ ليدبروا آياتِهِ(وما تدبر آياته اتباعه والله يعلم، أما والله ما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده حتى ان أحدهم ليقول: قد قرأت القرآن كله فما سقطت منه حرفاً وقد والله أسقطه كله، ما ترى الله القراء في خلق ولا عمل حتى أن أحدهم ليقول إني لأقرأ السورة في نفس واحد والله ما هؤلاء بالقراء ولا العلماء ولا الحكماء ولا الورعة متى كانت القراء تقول مثل هذا؟ لا أكثر الله في الناس مثل هؤلاء.
حدثنا أبو محمد أيضاً قال أنا الحسين قال أنا عبد الله بن المبارك قال أنا عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء وقيس بن سعد عن مجاهد في قول الله عز وجل:)يَتلونَهُ حَقَ تِلاوَتِهِ(قال: يعملون به حق عمله.
حدثنا أبو الفضل العباس بن يوسف الشكلي قال أنا العلاء بن سالم قال أنا شعيب بن حرب قال نا مالك بن مغول عن الحسيب بن رافع قال: عبد الله بن مسعود: ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذ الناس نائمون وبنهاره إذ الناس مفطرون وبورعه إذ الناس يخلطون وبتواضعه إذ الناس يختالون وبحزنه إذ الناس يفرحون وببكائه إذ الناس يضحكون وبصمته إذ الناس يخوضون.
حدثنا أبو الفضل جعفر بن محمد الصندلي قال أنا الفضل بن زياد قال أنا عبد الصمد بن يزيد قال سمعت الفضيل بن عياض يقول: ينبغي لحامل القرآن أن لا يكون له حاجة إلى أحد من الخلق، إلى الخليفة فمن دونه، وينبغي أن تكون حوائج الخلق إليه قال: سمعت الفضيل يقول: حامل القرآن حامل راية الإسلام لا ينبغي له أن يلغو مع من يلغو ولا يسهو مع يسهو ولا يلهو من يلهو وسمعت الفضيل يقول: إنما نزل

القرآن ليعمل به، فاتخذ الناس قراءته عملاً أي ليحلوا حلاله ويحرموا حرامه، ويقفوا عند متشابهه.
وحدثنا جعفر بن محمد الصندلي قال سمعت أبا الحسن محمد بن محمد بن أبي الورد يقول كتب حذيفة المرعشي إلى يوسف بن أسباط.
بلغني أنك بعت دينك بحبتين وقفت على صاحب لبن فقلت بكم هذا؟ فقال لك: بسدس. فقلت: لا بثمن. فقال: هو لك، وكان يعرفك، اكشف عن رأسك قناع الغافلين وانتبه من رقدة الموتى واعلم أنه من قرأ القرآن ثم آثر الدنيا لم آمن أن يكون بآيات الله من المستهزئين.
أخبرنا ابو محمد عبد الله بن صالح البخاري قال نا مخلد بن الحسن ابن أبي زميل قال أنا أبو المليح قال كان ميمون بن مهران يقول: لو صلح أهل القرآن صلح الناس.
أخبرنا أبو محمد عبد الله بن صالح البخاري قال نا عبد بن عبد الرحيم المروزي قال أنا عبد الله بن يزيد المقرئ قال أنا حيوة يعني ابن شريح قال حدثني بشير بن أبي عمرو الخولاني أن الوليد بن قيس حدثه أنه سمع أبا سعيد الخدري يقول:
يكون خلف بعد سنين أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً ثم يكون خلف يقرأون لا يعدو تراقيهم ويقرأ القرآن ثلاثة: مؤمن ومنافق وفاجر، فقال بشير: فقلت للوليد ما هؤلاء الثلاثة فقال: المنافق كافر به والفاجر يتأكل به والمؤمن يعمل به.
حدثنا أبو بكر بن أبي داود قال أنا إسحق بن إبراهيم بن زيد قال نا سعد بن الصلت قال نا الأعمش عن خثيمة عن الحسن قال: مررت أنا وعمران بن حصين على رجل يقرأ سورة يوسف فقام عمران يستمع لقراءته فلما فرغ سأل، فاسترجع وقال: انطلق فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من قرأ القرآن فليسأل الله به فإنه سيأتي قوم يقرأون القرآن يسألون به الناس.
وحدثنا أبو بكر بن عبد الحميد الواسطي قال نا يعقوب بن

إبراهيم الدورقي قال يزيد بن هرون قال نا شريك بن عبد الله عن منصور عن خيثمة عن الحسن قال: كنت أمشي مع عمران بن حصين أحدنا آخذ بيد صاحبه فمررنا بسائل يقرأن القرآن فاحتبس عمران يستمع القرآن فلما فرغ سأل فقال عمران: انطلق بنا فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: اقرأوا القرآن واسألوا الله به، فإن بعدكم قوماً يقرأون القرآن يسألون الناس به.

حدثنا أبو عبد الله بن أحمد السوانيطي قال نا مقدام بن داود المصري قال نا أسد بن موسى قال نا عبد الله بن وهب عن الماضي بن محمد عن أبان عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يؤتي بحملة القرآن يوم القيامة فيقول الله عز وجل: أنتم دعاة كلامي آخذكم بما آخذ به الأنبياء إلا الوحي.

باب أخلاق المقرئ إذا جلس يقرأ ويلقن

لله عز وجل ماذا ينبغي له أن يتخلق به قال محمد بن الحسين: ينبغي لمن علمه الله كتابه فأحب أن يجلس في المسجد يقرأ القرآن لله. يغتنم قول النبي صلى الله عليه وسلم)خيركم من تعلم القرآن وعلمه(فينبغي له أن يستعمل من الأخلاق الشريفة ما يدل على فضله وصدقه وهو أن يتواضع في نفسه إذا جلس في مجلسه ولا يتاظم في نفسه وأحب له أن يستقبل القبلة في مجلسه لقول النبي صلى الله عليه وسلم)فضل المجالس ما استقبل به القبلة(تواضع لمن يلقنه القرآن ويقبل عليه إقبالاً جميلاً. وينبغي له أن يستعمل مع كل إنسان يلقنه أن يصلح لمثله إذا كان يتلقن عليه الصغير والكبير والحدث والغني والفقير فينبغي له أن يوفي كل ذي حق حقه ويعتقد الإنصاف إن كان يريد الله بتلقينه القرآن فلا ينبغي له أن يقرب الغني ويبعد الفقير ولا ينبغي له أن يرفق بالغني ويخرق بالفقير فإن فعل هذا فقد جار في فعله فحكمه أن يعدل بينهما ثم ينبغي له أن يحذر على نفسه التواضع للغني والتكبر على الفقير بل يكون متواضعاً للفقير مقرباً لمجلسه متعطفاً

عليه يتحبب إلى الله بذلك.
حدثنا أبو بكر بن أبي داود قال أنا إسحق بن الجراح الأزدي ومحمد ابن عبد الملك الدقيقي قالا نا جعفر بن عون قال أنبأنا أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس في قوله عز وجل:)وَلا تُصَعِّرِ خَدَّكَ لِلناسِ(قال: يكون الغني والفقير عندك في العلم سواء.
حدثنا ابن أبو داود قال نا بشر بن خالد العسكري قال نا شبابة يعني ابن سوار عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العاليد في قوله عز وجل)وَلا تُصَعِّرِ خَدِّكَ لِلناسِ(قال: يكون الغني والفقير عندك في العلم سواء.
حدثنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز قال نا أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد القطان)قال نا عمرو بن محمد العنقزي قال نا أسباط عن السدي عن ابن سعد(الأزدي وكان قارئ الأزد عن أبي الكنود عن خباب بن الأرت في قوله الله عز وجل:)وَلا تَطرُد الَّذينَ يَدعونَ رَبَهُم بِالغَداةِ وَالعَشي يَريدونَ وَجهَهُ(- إلى قوله:)فَتَكونَ مِن الظالِمين(ثم ذكر الأقرع وعيينة. فقال عز وجل:)وَكَذَلِكَ فَتنا بَعضَهُم بِبَعضٍ لِيَقولوا أَهَؤلاء مَنَّ اللَهُ عَلَيهم مِن بَينِنا أَلِيسَ اللَهُ بِأَعلَم بِالشاكِرين(ثم قال عز وجل)وَإِذا جاءَكَ الَّذين يُؤمِنونَ بِآياتِنا فَقُل سَلامٌ عَلَيكُم كَتَبَ رَبَكُم عَلى نَفسِهِ الرَحمَةَ(قال:)فرمي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصحيفة ثم دعانا فأتيناه فقال:)سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة((. فدنونا منه حتى وضعنا ركبنا على ركبته وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس معنا فإذا أراد أن يقوم قام وتركنا فأنزل الله عز وجل)وَاَصبر نَفسَكَ مَعَ الَّذينَ يَدعونَ رَبَهُم بِالغَداةِ وَالعَشي يَريدونَ وَجهَهُ وَلا تَعُد عَيناكَ عَنهُم تَريد زينةَ الحَياةُ الدُنيا(قال: فكنا نقعد مع النبي صلى الله عليه وسلم فإذا بلغنا الساعة التي يقوم قمنا وتركناه حتى يقوم.
قال محمد بن الحسين: أحق لنا باستعمال هذا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل القرآن إذا جلسوا لتعليم

القرآن يريدون به الله عز وجل.
حدثنا الفريابي قال نا يزيد بن خالد بن موهب الرملي قال نا عيسى ابن يونس عن هارون بن أبي وكيع قال سمعت زاذان أبا عمر يقول: دخلت على ابن مسعود فوجدت أصحاب الخز واليمنة قد سبقوني إلى المجلس فناديته: يا عبد الله من أجل أني رجل أعمي أدنيت هؤلاء وأقصيتني. فقال: إدنه فدنوت حتى كان بيني وبينه جليس.
قال محمد بن الحسين: وأحب له إذا جاءه من يريد أن يقرأ عليه من صغير أو حدث أو كبير أن يعتبر كل واحد منهم، قبل أن يلقنه من سورة البقرة، يعتبره بلأنه يعرف ما معه من الحمد، إلى مقدار: ربع، سبع، أو أكثر مما يؤدي به صلاته ويصح أن يؤم به في الصلوات إذا احتج إليه، فإن كان يحسنه وكان تعلمه في الكتاب أصلح من لسانه، وقومه، حتى يصلح أن يؤدي به فرائضه، ثم يبتدئ فيلقنه من سورة البقرة.
وأحب لمن يلقن إذا قرئ عليه أن يحسن الإستماع إلى من يقرأ عليه، ولا يشتغل عنه بحديث ولا غيره، فالأحرى أن ينتفع به من يقرأ عليه، وكذلك ينتفع هو أيضاً ويتدبر ما يسمع من غيره، وربما كان سماعه للقرآن من غيره فيه زيادة منفعة وأجر عظيم ويتأول قول الله عز **وجل)وَإِذا قُرِئَ القُرآنُ فَاِستَمِعوا لَهُ وَأَنصِتوا لَعَلَّكُم تُرحَمونَ(.**
فإذا لم يتحدث مع غيره وأنصت إليه أدركته الرحمة من الله وكان أنفع للقارئ عليه.
و قال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن مسعود: **)إقرأ عليَّ(،** فقلت يا رسول الله، أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال:)إني أحب أن أسمعه من غيري(.
أخبرنا الفريابي قال نا محمد بن الحسن البلخي قال أنا عبد الله بن المبارك قال أنا سفيان عن سليمان يعني الأعمش عن إبراهيم عن عبيدة عن ابن مسعود قال:)قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: إقرأ عليَّ. فقلت: أقرأ عليك

وعليك أنزل قال: إني أحب أن أسمعه من غيري. قال: ففتحت سورة النساء فلما بلغت)فَكَيفَ إِذا جِئنا مِن كُلِ أُمَةٍ بِشَهيد وَجِئنا بِكُلٍ عَلى هَؤلاءِ شَهيدا(قال: فرأيت عينيه تذرفان فقال لي: حسبك.

وأحب لمن كان يقرأن أن لا يدرس عليه وقت الدرس إلا واحد ولا يكون ثانياً معه، فهو أنفع للجميع وأما التلقين فلا بأس به أن يلقن الجماعة.

وينبغي لمن قرأ عليه القرآن فأخطأ عليه أو غلط أن لا يعنفه، وأن يرفق به، ولا يجفو عليه فإني لا آمن أن يجفو عليه فينفر عنه وبالحري أن لا يعود إلى المسجد.

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال)علموا ولا تعنفوا، فإن المعلم خير من المعنف(.

حدثنا حامد بن شعيب البلخي قال ثنا بشر بن الوليد ونا عمر ابن أيوب السقطي قال نا الحسن بن عرفة قال نا إسماعيل بن عباس عن حميد بن أبي سويد عن عطاء بن أبي رباح عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

علموا ولا تعنفوا فإن المعلم خير من المعنف.

حدثنا أبو القاسم عبد الله بن عبد العزيز قال: نا علي بن الجعد قال نا شعبة عن أبي التياح قال سمعت أنس بن مالك يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يسروا ولا تعسروا وسكنوا ولا تنفروا.

أخبرنا أبو عبد الله أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفي قال نا محمد بن بكار قال نا عنبسة بن عبد الواحد عن عمرو بن عامر البجلي قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم وتواضعوا لمن تعلمون وليتواضع لكم من تعلمون ولا تكونوا جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكمز قال محمد بن الحسين: فمن كانت هؤه أخلاقه قد انتفع به من يقرأ عليهم أقول إنه ينبغي لمن كان يقرأ القرآن لله أن يصون نفسه عن استقضاء

الحوائج ممن يقرأ عليه القرآن وأن لا يستخدمه ولا يكلفه حاجة يقوم بها.
واختار له إذا عرضت له حاجة أن يكلفها لمن لا يقرأ عليه وأحب أن يصون القرآن عن أن يقضي له به الحوائج فإن عنضت له حاجة سأل موالاه الكريم قضاءها فإذا ابتدأه أحد من إخوانه من غير مسالة منه فقضاها شكر الله إذ صانه عن المسألة والتذلل لأهل الدنيا وإذا سهل له قضاءها، ثم يشكر الله أن أجرى له ذلك على يديه فإن هذا واجب عليه وقد رويت في ما ذكرت أخبار تدل على ما قلت، وأنا أذكرها ليزداد الناظر في كتابنا بصيرة إن شاء الله.
حدثنا أبو الفضل العباس بن يوسف الشكلي قال أنا أسحاق بن الجراح الأذني قال أنا الحسن بن الربيع البوراني قال: كنت عند عبد الله بن إدريس فلما قمت قال لي سل عن سعي الأشنان، فلا مشيت ردني فقال لا تسأل فإنك تكتب مني الحديث وأنا أكره أن أسأل من يسمع مني الحديث حاجة.
حدثنا أبو الفضل قال حدثنا إسحاق بن الجراح قال قال خلف بن تميم ما أبي وعليه دين فأتيت حمزة الزيات فسألته أن يكلم صاحب الدين أن يضع عن أبي من دينه شيئاً فقال لي حمزة ويحك إنه يقرأ علي القرآن وأنا أكره أن أشرب من بيت من يقرأ علي القرآن.
حدثنا محمد بن جعفر الصندلي قال نا الفضل بن زياد قال نا عبد الصمد بن يزيد قال سمعت الفضيل بن عياض يقول:)ينبغي لحامل القرآن ألا يكون له حاجة إلى أحد من الناس إلى الخليفة فمن دون وينبغي أن تكون حوائج الخلق إليه(.
حدثنا حامد بن شعيب البلخي قال نا سريح بن يونس قال نا إسحاق بن سليمان الرازي عن الربيع بن أنس قال:)مكتوب في التوراة علم مجاناً كما علمت مجاناً(.
أخبرنا أبو عبد الله أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفي قال نا شجاع بن مخلد قال نا إسماعيل بن إبراهيم عن

هشام الدستوائي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي راشد
الحبراني قال قال عبد الرحمن بن شبل قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم.
اقرؤوا القرآن ولا تغلوا فيه ولا تجفوا عنه ولا تأكلوا به ولا
تستكثروا.
حدثنا أبو العباس أحمد بن سهل الأشناني قال أنا بشر بن
الوليد قال أنا فليح بن سليمان عن عبد الله بن عبد الرحمن
بن معمر عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة قال: قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم: من تعلم علماً مما يبتغى
به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد
عرف الجنة يوم القيامة.
أخبرنا أبو عبد الله بن مخلد قال نا محمد بن إسماعيل
الحساني قال نا وكيع قال نا سفيان عن واقد مولى زيد بن
خليدة عن زاذان قال:)من قرأ القرآن يتأكل به الناس جاء
يوم القيامة ووجهه عظم ليس عليه لحم(.
حدثنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد قال نا شعيب بن
أيوب قال نا عبد الله بن نمير قال نا معاوية البصري عن
الضحاك عن الأسود بن يزيد وقال غير شعيب وعلقمة ولم
أر شعيباً ذكر علقمة قال قال عبد الله يعني ابن مسعود: لو
أن أهل العلم صانوا العلم ووضعوه عند أهله سادوا به أهل
زمانهم ولكنهم بذلوه لأهل الدنيا لينالوا من دنياهم فهانوا
على أهلها سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول)من
جعل الهم هماً واحداً هم آخرته كفاه الله هم دنياه ومن
تشعبت به الهموم في أحوال الدنيا لم يبال الله في أي
أوديتها هلك(.
حدثنا أبو عبد الله محمد بن مخلد قال نا إبراهيم بن مهدي
قال نا أحمد بن عبد الله بن فيروز قال نا العباس بن بكار
الضبي قال نا عيسى بن عمر النحوي قال أقبلت حتى أقمت
عند الحسن فسمعته يقول:
قراء هذا القرآن ثلاثة رجال فرجل قرأه فاتخذه بضاعة
ونقله من بلد إلى بلد ورجل قرأه فأقام على حروفه وضيع

حدوده يقول إني والله لا أسقط من القرآن حرفاً كثر الله بهم القبور وأخلا منهم الدور فوالله لهم أشد كبراً من صاحب السرير على سريره ومن صاحب المنبر على منبره ورجل قرأه فأسهر ليله وأظمأ نهاره ومنع شهوته فجثوا في براثنهم وركدوا في محاريبهم بهم ينفي الله عنا العدون وبهم يسقينا الله الغيث وهذا الضرب من القرآن أعز من الكبريت الأحمر.

قال محمد بن الحسين: الأخبار في هذا المعنى كثيرة، ومرادي من هذا نصيحة لأهل القرآن لئلا يبطل سعيهم إن هم طلبوا به شرف الدنيا حرموا شرف الآخرة، إذ يتلونه لأهل الدنيا طمعاً في دنياهم أعاذ الله حملة القرآن من ذلك فينبغي لمن يجلس يقرأ المسلمين أن يتأدب القرآن)يقتضي ثوابه(من الله عز وجل يستغني بالقرآن عن كل أحد من الخلق متواضع في نفسه ليكون رفيعاً عند الله.

حدثنا علي بن إسحاق بن زاطيا قال نا عبيد الله عمر القواريري قال نا ابن حماد بن زيد قال سمعت أيوب يقول: ينبغي للعالم أن يضع الرماد على رأسه تواضعاً لله عز وجل.

باب ذكر أخلاق من يقرأ على المقرئ

قال محمد بن الحسين: من كان يقرأ على غيره ويتلقن فينبغي له أن يحسن الأدب في جلوسه بين يديه ويتواضع في جلوسه ويكون مقبلاً عليه فإن ضجر عليه احتمله ورفق به واعتقد له الهيبة والاستحياء منه.

وأحب أن يتلقن ما يعلم أنه يضبط، هو أعلم بنفسه، إن كان يعلم أنه لا يحتمل في التلقين أكثر من خمس خمس، فلا ينبغي أن يسأل الزيادة وإن كان يعلم أنه لا يحتمل أن يتلقن إلا ثلاث آيات لم يسأل أن يلقنه خمساً فإن لقنه الأستاذ ثلاثاً لم يزده عليها، وعلم هو من نفسه أن يحتمل خمساً سأله أن يزيده على أرفق ما يكون فإن أبا لم يزده بالطلب وصبر على مراد الأستاذ منه فإنه إن فعل ذلك كان هذا الفعل منه داعية للزيادة له ممن يلقنه إن شاء الله. ولا

ينبغي له أن يضجر من يلقنه فيزهد فيه وإذا لقنه شكر له ذلك، ودعى له، وعظم قدره.
ولا يجفو عليه إن جفا عليه، ويكرم من يلقنه إن كان هو لم يكرمه، وتستحي منه إن لم يستح منك.
تلزم نفسك واجب حقه فإن الله عز وجل قد أمرك أن تعرف حق العالم وأمرك بطاعة العلماء وكذا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم.
حدثنا أبو شعيب عبد الله بن الحسن الحراني قال أنا أحمد بن عيسى المصري قال أنا عبد الله بن وهب عن مالك بن الخير الزبادي من أهل اليمن عن أبي قبيل المعافري عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليس من أمتي من لم يجل كبيرنا ولا يرحم صغيرنا ويعرف لعلمائنا قال أحمد يعني: يعرف حقهم.
حدثنا الفريابي قال أنا قتيبة بن سعيد قال أنا ابن لهيعة عن جميل الأسلمي عن سهل بن سعد الساعدي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم لا يدركني زمان ولا أدركه لا يتبع فيه العالم ولا يستحيا فيه من الحليم قلوبهم قلوب العجم ألسنتهم ألسنة العرب.
أخبرنا إبراهيم بن الهيثم الناقد قال أنا أبو معمر القطيعي قال نا سفيان عن الزهري عن أبي سلمة قال: لو رفقت بابن عباس لأصبت منه علماً.
حدثنا أحمد بن سهل الأشناني قال أنا الحسين بن علي بن الأسود قال نا يحيى بن آدم قال نا شريك عن ليث عن مجاهد في قوله عز وجل)أَطيعوا اللَهَ وَأَطيعوا الرَسولَ وَأُولي الأَمرَ مِنكُمُ(قال: الفقهاء والعلماء.
وحدثنا يحيى بن آدم عن مفضل بن مهلل عن مغيرة عن إبراهيم مثله.
قال محمد بن الحسين: ثم ينبغي لمن لقنه الأستاذ أن لا ما لقنه)إذا كان ممن قد أحب أن يتلقن عليه وإذا جلس بين يدي غيره لم يتلقن منه إلا ما لقنه(الأستاذ أعني بحرف غير الحرف الذي تلقنه من الأستاذ فإنه أعود عليه وأصح لقراءته

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم إقرأوا كما علمتم.
حدثنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد قال: أنا أبو بكر الرفاعي قال أنا أبو بكر بن عياش قال أنا عاصم عن زر عن عبد الله يعني ابن مسعود قال: قلت لرجل: أقرئني من الأحقاف ثلاثين آية فأقرأني خلاف ما أقرأني الأول فأتيت بهما النبي صلى الله عليه وسلم فغضب وعلي بن أبي طالب جالس فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: قال لكم اقرأوا كما علمتم.
وحدثنا ابن صاعد أيضاً قال أحمد بن سنان القطان قال نا يزيد ابن هارون قال نا شريك عن عاصم عن زر عن عبد الله قال: أقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة فقلت أفيكم من يقرأ فقال رجل من القوم: أنا، فقرأ السورة التي أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو يقرؤها بخلاف ما أقرأني رسول الله فانطلقنا إلى رسول الله فقلنا: يا رسول الله اختلفنا في قراءتها فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علي: إن رسول الله يقول: **إنما هلك من كان قبلكم بالاختلاف فيلقرأ كل امرئ منكم ما أقرئ.**
م روي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول: يا ويله أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فعصيت فلي النار.
قال محمد بن الحسين: من قنع بتلقين الأستاذ ولم يجاوزه فبالحري أن يواظب عليه وأحب ذلك منه وإذا رآه قد التقن ما لم يلقنه زهد في تلقينه وثقل عليه ولم يحمد عواقبه وأحب له إذا قرأ عليه أن لا يقطع حتى يكون الأستاذ هو الذي يقطع عليه فإن بدت له حاجة وقد كان الأستاذ مراده أن يأخذ عليه مائة آية فاختار هو أن يقطع القراءة في خمسين آية فليخبره قبل ذلك بعذره حتى يكون الأستاذ هو الذي يقطع عليه.
وينبغي أن يقبل على من يلقنه، ويأخذ عليه ولا يقبل على

غيره فإذا شغل الأستاذ عنه بكلام لا بد له في الوقت من كلامه قطع القراءة حتى يعود إلى الإستماع إليه وأحب له إذا انقضت قراءته على الأستاذ وكان في المسجد فإن أحب أن ينصرف انصرف وعليه الوقار ودرس في طريقه ما قد إلتقن وإن أحب أن يجلس ليأخذ على غيره فعل، وإن جلس في المسجد وليس بالحضرة من يأخذ عليه فإما أن يركع فيكتسب خبراً وإما أن يكون ذاكراً لله شاكراً له على ما علمه من كتابه وإما جالس يحبس نفسه في المسجد يكره الخروج من خشية أن يقع بصره على ما لا يحل أو معاشرة من لم يحسن معاشرته في المسجد فحكمه أن يأخذ نفسه بجلوسه في المسجد أن لا يخوض فيما لا يعنيه ويحذر الوقيعة في أعراض الناس ويحذر أن يخوض في حديث الدنيا وفضول الكلام فإنه ربما استراحت النفوس إلى ما ذكرت مما لا يعود نفعه ولا عاقبة لا تحمد ويستعمل من الأخلاق الشريفة في حضوره وفي انصرافه ما يشبه أهل القرآن والله الموفق لذلك.

باب آداب القراء عند تلاوتهم القرآن مما لا ينبغي لهم جهله

قال محمد بن الحسين: وأحب لمن أراد قراءة القرآن من ليل أو نهار أن يتطهر وأن يستاك وذلك تعظيم للقرآن لأن يتلو كلام الرب عز وجل وذلك لأن الملائكة تدنوا منه عند تلاوته للقرآن ويدنو منه الملك فإن كان متسوكاً وضع فاه على فيه فكلما قرأ آية أخذها الملك بفيه وإن لم يكن تسوك تباعد عنه.

فلا ينبغي لكم يا أهل القرآن ان تباعدوا منكم الملك إستعملوا الأدب فما منكم من أحد إلا وهو يكره إذا لم يتسوك أن يجالس إخوانه وأحب أن يكثر القراءة من المصحف لفضل من قرأ في المصحف.

ولا ينبغي له أن يحمل المصحف إلا وهو طاهر فإن أحب أن يقرأ من المصحف على غير طهارة فلا بأس به ولكن لا يمسه ولكن يصفح المصحف بشيء ولكن لا يمسه إلا

طاهراً.
وينبغي للقارئ إذا كان يقرأ فخرجت منه ريح أمسك عن القراءة حتى تنقضي الريح ثم إن أحب أن يتوضأ ثم يقرأ طاهراً فهو أفضل وإن قرأ غير طاهر فلا بأس به، وإذا تثاءب وهو يقرأ أمسك عن القراءة حتى ينقضي عنه التثاؤب ولا يقرأ الجنب ولا الحائض القرآن ولا آية ولا حرفاً واحداً وإن سبح أو حمد أو كبر فلا بأس بذلك وأحب للقارئ أن يأخذ نفسه بسجود القرآن كلما مر بسجدة سجد فيها وفي القرآن خمس عشرة سجدة وقد قيل أربع عشرة قد قيل إحدى عشرة سجدة والذي اختار له أن يسجد كلما مرت به سجدة فإنه يرضي ربه عز وجل ويغيظ عدوه الشيطان.
حدثنا الفريابي قال حدثنا قتيبة بن سعيد قال نا الليث بن سعد قال نا عقيل بن خالد عن الزهري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا تسوك أحدكم ثم قام يقرأ به الملك يستمع القرآن حتى يجعل فاه على فيه فلا تخرج آية من فيه إلا في فيّ المَلَك، وإذا قام يقرأ ولم يتسوك، طاف به الملك، ولم يجعل فاه على فيه.
وحدثنا الفريابي قال نا قتيبة قال نا سفيان بن عيينة عن الحسن بن عبيد الله النخعي عن سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن السلمي أن علياً كان يحث عليه ويأمر به)يعني السواك(وقال: إن الرجل إذا قام يصلي دنا الملك منه يستمع القرآن فما يزال منه حتى يضع فاه على فيه فما يلفظ من آية إلا دخلت في جوفه.
حدثنا أبو محمد عبد الله بن العباس الطيالسي قال نا إسحاق بن منصور الكوسج قال قلت لأحمد: القراءة على غير وضوء. قال: لا بأس بها، لكن لا يقرأ في المصحف إلا متوضئ قال إسحاق يعني ابن راهويه كما قال سنة مسنونة.
حدثنا أبو نصر محمد بن كردي قال: نا أبو بكر المروزي قال: كان أبو عبد الله ربما قرأ في المصحف وهو على غير طهارة فلا يمسه ولكن يأخذ بيده عوداً أو شباً يصفح به الورق.

حدثنا عبد الله بن العباس الطيالسي قال نا المشرف بن أبان قال نا ابن عيينة عن زر قال: قلت لعطاء: أقرأ القرآن فيخرج مني الريح. قال: تمسك عن القراءة حتى تنقضي الريح.

حدثنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد قال نا الحسين بن الحسن المروزي قال أنا عبد الله بن المبارك قال أنا عثمان بن الأسود عن مجاهد قال: إذا تثاءبت وأنت تقرأ فأمسك حتى يذهب عنك.

حدثنا أحمد بن يحيى الحلواني قال نا محمد بن الصباح الدولابي قال نا وكيع قال نا هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال**: إذا نعس أحدكم فليرقد فإن أحدكم يريد أن يستغفر فيسب نفسه.**

حدثنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز قال نا علي بن الجعد قال نا شعبة قال أخبرني عمرو بن مرة قال سمعت عبد الله بن سلمة يقول: دخلت على عليّ بن أبي طالب فقال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحجبه أو قال لا يحجزه شيء عن قراءة القرآن إلا الجنابة.

أخبرنا أحمد بن يحيى الحلواني قال نا يحيى بن عبد الحميد الحماني قال نا إسماعيل بن عياش عن موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **لا يقرأ الجنب ولا الحائض شيئاً من القرآن.**

قال محمد بن الحسين: جمع ما ذكرته ينبغي لأهل القرآن أن يتأدبوا به ولا يغفلوا عنه فإذا انصرفوا عن تلاوة القرآن اعتبروا أنفسهم بالمحاسبة لها فإن تبينوا منها قبول ما ندبهم إليه مولاهم الكريم مما هو واجب عليهم من أداء فرائضه واجتناب محارمه فحمدوه في ذلك وشكروا الله على ما وفقهم له وإن علموا أن النفوس معرضة عما ندبهم إليه مولاهم الكريم قليلة الاكتراث به استغفروا الله من تقصيرهم وسألوه النقلة من هذه الحال التي لا تحسن بأهل القرآن ولا يرضاها لهم مولاهم إلى حال يرضاها فإنه لا

يقطع بمن لجأ إليه ومن كانت هذه حاله وجد منفعة تلاوة القرآن في جميع أموره وعاد إليه من بركة القرآن كل ما يحب في الدنيا والآخرة إن شاء الله.
حدثنا أبو محمد يحيى بن محمد قال: أنا الحسين بن الحسن المروزي قال أنا عبد الله المبارك قال أنا همام عن قتادة قال: لم يجالس هذا القرآن أحد إلا قام عنه بزيادة أو نقصان قضاء الله عز وجل الذي قضي شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً.
أخبرنا إبراهيم بن موسى الجوزي قال نا يوسف بن موسى القطان قال نا عمرو بن حمران عن سعيد عن قتادة في قول الله عز وجل)وَالبَلَدِ الطَيب يَخرُجُ نَباتِهِ بِإِذنِ رَبِهِ قالَ البَلَدِ الطَيبِ المُؤمن سَمِعَ كِتابُ اللَهِ فَوعاهُ فَأَخَذَ بِهِ فَاِنتَفَعَ بِهِ كَمَثَلِ هَذِهِ الأَرضِ أَصابَها الغَيثُ فَأَنبَتَت وَأَمرَعَت وَالَّذي خَبث لا يَخرُجُ إِلا نَكَداً(عسراً وهذا مثل الكافر قد سمع القرآن فلم يعقله ولم يأخذ به ولم ينتفع به كمثل هذه الأرض الخبيثة أصابها الغيث فلم تنبت شيئاً ولا تمرع شيئاً.
أخبرنا الفريابي قال نا صفوان بن صالح قال نا محمد بن شعيب قال نا الأوزاعي عن إسماعيل بن عبد الله أنه حدثه عن فضاله بن عبيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لله أشد أذناً إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى القينة. قال الأوزاعي إذناً يغني: استماعاً.
وأخبرنا الفريابي قال نا أبو قدامة وعمرو بن علي قالا نا يحيى بن سعيد بن شعبة قال حدثني طلحة بن مصرف عن عبد الرحمن بن عوسجة عن البراء بن عازب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: زينوا القرآن بأصواتكم.
حدثنا جعفر الصندلي قال نا صالح بن أحمد بن حنبل عن أبيه قال: قلت له قول النبي صلى الله عليه وسلم: زينوا القرآن بأصواتكم ما معناه؟ قال: التزين أن تحسنه.
قال محمد بن الحسين: ينبغي لمن رزقه الله حسن الصوت بالقرآن أن يعلم أن الله قد خصه بخير عظيم فليعرف قدر ما خصه الله به وليقرأ لله لا للمخلوقين وليحذر من الميل

إلى أن يستمع منه ليحظى به عند السامعين رغبة في الدنيا والميل إلى حسن الثناء والجاه أبناء الدنيا والصلات بالملوك دون الصلات بعوام الناس فمن مالت نفسه إلى ما نهيته عنه خفت أن يكون حسن صوته فتنة عليه وإنما ينفعه حسن صوته إذا خشي الله عز وجل في السر والعلانية وكان مراده أن يستمع منه القرآن لينتبه أهل الغفلة عن غفلتهم فيرغبوا فيما رغبهم الله عز وجل وينتهوا عما نهاهم ممن كانت هذه صفته انتفع بحسن صوته وانتفع به الناس.

حدثنا عمر بن أيوب السقطي قال نا عبيد الله بن عمر القواريري قال نا عبد الله بن جعفر قال نا إبراهيم عن أبي الزبير عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أحسن الناس صوتاً بالقرآن الذي إذا سمعته يقرأ حسبته يخشى الله.

حدثنا الفريابي قال نا محمد بن الحسن البلخي قال نا ابن المبارك قال أنا يونس بن يزيد عن الزهري قال: بلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أحسن الناس صوتاً بالقرآن من إذا سمعته يقرأ رأيت أنه يخشى الله.

حدثنا الفريابي قال نا الهيثم بن أيوب الطالقاني قال نا الوليد بن مسلم عن أبي رافع إسماعيل بن رافع قال حدثني ابن أبي مليكة الأحول عن عبد الرحمن بن السائب قال: قدم علينا سعد بن مالك بعدما كف بصره فأتيته مسلماً وانتسبني فانتسبت له فقال: مرحباً بابن أخي بلغني أنك حسن الصوت بالقرآن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن هذا القرآن نزل بحزن فإذا قرأتموه فابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا وتغنوا به فمن لم يتغن به فليس منا.

وأخبرنا الفريابي قال حدثنا إسماعيل بن عطاء الرياحي قال قال حدثنا عون بن عمرو أخو رياح القيسي قال نا سعيد الجريري عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم.

اقرأوا القرآن بحزن فإنه نزل بحزن قيل لابن أبي مليكة فإن لم يكن حسن الصوت؟ قال: يحسنه ما استطاع وقال

وكيع وابن عيينة: من لم يتغن به يعني: يستغني به وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به.

قال محمد بن الحسين: فأحب لمن قرأ القرآن يتحزن عند قراءته ويتباكى ويخشع قلبه ويتفكر في الوعد والوعيد ليستجلب بذلك الحزن ألم يسمع إلى ما نعت الله عز وجل من هو بهذه الصفة وأخبر بفضلهم فقال عز وجل)اللَّهُ نَزَلَ أَحسَنَ الحَديثِ كِتاباً مُتشابِهاً مَثاني تَقشَعِرُ مِنهُ جُلودُ الَّذينَ يَخشونَ رَبَهُم ثُمَ تَلينُ جُلودَهُم وَقُلوبَهُم إِلى ذِكرِ اللَه(. ثم ذم قوماً استمعوا القرآن فلم تخشع له قلوبهم فقال عز وجل:)أَفَمَن هَذا الحَديثُ تُعجَبون وَتَضحَكون وَلا تَبكون وَأَنتُم سامِدون(. يعني لاهين ثم ينبغي لمن قرأ القرآن أن يرتل كما قال الله عز وجل)وَرَتِل القُرآنَ تَرتيلاً(قيل في التفسيى يتبينه تبييناً واعلم أنه إذا رتله وبينه انتفع به من يسمعه منه وانتفع هو بذلك لأنه قرأه كما أمر قال الله عز وجل)وَقَرآناً فَرقناهُ لِتقرَأهُ عَلى الناسِ عَلى مَكَثٍ(.)يُقالُ عَلى تُؤدة(.

حدثنا أبو محمد يحيى بن محمد قال نا أبو الخطاب زياد بن يحيى قال نا مالك بن سعيد قال نا ابن أبي ليلى عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس في هذه الآية)وَرَتِلهُ تَرتيلاً(بينه تبييناً.

حدثنا جعفر بن محمد الصندلي قال أنا أبو بكر بن زنجويه قال نا عبد الرزاق قال أنا سفيان عن عبيد المكتب عن مجاهد في قول الله عز وجل)وَقُرآناً فَرقناهُ لِتَقرَأَهُ عَلى الناسِ عَلى مَكَثٍ(قال على تؤدة.

قال محمد بن الحسين:

والقليل من الدرس للقرآن مع الفكر فيه وتدبره أحب إلي من قراءة الكثير من القرآن بغير تدبر ولا تفكر فيه وظاهر القرآن يدل على ذلك والسنة قول أئمة المسلمين.

حدثنا جعفر بن محمد الصندلي قال نا الحسين بن محمد الزعفراني قال نا إسماعيل بن علية عن أيوب عن أبي

جمرة الصنيعي قال: قلت لابن عباس: إني سريع القراءة إني أقرأ القرآن في ثلاث قال: لأن أقرأ البقرة في ليلة فأتدبرها وأرتلها أحب إلي من أن أقر كما تقول.
حدثنا جعفر أيضاً قال حدثنا أبو بكر بن زنجويه قال: قال نا محمد بن يوسف قال نا سفيان عن عبيد المكتب قال: سئل مجاهد عن رجل قرأ البقرة وآل عمران ورجل قرأ البقرة قراءتهما واحدة وركوعهما وسجودهما وجلوسهما أيهما أفضل؟ قال: الذي قرأ البقرة، ثم قرأ)وَقُرآناً فَرقناهُ لِتَقرَأَهُ عَلى الناس عَلى مَكَثٍ(.
قال محمد بن الحسين: جميع ما قلته ينبغي لأهل القرآن أن يتخلقوا بجميع ما حثثتهم عليه من جميع الأخلاق وينزجروا عما كرهته لهم من دناءة الأخلاق والله الكريم يهدينا وإياهم إلى سبيل الرشاد.

مختصر التبيان في آداب حملة القرآن
للامام النووي

مقدمة

بِسْمِ اللهِ الرَّحَمنِ الرَّحِيم، وَبِهِ نَسْتَعِين.
الحمد للهِ الكريم المان ذي الطول، والفضل، والإحسان، الذي هدانا للإيمان، وفضل ديننا على سائر الأديان، ومنَّ عَلينا بإرساله إلينا خيرَ خَلقهِ، مُحمَّد صلى الله عليه وسلم، فمحا به عبادة الأوثان، وأكرمه صلى الله عليه وسلم، وأبانا بالقُرآنِ المُعجِزة المُستَمرة عَلى تَعاقبُ الأزمَان التي يتحد بها الجنُّ، والإنسُ، بأجمَعهم، وأقْحَمَ بِها جميعَ أهلِ الزيغ والطُغيان، وَجَعلهُ رَبيعاً لِقُلوبِ أهلِ البصائر والعِرفان، ولا يخلق عن كَثْرةَ الردِّ، وتغَاير الأحيان، وَيسَرهُ حتى استظهره صَغائرُ الولدان، وضعَّف الأجرَ في تلاوتهِ، وأعظمَ بهِ في الإمتنان.
أحمدهُ أبْلغَ الحمد على ذلك، وغيره من نِعمهِ التي أسْبَغَها علينا في كُل حينٍ وأوان، وأسألهُ المِنَّة عليَّ، وَعلى جَميع أحبَّائي بالرّضوان.
وأشهد أنْ لا إله إلاَّ الله، شَهادة مُحصّلة للغُفْران، مُنقِذة صاحبها مِنَ النِّيران، مُوصلةً لَه إلى سُكنى الجِنان.
أمَّا بعد.. فإنَّ الله سُبحانه وَتعالى منَّ على هذه الأمَّة، وزادها شرفاً بالدين الذي ارتضاه لنفسهِ دين الإسلام، وإرساله إليها خيرته مِن خلقهِ، مُحمَّداً سيد الأنام عليه منه أفضل الصلوات، والبركات، والسّلام وأكرمهما بكتابهِ القُرآن أفضلَ الكلام، وجمع فيه جميع ما يحتاج إليه من أخبار الأولين، والآخرين، والمواعظ، والأمثال، والآداب، وأصناف الأحكام والحُجج القطعيات، الظّاهرات في الدلالات على وحدانيته، وغيرها مما جاءت به رسله، صلوات الله وسلامه عليهم، الدامغات لأهل الإلحاد الضُّلال الطُغام، وحثَّ على تلاوته، والاعتناء به، ولإعظام وملازمة الآداب، وبذل الوسع في الاحترام، ورأيت بتلاوة القُرآن العزيز تعلُّماً وتعليماً، ودراسة في جماعات، وفُرادى مجتهدين في ذلك بالليالي، والأيام، وزادهم الله حرصاً عليه، وعلى سائر الطّاعات مُريدين به وجه اللهِ، ذي الجلال والإكرام، فدعاني ذلك إلى جمع مختصر في آداب حملته، وأوصاني حُفاظه وطلبته فجمعتُ ذلك وأوضحتهُ، وبيَّنتهُ وأتقنته، وسميته "كتابُ التِبيان في آداب حملة القُرآن" وذكرت فيه نفائس يحتاج حافظه إلى معرفتها، ويقبُح بهِ جهلها، وتفويت خبرتها، ثُمَّ رأيت المصلحة في اختصاره تسهيلاً لحفظه وانتشاره فَشَرعتُ في ذلك قاصداً المبالغة في الاختصار، معَ إيضاحِ العبارة، والرّمز للأدلة، وبعض الأحكام التي يَحصُل الفهم منها بالإشارة، فمن أشكل عليه شيء مِمَّا أذكره هُنا، وأراد زيادة في بسطه فليطلبه من"التبيان" يجده إنْ شاء الله تعالى واضِحاً في حُكْمِهِ وضبطِهِ، وعلى الله الكريم الاعتماد، وإليه التفويضُ والاستناد، وحسبي اللهُ ونعم الوكيل، وهذه فهرستُ أبوابه :

التاسع : في كتابة القُرآن، وإكرام المصحف.

الباب الأول: في أطراف من فضيلة تلاوة القُرآن وحَمَلتهِ...

قَالَ الله عَز وجلَّ : ((إِنّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَأقاموا الصَّلَاَة وَانْفَقوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرَّاً وَعَلاَنِية يَرْجُونَ تِجَارةً لَنْ تبُور لِيُوَفِيّهُــمْ أُجُــورَهمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ)) [غافر 29، 30].

وَثبتَ في صحيحي البُخاريُّ ومُسلم رحمهم الله عن عثمان رضي الله عنه عن رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم قال : (خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَه).

وفي الصحيحين، عن عائشة ـ رضي الله عنها قالت : قال رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: (الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌ، لَهُ أَجْرَانِ).

وفي الصحيحين، أن رسُول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِداً خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَم).

وفي الصحيحين عن بْنِ عُمر رضي اللهُ عنْهُمَا، عَن النَّبِي صلى الله عليه وسلم قَالَ : (لاَ حَسَدَ إِلاَّ في اثْنَتَيْنِ، رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ القُرْآن ؛ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَيْلِ، وَأَنَاءَ النَّهَار، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالٌ فَهُوَ يُنْفقهُ أَنَاءَ اللَيْلِ وَأنَاءَ النَّهَار).

وَرَوَياهُ في الصَّحِيحينِ من رِوَاية عَبدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: (لاَ حَسَدَ إِلاَّ في اثْنَتَيْنِ، رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالاً فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتهِ في الحَقِّ، وَرَجُلاً آتَاهُ حِكْمَةُ فَهُوَ يَقْضِي بِهَاَ وَيُعَلِّمهَاَ).

وفي صَحِيحِ مسلم عَنْ أَبي أُمَامَة رضي الله عنه، عَنْ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : (اقْرَءوا القُرْآن ؛ فَإِنَّهُ يَأْتِيَ يَوْمَ القِيَامَةِ شَفِيعَاً لأَصْحَابَهِ).

وفيهِ عنِ ابْنِ عُمَر رضي اللهِ عنه، أَنَّ النَّبي صلى الله عليه وسلم قَال : (إنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الكِتَابِ أَقْوَامَاً، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِين).

وفي كِتاب التِّرمذيُّ، عنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم (الَّذي لَيْسَ في جَوْفِهِ شَيءٌ مِنَ القُرْآنِ كَالبَيْتِ الخَرِب) قال الترمذيُّ : حَدِيثٌ حَسَنٌ صحيح.

الباب الثاني: في ترجيح القراءة والقاريء على غيرهما...

ثبتَ في صحيح مسلم أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قال : (يَؤُمُّ القَوْمَ أَقْرَأَهُمْ لِكِتَابِ اللهِ).

وفي صحيحِ البُخَاريُّ عَنْ ابن عَبَّاس رضي الله عنه : كَاَنَ القُراء أَصْحَاب مَجْلِسِ عُمَر رضي الله عنه، ومُشاوريه كُهُولاً كَانوا أو شُبانا

وفيهِ أنَّه صلى الله عليه وسلم، كَاَنَ يَأْمرُ في قَتلا أُحد أَنْ يُقَدَّم إلى القِبْلَة أَقْرَاَهُمْ، وَأَعْلَم

إنَّ المَذْهبَ المُخْتَارِ الَّذي عَلَيْهِ الشّافعيُّ، وَمن لا يُحصَى سُننِ العُلماء، أَنَّ قِرَاءة القُرْآنِ أَفْضَلَ مِن سَائِرِ الأَذْكَار، وَقَد تَظاهَرت الأَدِلَّة عَلَى ذَلِك

الباب الثالث: في إكرام أهل القرآن، والنهي عن إيذاءَهُمْ...

قال الله تعالى : ((وَمَنْ يُعَظِّمِ شَعَائِرَ الله فَإنَّهَاَ مِنْ تَقْوَى القُلُوب)) [الحج :32] وقال تعالى : ((وَمَنْ يُعَظِّم حُرُمَاتِ اللهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّه)) [الحج:30]. وقال الله سبحانه وتعالى : ((وَالَّذِين يُؤْذُونَ المُؤمِنِينَ والمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَاَ اكْتَسَبوا فَقَدْ احتَمَلوا بُهْتَانَاً وَإثْمَاً مُبِيْناً))[الأحزاب:58]. وفي الباب الأحاديث السابقة في الباب قبله.

وعنْ أبي مُوسى الأشْعَرِيُّ ـ رضي الله عنه قَال : قَالَ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم : (مِنْ إجْلاَلِ الرُّفْقة إكْرَامِ ذِي الشَيْبَة المُسْلِمْ، وَحَامِلِ القُرْآن، غَيْرِ الغَالي فِيهِ، والجَافِي عَنْهُ، وإِكْرَامِ ذِي السُّلْطَان) رواهُ أبو داود وهو حديثٌ حسن.

وفي صَحيح البُخاريُّ عَنهُ صلى الله عليه وسلم أَنَّ الله عزوجل قال: (مَنْ عَادَى لِي وَلِيَّاً فَقَدْ آذَنَنِي بِالحَرْبِ)

وَقال الإمَامَان الجَلِيلاَنِ : أبو حَنِيفة، وَالشّافِعيُّ رحِمَهُمَاَ الله: إِنْ لَمْ يَكُن العُلَمَاء أَوْلِياءُ الله فَلَيْسَ للهِ وَلِيّ.

الباب الرابع: في آداب مُعلِّم القُرآن، ومُتعَلمه...

ينبغي لكل واحدٍ منهما أن يقصد به رضا الله تعالى لقوله تعالى : ((وَمَاَ أُمِروا إلاَّ لِيَعْبدو اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء.. الآية)) [البينة:5].

وفي الصَّحِيحَينِ عَن عُمَر بْنِ الخَطَّاب رضي الله عنه أنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قال : (إِنَّمــَاَ الأَعْمَــالُ بِالنِّــيَاتِ، وَإِنَّمَاَ لِكُلِّ امْرِيءٍ مَاَ نَوَى..)

وَرَوَينَاَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ : إِنَّمَاَ يحفظُ الرَّجل على قَدر نِيَّتِه

قال العارِفون : الإخلاص: تصفية الفِعل عن مُلاَحَظةِ المخلوقات، وقيِل هُو استواء أفَعَال العبد ظاهراً، وباطنه

فصل

ولا يقصد بتعلمه، ولا تعليمه توصّلاً إلى غرض من أغراض الدنيا، من مال، أو رياسة، أو وجاهة، أو ارتفاع على أقرانه، أو ثناء عِند الناس، أو صرف وجوه النَّاسِ إليه، أو نحو ذلك قال الله تعالى: ((ومَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرثَ الدُنياَ نُؤْتِهِ مِنْهَاَ وَمَاَ لهُ في الآخِرة مِنْ نَصِيبِ)) [الشورى:20]، وقال تعالى : ((مَنْ كَانَ يُرِيدُ العَاجِلَةَ عَجَّلْنَاَ لَهُ فِيهَاَ مَاَ نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيد ثُمَّ جَعَلْنَاَ لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاَهَاَ مَذْمُومَاً مَدْحُورَاً)) [الإسراء:18].

فصل

ولا يُشين المقريء إقراؤه بطمع في رفق يحصُل له من بعض مَن يَقرأ عليه سواء كان الرفق مالاً أو خدمة، وإن قلَّ، وإن كان على صُورة الهدية التي لولاَ قرائته عليه لما أهداها إليه، وليحذر كل الحذر مِن قصده التكثر بكثرة المشتغلين عليه، والمترددين إليه، وليحذر مِن كراهته قراءة أصحابه على غيره، ممن ينتفعو بقرائتهم عليه، وهذه معصية يُبتلى بها بعض

المعلمين، الجاهلين، وهي دلالة بينة من فاعلها على سوء نيته، وفساد طويته وعدم إرادته بتعليمه وجه الله الكريم.
وقد روينا في مسند الدارميُّ عَنْ عليّ رضي الله عنه قال : (ياَ حَملَة العِلمِ اعملوا به، فَإنَّما العالم من عَمِل بعلمِهِ، ووافق علمه عمله، وسيكونُ أقوام يَحْمِلون العلم لا يُجاوزُ تَراقِيهم يخالف عملهم علمهم، ويُخالف سرِيرتهم علاَنِيهم يجلسون حلقاً يُباهي بعضهم بعضاً، حتى أن الرَّجل ليَغُضُّ على جليسهِ أن يجلس إلى غيره، ويدعه أولئكِ لا يتَصَعَّد أعمالهُم في مَجالسهم تلكَ إلى الله تعالى) [إسناده ضعبف جداً]

فصل

وينبغي للمُعلم أن يتخلق بآدابِ الشرع من الخلال الحميدة، والشيم المرضية، والزهادة في الدنيا، والتقللِ منها، وعدم الإلتفات إليها، وإلى أهلها، والسخاء والجود، ومكارم الأخلاق، وطلاقة الوجه، والحلم والصبر، والتنَزّه عن دنيء الإكتساب ومُلازمة الورع، والخشوع، والسكينة، والوقار، والتواضع، والخضوع، واجتناب الضحك والإكثار من المزْح، وليعْتني بالتنَظُّف بإزالة الأوساخ، والشعور التي ورد الشرع بإزالتها، كقص الشارب، وتقليم الأظفار، وتسريح اللحية، وإزالة الروائح الكريهة، والملابس المكروهة، ويراقب الله تعالى في جميع تقلباته في سره وعلانيتِهِ.

فصل

وليحذر كل الحذر من أمراض القلوب كالحسد، والعجب، والرياء، واحتقار الناس والإرتفاع عليهم، وإن كانوا دونه، وعليه أن لا يرى نفسهُ خيراً من أحد

فصل

وينبغي أن يُرفق بالذين يقرؤن عليه، ويرحب بهم، ويُحسن إليهم بحسب حاله وحالهم ويبذل لهم النَّصيحة ما استطاع، فإن نصيحة غيرهم واجبة فهم أولى ولا يتعظَّم عليهم، وأن يكون سمحاً بتعليمهم برفق وتطلف، ويحرضهم على التعلم، ويتألفهم عليه ويُعرّفهم أنَّ العلماء ورثة الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ويحنق عليهم، ويعتني بمصالحهم كاعتنائه بمصالح نفسه وولده ويجري المتعلم منه مجرى ولده في الشفقة عليه والإهتمام بمصالحه، والصبر على جنابه وسؤاديه، ويعذره في قلة أدبه في بعض الأحيان ويعرفه قبح ذلك ؛ بتلطفٍ لئلا يعود إلى مثله، وينبغي أن يحب له من الخير ما يحب لنفسه، ويكره له من النقص ما يكره لنفسه

فصل

وينبغي أن يذكر للمتعلم فضيلة التعلم ليكون سبباً لنشاطه وزيادة رغبته ويزهده في الدنيا ويرغبه في التأهب للآخرة، ويكون حريصاً على تعليمهم، مؤْثراً لهم على مصالح نفسه الدنيوية التي ليست بضرورية ويكون حريصاً على تفهيمهم، وأن يعطي كل إنسان منهم ما يليق به فلا يكثر على شيء لا يحتمل الإكثار، ولا يغتفر لمن يحمل الزيادة ويفرغ قلبه في حال جلوسه عن الأسباب الشاغلة كلها وهي كثيرة معروفة.

فصل

وينبغي أن يكون مُؤدِّباً لهم على التدريج بالآداب السُّنية، والشِّيم المرضِية، ورياضة النَّفس بالدّقائق الخفيّة، ويعودهم الصِّيانة في جميع أمورهم الباطنية والجلية، ويحرضهم بأقواله، وأفعاله المتكررات على الإخلاص، والصِّدق، وحُسنِ النِّيات ومُراقبة الله تعالى في جميع اللحظات، ويُعرّفهم أن بذلك تتفتحُ عَليهم أنوار المعارف، وتنشرح صدورهم، وتتفجر من قلوبهم ينابيع الحكم واللطائف، ويُبارك لهم في علمهم، وأحوالهم ويُوفقون في أفعالهم وأقوالهم.

فصل

ويأخذهم في إعادة محفوظاتهم، ويُثني على من ظهرت نجابته ما لم يخشى عليه فتنةً بإعجابٍ ونحوه، ويُعنِّف من قَصَّر تعنيفاً لطيفاً ما لم يخشى تنفيره، ويُقدم في تعليمهم إذا ازدحموا، الأول فالأول، ولا يُمَكِّن السَّابق من إيثاره بتوبته إلا لمصلحة شرعية، فإن الإيثار في القرب مكروه.وينبغي أن يتفقد أحوالهم، ويسأل عمن غاب منهم، ولا يمتنع من تعليم أحد لكونه غير صحيح النِّية، فقد قال سُفيان وغيره : طلبهم للعلم نيِّة.

فصل

ويصون يديه حال اقراء عن العبث، وعينيه عن تفريق النَّظر من غير حاجة شرعية، وأذنيه عن الاستماع لغير القارئ، ويقعد على طهارة مستقبلاً القبلة بوقار في ثياب بيض نظيفة، وإذا وصل إلى موضع جلوسه صلى ركعتين قيل الجلوس، سواء كان الوضع مسجداً أو غيره، فإن كان مسجداً كان آكد فإنه يكره الجلوس فيه قبل الصلاة، ويجلس متربعاً إن شاء أو غيره متربع ولو جلس جاثياً على ركبته كما روى عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، كان حسناً ويكون مجلسه واسعاً يمكن جلساؤه فيه.
وممَّا يتأكد الاعتناء به أن لا يذل العلم فيذهب إلى موضع يُنسب إلى من يتعلم ليُعلّمه فيه، وإن كان المتعلم خليفة فمن دونه، بل يصونه عن ذلك كما صانه السلف رضي الله عنهم.

فصل

تعليم المتعلمين فرض كفاية، فإن لم يكن من يصلح له إلا واحد تعيّن عليه، وإن كان هناك جماعة يحصل التعليم ببعضهم، فقام به بعضهم سقط الحرج عن الباقين وإن امتنعوا كلهم أثموا إن لم يكن لهم عُذر شرعي.

فصل

في آداب المتعلم جميع ما ذكرناه من آداب المعلم في نفسه آداب للمتعلم، ومن آدابه أن يجتنب الأسباب الشاغلة عن تحصيل كمال إلا سبباً لابد منه للحاجة، وينبغي أن يُطهر قبله من الأدناس ليصلح لقبول القرآن،

واستثماره، ويتواضع للعلم، فبتواضعه يدركه وقد قالوا: العلم حرب للمتعالي كما أَنّ السيل حرب للمكان العالي، ويتواضع لعلمه ويتواضع معه وإن كان أصغر سناً منه، وأقلَّ شُهرةً وَنسباً وصلاحاً وغير ذلك وينقاد له، ويشاوره في أموره ويقل قول كالمريض العاقل يقبل قول الطبيب النَّاصح الحاذق، وهذا أولى.

فصل

ولا يتعلم إلا ممن كملت أهليته وظهرت ديانته، وتحققت معرفته، واشتهرت صيانته، فقد قال السلف : (هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذوا دينكم).
وعليه أن ينظر معلمه بعين الاحترام، ويعتقد كمال أهليته، ورجحانه على طبقته، ويدخل عليه كامل الحال متنظفاً بما ذكرناه في المعلم متطهراً مستعملاً للسواك، فارغ القلب من الأمور الشاغلة، ولا يدخل بغير استئذان إلاَّ إذا كان المعلم في موضع لا يحتاج فيه إلى استئذان، ويسلم على الحاضرين إذا دخل، ويخصه بزيادة وتودد، ويسلم عليه وعليهم إذا انصرف ولا يتخطى رقاب النَّاس ؛ بل يجلس حتى ينتهي به المجلس، إلا أن يأذن له المعلم في التقدم، ويعلم من حالهم إيثار ذلك، ولا يُقيم أحداً من موضعه، ولا يجلس بين صاحبين بغير إذنهما، فإن فسحا له قعد وضمَّ نفسه.
وروينا عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : (من حق العالم عليك أن تُسلم على النَّاس عامة، وتخصّه دونهم بالتحية، ون تجلس أمامه، ولا تُشيرن عنده بيدك، ولا تغمزنَّ بعينيك، ولا تقولنَّ : قال فلان خلاف لقوله، ولا تغتابنَّ عنده أحد، ولا تسارّ في مجلسه، ولا تأخذن بثوبه، ولا تُلح عليه إذا كسل، ولا تُعرض ولا تشبع أي من طول صُحبته و عليه أن يرد غيبة شيخه إن قدر فإن تعذّر عليه ردها فارق ذلك المجلس).
فصل
وينبغي أن يتأدب مع رفقته، وحاضري مجلس شيخه، فإن ذلك أدب مع شيخه، وصيانة لمجلسه، ويقعد بين يديّ الشيخ قعدة المتعلمين، ولا يرفع صوته رفعاً بليغاً من غير حاجة ولا يضحك ولا يكثر الكلام من غير حاجة، ولا يعبث بيده ولا غيرها، ولا يلتفت يميناً وشمالاً من غير حاجة ؛ بل يكون متوجّهاً إلى الشيخ مصغياً إلى كلامه، ولا يقرأ عليه في حال شُغل طلب الشيخ ومله واستنفاره، وغمِّه، وفرحه، وجوعه، وعطشه، ونُعاسه، وقلقه ونحو ذلك مما يشق عليه أو يمنعه من كمال حضور القلب، والنشاط ويغتنم أوقات نشاطه، ويتحمل جفوة الشيخ، وسوء خُلقه، ولا يصده ذلك عن ملازمته، واعتقاد كماله، ويتأول لأقواله، وأفعاله المنكرة في الظاهر تأويلات صحيحة، وإذا جفاه الشيخ ابتدأه هو بالاعتذار، وإظهار الذنب له، والعتب عليه.

فصل

ومن آدابه المتأكدة أن يكون حريصاً على التعلم مواظباً عليه في جميع الأوقات التي يتمكن منه فيها، ولا يقنع بالقليل مع تمكنه من الكثير، ولا يُحمِّل نفسه ما لا يطيق مخافة من الملل، وضياع ما حصَّل، وهذا يختلف باختلاف النَّاس، والأحوال، وإذا جاء إلى مجلس الشيخ ولم يجده انتظره ولازم بابه، ولا يفوت وظيفته إلا أن يخاف كراهة الشيخ لذلك بأن يعلم من حاله الإقراء في وقت بعينه، وأنه لا يقرأ في غيره، وإذا وجد الشيخ نائماً أو مشغولاً انتظره، ولا يزعجه بالاستئذان وينبغي أن يأخذ نفسه بالاجتهاد في التحصيل وقت الفراغ، والنشاط، وقوة البدن ونباهة الخاطر، وقلة

الشاغلات قبل عوارض البطالة وارتفاع السن والمنزلة وينبغي أن يُبكر بأخذ وظيفته أول النهار لحديث النبي صلى الله عليه وسلم : (اللَّهُمَّ بَارِكْ لأُمَّتي في بُكُورِهَا).
وقد قدّمنا أنَّهُ يُكره الإيثار بنوبتهِ ؛ فإنْ رأى الشيخ الإيثار في بعض الأوقات لمعنىً شرعي فأشار عليه به امتثل أمره.

فصل
وممَّا يجب ويتأكد الاعتناء به أن لا يسد أحداً من رفقته أو غيرهم، ولا يعجب بما حصله، ولا يُرائي به، وطريقه في نفي العُجب أن يذكر نفسه أنه لم يُحصِّل ما معه بحوله وقوته ؛ وإنما هو فضل من الله تعالى أودعه فيه فلا ينبغي أن يفتخر بما لم يصنعه، وطريقه في نفي الحسد أن يعلم أن حكمة الله تعالى اقتضت جعل هذه الفضيلة في هذا فلا يُعترض عليها، ولا يكره ما أراده الله تعالى ولم يكرهه، وطريقه في نفي الرياء أن يعلم أن بالرياء يُذهب ما معه في الآخرة، وتذهب بركته في الدنيا، ويستحق الذم، فلا يبقى معه في التحقيق شيء يُرائي به عافانا الله من سخطاته، ووفقنا لمرضاته.

الباب الخامس: في آداب حامل القرآن

قد تقدم جُملٌ منهُ في الباب الرابع، من آدابه أن يكون على أكمل الأحوال، وأكرم الشمائل، وأن يرفع نفسه عن كل ما نهى القُرآن عنه، وأن يكون متصوِّنَاً عن دنيء الاكتساب، شريف النَّفس، مُتَرَفِّعاً عن الجبَابِرة، والجُفاة من أهل الدنيا متواضعاً للصالحين، وأهل الخير والمساكين، وأن يكون مُتخشِّعَاً ذا سكينةٍ ووقار.
فقد جاء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : "ينبغي لحامل القُرآن أن يُعرف بليلهِ إذا النَّاس نائمون، وبنهاره إذا النَّاس مفطرون، وبحزنه إذا النَّاس يفرحون، وببكائهِ إذا النَّاس يضحكون، وبصمتهِ إذا النَّاس يخوضون، وبخشوعه إذا النَّاس يختالون ".
وعن الحسن البصريُّ رحمه الله قال : إن من كَان قبلكم رأوا القُرآن رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل، وينفذونها بالنهار.
وعن الفضيل بن عياض رحمه الله قال : "حامل القُرآن حامل راية الإسلام لا ينبغي أن يلهوا مع من يلهوا، ولا يسهو مع من يسهوا، ولا يلغوا مع من يلغوا تعظيماً لحق القرآن".

فصل
ومن أهم ما يُؤمرُ به أن يحذر كل الحذر من اتخاذ القرآن عيشة يكتسب بها، فقد جاء في النهي عن ذلك أشياء كثيرة مشهورة من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، وأقاويل الصحابة، والسَّلف، وأما أخذ الأجرة على تعليم القرآن فقد اختلف العلماء في جوازه، فجوزه عطاء، ومالك

والشافعي، وآخرون إذا استأجره إجارة صحيحة. ومنعه الزُّهريّ، وأبو حنيفة، وآخرون.
والأحاديث الصحيحة تقتضي الجواز.
أمَّا الحديث الوارد بالمنع، فعنه جوابان أوضحتهما مع غيرهما.

فصل

وينبغي أن يُحافظ على تلاوته، ويُكثر منها، وقد كانت للسَّلف رضي الله عنهم عادات في قدر ما يختمون فيه، فمنهم من كان يختم في كل شهرين ختمة، ومنهم من كان يختم في كل شهر، وكان بعضهم يختم في عشر ليالٍ، وبعضهم في ثمان ليالٍ، وبعضهم في سبعٍ، وبعضهم في ستٍ، وبعضهم في خمس، وبعضهم في أربع، وبعضهم كل ليلة، وختم بعضهم في كل يوم وليلة ختمتين، وبعضهم في كل يوم وليلة ثلاث ختمات، وأربع في النهار، وكان أكثرهم يختم في كل سبع ليال، وكثيرون في كل ثلاث، وقد بينت من كل فرقة من هؤلاء جماعة في "التبيان" وذكرت دلائلهم، والمختار أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص، فمن كان يظهر له بدقيق الفكر لطائف ومعارف فليقتصر على قدر ما يُحصل له معه كمال فهم ما يقرأه، وكذا من كان مشغولاً بنشر العلم، والحُكم بين المسلمين أو غير ذلك من مهمات الدِّين والمصالح العامة ؛ فليقتصر على قدر لا يحصل بسببه إخلال بما هو مرصداً له، أو لا تفويت وإن لم يكن من هؤلاء المذكورين فليستكثر ما أمكنه من غير خروج إلى حد يحصل به الملل والهذرمة في القرآن.

فصل

وأمَّا وقت الختم فالأفضل أن يكون أول النَّهار أو الليل وقيل الأفضل أن يختتم ختمة أول النَّهار وأخرى أول الليل، وإنَّهُ إن كان أول النَّهار ختم في ركعتين الفجر أو بعدهما، وإن كان أول الليل ففي ركعتي سنة المغرب على من ختم أول النَّهار حتى يُمسي، وعلى من ختم أول الليل حتى يصبح

فصل

في المحافظة على قراءة القُرآن بالليل

ينبغي أن يحافظ على قراءة القُرآن في الليل، ويكون إعتناؤه بها فيه أكثر وفي صلاة الليل أكثر ؛ لأن الليل أجمع للقلب، وأبعد من الشاغلات والملهيات والتصرف في الحاجات وأصون من تطرق الرياء، وغيره من المحبطات مع ما جاء في الشرع من إيجاد الخيرات في الليل كل إسراء، وحديث النُّزول، وحديث : في الليل ساعة مستجاب فيها الدعاء كل ليلة وقد تظاهرة نصوص القُرآن والسُّنّة وإجماع الأمَّة على فضيلة القراءة والقيام بالليل، والحث عليه، وذلك يحصل بالكثير، والقليل، وما كثر أفضل إلا أن يستوعب الليل كله ؛فإنه يُكره الدَّوام عليه، وكذا يُكره إن أضرَّ بنفسه ما دون الجميع

وقد روى أبو داود في "سننه" أنَّ رسُول الله صلى الله عليه وسلم قال: (مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آياتٍ لَمْ يُكْتَبِ مِنَ الغَافِلِين، وَمَنْ قَامَ بِمائَةِ آية كُتِبَ مِنَ القَانِتِين، وَمَنْ قَامَ بَأَلْفِ آية كُتِبَ مِنَ المُقَنْطَرِين)

فإن فاتتهُ وظيفته بالليل فليحرص على قِراءتها في أول النَّهار.

ففي صحيح مسلم عن عُمر بن الخطَّاب رضي الله عنهُ قَــال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (مَنْ نَامَ عَنْ حِزبِهِ مِنَ اللَّيْلِ، أَوْ عَنْ شَيءٍ مِنهُ فَقَرَأَهُ بَيْنَ صَلاَةِ الفَجْر، وَصَلاَةِ الظُّهر، كُتِبَ كَأَنَّمَا قَرَأَ مِنَ اللَّيْلِ)

فصل

وليحذر كل الحذر من نسيانه، أو نسيان بعضه، ومن تعريضه للنسيان فقد روى أبو داود وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (عُرِضَتْ عَليَّ ذُنوبُ أُمَّتي فَلَمْ أَرى ذَنبَاً أَعْظَمَ مِنْ سُورةِ القُرْآن، أَوْ آية أُوتِيهَاَ رَجُلٌ، ثُمَّ نَسِيهَاَ).
وأَنَّهُ صلى الله عليه وسلم قال : (مَنْ قَرَأَ القُرْآنَ ثُمَّ نَسِيَهُ لَقِيَ الله تَعَالَى يَوْمَ القِياَمَ أَجْذَم). [إسنادهُ ضعيف]

الباب السادس : في آداب قراءة القرآن

أول ذلك أَنَّهُ يجب على القارئ الإخلاص كما قدمناه، ومراعاة الأدب مع القرآن، وينبغي أن يستحضر في ذهنه أنه يناجي الله عز وجل ويقرأ على حال من يرى الله تعالى.

فصل

ينبغي إذا أراد القراءة أن يُنظِّف فمه بالسّواك وغيره، ويختار في السِّواك الأراك، ويجوز بكل ما يُنظِّف كالخرقة الخشنة والآشنـان، ولا يحصل بالأصابع الخشنة على الأصح، وقيل يحصل إن لم يجد غيرها، ويستاك عرضاً مبتدياً بالجانب الأيمن من فمه، وينوي الإتيان بالسُّنة، ويمر بالسواك على ظاهر الأسنان، وباطنها، ويمر على سقف حلقه إمراراً لطيفاً، ويستاك بعود متوسط بين اليابس والرطّب، ولا بأس باستعمال سواك غيره بإذنه !، فإن كان فمه نجساً فينبغي أن يغسله، فإن قرأ القُرآن قبل غسله فهو مكروه وفي تحريمه وجهان.

فصل

يُستحب أن يقرأ مُتطهراً، فإن قرأ مُحدِثاً جاز بإجماع المسلمين ولايقال له مكروه، ويقال تارك الأفضل، فإن لم يجد الماء تيمم، والمستحاضة في الزمن المحكوم بأنَّه طهر حكمها حكم المحدث، وأما الجنب والحائض فيحرم عليهما قراءة القرآن سواء كان آية أو أقل منها، ويجوز لهما إجراء القرآن على قلوبهما من غير لفظ، ويجوز لهما النظر في المصحف، وإمراره على القلب، وأجمع المسملون على جواز التسبيح، والتهليل، والتحميد والتكبير والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من الأذكار للجنب والحائض
قال أصحابنا يجوز أن يقول لغيره ((خُذِ الكِتابَ بِقُوة)). وكذا ما أشبهه إذا لم يقصد القرآن، وكذا يقول عند ركوب الدَّابة : ((سُبْحانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَاَ هَذَاَ وَمَاَ كُنَّاَ لَهُ مُقْرِنِين))، وعند الدُّعاء ((رَبَّنَاَ آتِنَاَ في الدُّنياَ حَسَنَةً وَفي الآخِرةِ حَسَنَةً وَقِنَاَ عَذَاَبَ النَّار)).
ويجوز أن يقول "بسم الله، والحمدُ لله " إذا لم يقصد القراءة، فإن قصدها في شيء من هذا أثم، ويجوز للجُنب والحائضِ قراءة ما نُسخت تلاوته كالشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما

فصل

إذا لم يجد الجنب أو الحائض ماءً تيمم وتُباح له القراءة والصلاة وغيرها، فإن أحدث حُرمت عليه الصلاة ولم تُحرم القراءة، سواء تيمم في الحضر أو في السَّفر، وقيل إن تيمم في الحضر لم تحل له القراءة خارج الصلاة، والصواب من القراءة وجميع ما يحرم على الجنب حتى يغتسل.

أما إذا لم يجد ماء ولا تراب فيُصلي وتُحرم عليه القراءة خارج الصلاة، ويحرم أن يقرأ في الصلاة ما زاد على الفاتحة، ويجب قراءة الفاتحة على المذهب الصحيح المختار، وقيل يحرم ؛ بل يأتي بدلها بالأذكار، والصواب الأول.

فصل

يُستحب أن تكون القراءة في مكان نظيف، واستحب العلماء القراءة في المسجد لكونه جامعاً للنظافة وشرف البقعة ومحصلاً لفضيلة أخرى وهو الاعتكاف فإنه ينبغي لكل جالسٍ في المسجد أن ينوي الاعتكاف سواء قلَّ لبثه أو قلَّ، وينبغي أن ينويه أولٍ دخوله.وأما القراءة في الحمام فليست مكروهة عند أصحابنا، وبه قال عطاء والنخعي ومالك، وذهب أبو حنيفة وطائفة من العلماء إلى كراهتها.

وقال الشّعبي تُكره قراءة القُرآن في ثلاث مواضع : الحمام، وبيت الحش، وبيت الرحا وهي تدور.

وأما القراءة في الطريق فالمختار أنها ليست مكروهة إذا لم يلته صاحبها، وروى نحو هذا عن أبي الدرداء، وعمر بن عبد العزيز وكرهها مالك.

فصل

يُستحب للقارئ في غير الصلاة أن يستقبل القبلة، ويجلس متخشعاً بسكينة ووقار مُطرقاً رأسه، ويكون جُلوسهُ وحده في تحسين أدبه كجلوسه بين يدي معلمه، فهذا هو الأكمل ولو قرأ قائماً أو مضطجعاً أو في فراشه أو على غير ذلك من الأحوال جاز، وله أجر ذلك دون الأول، ودلائل هذا كله في الكتاب والسُّنة مشهورة.

فصل

إذا أراد القراءة استعاذ فقال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، فإن قال أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم فلا بأس به، ولكن المختار الذي عليه الجمهور هو الأول.

والتعوذ ليس بواجب ؛ بل هو مستحب لكل قارئ سواء كان في الصلاة أو خارجها، ويُستحب في الصلاة في كل ركعة على الأصح، وقيل إنَّما يُستحب في الأول، فعلى هذا لمن تركه في الأولى أتى به في الثانية، ويُستحب التعوذ عقب التكبيرة الأولى من صلاة الجنازة على الأصح، ويُجهر بالتعوذ إذا قرأ خارج الصلاة !، وهل يجهر به في الصَّلاة التي يُجهر بها في القراءة فيه وجهان.

فصل

وينبغي أن يحافظ على قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في أولى كل سورة، سوى براءة فإن أكثر العلماء قالوا أنها آية حيث كتبت، وقد كُتبت في المصحف في أوائل السور سواء براءة، فإن قرأها كان متقناً قراءة الختمة أو السورة التي قرأها، وإذا تركها كان تاركاً بعض القرآن عند الأكثرين، وإن كانت القراءة في وظيفة عليها جعل كالأسباع والأجزاء التي عليها أوقاف كان الاعتناء بالبسملة أشد ليستحق ما يأخذه يقيناً ؛ فإنه إذا أخلَّ بها لم يستحق شيئاً من الوقف عند القائلين بأنَّها آية، وهم الأكثرون، وهذه دقيقة يتساهل فيها الناس فينبغي الاعتناء بها وإشاعتها.

فصل

فإذا شرع في القراءة فليكن شأنه الخشوع والتدبر والخضوع فهو المقصود والمطلوب، وبه تنشرح الصدور، وتستنير القلوب قال تعالى : ((كتابٌ أنزلناَهُ إليَكَ مُباركٌ لِيدَّبروا آياته..)).

وقال تعالى : ((أفلا يَتَدَبَّرون القُرآن)).

والأحاديث والآثار في هذه كثيرة، وقد كان من السَّلف خلائق لا يُحصون يبيت أحدهم يردد الآية جميع الليل أو معظمه للتدبر، وقد صُعق جماعات من السَّلف عند قراءة القرآن، ومات جماعات منهم بسبب القراءة، وقد ذكرت في التبيان جُملة من أخبار هؤلاء رضي الله عنهم.

وقد قال إبراهيم الخواص : دواءالقلب في خمسة أشياء : قراءة القرآن بالتدبر، وخلاء البطن، وقيام الليل، والتضرع عند السَّحر، ومجالسة الصالحين.

فصل

اعلم أن البكاء عند قراءة القرآن مستحب وهو صفة العارفين، وشعار عباد الله الصالحين، قال الله تعالى : ((ويخرون للأذقانِ يَبْكُون ويزيدهم خُشوعاً))

والأحاديث والآثار فيه كثيرة أشرت إلى بعضها في "التبيان" وطريقه في تحصيل البكاء أن يتأمل ما يقرأه من التهديد والوعيد والوثائق والعهود، ثم يُفكر في تقصيره فيها، فإن لم يحضره حزن وبكاء، فليبك على فقد ذلك ؛ فإنَّهُ من المصائب.

فصل

ينبغي أن يرتل قراءته، وقد اتفق العلماء على استحباب الترتيل، قال الله تعالى : ((ورَتّلِ القُرآنَ تَرْتِيلاً)).

وثبت في الأحاديث الصحيحة أن قراءة النَّبي صلى الله عليه وسلم كانت مُرتلة مفسرة، وكذا قراءة السَّلف، وقد نهى عن الإفراط في الإسراع ويسمى الهذّ.

قالوا وقراءة جزء بترتيل أفضل من جزأين في ذلك الزمن بغير ترتيل.

قال العلماء : والترتيل مستحب للتدبر ؛ ولكنه أقرب إلى الإجلال والتوقير، وأشد تأثيراً في القلب.

ولهذا يُستحب الترتيل للعجمي الذي لا يفهم معناه.

فصل
ويُستحب إذا مر بآية رحمة أن يسأل الله تعالى من فضله، وإذا مر بآية عذاب أن يستعيذ من العذاب أو من الشر أو يقول : اللهم إني أسألك العافية، أو نحو ذلك، وإذا مر بآية تنزيه لله تعالى نزهه فقال : سبحانه وتعالى، أو تبارك وتعالى، أو جلَّت عظمة ربنا، وهذا مستحب لكل قارئ سواء كان في الصلاة أو خارجاً، وسواء فيه الإمام والمأموم والمنفرد، وقد ثبت ذلك في صحيح مسلم من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فصل
لا تجوز قراءة القرآن بالعجمية سواء أحسن العربية أم لم يُحسنها، وسواء كان في الصلاة أو خارجاً عنها، فإن قرأ بها في الصلاة لم تصح صلاته، هذا مذهب مالك، والشافعي، وأحمد، وداود، وجوزها أبو حنيفة وجوزها صاحباه أبو يوسف، ومحمد لمن لم يحسن العربية.
وتجوز القراءة بالقراءات السبع المشهورة المجمع عليها، ولا يجوز القراءة بغير السبع، ولا بالروايات الشاذة المنقولة عن القراء السبعة، فإن قرأ بالشاذ في الصلاة بطلت إن كان عالماً، فإن كان جاهلاً لم تبطل، ولم تحسب قراءته، وإذا ابتدأ القارئ القُرآن على قراءة أحد السبعة ؛ فينبغي أن يدوم عليه ما دام الكلام مرتبطاً، فإذا انقضى ارتباطه فله أن يقرأ بقراءة آخر من السبعة، والأولى، دوامه على القراءة الأولى في هذا المجلس.

فصل
قال العلماء رحمهم الله الاختيار أن يقرأ على ترتيب المصحف، فيقرأ الفاتحة، ثم البقرة ثم آل عمران، ثم النساء إلى أن يختم بـ ((قُلْ أَعوذ بربِ النَّاس)) سواء قرأ في الصلاة أم خارجاً عنها، ويستحب أيضاً إذا قرأ سورة أن يقرأ بعدها السورة التي تليها، ولو قرأ في الركعة الأولى : ((قُلْ أَعوذ بربِ النَّاس)) يقرأ في الثانية من البقرة، ودليل هذا الفصل أن ترتيب المصحف لحكمة، فينبغي أن يحافظ عليها إلا فيما ورد الشرع باستثناء كصلاة الصبح يوم الجمعة يقرأ في الركعة الأولى ((ألم تَنزيل)) وفي الثانية ((هَلْ آتَى)) وصلاة العيدين قاف واقتربت وغير هذا مما سيأتي في الباب الثامن إن شاء الله تعالى.
ولو خالف الترتيب فقرأ سورة ثم قرأ التي قبلها أو خالف المولاة فقرأ قبلها ما لا يليها جاز وكان تاركاً للأفضل، وأما قراءة السورة من آخرها إلى أولها فمتفقٌ على منعه وذمِّه ؛ فإنه يُذهب بعض أنواع الإعجاز، ويزيل حِكمة الترتيب.
وأمَّا تعلم الصِّبيان من آخر المصحف إلى أوله فحسنٌ ليسَ من هذا الباب لتفاصلها في أيام.

فصل
القراءة من المصحف أفضل من القراءة على ظهر القلب ؛ لأنها تجمع القراءة والنظر في المصحف، وهو عبادة قاله أصحابنا، والسَّلف، ولم أر فيه خلافاً ؛ ولعلهم أرادوا بذلك في حق من يستوي خشوعه، وحضوره في

حالتي القراءة في المصحف، وعن ظهر القلب، أما من يزيد خشوعه وتدبره، وينجمع فكره بالقراءة عن ظهر القلب فهي أفضل في حقه.

فصل

في استحباب قراءة الجماعة مجتمعين، وفضل جامعهم لذلك، وحاضري مجلس القراءة من القارئين والسامعين

اعلم أن قراءة المجتمعين مستحبة، وكذلك حضور حلقهم،
وأما المتسبب في جمعهم لذلك فأجره عظيم، وفضله جسيم، وهو من الساعين في نصحة كتاب الله تعالى والقيام بحق من حقوقه، وكل هذا ثابت بالدلائل.
عَنِ النَّبي صلى الله عليه وسلم أنَّه قَالَ : (مَاَ اجْتَمَعَ قَومٌ في بَيْتٍ مِنْ بُيوتِ الله يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ تَعَالى وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُم إلاَّ نَزَلَت عَلَيْهِمُ السَّكِينَة وَغَشِيتُهمُ الرَّحمة، وَحَفّتهُمُ المَلاَئِكَة، وَذَكَرَهُمُ فِيمَنْ عِنْدَه).
وقد ذكرت في "التبيان" جملة من الأحاديث والآثار في هذا الفصل ثم لهم في القراءة مجتمعين طريقان حسنان :
إحداهما : أن يقرءوا كلهم دفعة واحدة.
الثانية : أن يقرأ بعضهم جزء، أو غيره، ويسكت بعضهم مستمعين، ثم يقرأ الساكتون جزءاً ويستمع الأولون ويسمى هذا الإدارة.

فصل

في آداب القُراء مجتمعين

الآداب التي يحتاجون إليها كثيرة لا يمكن حصرها في هذا الموضع، ولكن نشير إلى بعضها تبييناً على الباقي، فجميع آداب القارئ وحده آداب المجتمعين، ونزيد في آدابهم أشياء مما يتساهل فيه بعض الجاهلين، فمن ذلك أن يتغنَّى لهم أن يتجنبوا الضحك، واللغط، والحديث في حالة القراءة، إلا كلاماً يضطر إليه، ومن ذلك العبث باليد وغيرها، والنظر إلى ما يُلهي، أو يُبدد الذِّهن، وأقبح من هذا كُله النَّظر ما لا يجوز النَّظر إليه، كالأمرد وغيره، فإن النَّظر إلى الأمرد الحسن حرام سواء كان بشهوة أو بغيرها، وسواء أمن الفتنة أم لم يأمنها، هذا هو المذهب الصحيح المختار عند المحققين من العلماء، وقد نصَّ على تحريمه الإمام الشّافعيّ، ومن لا يُحصى من العلماء، قال تعـالى : ((قُل للمؤمنين يَغضّوا من أبْصارهِم ويحفظوا فُروجَهُم)) ؛ لأنه في معني المرأة ؛ بل كثير منهم أحسن من كثير من النساء، ويَسهل من طُرق الشَّر في حقهم ما لايُتسهل في النساء فهم بالتحريم أولى، وأقاويل السلف في التنفير منهم أكثر من أن تُحصى.
واعلم أنه يجب على كل حاضر مجلس القراءة أن ينكر ما يراه من هذه المنكرات وغيرها فينكر بيده ؛ فإن لم يستطع فبلسانه ؛ فإن لم يستطع فلينكره بقلبه.

فصل

في رفع الصوت بالقراءة
هذا فصلٌ مهم ينبغي الاعتناء به. اعلم أنَّهُ جاءت أحاديث كثيرة في الصَّحيحين وغيرهما دالة على استحباب الصوت بالقراءة، وجاءت أحاديث دالةٌ على الآثار دالة على استحباب الإخفاء وخفض الصوت وكان في السلف رضي الله عنهم من يختار الإخفاء وفيهم من يختار الجهر.
قال العلماء وطريق الجمع بين الآثار المختلفة في هذا الفصل أن الإسرار أبعد من الرياء، فهو أفضل في حق من يخاف الريـاء، فإن لم يخفه فالجهر، ورفع الصوت أفضل ؛ لأن العمل فيه أكثر ولأن فائدته تتعدى إلى غيره، والنفع المتعدي أفضل من اللازم ولأنه يوقظ قلب القارئ، ويجمع همَّه إلى الفكر فيه ويصون سمعه إليه ويطرد النوم ويزيد في النشاط، ويوقظ غيره من نائم، أو غافلٍ وينشطه قالوا فمهما حضره شيء من هذه النِّيات فالجهر أفضل، فإن جمُعت كلها تضاعف الأجر، هذا إذا لم يخف رياءً ولا إعجاباً، ولا غيرهما من القبائح، ولم يؤذ جماعة يلبس صلاتهم، وتخليطها عليهم ؛ فإن كانت القراءة من جماعة مجتمعين تأكد استحباب الجهر وقد ذكرت في "التبيان" جُملة من الأحاديث والآثار الواردة في هذا الباب.

فصل
في تحسين الصوت بالقراءة
أجمع العلماء من الصحابة والتابعين فمن بعدهم على استحباب تحسين الصوت بالقراءة وأقوالهم، وأفعالهم في هذا مشهورة، والأحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مستفيضة عند الخاصة والعامة.
قال العلماء : يُستحب تحسين القراءة وتزينها بما لم يخرج عن حد القراءة بالتمطيط ؛ فإن أفرط حتى زاد حرفاً، أو إخفائه أو مد ما لا يجوز مده فحرام على فاعله، وسامعه إن تمكَّن من إنكاره، ولم ينكره لأنه عدل به، نهجه القويم إلى الاعوجاج والله تعالى يقول: ((قُرآناً عربياً غير ذي عِوج)).
من هذا النوع ما يقرأه بعض الجهلة على الجنائز وفي مجال الوعاظ وغيرها، وهي بدعة محرمة ظاهرة، نسأل الله الكريم تعجيل زوالها بخير للمسلمين.
قال الشّافعي وغيره : أفضل القراءة ما كان حدراً وتحزيناً، فالحدر درج القراءة والتحزين القراءة بالترقيق.
وقرأ أبو هريرة رضي الله عنه تحزيناً شبه لرثاء.
وإذا لم يكن القارئ حسن الصوت حسنه ما استطاع.

فصل
في استحباب القراءة من حسن الصوت
اعلم أن جماعات من السلف رضي الله عنهم كانوا يطلبون من القارئ الحسن الصوت أن يقرأ عليهم وهم يستمعون، وهذا متفق على استحبابه،

وهو عادة الأخيار والمتعبدين، وعباد الله الصالحين، وهو سُنَّة ثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.
ففي الصَّحِيحين أنَّهُ صلى الله عليه وسلم قال لعبد الله بن مسعود : (اقْرأ عَليَّ القُرْآن، فَإِنِّي أُحبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي) فقرأ عليْهِ من سُورة النِّساء حتّى بلغ قوله: ((فَكَيفَ إِذاَ جِئنَاَ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهيدٍ وَجِئْنَاَ بِكَ عَلى هَؤلاء شَهِيدا))، قال : (حَسْبُكَ الآن). فالتفتُ إليه فَإِذَاَ عَيْنَاهُ تَذْرِفَاَن.رواه البخاريُّ ومسلم.
والآثار في هذا كثيرة ومشهورة. وقد مات جماعة من الصَّالحين بسبب قراءة من سألوه القراءة، واستحب العلماء افتتاح مجلس حديث النبي وختمه بقراءة قارئ حسن الصوت، ما تيسر من القُرآن، وينبغي أن يكون القارئ في هذه المواطن ما يتعلق بالمجلس، ويناسب الحال، وأن يكون قراءته في آيات المواعظ والزُهد، والترغيب والترهيب وقصر الأمل ومكارم الأخلاق.

فصل

ينبغي للقارئ إذا ابتدأ من وسط السورة أو وقف على غير آخرها أن يبتدئ من الكلام المرتبط بعضه ببعض، وأن يقف على انتهاء المرتبط، ولا يتقيد بالأعشار، والأجزاء فإنها قد تكون في وسط الكلام المرتبط الجزء في قوله تعالى : ((والمُحصنَاتُ مِنَ النِّساء)) وفي قوله تعالى : ((وَمَاَ أُبَرِئُ نَفسي)) وفي قوله تعالى : ((إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلمُ السّاعة)) وفي قوله تعالى : ((فَمَاَ خَطْبُكُم أَيُّهَاَ المُرْسَلُون)).

وما أشبهه ينبغي ألاَّ يُوقف عليه ولا يُبتدأ به، ولا يُغترَ بكثرةِ الفاعِلين له، ولهذا قال العلماء : قراءة سورة قصيرة أفضل من قراءة بعض سورة بقدر القصيرة فإنه قد يخفى الارتباط، وكان السَّلف رضي الله عنهم يكرهون قراءة بعض الآية والله أعلم.

فصل

في أحوال تُكره فيها القراءة

اعلم أن القراءة محبوبة على الإطلاق إلا في أحوال مخصوصة جاء الشرع ببيانها وأنا أشير إلى ما حضرني الآن منها فتكره في حالة الركوع والسجود والتشهد وغيرها من أحوال الصلاة، سواء القيام، وتُكره في حال القعود في الخلاء، وفي حالة النعاس وإذا استعجم عليه القرآن، وفي حالة الخطبة لمن سمعها ولا يُكره لمن لم يسمعها بل تستحب له على المذهب الصحيح المختار، ويُكره للمأموم قراءة ما زاد على الفاتحة في الصلاة الجهرية إذا سمع قراءة الإمام، ويستحبُ له إذا لم يسمعها، ولا يُكره في حال الطواف. وقد تقدم بيان القراءة في الحمام، والطريق، وقراءة من فمه نجس.

فصل

ومن البدع المنكرة ما يفعله جهلة المصلين بالنَّاس بالتراويح من قراءة سورة الأنعام بكمالها في الركعة الأخيرة في الليلة الرابعة معتقدين استحبابها، فيجمعون بهذا أنواع منكرة بينتها في "التبيان" ومن البدع المشابهة لهذه قراءة بعض جهلتهم في الصبح يوم الجمعة سجدة غير سجدة

((ألم)) قاصداً ذلك، وإنَّما السُّنة قراءة سجدة ((ألم تَنْزِيل)) بكمالها في الركعة الأولى، و((هل أتى)) في الثانية.

فصل

في آداب تدعوا الحاجة إليها

منها أنَّه إذا كان يقرأ فعرضت له ريح فينبغي أن يُمسك عند القراءة حتى يتكامل خروجها، ثم يعود إلى القراءة.

ومنها أنه إذا تثاءب أمسك عن القراءة حتى ينقضي التثاؤب ثم يقرأ.

ومنها أنَّه إذا قرأ قوله تعالى : ((وقالت اليهود عُزَيرٌ ابْنُ الله. وقالَت النَّصارَى المَسِيحُ ابْنُ الله))، ((وَقالت اليَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولة))، ((وَقَالوا اتخذَ الرحمنُ وَلَداً)) ونحو هذا من الآيات يستحب له أن يخفض بها صوته كذا كان إبراهيم النخعي يفعل.

ومنها إذا قرأ قوله تعالى : ((إنَّ الله ومَلاَئِكَتِهِ يُصلونَ عَلى النَّبي)) صلى الله عليه وسلم ـ الآية، يستحب له أن يقول : صلى الله عليه وسلم تسليماً.
ومنها إذا قرأ أليسَ الله بَأحكمِ الحَاكِمين)) ((أَليسَ ذَلِكَ بقَادرٍ عَلى أنْ يُحيي الموْتَى)) يُستحب أن يقول : بلى وأنا على ذلك من الشاهدين، وإذا قرأ: ((فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُون)) قال: آمنت بالله. وإذا قرأ ((سَبِّحِ اسم رَبِّكَ الأعلى)) وإذا قرأ : ((وَقُلِ الحَمدُ لله الّذي لَمْ يَتَّخِذ وَلَداً)) وهذا كله مستحب أن يقوله القاري في الصلاة وغيرها.

فصل

اختلفوا في كراهة قراءة القرآن يراد بها الكلام، وأما إذا استأذن المصلي على إنسان فقال المصلي ((أُدْخُلوها سَلاَم آمنين)) فقال أصحابنا إن أراد التلاوة الأذن لم تبطل صلاته وإن أراد الأذن أو لم تحضره نية بطلت صلاته.

فصل

إذا كان يقرأ ماشياً على قوم سلم عليهم ثم رجع إلى القراءة، ولو أعاد التعوذ كان حسناً، ولو قرأ جالساً فمر عليه غيره فالأظهر أنه يستحب له أن يسلم عليه، ويجب على القارئ الرد باللفظ. وقال الإمام الواحدي من أصحابنا : الأولى ترك السلام، وقال : فإن سلم عليه رد بالإشارة، أما إذا عطس حال القراءة يستحب أن يقول الحمد لله، وكذا لو كان في الصلاة قال : الحمدلله.
يستحب للقارئ أن يقول : يرحمك الله، ولو سمع المؤذن أو المقيم قطع القراءة وتابعه، ولو طلبت منه حاجة وأمكن الجواب بالإشارة لفهمه وعلم أنه لا يشق ذلك على السائل استُحبَّ أن نجيبه بالإشارة، ولا يقطع القراءة فإن قطعها جاز، وإذا ورد عليه من له فضيلة بعلم أو صلاح أو شرف أو سن أو ولادة، أو ولاية فلا بأس بالقيام له للاحترام والإعظام.

فصل

لا بأس بالجمع بين سور في ركعة واحدة ويستحب للإمام في الصلاة الجهرية أن يسكت في القيام أربع سكتات :
أحدها : بعد تكبيرة الإحرام بقراءة وعام التوجه، وليحرم المأمومون.
والثانية : سكتة لطيفة جداً بين آخر الفاتحة وآمين لئلا يُتوهم أن آمين من القُرآن.
والثالثة : بعد آمين سكته طويلة بحيث يقرأ المأمومون الفاتحة.
والرابعة : بعد الفراغ من السورة يفصل بها بين القراءة وتكبيرة الركوع.

فصل

لكل قارئ في الصلاة أو غيرها أن يقول عقب الفاتحة آمين وفيها لغات أربع :
المد والقصر مع التخفيف فيهما.
والثالثة : المد مع الإمالة حكاها الواحدي عن حمزة والكسائي.
والرابعة : المد مع تشديد الميم حكاها الواحدي عن الحسن البصري، والحسين بن الفضل، وأنكر الجمهور التشديد ثم أن النون في آخرها ساكنة

فإن وصلت بمن بعدها فتحت. مثل أين وكيف وفي معناها قريباً من خمسة عشر قولاً، أشهرها وأظهرها معناه.
اللَّهُمَّ استجب ويستحب التأمين في الصلاة للإمام والمأموم، والمنفرد، ويجهر المأموم، ويستحب أن يكون تأمين المأموم مع تأمين الإمام لا قبله ولا بعده.

فصل

في سجود التلاوة
وهو مما يتأكد الاعتناء به. فقد أجمع العلماء على الأمر به وإنما اختلفوا في أنَّه إيجاب أم استحباب.
فقال أبو حنيفة هو واجب.
وقال عمر الخطاب وابن عبَّاس، وسلمان الفارسي، وعمران بن الحصين، والأوزاعي، ومالك، والشافعي وأحمد، وإسحق، وأبو ثور، وداود وغيرهم.
وهو سنة ليس بواجب.

فصل

وسجدات التلاوة أربعة عشر في "الأعراف"،"والرعد"،"والنحل"، "وسبحان"، "ومريم"، "والحج سجدتان"، "والنجم"، و((إذا السماء انشقت))، "واقرأ".
فهذه عزائم السجود، وأما سجدة "ص" فسجدة شكر ليست من عزائم السجود أي متأكداته.
ومحل هذه السجاد معروف، ولا خلاف في شيء منها إلا في التي في {حم} فإن مذهب أبي حنيفة والشافعي، وأحمد، وجماعات من السلف أنها عقيب قوله ((وهم لا يسأمون)).
ومذهب مالك وجماعات من السلف منهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنها عقيب قوله تعالى : ((إن كُنتم إياه تعبدون)).
وهو وجه لبعض أصحاب الشَّافعيّ والصحيح الأول، وهو أحوط.
وأما سجدة "النمل" فالصواب المشهور المعروف أنها عقيب قوله ((رب العرش العظيم)).
وقال العبدرى من أصحابنا هي عقيب قوله تعالى ((ويعلم ما يخفون وما يعلنون)) وأدعى أن هذا يعلم مذهبنا، ومذهب أكثر الفقهاء، وليس كما قال والصواب ما قدمناه.

فصل

إذا قرأ سجدة ((ص)) خارج الصلاة استحب له السجود، وإن قرأها في صلاة لم يسجد فإن خالف فسجد وهو جاهل أو ناس لم تبطل صلاته، ولكنه يسجد للسهو، وإن كان عالماً بطلت صلاته على الصحيح من الوجهين ولاتبطل فى الوجه الثاني. ولو سجد أمامه فى ((ص)) لكونه "يعتقدها" من العزايم والمأموم لا يعتقدها فلا يتابعه بل يفارقه أو ينتظره قائما.

فصل

حكم سجود التلاوة وحكم صلاة النفل فيشترط فيها الطهارة عن الحدث والنجس واستقبال القبلة وستر العورة.

فصل
مسائل مختلفة من سجود التلاوة
أحدها : لا يقوم الركوع مقام سجود التلاوة في حال الاختيار عند الشافعي والجماهير. وقال أبو حنيفة يقوم.
الثانية : إذا قرأ السجدة على دابته في السفر سجد بالإيماء لو كان في الحضر لم يجز الإيماء.
الثالثة : لو قرأ السجدة بالفارسية لم يسجد، وقال أبو حنيفة يسجد.
الرابعة : لا يُكره سجود التلاوة في الأوقات التي نهى عن صلاة النافلة فيها.
الخامسة : إذا سجد المستمع مع القارئ لا يرتبط به ولا ينوي الاقتداء به، بل له الرفع قبله.
السادسة : لا تُكره عندنا السجدة للإمام في الصلاة الجهرية، ولا في السرية.
وقال مالك : يُكره. وقال أبو حنيفة تُكره في السرية.
السابعة : إذا قرأ آية السجدة في الصلاة قبل الفاتحة سجد بخلاف ما لو قرأها بالركوع أو السجود، فإنه لا يجوز أن يسجد لأن القيام محل القراءة، ولو قرأ السجدة فهوى ليسجد ثم شك هل قرأ الفاتحة فإنه يسجد للتلاوة ثم يعود إلى القيام فيقرأ الفاتحة.
الثامنة : اختلفوا في اختصار السجود وهو أن يقرأ آية أو آيتين ثم يسجد. حكى ابن المنذر عن الشعبي والحسن البصري، ومحمد بن سيرين، والنخعي، وأحمد بن حنبل، وإسحق أنهم كرهوا ذلك، وعن أبي حنيفة، ومحمد، وأبي ثور أنه لا بأس به وهو مقتضى مذهبنا.

فصل

فيمن يُسنُّ له سجود التلاوة
اعلم أنه يُسنُّ للقارئ المتطهر بالماء أو التراب حيث يجوز سواء كان في الصلاة أو خارجها، ويسن للمستمع، ويُسن أيضاً للسامع غير المستمع، وسواء كان القارئ في الصلاة أو خارجاً، وسواء سجد أم لم يسجد يسن لمستمعه وسامعه السجود. وقيل لا يسجد السامع أصلاً.
وقيل لا يسجد السامع ولا المستمع إلا أن يسجد القارئ وقيل لا يسجدان لقراءة من في الصلاة.
والصواب ما قدمناه، سواء كان الرجل مسلماً بالغاً متطهراً رجلاً أو كافراً أو صبياً أو محدثاً أو امرأة، وقيل لا يسجد لقراءة هؤلاء، وبهذا قال بعض أصحابنا في غير المرأة، والصواب الأول.
في وقت سجود التلاوة.

فصل

في وقت سجود التلاوة
قال العلماء ينبغي أن يقع عقيب قراءة السجدة التي قرأها أو سمعها، فإن آخر ولم يطل الفصل سجد وإن طال فات السجود، والمشهور أنه لا يقضي كما لا يقضى صلاة الكسوف.
وقيل يقضي كما يقضي سنن الصلوات على الأصح.

ولو كان حال القراءة محدثاً ثم تطهر على القرب سجد وإن طال الفصل لم يسجد على الصحيح المشهور، وقيل يسجد، ولا اعتبار في طول الفصل بالمعروف على المختار.

فصل

وإذا قرأ سجدات سجد لكل واحدة بلا خلاف فإن كرر آية السجدة الواحدة في مجلس سجد لكل مرة بلا خلاف، وإن كررها في مجلس واحد مراراً نظر إن لم يسجد عن المرة الآخيرة كفاه عن الجميع سجدة، وإن سجد للأولى فهل يسجد للثانية وما بعدها فيه ثلاثة أوجه: الأصح أن يسجد لكل مرة.

الثاني : لا يسجد لما عدا الأولى.

والثالث : إن طال الفصل وإلا فلا، لو كرر السجدة الواحدة في الصلاة إن كان في ركعات فهي كالمجالس يسجد لكل مرة بلا خلاف، وإن كان في ركعة كالمجلس الواحد ففيه الأوجه الثلاثة.

فصل

إذا كان مصلياً منفرداً سجد لقراءة نفسه فلو ترك سجود التلاوة وركع ثم أراد أن يسجد للتلاوة لم يجز، فإن فعل مع العلم بالتحريم بطلت صلاته، وإن كان قد هوى إلى الركوع ولم يصل إلى حد الراكعين جاز أن يسجد للتلاوة، ولو هوى لسجود التلاوة ثم بدا له، ورجع إلى القيام جاز، ولو أصغى المنفرد لقراءة غيره لم يجز أن يسجد، فإن فعل مع العلم بطلت صلاته.

أما المصلي في جماعة فإن كان إماماً فهو منفرد، وإذا سجد الإمام لقراءة نفسه وجب على المأموم أن يسجد معه، فإن تخلف بطلت صلاته، لكن يستحب إذا فرغ من الصلاة ولا يتأكد، ولو سجد الإمام ولم يعلم المأموم رأسه من السجود فهو معذور في تخلفه، ولا يجوز أن يسجد ولو علم الإمام بعد السجود، فلو هوى يسجد فرفع الإمام وهو في الهوي رفعه معه، ولم يجز أن يسجد وكذا الضعيف الذي هو مع الإمام فرفع الإمام قبل بلوغ الضعيف السجود يرجع مع الإمام، ولا يجوز له السجود، وأما المأموم فلا يجوز أن يسجد لقراءة نفسه، ولا غير إمامه، فإن سجد بطلت صلاته، ويكره له قراءة السجدة والإصغاء إلى غير إمامه.

فصل

في صفة سجود التلاوة

هذا الفصل أحكامه كثيرة جداً ولكني أرمز إلى أصولها وأُبالغ في اختصارها مع إيضاحها.

اعلم أن الساجد للتلاوة له حالان :

أحدهما : أن يكون خارج الصلاة.

الثاني : أن يكون فيها.

أما الأول : فإذا أراد السجود نوى سجود التلاوة وكبر للإحرام، ورفع يديه حذو منكبيه كما يفعل في تكبيرة الإحرام في الصلاة ثم يكبر أخرى للهوي إلى السجود ولا يرفع فيها اليد وهذه التكبيرة الثانية مستحبة ليست بشرط.

أما الأولى ففيها ثلاثة أوجه :

الصحيح وقول جمهور أصحابنا أنها ركن لا يصح السجود إلا بها.

الثاني : أنها مستحبة ويصح السجود بدونها.
الثالث : ليست مستحبة ثم إن المريد للسجود قائماً كبر للإحرام في قيامه، ثم كبر للسجود في انحطاطه إلى السجود، وإن كان قاعداً فهل يستحب له القيام، يسجد من قيام فيه وجهان :
أحدهما : يستحب وبه قطع جماعات من أئمة أصحابنا منهم الشيخ أبو محمد الجُوَيني، والقاضي حسين وصاحباه، صاحب التهذيب، والتتمة، والإمام المحقق أبو القاسم الرَّافعيّ.
والوجه الثاني : لا يستحب وهذا اختيار إمام الحرمين وهو ظاهر إطلاق الأكثرين، ولم يثبت في القيام هنا شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولا عمن يُقتدى به، والله أعلم.
ثم إذا سجد ينبغي أن يراعي أدب السجود في الهيئة والتسبيح.
أما الهيئة فيضع يديه حذو منكبيه على الأرض ويضم أصابعها وينشرها جهة القبلة ويخرجها من كميه ويباشر بها وبجبهته موضع السجود، ويجافي مرفقيه عن جنبيه ويرفع بطنه عن فخذيه إن كان رجلاً، وإن كانت امرأة أو خنثي لم يجاف، ويرفع الساجد أسافله على رأسه ويمكن جبهته وأنفه من موضع السجود، ويطمئن.
وأما التسبيح فأي شيء يسبح به حصل أصل التسبيح، ولو ترك التسبيح صح السجود ولكن يفوته الكمال.
قال العلماء : ويسبح تسبيحات السجود في الصلاة وبغيرها فيقول ثلاث مرات : سبحان ربي الأعلى، ثم يقول : اللهم لك سجدت ولك أسلمت وبك آمنت سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره بحوله وقوته تبارك الله أحسن الخالقين.
ويقول : سُبّوُحٌ قدوسٌ ربِّ الملائكة والروح.
ويقول : اللهم اكتب لي بها عندك أجراً واجعلها لي عندك زُخراً، وضع عني بها وزراً واقبلها مني كما قبلتها من عبدك داود صلى الله عليه وسلم.
ويقول : ((سُبْحانَ رَبِّنَاَ إنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَاَ لَمفعُولاً)) فيُستحب أن يُجمع بين هذه الأذكار كلها ويدعوا معها بما شاء من أمور الآخرة والدنيا، ثم إذا فرغ من التسبيح رفع رأسه مكبراً، وهل يفتقر إلى السلام ؟ فيه قولان للشافعيّ : أصحهما عند جماهير أصحابه أن يفتقر.
والثاني : لا يفتقر فعلى الأول هل يفتقر إلى التشهد فيه وجهان :
ـ الصحيح أنه لا يفتقر هذا كله في السجود خارج الصلاة.
ـ الحال الثاني : السجود في الصلاة فلا يكبر للإحرام، ويستحب أن يكبر للسجود، ولا يرفع يديه، ويكبر للرفع من السجود، هذا هو الصحيح المشهور، وقيل لا يكبر للسجود، ولا للرفع.
وأما آداب السجود من الهيئة والتسبيح فكما تقدم إى أنه إذا كان إماماً فلا يطول إلا برضى المأمومين، ثم إذا رفع من السجود قام ولا يجلس للاستراحة بلا خلاف، ثم رفع رأسه من سجود التلاوة فلا بد من الانتصاب قائماً، والمستحب إذا انتصب أن يقرأ شيئاً ثم يركع فإن انتصب فركع من غير قراءة جاز.

فصل
في الأوقات المختارة للقراءة
أفضلها ما كان في الصلاة، ومذهب الشافعيُّ وغيره. أن تطويل القيام في الصلاة من تطويل السجود، وأفضل الأوقات الليل والنصف الأخير، وأفضل القراءة بين المغرب والعشاء محبوبة، وأما قراءة النهار فأفضلها بعد الصبح، ولا كراهة في شيء منها.
ونقل عن بعض السَّلف كراهة القراءة بعد العصر وليس هذا بشيء ولا أصل له.
ويختار من الأيام الجمعة والاثنين والخميس ويوم عرفة، ومن الأعشار العشر الأخير من رمضان، والأول من ذي الحجة ومن الشهور رمضان.

فصل
وإذا وقف القارئ فلم يدري ما بعد الموضع الذي انتهى إليه وأراد أن يسأل عنه غيره فيستحب أن يتأدب بما قاله عبد الله بن مسعود وغيره من السلف وهو يقول : طيف يقرأ كذا وكذا بل يقرأ قبل مقصوده ثم يقول : أي شيء بعد هذا، وإذا أراد أن يستدل بآية فله أن يقول : قال الله تعالى، وله أن يقول : الله تعالى يقول كذا ولا كراهة في شيء من هذا.
هذا هو الصواب الذي عليه عمل السلف والخلف، وجاءت به الآثار، وروى عن مطرف كراهة الثاني وليس بشيء.
فصل
في آداب الختم
قد تقدم أنه يستحب أن يكون الختم أول النهار أو أول الليل وأنه يستحب أن يكون ختمه أول النهار، وأخرى آخره وأنه إذا كان يقرأ وحده يستحب أن يختم في الصلاة، واستحب السلف صيام الختم، فقد كان السلف من الصحابة وغيرهم يوصون عليه ويقولون يستجاب الدعاء عند الختم ويقولون تنزل الرحمة عند الختم، وكان أنس رضي الله عنه إذا أراد الختم استحباباً متأكداً، فقد جاءت فيه أثار، وينبغي أن يُلح في الدعاء، وأن يدعوا بالأمور المهمة، وأن يكثر من ذلك في صلاح المسلمين وصلاح سلطانهم وسائر ولاتهم ويختار الدعوات الجامعة ويكون فيها من دعوات الرسول صلى الله عليه وسلم.
وقد جمعت دعوات مختصرة جامعة في "التبيان"، ويستحب إذا ختم أن يشرع في ختمة أخرى عقيب الختم، فقد استحبه السلف لحديث ورد فيه والله أعلم. [الحديث المذكور ضعيف جداً]

الباب السابع: في آداب الناس كلهم مع القرآن

23- ثبـت في صحيـح مسلم عن تميم الداري رضي الله عنه أن النبي قال

صلى الله عليه وسلم : (الدِّينُ النَّصِيحة، قُلنا: لمن؟ قال لله وَلِكِتَابهِ وَلرسُوله، ولأئمَّةِ المُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهمْ).
قال العلماء : النَّصيحة لكتاب الله تعالى هي الإيمان بأنه كلام الله تعالى وتنزيهه لا يشبهه شيء من كلام الخلق، ولا يقدر الخلق على مثله، وتعظيمه وتلاوته حق تلاوته وتحسينها والخشوع عندها، وإقامة حروفه بالتلاوة والذب عنه لتأويل المحرِّفين وتعرّض الملحدين والتصديق بما فيه والوقوف مع أحكامه وتفهم علومه، وأمثاله، واعتبار بمواعظه، والتفكر في عجائبه والعمل بمحكمه، والتسليم لمتشابهه، والبحث عن عمومه وخصوصه، وناسخه ومنسوخه، ونشر علومه والدعاء إليه، وإلى جميع ما ذكرنا من نصيحة.

فصل

أجمع المسلمون على وجوب تعظيم القرآن على الإطلاق، وتنزيهه وصيانته، وأجمعوا على أن من جحد حرفاً مجمعاً عليه أو زاد حرفاً لم يقرأ به أحد وهو عالم بذلك فهو كافر، واجمعوا على أن من استخف بالقرآن أو شيء منه أو بالمصحف، أو ألقاه في القاذورة أو كذب بشيء مما جاء به من حكم أو خبر، أو نفى ما أثبته أو أثبت ما نفاه وهو عالم أو شك في شيء من ذلك فهو كافر، وكذلك إن جحد شيئاً من كتب الله تعالى كالتوراة والإنجيل وأنكر أصله فهو كافر.

فصل

ويحرم تفسيره بغير علم والكلام في معناه لمن ليس من أهله، وهذا مجمع عليه، وإما تفسيره بغير علم، وللعلماء جائز حسن بالإجماع، ويحرم المراء فيه والجدال بغير حق، ومن ذلك أن يظهر له دلالة هي للآية على شيء يخالف مذهبه فيصير إلى خلاف ظاهرها إتباعا لهواه ومذهبه، ويناظر عليه وأما من لا يظهر له ذلك فمعذور.

فصل

يُكره أن يقول نسيت آية كذا ؛ بل يقول أُنسيتها أو أسقطتها، ويجوز أن يقول : هذه سورة البقرة، وسورة آل عمران، وسورة النِّساء، وكذا الباقي، ولا كراهة في شيء من هذا، والأحاديث الصحيحة في هذا كثيرة جداً، وكان بعض السلف يكره هذا ويقولون إنما يُقال السورة التي فيها البقرة، وكذا ما أشبهها، والصواب أنه لا يُكره، ولا يُكره أن يُقال قراءة حمزة.
وأبي عمرو وقرأه حمزة وغيرهما وكره ذلك بعض السلف والصواب الأول، وعليه عمل السلف والخلف.

فصل

لا يُكره النفث مع القراءة للرقية وهو نفخ لطيف بلا ريق.
وقال جماعة من السلف يُكره وهو مذهب أبي جحيفة الصحابي، والحسن البصري، والنخعي رضي الله عنهم.

والمختار الأول فقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك.
ويُكره نقش الحيطان والثياب بكتب القرآن في قبلة المسجد، ولو كتب القرآن على حلواء أو طعام فلا بأس بأكلها، ولو كان على خشبة كره إحراقها، ولو كتبه في إناء ثم غسله وسقاه المريض.
فقال الحسن ومجاهد وأبو قلابة والأوزاعي : لا بأس به وكرهه النخعي.
أما الحروز المكتوبة من القرآن وغيره إذا جعلت في قصبة حديد أو جلد أو نحو ذلك فلا يحرم كتابتها وفي كراهتها خلاف.

فصل

لا يمنع الكافر من سماع القرآن، ويمنع من مس المصحف.
وهل يمنع من تعلم القرآن فيه وجهان :
لا يجوز تعليمه القرآن إن كان لا يرجى إسلامه وإن رجى فوجهان : أصحهما جوازه.

الباب الثامن: في الآيات والسُور المستحبة في أوقات وأحوال مخصوصة...

اعلم أن هذا الباب واسع جداً لا يمكن حصره لكثرة ما جاء فيه، ولكني أشير إلى كثير منه بعبارات وجيزة فمن ذلك السُّنة كثيرة الاعتناء بتلاوة القرآن في شهر رمضان، وفي العشر الأخير آكد وفي أوتاره، وفي عشر ذي الحجة ويوم عرفة ويوم الجمعة وفي الليل، وبعد الصبح، ويحافظ على يس، والواقعة، وتبارك. الملك، و ((قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدْ))، و المعوذتين، وآية الكرسي، ويقرأ الكهف يوم الجمعة وليلتها، وقيل يقرأ يوم الجمعة أيضاً سورة آل عمران، و هود ويقرأ بعد الفاتحة في ركعتي الفجر سنة الصبح في الأولى بـ سَبِّح، وفي الثانية : ((قُل يَاأَيُّها الكافرون))، وفي الثالثة : ((قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدْ))، و والمعوذتين، ويقرأ في صلاة الجمعة سورة { الجمعة } وفي الثانية { المنافقين} وفي العيد (ق) و اقتربت وإن شاء قرأ في الجمعة والعيد بـ سبِّح، و ((هَلْ أَتَاكَ حَدِيث الغَاشِية)) فجلاهما صحيح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

فصل

ويُستحب الإكثار من آية الكرسي في كل موطن، ويقرأها كل ليلة إذا أوى إلى فراشه، ويقرأ المعوذتين عقيب كل صلاة، ويقرأ عند النوم آية الكرسي مع آخر البقرة ((أمنَ الرسولُ)) إلى آخرها و((قلْ هُوَ اللهُ أحد))، و المعوذتين وإن أمكنه قراءة بني إسرائيل و الزمر فليفعل. فقد صحَّ أنَّ النَّبِي صلى الله عليه وسلم كان لا ينام حتى يقرأها.

والسُّنّة إذا استيقظ من النوم أن يقرأ آخر آل عمران ((إِنَّ في خَلْقِ السَّمَواتِ..)) إلى آخر آل عمران، ويقرأ عند المريض الفاتحة، و((قُلْ هُوَ الله أحَد))، و المعوذتين مع النّفث في اليدين ومسحهما.
فقد ثبت ذلك في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقرأ عند المبيت يس.
وجاء عن الشعبي أن الأنصار كانوا يقرأون عند المبيت سورة البقرة.

الباب التاسع: فى كتابة القرءان وإكرام المصحف...

هذا الباب منتشر جداً وقد ذكرت في التبيان مقاصده، وأنا أختصرها هاهنا بأوجز العبارات الواضحات.
أجمع العلماء على صيانة المصحف واحترامه، وأنه لو ألقاه في القاذروة والعياذ بالله كفر ويحرم توسده، بل توسد جميع كثيرة كتب العلم، ويستحب أن يقوم للمصحف إذا قُدِّم به عليه.
واتفق العلماء على استحباب كتابة المصاحف وتحسين كتابتها وتبينها وإيضاحها، وتحقيق الخط دون مشقة وتعليقه، ويستحب نقط المصحف وشكله فإنها صيانة من اللَّحن والتحريف، ولا يجوز كتابته بشيء بخس، ويحرم المسافرة بالمصحف إلى أرض العدو، أو خيف وقوعه في أيديهم، ويحرم بيع المصحف من الذمي فإن باعه ففي صحته قولان :
أصحهما : لا يصح.
الثاني : يصحّ ويُؤمر في الحال بإزالة الملك عنه ويمنع المجنون والسكران والصبي الذي لا يميز من حمل المصحف مخافة انتهاك حرمته.
فصل
يحرم على المُحدث مس المصحف وحمله سواء حمله بعلاقة أو بغيرها سواء مس نفس المكتوب أو الورق أو الجلد أو الصندوق أو الغلاف أو لخريطة إذا كان فيهن المصحف.
وقيل لا تحرم هذه الثلاثة. والصحيح الأول.
ولو كُتب القرآن في اللوح فحكمه حكم المصحف سواء قل المكتوب أو كثر حتى لو كتب بعض آيو للدراسة حُرِّم مس اللوح، ولو تصفح المحدث أو الجنب أو الحائض أوراق المصحف بعود ونحوه ففيه وجهان :
أصحها يجوز.
والثاني : لا يجوز. ولو لف كمه على يده وتصفح بها قال الجمهور حرم بلا خلاف وقيل لا يحرم وهو غلط، ولو كتب المُحدث أو الجنب مصحفاً إن كان يحمل الورقة أو يمسها حال الكتابة فهو حرام، وإن لم يحملها وبم يمسها ففيه ثلاثة أوجه :
أصحها يجوز. والثاني : لا يجوز. والثالث : يجوز للمحدث دون الجنب.

فصل

إذا مس المُحدث أو الجنب أو الحائض أو حامل كتاباً من كتب الفقه أو غيره من العلوم وفيه آيات من القرآن أو ثوباً مطرزاً بالقرآن أو دراهم أو دنانير منقوشة أو حمل متاعاً في جملته مصحف أو لمس الجدار أو الحلوى أو الخبز المنقوش بالقرآن فالمذهب الصحيح جواز هذا أكله لأنه ليس بمصحف وفيه وجه أنه حرام، وقيل إن كانت عمامة أو ثوباً حرم لبسهما. والصواب الجواز.

أما كتب التفسير فإن كان القرآن أكثر حرم مسها وحملها وإن كان التفسير أكثر ففيه ثلاثة أوجه :

ــ أصحها لا يحرم.

ــ الثاني : يحرم.

الثالث : إن كان القرآن متميز بخط غليظ أو حمرة أو نحوها حرم وإلا فلا.

وكتب الحديث إن كان فيها قرآن فهي ككتب الفقه، وإن لم يكن جاز مسها. والأولى أن يتطهر لها ولا يحرم مس ما نسخت تلاوته، كـ{الشيخ والشيخة} والتوراة والإنجيل.

فصل
إذا كان على موضع من بدنه نجاسة غير معفو عنها حرم مس المصحف لموضع النجاسة بلا خلاف ولا يحرم بغيره على الصحيح المشهور.
وقيل يحرم وليس بشيء.
فصل
ومن لم يجد الماء فتيمم يجوز له مس المصحف سواء تيمم للصلاة أو لغيرها، ومن لم يجد ماءً ولا تراباً يُصلي على حاله ولا يمس المصحف ولو كان معه مصحف ولم يجد من يودعه إياه وعجز عن الوضوء جاز له حمله للضرورة.
قال القاضي أبو الطيب رحمه الله لا يلزمه التيمم. وفيما قاله نظر وينبغي أن يلزمه، ولو خاف على المصحف من حرق أو غرق أو نجاسة أو كافراً مع أخذه مع الحدث للضرورة.
فصل
هل يجوز على المعلم والولي تكليف الصبي المميز الطهارة للمصحف واللوح الذَّين يقرأ فيهما فيه وجهان : أصحهما لا يلزمه.
فصل
لا يحرم عندنا بيع المصحف ولا شراؤه.
وقال بعض السلف يكرهان.
وقال بعضهم يُكره البيع دون الشراء ونص الشافعي على كراهة البيع ووافقه بعض أصحابنا.
وقال بعض : لا يُكره.
فهذا آخر ما قصدناه في هذا المختصر، والله الكريم أسأله
أن يجعل النفع به من العام الدائم المنتشر، وحسبي الله
ونعم الوكيل، والحمد لله رب العالمين وصلاته
وسلامه الأكملان على سيدنا محمد
وعلى آله وأصحابه
إلى يوم الدين

بِدَعُ القُرّاء القَديمَة وَ المعَاصرة

تأْليف الشيخ
بكر بن عَبد الله أبو زيد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله, والصلاة والسلام على رسول الله, ورضي الله عن صحابته أجمعين, ورحم الله عبداً اهتدى بهديه إلى يوم الدين .
أما بعد: فمن عظيم آثار حفظ الله لكتابه شدُّ السلف على مسلك تجريده من أي إحداث أو أمر مضاف, في: رسمه, وترتيله, وقراءته, وإقرائه وأدائه, وأذكاره, وهذا عنوان إعجازه يدخل في قرنه الخامس عشر, دون أن يصل إليه: تغيير وتبديل, أو تحريف وتعديل, زيادة أو نقصاً, فسبحان من أنزله, وحفظه, وهيأ له حفّاظاً, وأنصاراً, وجعل المسلمين له حرساً, وأجناداً, وكان من آثار

رحمته سبحانه في حفظ كتابه, تنبيه العلماء, وبخاصة القراء منهم, على محدثات جَهَلَةِ القُرَّاءِ, واتصال حبل الإِيقاظ عما يداخله في زمان أو مكان, أو كيفية, ومقدار, أو جنس, وأسباب في محيط قاعدة الإسلام, المعروفة منه بالاضطرار, وهي: ((وقف العبادات على النص ومورده لا غير)). وعليه: فهذه النبذة امتداد لحبلهم الموصول في تجريد كتاب الله عن محدثات الأمور, قيَّدتُ فيها ((رؤوس المسائل لبدع جهلة القراء)) التي نبه عليها المتقدمون, وعنيت بالبحث ما اتسع انتشاره وهو ((التمايل عند القراءة)), وما أحدثه المعاصرون وهو في قالبين: تعبد القراء في تقليد قارئ آخر في قراءة القرآن داخل الصلاة أو خارجها, لجِدَّةِ حُدوثه وشدة الولوع به. وقراءة الإِمام - على صفة الالتزام - في صلاة الجمعة, لما يراه متناسبا مع موضوع الخطبة. ومن المعلوم أن نشوء البدع إنما يكون من الإِفراط والغلو في الدين, وضعف البصيرة والفقه فيه. ومن أسباب فشوها وانتشارها: السكوت عنها, وترك التحذير منها, وهذا من فترات القصور والتقصير لدى بعض أهل السنة.

ومن الغبن الفاحش أن يكون ((صاحب القرآن)) متلبساً ببدعة, فكيف إذا كانت من المحدثات في قراءة القرآن العظيم .

لهذا: صار التنبيه, فانتظمت هذه ((النبذة)) التنبيه على ((محدثات القراء)) في القديم والحديث, داخِلَ الصَّلاةِ أو خَارِجها معقودة في أربعة أبحاث:

الأول: رؤوس المسائل لبدع القراء التي نبه عليها العلماء .

الثاني: حكم تعبد القارئ بتقليد صوت قارئ آخر .

الثالث: التمايل من القارئ والسامع .

الرابع: العدول عن المشروع في قراءة صلاة الجمعة إلى ما يراه الإمام مناسباً مع موضوع الخطبة .

فإلى بيانها على هذا الترتيب, مؤسساً على أصول السنة التي تُرَدُّ بها كل محدثة وبدعة, ومِنْ أَجَلِّها: وَقْفُ العبادة على النص, في دائرة جهاته الست وهي: السبب, والجنس, والمقدار, والكيفية, والزمان, والمكان .

وإيماء إلى أن أي حَدَثٍ في التَّعَبُّدِ ففيه:

هجر للمشروع .

واستدراك على الشرع .

واستحباب لما لم يشرع .

وإيهام للعامة بمشروعيته .

فيؤول الدين المنزل إلى شرع محرف مبدل .
أحيانا الله على الإسلام والسنة, حتى نلقاه على ذلك .
ونُقل عن حذيفة رضي الله عنه أنه قال: ((كل عبادة لم يتعبد بها أصحاب رسول الله ﷺ فلا تعبدوها, فإن الأول لم يدع للآخر مقالاً, فاتقوا الله معشر القراء, وخذوا بطريق من كان قبلكم[1] والله المستعان .

* * *

المبحث الأول

في بدع القراء التي نبه عليها العلماء[2]

1 (1) الفتاوى للشاطبي ص 198 .

2 (1) انظر: التبيان للنووي ص / 82, 95 في الباب السادس. التذكار للقرطبي ص / 111, 149 في البـاب 33 وما بعـده. تلـبيس إبليس لابن الجـوزي ص / 237 /

اعلم أن ((تفريع بدعيتها)) هو بتنزيلها على ((أصول السنة لدرء البدعة)), وقد تقدم الإِيماء إلى أصلها في مقدمة هذه ((النبذة)) فمن هذه البدع التي نبه عليها العلماء:

2-1- التنطع بالقراءة والوسوسة في مخارج الحروف, بمعنى التعسف, والإِسراف خروجاً عن القراءة بسهولة, واستقامة, كما قال تعالى: وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً وقوله سبحانه: وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً. وعن إعطاء الحروف حقها من الصفات والأحكام, إلى تجويد متكلف. وفي الحديث: ((من أراد أن يقرأ القرآن رطباً . . .)) الحديث. أي: ليناً لا شدة في صوت قارئه.[3]

3- الخروج بالقراءة عن لحن العرب إلى لُحُون العجم. قال ابن قتيبة في ((مشكل القرآن)):[4] (وقد كان الناس يقرأون القرآن بلغاتهم ثم خلف من بعدهم قوم من أهل الأمصار, وأبناء العجم ليس لهم طبع اللغة . . فَهَفوا في كثير من الحروف وَذَلُّوا فأَخَلُّوا) انتهى . قال ابن القيم رحمه الله تعالى:[5] (ومن ذلك - أي مكايد الشيطان - الوسوسة في مخارج الحروف والتنطع فيها ثم قال: ومن تأمل هَدْيَ رسول الله وإقراره أهل كل لسان على قراءتهم يتبين له أن التنطع, والتشدق, والوسوسة, في إخراج الحروف ليس من سنته) . انتهى.

4- النهي عن القراءة بلحون أهل الفسق, والفجور. ولابن الكيال الدمشقي م سنة 929هـ - رسالة باسم: ((الأنجم الزواهر, في تحريم القراءة بلحون أهل الفسق والكبائر)) .

---

240. فضائل القرآن لابن كثير ص 114 /ـ 131,ـ 162,ـ 165 . الموافقات للشاطبي 3 /ـ 213,ـ 214 . الفتاوى للشاطبي ص / . فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية 36 /- السنن والمبتدعات للشقيري ص / 215,ـ 222 . والتقريب لفقه ابن القيم 2 / 118, 124 . القول المفيد لمحمد موسى نصر ص / 70, 77 . مرويات دعاء ختم القرآن . المقدمة بحاشيتها, المسجد لخير الدين وانلي .

3 (2) تاج العروس 2 / 500 . وانظر: إغاثة اللهفان 1 / 160, 162 .

4 (3) إغاثة اللهفان 1 / 160, 162 .

5 (4) إغاثة اللهفان 1 / 160, 162 .

5- قراءة الأنغام, والتمطيط. وربما داخلها ركض وركل - أي ضرب بالقدمين - ولهذا سميت ((قراءة الترقيص)) . وكنت أظنها مما انقرض, لكني شاهدتها لدى بعض الطرقية, في ساحة مسجد الحسين بمصر عام 1391هـ, وهم غاية من الاستغراق, والاغترار بمشاهدة الناس لهم, فلما ناصحت أحدهم وجدته في غاية الجهل, والانصراف عن النصح .

6- التلحين في القراءة, تلحين الغناء والشِّعر. وهو مسقط للعدالة, ومن أسباب رد الشهادة, قَضَاءً. وكان أول حدوث هذه البدعة في القرن الرابع على أيدي الموالي . ومن أغلظ البدع في هذا, تلكم الدعوة الإِلحادية إلى قراءة القرآن, على إيقاعات الأغاني, مصحوبة بالآلات والمزامير.[6] قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: 40, 42] .

7- قراءة التطريب بترديد الأصوات, وكثرة الترجيعات. وقد بحث ابن القيم رحمه الله تعالى هذه المسألة بحثاً مستفيضاً, وبعد أن ذكر أدلة الفريقين المانعين والمجيزين, قال رحمه الله تعالى:[7] (وفصل النزاع, أن يقال: التطريبُ والتغنَّي على وجهين, أحدهما: ما اقتضته الطبيعة, وسمحت به من غير تكلُّف ولا تمرين ولا تعليم, بل إذا خُلّي وطبعه, واسترسلت طبيعتُه, جاءت بذلك التطريب والتلحين, فذلك جائز. وإن أعان طبيعتَه بفضلِ تزيين وتحسين, كما قال أبو موسى الأشعري للنبي ﷺ : ((لو علمتُ أنَّك تَسْمَعُ لحَبَّرتهُ لكَ تَحبِيراً)). والحزين ومن هاجه الطربُ, والحبُّ والشوقُ لا يملك من نفسه دفعَ التَحزين والتطريب في القراءة, ولكن النفوسَ تقبلُه وتستحليه لموافقته الطبع, وعدم التكلف والتصنع فيه, فهو مطبوع

---

6 (1) تلبيس إبليس ص / 113, 114 .

7 (2) زاد المعاد 1 / 482, 493 .

لا متطبَّع, وكَلفٌ لا متكلَّف, فهذا هو الذي يتأثر به التالي والسامعُ, وعلى هذا الوجه تُحمل أدلة أرباب هذا القول كلها .

الوجه الثاني: ما كان مِن ذلك صِناعةً من الصنائع, وليس في الطبع السماحةُ به, بل لا يحصُل إلا بتكلُّف وتصنُّع وتمرُّن, كما يتعلم أصوات الغِناء بأنواع الألحان البسيطة, والمركبة على إيقاعات مخصوصة, وأوزانٍ مخترعة, لا تحصل إلا بالتعلُّم والتكلف, فهذه هي التي كرهها السلفُ, وعابوها, وذمُّوها, ومنعوا القراءَة بها, وأنكروا على من قرأ بها. وأدلة أرباب هذا القول إنما تتناول هذا الوجه, وبهذا التفصيل يزول الاشتباهُ, ويتبين الصوابُ من غيره وكلُّ من له علم بأحوال السلف, يعلم قطعاً أنهم بُرآء من القراءة بألحان الموسيقى المتكلفة, التي هي إيقاعات وحركات موزونة معدودة محدودة, وأنهم أتقى لله من أن يقرأوا بها, ويُسوِّغوها, ويعلم قطعاً أنهم كانوا يقرؤون بالتحزين والتطريب, ويحسِّنون أصواتهم بالقرآن, ويقرأونه بِشجَىً تارة, وبِطَربٍ تارة, وبِشوق تارة, وهذا أمر مركوز في الطباع تقاضيه, ولم ينه عنه الشارع مع شدة تقاضي الطباع له, بل أرشد إليه وندب إليه, وأخبر عن استماع الله لمن قرأ به, وقال: ((لَيسَ مِنَّا مَن لَمْ يَتَغنَّ بِالقرآنِ)) وفيه وجهان: أحدهما: أنه إخبار بالواقع الذي كلُّنا نفعله, والثاني: أنه نفي لهدي من لم يفعله عن هديـه وطريقته ﷺ). انتهى .

وتأمل قوله: ((من غير تكليف ولا تمرين ولا تعليم)) فإنه فقه عظيم له دلالاته, فرحم الله ابن القيم ما أدق نظره وفقهه .

8- هَذُّه كَهَذِّ الشِّعر .

أما هَذُّه ((حَدْراً)) بمعنى إدراج القراءة مع مراعاة أحكامها وسرعتها بما يوافق طبعه, ويخف عليه, فلا تدخل تحت النهي, بل هذه من أنواع القراءة المشروعة .

9- قراءة الهذرمة .

10- ومما يُنهى عنه ((التَّقلِيس))[8] بالقراءة, وهو رفع الصوت ومنه في وصف الإِمام الشافعي رحمه الله تعالى لأبي يوسف قوله: ((كان أبو يوسف: قلاساً)) أي يرفع صوته بالقراءة وهذا جر إلى إحداث وضع اليدين على الأذنين عند القراءة .

11- القراءة بالإِدارة, وهي تناوب المجتمعين في قراءة آية, أو سورة, أو سور إلى أن يتكاملوا بالقراءة ولا تعني هذه المشروع في مدارسة القرآن. والإِدارة بدعة قديمة, أنكرها الأئمة: مالك وغيره, وصدر بإنكارها فتاوى, وألفت رسائل[9]

12- قراءة القرآن في منارة المسجد .

قال ابن الجوزي: ((وقد لبس إبليس على قوم من القراء فهم يقرأون القرآن في منارة المسجد بالليل بالأصوات المجتمعة المرتفعة الجزء والجزأين فيجمعون بين أذى الناس في منعهم من النوم وبين التعرض للرياء. ومنهم من يقرأ في مسجده وقت الأذان لأنه حين اجتماع الناس في المسجد.[10]

13- قراءة القرآن الكريم, والقارئ يشرب الدخان أو في مجلس يشرب فيه. وقد اشتد نكير العلماء, على الفعلة لذلك وأفردت فيه رسائل لبعض علماء مصر

---

8 (1) فائدة: في مادة ((قلس)) من ((تاج العروس 16 / 195)) قال: (وقال الليث: التقليس: أن يضع الرجل يديه على صدره ويخضع, ويستكين, وينحني, كما تفعل النصارى قبل أن يكفروا, أي قبل أن يسجدوا .
وفي الأحاديث التي لا طرق لها: ((لما رأوه قَلَّسوا له ثم كفروا)) - أي سجدوا - انتهى .
وفي رواية المزني عن أحمد رحمه الله تعالى ويكره أن يجعلهما على الصدر, وذلك لما روي عن النبي أنه نهى عن التكفير - وهو وضع اليد على الصدر . انتهى من: بدائع الفوائد 3 / 91 . وعنه: التقريب لفقه ابن القيم برقم / 354 . فهذان النقلان بحاجة إلى مزيد من التحرير والتأمل . وانظر (فصل المقال في شرح الأمثال) ففيه بحث مهم في مادة ((كفر)) منه . والدعاء للعروسي: 2 / 583 حاشية رقم / 4 وفي: ((فتح الباري)) لابن رجب الحنبلي: 8 / 437, 348 بحث عن التقليس بمعنى ضرب الدف في العيد .

9 (2) وانظر: الفتاوى للشاطبي ص / 197, 200, 206 . المعيار المعرب 11 / 112, 113 .

10 (3) تلبيس إبليس ص / 143 .

14- القراءة والإِقراء بشواذ القراءات

قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى : ((ذكر تلبيسه على القراء, فمن ذلك أن أحدهم يشتغل بالقراءات الشاذة وتحصيلها فيفني أكثر عمره في جمعها, وتصنيفها والإِقراء بها ويشغله ذلك عن معرفة الفرائض والواجبات, فربما رأيت إمام مسجد يتصدى للإِقراء ولا يعرف ما يفسد الصلاة, وربما حمله حب التصدر حتى لا يرى بعين الجهل, على أن يجلس بين يدي العلماء ويأخذ عنهم العلم, ولو تفكروا لعلموا أن المراد حفظ القرآن وتقويم ألفاظه ثم فهمه ثم العمل به ثم الإِقبال على ما يصلح النفس ويطهر أخلاقها ثم التشاغل بالمهم من علوم الشرع. ومن الغبن الفاحش تضييع الزمان فيما غيره الأهم, قال الحسن البصري: أُنزل القرآن ليعمل به. فاتخذ الناس تلاوته عملاً. يعني أنهم اقتصروا على التلاوة وتركوا العمل به)) .

15- الجمع بين قراءتين فأكثر, في آية واحدة, في الصلاة, أو خارجها في مجامع الناس, أو نحو ذلك من أحوال المباهاة. وليس من ذلك بيانها في دروس التفسير, وإظهار وجوه القراءات من المعلمين للمتعلمين .

16-25- ومن البدع: التخصيص بلا دليل, بقراءة آية, أو سورة في صلاة فريضة, أو في غيرها من الصلوات .

أ- قراءة سورة ((الأنعام)) في الركعة الأخيرة, ليلة السابع من شهر رمضان, معتقداً استحبابها.[11]

ب- قراءة سورة ((المدثر)), أو ((المزمل)) أو ((الانشراح)) ليلة مولد النبي ﷺ في العشاء أو الفجر .

11 (1) انظر للسيوطي: الدر المنثور 3 / 2, 3 . تحفة الأبرار ص / 72, 73 . وانظر: الباعث لأبي شامة ص / 74, 76 . وفتاوى ابن تيمية 23 / 121 .

ج- قراءة سورة فيها ذكر موسى عليه السلام في صلاة الفجر, صبح يوم عاشوراء. وهذه تتبعتها فوَجَدتُها من محدثات عصرنا, ولم أر لها ذكراً عند المتقدمين .

د- قراءة سورتي الإِخلاص في صلاة المغرب ليلة الجمعة .

هـ- قراءة المعوذتين في صلاة المغرب ليلة السبت. وهكذا من قصد التخصيص بلا دليل .

و- آيات الحرس: جمع آيات تخص بالقراءة في آخر التراويح, ويسمونها آيات الحرس. وهذه بدعة لا أصل لها.[12]

ز- سرد جميع آيات الدعاء في آخر ركعة من التراويح ليلة الختم, بعد قراءة سورة الناس.[13]

ح- الجمع بين القراءات في الصلاة بدعة, كالجمع بينها في حال التلاوة خارج الصلاة.[14]

ك- قراءة سورة فيها سجدة صبح الجمعة, غير سورة ((الم. تنزيل السجدة)), وإنما السُّنَّةُ قراءة هذه السورة في: الركعة الأولى, وقراءة (سورة الإِنسان) في: الثانية .

ل- جمع تهليل القرآن, وقراءته كما تقرأ السور.[15]

33-26- ومن البدع: التخصيص بلا دليل, بقراءة آية, أو سورة في زمان, أو مكان, أو لحاجة من الحاجات, وهكذا قصد التخصيص بلا دليل .

ومنها:

أ- قراءة ((الفاتحة)) بنية قضاء الحوائج, وتفريج الكربات .

ب- قراءة سورة ((الكهف)) يوم الجمعة على المصلين قبل الخطبة بصوت مرتفع.

---

12 ([1]) الباعث ص / 76 .
13 ([2]) الباعث ص / 76 .
14 ([3]) الفتاوى 24 / 244, 13 / 404 فهرسها 36 / 247 .
15 ([4]) المعيار المعرب 12 / 356, 357 .

ج- قراءة ((سورة يس)) أربعين مرة بنية قضاء الحاجات .

د- قراءة ((سورة الكهف)) بعد عصر يوم الجمعة في المسجد.[(16)] أي بهذين القيدين .

هـ- قراءة سورة يس, عند غسل الميت.[(17)]

و- قراءة الأولاد أو غيرهم ليلة المولد عُشْراً من القرآن.[(18)]

ز- ومنها: قراءة القرآن أمام الجنائز, وعلى القبر.[(19)]

ح- التزام قراءة القرآن في الطواف.[(20)]

38-34- ومن البدع: التزام القارئ, أو السامع, لأدعية وأذكار - لم يرد بها نص - عند قراءة آية أو سورة. ومنها:

أ- قول عند بعضهم بعد قراءة القرآن: الفاتحة .

ب- قولهم عند قراءة الفاتحة: صلوا عليه وسلموا تسليماً .

ج- قول القارئ: الفاتحة زيادة في شرف النبي ﷺ .

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى[(21)]: (هذا دعاء مخترع من أهل العصر) اهـ

د- قول السامع للقارئ ((الله, الله)) ونحو ذلك من الألفاظ الشريفة, التي يوظفها السامع للقارئ قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف:204] .

هـ- وأما التزام قول ((صدق الله العظيم)) بعد قراءة القرآن العظيم, فقد قال الله تعالى: ﴿ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾ [آل عمران:95]. وقال سبحانه: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ [النساء:87]. وقال سبحانه: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً ﴾ [النساء: 122] . ومع هذا فليس في هذا الذكر شيء يؤثر, وما ذكره بعض

---

16 (5) الفتاوى للشاطبي ص / 197, 200 .

17 (1) الفتاوى للشاطبي ص / 209 .

18 (2) المعيار 12 / 48 .

19 (3) الفتاوى للشاطبي ص / 210 .

20 (4) الاعتصام للشاطبي 2 / 23 .

21 (5) عن: الفتاوى الحديثية لابن حجر الهيثمي ص / 12, 13 .

المعاصرين من أن في ((الجامع لشعب الإِيمان)) للبيهقي [5 / 31, 45 , 49] ما يدل على ذلك فهو وهم لا ولم نر من ذكره مشروعاً من العلماء المعتبرين, ولا الأئمة المشهورين. وبهذا فالتزام هذا الذكر (صدق الله العظيم) بعد قراءة القرآن التزام مخترع لا دليل عليه, فهو محدث, وكل محدث في التعبيرات فهو بدعة, والله أعلم .

42-48- ومنها بدع الختم وهي:

الإِتيان بسجدات القرآن بعد الختم .

التهليل عنها أربع عشرة مرة .

الاحتفال بليلة الختم .

الخطبة بعدها, أو قبلها .

التواعد للختم .

الصَّعَق .

وقد أتيت على ذكرها مع آداب الختم, في الجزء الخامس من ((الأجزاء الحديثية)) (مرويات ختم القرآن). يضاف إليها: بدعة الإِيقاد ليلة الختم.[22] وللحافظ الذهبي رحمه الله تعالى كلام جامع, يخاطب فيه من له شعور وإحساس, أسوقه بنصه , لينتفع به من شاء من عباده[23]: (فالقرَّاء المُجَوِّدة: فيهم تنطع وتحرير زائد يؤدِّي إلى أن المجود القارئ يبقى مصروف الهمة إلى مراعاة الحروف والتنطع في تجويدها بحيث يشغله ذلك عن تدبر معاني كتاب الله تعالى, ويصرفه عن الخشوع في التلاوة, ويخليه قوي النفس مزدرياً بحفاظ كتاب الله تعالى, فينظر إليهم بعين المقت وبأن المسلمين يلحنون, وبأن القراء لا يحفظون إلا شواذ القراءة, فليت شعري أنت ماذا عرفت وماذا عملت؟! فأما عملك فغير صالح, وأما تلاوتك فثقيلة عرية من الخشعة والحزن والخوف, فالله تعالى

---

22 (1) تلبيس إبليس ص / 113 . فتاوى الشاطبي ص / 208 .

23 (2) بيان زغل العلم والطلب . ص / 4, 5 عن طبعة المقدسي .

يوفقك ويبصرك رشدك ويوقظك من مرقدة الجهل والرياء .
وضدهم قراء النغم والتمطيط, وهؤلاء من قرأ منهم بقلب وخوف قد ينتفع به في الجملة, فقد رأيت منهم من يقرأ صحيحاً ويطرب ويبكي, ورأيت منهم من إذا قرأ قسَّى القلوب, وأبرم النفوس, وبدّل الكلام, وأسوأهم حالاً الجنائزية.

وأما القراءة بالروايات وبالجمع فأبعد شيء عن الخشوع, وأقدم شيء على التلاوة بما يخرج من القصد, وشعارهم في تكثير وجوه حمزة وتغليظ تلك اللامات وترقيق الراءات . اقرأ يا رجل وأعفنا من التغليظ والترقيق وفرط الإِمالة والمدود ووقوف حمزة, فإلى كم هذا؟! وآخر منهم إن حضر في ختم, أو تلا في محراب, جعل ديدنه إحضار غرائب الوجوه والسكت والتهوع بالتسهيل, وأتى بكل خلاف, ونادى على نفسه: ((أنا فلان, اعرفوني فإني عارف بالسبع)). إيش نعمل بك؟ لا صبحك الله بخير, إنك حجر منجنيق, ورصاص على الأفئدة). انتهى . والذهبي رحمه الله تعالى من علماء القرآن, فهو كلام خبير بالقوم, فاشدد يدك عليه .

49- ومن البدع المنكرة قراءة القرآن العظيم للسؤال به. ومنه إعلانه عن طريق التسجيل على أفواه السكك وأبواب الدكاكين.[24]

50- وضع اليدين على الأذنين أو إحداهما على إحدى الأذنين, عند القراءة .

51-57- وهناك أمور سبعة تتعلق بالختم وهي:[25]

أ- إكمال الختم, ويقال: ((تتمته)) ومعناه: أن يقرأ المأموم ما فات الإِمام من الآيات, وأن يعيد الإِمام بعد الختم ما فاته من الآيات .

ب- استحباب ختمه في مساء الشتاء, وصباح الصيف .

ج- وصل ختمة بأخرى بقراءة الفاتحة, أو خمس آيات من سورة البقرة .

د- تكرار سورة الإِخلاص ثلاثاً .

---

24 ([1]) فائدة: في فتاوى شيخ الإِسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ما يدل على كراهة تجريد صوت العبد بالقرآن حتى لا يتذرع به إلى القول بخلق القرآن كما في 33 / 170 فليتأمل .

25 ([2]) انظر مرويات دعاء ختم القرآن للمؤلف ص / 4, 7 .

هـ- التكبير في آخر سورة الضحى إلى آخر سورة الناس داخل الصلاة أو خارجها .
و- صيام يوم الختم .
ز- دعاء الختم داخل الصلاة .
فهذه الأمور السبعة, لا يصح فيها شيء عن النبي ﷺ ولا عن صحابته, رضي الله عنهم, وعامة ما يُروى في بعضها مما لا تقوم به الحجة فالصحيح عدم شرعية شيء منها .

* * *

المبحث الثاني
في تقليد صوت القارئ

لا ينكر تلاقي الأصوات حتى لو لم يلق أحد المتشابهين الآخر أو لم يسمعه, ولا ينكر أن التلميذ لشدة محبته لشيخه قد يتأثر به في الأداء بلا تكلف وإن كان هذا إنما يكون في ضِعَافِ التلاميذ. فانحصر البحث في القارئ يتكلف تقليد صوت قارئ آخر فأقول: الناظر في طبقات القراء, وغيرهم من العلماء, يرى في حلية بعضهم أنه كان حسن الصوت في قراءة القرآن الكريم. ومنهم: عاصم بن أبي النُّجود, كان إذا قرأ كأنما في حلقه جَلاَجِل. وأعلى من ذلك في حلية الصحابة رضي الله عنهم فهذا أبو موسى الأشعري رضي الله عنه قال له النبي لما سمع قراءته: ((لقد أعطيت مزماراً من مزامير آل داود)) متفق عليه .

واستمع النبي إلى قراءة سالم مولى أبي حذيفة وكان حسن الصوت. فقال: ((الحمد لله الذي جعل في أمتي مثل هذا)) رواه ابن ماجة بسند جَيِّد قاله ابن كثير في ((فضائل القرآن)).[26]

وأعلى من ذلك وأجلُّ, قراءة نبينا ورسولنا محمد فقد كانت قراءته مفسرة, حرفا حرفاً, وكانت مَدَّاً, وكان يُرَجِّعُ أحياناً, وكان حسن الوجه, حسن الصوت, بل من سمات أنبياء الله ورسله: حُسن الصوت لكمال خَلْقِهم, وتمام خشيتهم لربهم. ومنها: أن أمير المؤمنين أبا بكر رضي الله عنه وصفته ابنته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لما اختاره النبي لإِمامة الناس في الصلاة قالت: ((إن أبا بكر رجل أسِيْف متى يقم مقامك رَقَّ)) أي: يتمالكه الخشوع فيجهش بالبكاء, رضي الله عنه وأرضاه. ومع هذا فإن الناظر في أخبار التحلي بهذه النعمة, التي أنعم الله بها على من شاء من عباده ((حُسْن الصوت بالقراءة)) لا يرى حرفاً واحداً في تسنن الصحابة رضي الله عنهم فمن بعدهم بمحاكاة حَسَن الصوت في صوته بالقرآن, ولو كان ذلك واقعاً لنُقل, ولو كان لصار أَوْلَى من يُحاكى في صوته, هو أفضل من قرأ القرآن, نبينا ورسولنا محمد . ولتواطأ على ذلك قراء الأمة, من الصحابة فمن بعدهم, وتوارثوه كافة عن كافة. وهذا العبد القانت الصحابي عبد الله بن عمر رضي الله عنهما, مع شدة تتبعه, وقوفه الأثر, وآثار رسول الله لا يحاكيه في قراءته, أو في شيء من أموره الجبلِّية
وهؤلاء القراء من الصحابة رضي الله عنهم وهم كُثر لا نرى عنهم حرفاً واحداً في ذلك. وعن معاوية بن قرة, عن عبد الله بن مغفل رضي الله عنهم قال: ((قرأ النبي يوم فتح مكة, سورة الفتح,

---

26 (1) فضائل القرآن لابن كثير ص / 115 .

فَرَجَّع فيها)). قال معاوية: لو شئت أن أحكي لكم قراءة النبي لفعلت. أخرجه البخاري في ((التفسير)) من ((صحيحه)) برقم / 4835, وفي مواضع أخر منه, في ((المغازي برقم / 4281)) وفي ((فضائل القرآن برقم / 5047)) وفي ((التوحيد برقم / 7540))
الحديث أخرجه جماعة منهم: مسلم, وأبو داود, والحاكم في ((الإِكليل)), وابن الجعد, وأبو عبيدة في ((فضائل القرآن)) والترمذي في ((الشمائل)) والإِسماعيلي في ((مستخرجه)).[27]
وفي رواية الترمذي: ((وقال معاوية بن قرة: لولا أن يجتمع الناس علي لأخذت لكم في ذلك الصوت, أو قال: ((اللّحن)) انتهى.
و((اللحن)) هو: الترجيع. ويدل على أن المراد الترجيع, وروده مصرحاً به في رواية البخاري في ((المغازي)) من صحيحه بلفظ: (لولا أن يجتمع الناس حولي لرجَّعت كما يرجِّع) فالمحاكاة في ((خصوص الترجيع)), فهذا يعني ((الأداء)), وفرق بين حكاية الصوت فهذا لم يقع, وبين حكاية ((الأداء والقراءة)) وهذا أمر مطلوب بأن يقرأ العبد القرآن مؤدياً له على وفق قواعد القراءة, وضوابطها الشرعية, ومن غير إخلال بغلو أو تفريط ولهذا قال النبي : ((من أراد أن يقرأ القرآن رطباً)) الحديث. ويدل أيضا على أن المراد ((خصوص الترجيع)) أن النبي نزلت عليه هذه الآيات, وهو على راحلته في ((غزوة الفتح)) وكان ترجيعه آآآ, ثلاث مرات .
قال الحافظ ابن حجر: قال القرطبي: ((يحتمل أن يكون حكاية صوته عند هز الراحلة كما يعتري رافع صوته إذا كان ركباً, من انضغاط صوته, وتقطيعه لأجل هز المركوب, وبالله التوفيق)). انتهى. أي: فهذه واقعة عين لا عموم لها .
على أن معاوية بن قرة رضي الله عنه أراد أن يفعل لكنه لم يفعل, خشية أن يجتمع عليه الناس للاستماع.[28] وهذا واضح الدلالة على أن محاكاة الصحابة للنبي في صوته غير معهودة بين الصحابة رضي الله عنهم إذ لو كانت معهودة لما خشي ذلك, وهو رضي الله عنه لم يفعل, فبقي الأمر على عدم التقليد, وأنه لم يكن من هدي

---

27 (1) انظر في تخريجه: فتح الباري 8 / 583 ، 13 / 512, ومسلم بشرح النووي 6 /ـ 81 , والشمايل بشرح الدومي ص / 344 . ومختصرها للـدعاس, وعنه الألبـاني ص / 167, 168 برقم / 273 .

28 (1) انظر إلى دقيق ورع الصحابة رضي الله عنهم في البعد عن مـواطن الريـاء, والشـهرة, ووازن بين هـذا وبين ما يفعله ((مجـوِّدة)) عصـرنا من تكلف التقليـد, وازدحام الناس على سماعه .

الصحابة رضي الله عنهم. وفيمن بعدهم تتبعت كتب السير, والتراجم, ما أمكن فلم أر تقليد الصوت لدى القراء, عملاً موروثاً, يستعذب القارئ صوت قارئ آخر, فيقلده وهو واقف بين يدي ربه في المحراب ليحرك النفوس بصوت غيره, ويتلذذ السامعون بحسن أدائه فيه .

12- وغاية ما وقفت عليه ما في فتاوى العز بن عبد السلام. م سنة 660هـ رحمه الله تعالى ونصه ص / 120:

(مسألة: إمام بمسجد يقرأ قراءة حسنة, فسمعه إنسان فقرأ مثله محاكيا له, ولم يقصد بذلك سوى أن فلاناً يقرأ هكذا فهل هذه غيبة أم لا) الجواب: ليس ذلك بغيبة له, والله أعلم. انتهى. إذا كان الحال كذلك: فاعلم أنه في عصرنا بدت ظاهرة عجيبة, لدى بعض القراء إذ اخذوا في التقليد والمحاكاة على سبيل الإعجاب والتلذذ, وتلقنه الطلاب وهو في دَوْرِ التلقي, ثم سرت هذه العادة فَتَكَوَّن منها هذه الظاهرة ((ظاهرة المحاكاة والتقليد في الصوت)) كل بحسب من أعجبه صوته, فعمروا المحاريب بالتقليد, وهم وقوف بين يدي الله تعالى, يؤمون المصلين, ليحرك الإمام نفوس المأمومين بصوت غيره, ويتلذذ السامعون بِحُسن أدائه فيه, بل وصل الحال إلى أن الإمام في التراويح, قد يقلد صوتين, أو ثلاثة, وهكذا, وقد سمعت في هذا عجباً. وصدق أبو الطيب المتنبي :

وَأَسْرعُ مَفْعُولٍ فَعَلْتَ تَغَيُّراً ** تكلف شيء في طِبَاعِكَ ضِدِه

وحيث إن هذا أمر إضافي في عبادة, والعبادات سبيلها الوقوف على النص ومورده, بل هنا في أفضل الكلام ((القرآن الكريم)), وفي أفضل العبادات العملية ((الصلاة)) والمسلم مطالب بأن لا يعبد الله إلا بما شرع, فالسؤال الوارد إذاً:

ما حكم التعبد بتقليد صوت القارئ, هل هو مطلوب شرعاً أو غير مطلوب؟ وإذا كان مطلوباً فما دليله؟ وما منزلته من قسمي الطلب: الوجوب والندب؟ وإن لم يكن مطلوباً فما حكمه؟ وما موقعه من قسمي النهي: التحريم والكراهية؟ ومعلوم أن الإِباحة, وهي القسم الخامس من أقسام التكليف, لا دخل لها في أمور التعبد .

والجواب على هذا يتحقق بأمور:

الأول: الصوت: نعمة أنعم الله بها على عبادة, و((حُسن الصوت خِلقة)) نعمة أخرى, يتفضل الله بها على من يشاء من عباده, مثل:

نعمة الجمال, ونعمة القوة, ونعم: الجاه, والمال, والسلطان, وهكذا .

ويقتضي شكر البعد لأي من هذه النعم, استعمالها فيما هو طاعة لله, ولرسوله ﷺ كاستعمال نعمة الصوت في: قراءة القرآن .

والمراد من تحسين الصوت بالقرآن: تطريبه, وتحزينه, والتخشع به, حَوَالَة على الوازع الباعث الجاري على وفق الفطرة, ولهذا كان أحسن القراءات ما كان عن خشوع من القلب. قال طاووس: (أحسن الناس صوتاً بالقرآن: أخشاهم لله) رواه أبو عبيد . قال ابن كثير في ((فضائل القرآن ص / 125, 126)): وهو في معنى حديث مرفوع نحوه [29]. (والغرض أن المطلوب شرعاً إنما هو التحسين بالصوت الباعث على تدبُّر القرآن وتفهمه والخشوع والخضوع والانقياد للطاعة .

فأما الأصوات بالنغمات المحدثة المركبة على الأوزان والأوضاع الملهية والقانون الموسيقائي فالقرآن ينزه عن هذا ويجل ويعظم أن يسلك في أدائه هذا المذهب. وقد جاءت السنة بالزجر عن ذلك كما قال الإِمام العلم أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله: حدثنا نعيم بن حماد عن بقية بن الوليد عن حصين بن مالك الفزاري, قال: سمعت شيخاً يكنى أبا محمد يحدث عن حذيفة بن اليمان, قال: قال رسول الله ﷺ ((اقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها, وإياكم ولحون أهل الفسق وأهل الكتابين, وسيجيء قوم من بعدي يرجِّعون بالقرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح, لا يجاوز حناجرهم, مفتونة قلوبهم وقلوب الذين يعجبهم شأنهم)). وحدثنا يزيد عن شريك عن أبي اليقظان عثمان بن عمير عن زاذان أبي عمر عن عليم قال: كنا على سطح ومعنا رجل من أصحاب النبي ﷺ قال يزيد لا أعلمه إلا قال عابس الغفاري فرأى الناس يخرجون في الطاعون قال ما هؤلاء؟ قال يفرون من الطاعون فقال: يا طاعون خذني, فقالوا أتتمنى الموت وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((لا يتمنين أحدكم الموت))؟ فقال إني أبادر خصالاً سمعت رسول الله ﷺ يتخوفهن على أمته بيع الحكم والا[30] بالدم وقطيعة الرحم وقوم يتخذون القرآن مزامير, يقدمون أحدهم ليس بأفقههم ولا أفضلهم إلا ليغنيهم به غناء, وذكر خلتين آخرتين .

---

29 (1) انظره في: صفة صلاة النبي ﷺ ص / 93 .

30 (2) موضع البياض مقطوع من الأصل .

وحدثنا يعقوب بن إبراهيم عن ليث بن أبي سليم عن عثمان بن عمير عن زادان عن عباس الغفاري عن النبي ﷺ مثل ذلك أو نحوه, وحدثنا يعقوب عن إبراهيم عن الأعمش عن رجل عن أنس أنه سمع رجلا يقرأ القرآن بهذه الألحان التي أحدث الناس فأنكر ذلك ونهى عنه. وهذه طرق حسنة في باب الترهيب .

وهذا يدل على أنه محذور كبير وهو قراءة القرآن بالألحان التي يسلك بها مذاهب الغناء, وقد نص الأئمة رحمهم الله على النهي عنه, فأما إن خرج به إلى التمطيط الفاحش الذي يزيد بسببه حرفاً أو ينقص حرفاً فقد اتفق العلماء على تحريمه, والله اعلم . وقال الحافظ أبو بكر البزار: ثنا محمد بن معمر, ثنا روح, ثنا عبيد الله بن الأخنس عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ : ((ليس منا من لم يتغن بالقرآن)). ثم قال: ولنا ما ذكرناه, لأنهم اختلفوا على ابن أبي مليكة فيه فرواه عبد الجبار بن الورد عنه, عن ابن أبي مليكة عن أبي لبابة, ورواه عمرو بن دينار, والليث عنه عن ابن أبي نهيك عن سعد, ورواه عسل بن سفيان عنه عن عائشة, ورواه نافع مولى ابن عمر عه عن ابن الزبير). انتهى.

وقد رغب النبي ﷺ في هذا السماع المبارك, فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((ما أذن الله لشيء ما أذن للنبي أن يتغنى بالقرآن)). متفق عليه.

والأحاديث بمعناه كثيرة في مشاهير السنن وغيرها. ويقتضي شكرها أيضا: أن لا يستعملها العبد في معصية كاستعمال ((حُسن الصوت)) في ((الغناء)). وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: ((صوتان ملعونان: صوت ويل عند مصيبة وصوت مزمار عن نعمة)) رواه البزار. من حديث أنس رضي الله عنه. والتحريم للصوت - فضلا عن الحسن - في ((الغناء)) كالتحريم لاستعمال حسن الصورة, والجمال في ((الفواحش)) والتلذذ بالنظر إليها. وبهذا تعلم: أن النِّعم, مِحَنٌ, والسعيد من استعملها في طاعة الله .

وعليه: فالصوت نعمة, وحُسْنُه خلقه: فضيلة لا يجوز استعمالها في منهي عنه, ومن شُكرها استعمالها في طاعة الله .

الثاني: أن الصوت حسناً كان أو فظيعاً خِلْقة لم يعلق الله عليه مدحاً ولا ذماً, لأنه ليس فعلاً للعبد وإنما يذم العبد ويمدح بأفعاله الاختيارية, فمن كان صوته غير حسن - مثلا - فإنه لا يذم على ذلك, ويذم بما يكون باختياره كرفع الصوت الرفع المنكر, كما يوجد ذلك في أهل الغلظ والجفاء من الفَدَّادِيْنَ والصخَّابين في الأسواق. وفي

صفة النبي : ((ليس بفظ, ولا غليظ, ولا صخَّاب في الأسواق)).
وقال تعالى عن لقمان في وصيته لابنه: وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ [لقمان:19]. فأمره أن يغض من صوته, وأن يقصد في مشيه, كما أمر المؤمنين أن يغضوا من أبصارهم.[31] وحسن الصورة أو قبحها, وحسن الصوت أو قبحه, يكون كل منها علامة على الذم كما قال الله في المنافقين: وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ [المنافقون:4] . وقال سبحانه: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ [البقرة: 204] . وعلى هذا: فالصوت المجرد لا يعلق عليه: شيء من الحب والبغض, الذي هو ملاك الأمر والنهي.

الثالث: أن يكون الصوت الطبعي خِلْقة: حسناً لذيذاً, مطرباً أمر يدرك بالإِحساس, ويشترك فيه جميع الناس, والإِنسان مجبول على محبة الحسن وبغض السيء. إذاً: فالفضيلة في ((حسن الصوت)) معلقة على استعماله فيما هو طاعة لله تعالى, فإذا استعين بهذه الفضيلة على ما أمر الله به كان طاعة كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه, أن رسول الله قال: ((ليس منا من لم يتغن بالقرآن)) رواه البخاري وغيره. فهذا الصوت الحسن الطبعي إذا جعل في طاعة الله, وأجلها قراءة القرآن الكريم, كان طاعة لله تعالى, وعوناً على عبادته واستماع كتابه فيثاب المسلم على هذا الالتذاذ, وحلاوة ذلك أعظم الحلاوات[32]. أما أن يكون مجرد استحسان الإنسان للصوت, دليل على استحبابه في الدين والتعبد به مجرداً, فهذا ضلال, إذ حقيقته تدين بعشق الصوت كالتدين بعشق الصور الحسنة وقد تنكبهما أهل العلم والإِيمان, وردوا على منحرفة المتصوفة في التعبد بعشق الصور الجميلة[33] وبعشق الأصوات الجميلة, وما تثيره من الوجد والحركة. فالصوت لا يستلذ به لذاته تعبداً, وإنما لما يحمله من آيات التنزيل, وقوارع القرآن الكريم. قال شيخ الإِسلام ابن تيمية رحمه الله في ((الفتاوى 1 / 76, 77)): (فالسماع الشرعي الديني: سماع كتاب الله, وتزيين الصوت به, وتحبيره, كما قال ((زينوا القرآن بأصواتكم)) وقال أبو

---

[31] ([1]) انظر: السماع لابن القيم ص / 354 , والاستقامة لابن تيمية 1 / 334, 335 .

[32] ([2]) انظر: الاستقامة 1 / 343 .

[33] ([1]) قام شيخا الإسلام ابن تيمية وابن القيم بالرد على المتصوفة في ذلك في كتبهما انظر: الاستقامة لابن تيمية 1 / 331, 373 , والسماع لابن القيم . وعلى هذين الكتابين بنيت الوجوه في هذه الرسالة, وانظر الفتاوى 2 / 42 .

موسى: (لو علمت أنك تستمع لحبرته تحبيراً). والصور والأزواج, والسراري التي أباحها الله تعالى. والعبادة: عبادة الله وحده لا شريك له ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ رِجَالٌ ﴾. وهذا المعنى يقرر قاعدة: اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم. وينهى أن يشبه الأمر الديني الشرعي بالطبيعي البدعي لما بينهما من القدر المشترك كالصوت الحسن, ليس هو وحده مشروعاً, حتى ينضم إليه القدر المميز, كحروف القرآن, فيصير المجموع من المشترك, والمميز هو: الدين النافع). انتهى. وعليه: فلا يعلق الصوت الحسن: بذل الإكرام والتجلة لصاحب الصوت الحسن على ما يبذله من صوت حسن, كما لا يعلق الإكرام على حسن الصورة, لمن كان جميلاً, فعشق الصوت المجرد كعشق الصورة في النهي سواء. ولا تغتر بفعلات المتصوفة من التعبد بعشق الصورة بدون فاحشة, وإكرام صاحبها, والتعبد بعشق الصوت الحسن بدون قول زور أو منكر, وجعل ذلك من سبل التعبد والإكرام, فهذا ضلال وفساد.[34] قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:[35] (فإن محبة النفوس: الصورة والصوت, قد تكون عظيمة جداً, فإذا جعل ذلك ديناً, وسُمِّي لله, صار كالأنداد, والطواغيت المحبوبة تديناً, وعبادة كما قال تعالى: ﴿ وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾ [البقرة:93]). وقال أيضاً رحمه الله تعالى:[36] (وليس في دين الله محبة أحد لحسنه قط[37], فإن مجرد الحسن لا يثيب الله عليه ولا يعاقب, ولو كان كذلك كان يوسف عليه السلام, لمجرد حسنه, أفضل من غيره من الأنبياء لحسنه. وإذا استوى شخصان في الأعمال الصالحة, وكان أحدهما أحسن صورة وأحسن صوتاً, كانا عند الله سواء, فإن أكرم الخلق عند الله أتقاهم, يعم صاحب الصوت والصورة الحسنة, إذا استعمل ذلك في طاعة الله دون معصيته, كان أفضل من هذا الوجه, كصاحب المال والسلطان إذا استعمل ذلك في طاعة الله دون معصيته, فإنه بذلك الوجه أفضل ممن لم يشركه في تلك الطاعة, ولم يُمتحن بما امُتحن به, حتى خاف مقام ربه ونهى

---

34 (2) ومن هذا عمل ((المغبرة)) للتغبير, وهو المعروض اليوم على شباب المسلمين باسم ((الأناشيد الإسلامية)) وقد بينت هذا في رسالة مستقلة .

35 (3) الاستقامة 1 / 348 .

36 (1) الاستقامة 1 / 349 .

37 (2) في الأصل: لحسنه لله فقط . ولعل الصواب ما أثبته (محقق الاستقامة) . الناشر .

النفس عن الهوى. ثم ذلك الغير إن كان له عمل صالح آخر يساويه به, وإلا كان الأول أفضـل مطلقـا). انتهى. وقال رحمه الله تعالى: [38] (وهذا الذي ذكرناه من أن الحَسَن الصورة والصوت, وسائر من أنعم الله عليه بقوة أو بجمال أو نحو ذلك, إذا اتقى الله فيه كان أفضل ممن لم يؤت ما لم يمتحن فيه - فإن النعم محن - فإن أهل الشهوات من النساء والرجال يميلون إلى ذي الصورة الحسنة, ويحبونه ويعشقونه, ويرغِّبونه بأنواع الكرامات, ويرهِّبونه عند الامتناع بأنواع المخوِّفات, كما جرى ليوسف عليه السلام وغيره. وكذلك جماله يدعوه إلى أن يطلب ما يهواه, لأن جماله قد يكون أعظم من المال المبذول في ذلك .

وكذلك حَسَن الصوت قد يُدعى إلى أعمال في المكروهات, كما أن المال والسلطان يحصل بهما من المكنة ما يُدعى مع ذلك إلى أنواع الفواحش والمظالم, فإن الإنسان لا تأمره نفسه بالفعل إلا مع نوع من القدرة, ولا يفعل بقدرته إلا ما يريده, وشهوات الغيّ مستكنّة في النفوس, فإذا حصلت القدرة قامت المحنة, فإما شقي وإما سعيد, ويتوب الله على من تاب. فأهل الامتحان إما أن يرتفعوا وإما أن ينخفضوا. وأما تحريك النفوس عن مجرد الصوت, فهذا أيضا محسوس, فإنه يحركها تحريكاً عظيماً جداً بالتفريح والتحزين, والإغضاب والتخويف, ونحو ذلك من الحركات النفسانية, كما أن النفوس تتحرك أيضا عن الصور بالمحبة تارة وبالبغض أخرى, وتتحرك عن الأطعمة بالبغض تارة والنفرة أخرى, فتحرك الصبيان والبهائم عن الصوت هو من ذلك, لكن كل ما كان أضعف كانت الحركة به أشد, فحركة النساء به أشد من حركة الرجال, وحركة الصبيان أشد من حركة البالغين, وحركة [البهائم][39] أشد من حركة الآدميين, فهذا يدل على أن قوة التحرك عن مجرد الصوت لقوة ضعف العقل, فلا يكون في ذلك حمد إلا وفيه من الذم أكثر من ذلك, وإنما حركة العقلاء عن الصوت المشتمل على الحروف المؤلَّفة المتضمنة للمعاني المحبوبة, وهذا أكمل ما يكون في استماع القرآن. وأما التحرك بمجرد الصوت, فهذا أمر لم يأت الشرع بالندب إليه, ولا عقلاء الناس يأمرون بذلك, بل يعدُّون ذلك

---

38 ([3]) الاستقامة 1 / 372, 374 .

39 ([1]) مكان كلمة ((البهائم)) بياض في الأصل, وأرجوا أن يكون إثباتها هو الصواب. (محقق الاستقامة). الناشر .

من قلة العقل, وضعف الرأي, كالذي يفزع[40] من مجرد الأصوات المفزعة المرعبة. وعن مجرد الأصوات المغضبة). انتهى.
والحاصل: أن مجرد الصوت حسناً أو غير حسن, لم يعلق الله عليه حكماً, لا مدحاً, ولا ذماً, بل لا يجوز فيه ذمه إذا كان غير حسن, لأنه خلْق الله, لا اختيار للعبد فيه, وأن الصوت الطبعي الحسن, نعمة على العبد, و ((النعم محن)) فإن استعمله في الطاعة في قراءة كتاب الله تعالى كان ذلك أمراً مرغوباً فيه شرعاً, واستماعه مرغوب شرعاً لا لذات الصوت, لكن لأنه يحمل كلام الله, ويحببه إلى النفوس ويوصل معانيه إلى القلوب, وأن من كان كذلك لم يمنحه الشرع حكماً مستقلا لذات الصوت دون غيره. وأن تحريك الصوت للإنسان أمر طبعي, كما يتحرك كل إلى ما يناسبه من الأصوات وإنما التعبد أن يتحرك العبد إلى كلام الله وما فيه من العظة والعبرة, والتذكير بالمصير, وبالجنة والنار, وعظيم الحكم والأحكام, أما لو تحرك عند قراءة القرآن طرباً لمجرد حسن الصوت, دون ما يحمله من آيات القرآن الكريم, فهذا عشق مجرد من التعبد, لعدم ورود أمر التعبد عليه في الشرع المطهر. وإذا استقر عندك هذا المحصول الجامع لأحكام الصوت الحسن, بقي الوقوف على حكم هذه الظاهرة الحادثة: ((الافتتان بتقليد أصوات القراء, والقراءة بها في المحاريب بيت يدي الله تعالى)) عندئذ نقول: هذا أمر ((إضافي إلى التعبد في القراءة)) فهذا ((التقليد)) ((عبادة)). ومعلوم أنه قد وجد المقتضى لهذا في عصر النبي , وعصر صحابته رضي الله عنهم, فلم يُعمل العمل به عن أحد منهم رضي الله عنهم وقد عُلم في ((الأصول)): ((أن ترك العمل بالشيء في عصر النبي مع وجود المقتضي له يدل على عدم المشروعية)) .
فالصوت الحسن في القراءة موجود في عصر النبي , ورأس الأمة في هذا نبينا ورسولنا محمد , فهذا المقتضي موجود, ولم يُعلم أن أحداً تقرب إلى الله تعالى بتقليد صوت النبي أو أحد من صحابته, ولا من بعدهم, وهكذا. فدل هذا على عدم مشروعية هذا التقليد, وعلم به أن التقرب إلى الله تعالى بذلك ((التقليد والمحاكاة لأصوات القراء)) أمر مهجور, فالتعبد به أمر محدث, وقد نهينا عن الإحداث في الدين. وقاعدة الشرع أن كل أمر تعبدي محدث فهو: بدعة وكل بدعة ضلالة, وأن الشغف والتدين بحسن

---

40 (2) في الأصل : يبرع , ولعل الصواب ما أثبته (محقق الاستقامة) الناشر .

الصوت فحسب, والتلذذ به, كالتدين بعشق الصور, فهما في الابتداع والتحريم سواء. بل يضاف إلى المحاكاة للصوت الحسن, أن فيها نوع تبعية مُذلة, والشرع يبني في النفوس: العزة, والكرامة, وترقية العقول, واستقلالها, وتمحض متابعتها لهدي النبوة لا غير.
وتأمل هل من قَلّدت صوته كان مقلداً لآخر, أم بحكم ما وهبه الله له وتأمل أيضاً هل رأيت عظيماً يشار إليه بالعلم, والفضل, والمكانة يقلد صوت آخر في القراءة, أو في الخطابة, أو في الأذان, أو في الكلام المعتاد والأداء فيه؟!. والشرع يدعو إلى تحسين القارئ صوته, وهذا أمر مشروع في حق من يملكه, ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها, وتطلُّبه بالتقليد والمحاكاة, تكليف بما لا يسع العبد في طبعه, فهو غير مطلوب وتكلف العبد ما لا يطيقه كمن يريد شَبْرَ البسيطة. وهذا هو ما تقتضيه ((الفطرة)) التي فطر الله عليها عباده, ودين الإسلام هو الفطرة فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ [الروم:30], الآية . فدين الإسلام ينفجر من ينبوع معنى الفطرة, وحقيقة الفطرة: ما فُطِرَ وخُلِقَ عليه الإنسان ظاهراً وباطناً, أي جسداً وعقلاً, فسير الإنسان على قدميه كما يسر الله له فطرة, ومحاولة تقليد غيره في المشي ممن يراه أحسن منه مشية معاكسة للفطرة, وهكذا نطقه بما يسر الله له, وركب فيه من حباله الصوتية, واستعداد حنجرته, ومجاري نَفَسه هذا هو الفطرة.
وقد أحاله الشرع إلى الوازع الباعث حسب الجبلَّة والخلقة, ومحاولة العدول عن هذا إلى صوت غيره هذا خلاف الفطرة حساً, ويعاكسها عقلاً فالفطرة حسّاً وعقلاً, والإسلام دين الفطرة أن تجري حواسه في قانونها التي ركبت عليه من لدن حكيم خبير. وفي قالب الإسلام وهذا هو محض العقل, والعاقل لا يعاكس الفطرة معنى ولا حساً يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ* الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ* فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ [الانفطار: 6, 8], وقال تعالى: لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ [التين:4] . فالمقلد يعدل عن خلق الله له في ذلك التقويم, ثم يفعل بنفسه الأفاعيل ليتحول إلى صورة ركيكة؟؟
نعم لا ينكر توافق بعض الأصوات حسناً كان الصوت أو غير حسن, لكن السامع يميز بين هذا وذلك, إذا استقر ذلك: فاعلم أن

المُحْدث يتولد منه أمور محدثة, وهكذا تبدو المحدثات صغاراً, ثم تنمو, وتزداد, حتى تتقطع السبيل إلى السبل, وتغاب السنن. وقد تولد عن فتنة التقليد: إحياء البدعة المهجورة لدى المتصوفة. ((التعبد بعشق الصوت)) وقد كشف أهل السنة في مبحثي ((عشق الصور, وعشق الصوت)) بدعية التعبد بهذا العشق, وأنه فتنه للتابع والمتبوع. وتولد منها في عصرنا: الازدحام في المساجد التي سبيل إمامها كذلك في المحاكاة, وقد بينت النهي عن تتبع المساجد طلباً لحسن الصوت فيما كتبت عن ((ختم القرآن)), بل بلغنا بخبر الثقات عن مشاهدة منهم أن بعضهم يسافر من بلد إلى بلد آخر في أيام رمضان ليصلي التراويح في مسجدٍ إمَامُه ((حسن الصوت)) . فانظروا - رحمكم الله - كيف خرق سياج السنة في النهي عن شد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام, والمسجد النبوي, والمسجد الأقصى. ومن ولائد ذلك: تَكَرُّه النفوس للصلاة خلف إمام لا يُستحسن صوته. ومنها: انصراف من شاء الله من عباده عن الخشوع في الصلاة, وحضور القلب . . . إلى التعلق بمتابعة الصوت الحسن لذات الصوت. وأنصح كل مسلم قارئ لكتاب الله تعالى وبخاصة أئمة المساجد, أن يكفوا عن المحاكاة والتقليد في قراءة كلام رب العالمين, فكلام الله أجل, وأعظم من أن يجلب له القارئ ما لم يطلب منه شرعاً زائداً على تحسين الصوت حسب وسعه لا حسب قدرته على التقليد والمحاكاة, وقد قال الله عن نبيه محمد : وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ [ص:86], وليجتهد العبد في حضور القلب, وإصلاح النية فيقرأ القرآن محسناً به صوته من غير تكلف, وليجتنب التكلف من الأنغام, والتقعر في القراءة, والممنوع من حرمة الأداء.وينبغي لمن بسط الله يده أن يجتهد في اختيار الإمام - في الصلاة - الأعلم والأتقى الأورع, السالم في اعتقاده من مرض الشبهة وفي سلوكه من مرض الشهوة, وتقديم حسن الصوت الطبعي على غيره, قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى:[41] ((أما تحسين الصوت, وتقديم حسن الصوت على غيره فلا نزاع في ذلك)). انتهى .

تنبيه: ما تقدم من النهي عن التقليد والمحاكاة في الأصوات هو عام في حق الرجال, والنساء, وإذا قلدت المرأة في صوتها صوت رجل, كان النهي مُعَلَلاً بالتشبه أيضاً . قال الحافظ ابن حجر رحمه

---

41 (1) فتح الباري 9 / 72 .

الله تعالى:[42] ((قال الطبري: لا يجوز للرجال التشبه بالنساء في اللباس والزينة التي تختص بالنساء, ولا العكس. قال ابن حجر: وكذا في الكلام والمشي . . . إلى أن قال: وأمَّا ذَمُّ التشبه بالكلام والمشي, فمختص بمن تعمد ذلك, وأما من كان ذلك من أصل خلقته, فإنما يؤمر بتكلف تركه, والإدمان على ذلك بالتدريج, فإن لم يفعل وتمادى دخله الذمَّ . . .)). انتهى . والله أعلم .

المبحث الثالث
في التحرك عند القراءة

اشتدت كلمة علماء الأندلس في النكير على: التمايل, والاهتزاز, والتحرك, عند قراءة القرآن, وأنها بدعة يهود, تسربت إلى المشارقة المصريين, ولم يكن شيء من ذلك مأثوراً عن صالح سلف هذه الأمة . وقد ألف ناصر السنة ابن أبي زيد القيرواني م سنة 386هـ رحمه الله تعالى ((كتاب من تأخذه عند قراءة القرآن حركة))[43] ولا ندري من خبر هذا الكتاب شيئاً. قال أبو حيان النحوي محمد بن يوسف الأندلسي م سنة 745هـ رحمه الله تعالى في تفسيره ((البحر المحيط)) عند قول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ ... ﴾ [الأعراف:171], (قال الزمخشري في ((الكشاف)) 2 / 102: ((لما نشر موسى عليه السلام, الألواح وفيها كتاب الله تعالى, لم يبق شجر, ولا جبل, ولا حجر إلا اهتز فلذلك لا ترى يهودياً يقرأ التوراة إلا اهتز وأنغض لها رأسه)) انتهى . من الكشاف . وقد سرت هذه النزعة إلى أولاد المسلمين, فيما رأيت بديار مصر, تراهم في المكتب إذا قرؤوا القرآن يهتزون ويحركون رؤوسهم, وأما في بلادنا, بالأندلس

42 (1) فتح الباري 10 / 332 .
43 (2) الوافي للصفدي 17 / 250 .

والغرب, فلو تحرك صغير عند قراءة القرآن, أدبه مؤدب المكتب وقال له: لا تتحرك فتشبه اليهود في الدراسة))[44] انتهى. وقال الراعي الأندلسي م سنة 853هـ رحمه الله تعالى في ((انتصار الفقير السالك)) ص / 250: (وكذلك وافق أهل مصر اليهود, في الاهتزاز عند الدرس والاشتغال, وهو من أفعال يهود). انتهى . وهذا أعم فليُجْتنب .

المبحث الرابع

في قراءة صلاة الجمعة

رتب النبي في قراءة صلاة الجمعة ثلاث سنن قراءة سورتي الجمعة والمنافقون, أو سورتي الجمعة والغاشية, أو سبح والغاشية .

وقد فشى في عصرنا العدول من بعضهم عن هذا المشروع إلى ما يراه الإِمام من آيات, أو سور القرآن الكريم, متناسباً مع موضوع الخطبة .

وهذا التحري لم يؤثر عن النبي ولا يعرف عن سلف الأمة, فالتزام ذلك بدعة, وهكذا قصد العدول عن المشروع إلى سواه

44 (1) البحر المحيط 4 / 42 .

على سبيل التسنن فيه استدراك على الشرع, وهجر للمشروع, واستحباب ذلك, وإيهام العامة به, والله أعلم .

المبحث الخامس
في مغايرة الصوت أثناء الخطبة

مما أحدثه الوعّاظ, وبعض الخطباء, في عصرنا, مغايرة الصوت عند تلاوة الآيات من القرآن لنسق صوته في وعظه أو الخطابة. وهذا لم يعرف عن السالفين, ولا الأئمة المتبوعين, ولا تجده لدى أجلاء العلماء في عصرنا, بل يتنكبونه, وكثير من السامعين لا يرتضونه, والأمزجة مختلفة, ولا عبرة بالفاسد منها, كما أنه لا عبرة بالمخالف لطريقة صدر هذه الأمة وسلفها . والله أعلم .

دعاء القنوت

بقلم الشيخ العلامة
" بكر بن عبد الله أبو زيد "

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله , والصلاة والسلام على رسول الله وعلى جميع صحابته ومن اهتدى بهداه.

أما بعد: فهذه تنبيهات مهمة على بعض ما يتعلَّق بدعاء القنوت في الوتر من أمورٍ كثُيَر السؤال عن بعضها, وانتشر بعض آخر, ولم نعرف له أصلاً, فما رأيناه في الوارد, ولا سمعنا أنه فيه,بعد التحري والاستقراء, وقَدْ دَعَتِ الحاجةِ إلى بيانها, لاسيما والقنوت عبادة جهرية,حين يدعوا الإمام جهراً, ويؤمَّن على دعائه المأمومون, فَيَتَلَقَّنها المأموم, والمتعين أن يَتَوَارَثَ الناسُ هَدْيَ النبي صلى الله عليه وسلم في تَعَبُّدِهِم,ودُعَائِهم,وقُنُوْتِهِم,وَسَائِرِ أحوَالِهِم,فذلك أزكى لهم,وأطيب, وأرجى لهم عند رَبِّهم وَمَعْبُوْدِهِم .

لِمَا ذُكِرَ اقتضى الحال التنبيه على أُمور منها ما هو خطأ والصواب خلافه, ومنها ما هو مفضول والأفضل سواه,ومنها ما هو اعتداء في الدُعاء يأباه الله,ورسوله, والمؤمنون. ثم نص دعاء القنوت,وضوابط الزيادة فيه شرعاً,ثم سياق بعض الأدعية الجامعة من القرآن والسنة,ليختار منها القانت قَدْراً لا يشق على المأمومين .
فإلى بيانها في فصول ثلاثة

الفصل الأول
تنبيهات في بيان مَا يُجْتَنَب في القنوت

التنبيه الأَول
إنَّ التلحين,والتطريب,والتغني,والتقعر,والتمطيط في أَدَاءِ الدُّعاءِ, مُنْكَرٌ عَظِيم , يُنَافِيْ الضَّرَاعَة , والابْتِهَال , والعُبُودِيَّةَ , وداعِيةٌ للرياء , والإِعجاب , وتكثير جمع المعجبين به وقد أَنكرَ أَهل العلم على من يفعل ذلك في القديم,والحديث.

فعَلَى مَنْ وَفَّقهُ الله تعالى وصَارَ إماماً للناسِ في الصلوات,وقنتَ في الوترِ ,أَن يجتهدَ في تصحيحِ النية,وأَن يُلْقِيَ الدُّعاء بصوته المعتاد,بضراعة وابتهال,مُتَخَلِّصاً مِمَّا ذُكِرَ,مجتنباً هذه التكلفات الصارفة لقلبه عن التعلُّق بربه.

التنبيه الثاني
يُجْتَنَبُ جَلْبُ أَدعية مخترعة , لا أَصل لها , فيها إِغراب في صيغتها وسجعها , وتكلفها حَتَّى إِنَّ الإمام ليتكلف حفظها , ويَتَصَيَّدهَا تَصَيُّداً , ولذا يَكثُرُ غلطه في إِلقائها, ومع ذلك تراه يتلزمها ,ويتخذها شعاراً ,وكأَنما أَحيا سُنَّة هجرتها الأُمَّة.

التنبيه الثالث
يُجْتَنَبُ التزام أَدعية وردت في روايات لا تصح عن النبي صلى الله عليه وسلم,لأَن في سندِها كَذَّاباً,أَو متَّهماً بالكذب أَو ضعيفاً لايُقْبَلُ حديثه,وهكذا.
ومنها حديث فُرَاتٍ عن علي رضي الله عنه قال :قال لي علي ((ألا يقوم أحد فيصلي أربع ركعات,فَهَدَيْتَ فَلَكَ الحَمْدُ ,عَظُمَ حِلْمُكَ فَعَفَوْتَ فَلَكَ الحَمْدُ ... إلى قوله: وَلاَ يَبْلُغُ مِدْحَتَكَ قَوْلُ قَائِلٍ)). رواه أَبو يعلى بسند ضعيف,لأَن فيه عدة علل,منها أَن فُرَاتَ بن سلمان لَمْ يَلْقَ علياً رضي الله عنه فهو منقطع الإسناد .
ومع ذلك تَسْمَعُ من يُجْهدُ نَفْسَهُ بهذا الذكر ,فَيَغْلَطُ فيه,ثُمَّ يَغْلَط,فهو في مجاهدة مع ذاكرته حَتَّى يَأْتِيَ بِهِ, ولو أَخذ بالصحيح الثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو ذِكر مبارك سهل ميسور,لكان أَبَرَّ وأبْرَّك وأَقربَ للإِجابة,وتأسِّياً بالنبي صلى الله عليه وسلم بما دعا به رَبَّه سبحانه .
ومنها:ما يُروى عن أنس مرفوعاً أن الرسول صلى الله عليه وسلم مَرَّ بأعرابي وهو يدعو في صلاته وهو يقول : ((يا من لا تراه

العيون ,ولا تخالطه الظنون ... الحديث)) أخرجه الطبراني في ((الأوسط)) بسند فرد من لا يُعرف,وهو شيخ الطبراني,وتدليس أحد رواته,مع ثقته.

ومنها ما يُروى من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنهم قال ((نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم حتى ذكر كلمات من كنوز العرش ,وهي: ((يا من أظهر الجميل وستر القبيح,يا من لا يؤاخذ بالجريرة ... إلى قوله :أسألك يا الله أن لا تشوي خلقي بالنار)) رواه الحاكم في المستدرك وقال :صحيح الإسناد ,فإن رواته كلهم مدنيون ثقات)).

وقد تعقبه الحافظ الذهبي في ترجمة:أحمد بن داود الصنعاني في الميزان: ((الميزان :1/136)) فقال(أتى بخبر لا يُحتمل ,ثم ذكره))ثم علق على قول الحاكم المذكور(قال الحاكم:صحيح الإسناد .قلت:كلا.

قال:فرواته كلهم مدنيون.قلت:كلا.

قال:ثقات:قلت:أنا أتهم به أحمد.

وأما أفلح بن كثير,فذكره ابن أبي حاتم,ولم يتكلم عنه بشيء))انتهى.

وفيه أيضاً عنعنة ابن جريج,وهو مدلس.

فانظر نعوذ بالله من الخذلان كيف يتعلق الداعي بحديث هذه منزلته,ويهجر الدعاء بآيات القرآن العظيم,وما يثبت في الصحيحين وغيرهما عن النبي صلى الله عليه وسلم.

ومنها:التزام ما ورد بسند فيه واهي الحديث ,فلا يصح ومنه((اللهم لا تدع لنا ذنباً إلا غفرته,وَلاَ هماً إلاَّ فَرَّجْتَه,ولا ديناً إلاَّ قَضَيْتَه,ولا حاجة من حوائج الدُّنيا والآخرة إلا قضيتها برحمتك يا أرحم الراحمين)). وهو دعاء حسن لا يظهر فيه محذور.

لكن يحصل الغلط من جهات هي:هجر الصحيح,والتزام ما لم يصح,والزيادة فيه بلفظ محتمل,وهو(في مقامنا هذا)) فيحتمل أن يكون شرطاً على الله فهو باطل,ثم الزيادة بسجعات أضعافها.

وهكذا من تتابع سجع متكلَّف,ودعاء مخترع لبعض المستجدات حتى قاربت العشرين على هذا الرَّوي,والنمط.

التنبيه الرابع

وَيُجْتَنَبُ قَصْدُ السَّجع في الدعاء,والبحث عن غرائب الأَدعية المسجوعة على حرف واحد.

وقد ثبت في(صحيح البخاري)) رحمه الله تعالى عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال له(فانظر السجع في الدعاء,فاجتنبه,فإني عهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه,لا يفعلون إلا ذلك الاجتناب)).
ومن الأدعية المخترعة المسجوعة(اللهم ارحمنا فوق الأرض,وارحمنا تحت الأرض,وارحمنا يوم العرض)).
ولا يرد على ذلك ما جاء في بعض الأدعية النبوية من أَلْفَاظ مُتَوَاليَة,فهي غير مقصودة,ولا متكلفة,ولهذا فهي في غاية الانسجام.

التنبيه الخامس

وَيُجْتَنَبُ اختراع أدعية,فيها تفصيل أَو تشقيق في العبارة,لِمَا تُحْدِثُهُ مِنْ تحريك العواطف,وإِزعاج الأعضاء,والبكاء,والشهيق,والضجيج,والصَّعَق,إِ لى غير ذلك مِمَّا يَحْدُثُ لِبَعْضِ النَّاسِ حَسَبَ أحوالهم,وقُدُرَاتِهِم,وطاقاتهم,قُوَّةً,وَضَعفاً.
ومن:تضمين الاستعاذة بالله من عذاب القبر,ومن أَهوال يوم القيامة,أوصافاً وتفصيلات,ورَصَّ كلمات مترادفات,يُخْرِجُ عن مقصود الاستعاذة,والدُّعاء,إِلى الوعظ,والتخويف,والترهيب.
وكل هذا خروج عن حدِّ المشروع,واعتداء على الدعاء المشروع,وهجر له, واستدراك عليه,وأَخشى أن تكون ظاهرة ملل,وربما كان له حكم الكلام المتعمد غير المشروع في الصلاة فيُبْطِلُها.

التنبيه السادس

وَيُجْتَنَبُ التطويل بما يشق على المأمومين,ويزيد أَضعافاً على الدعاء الوارد,فيحصل من المشقة,واستنكار القلوب,وفُتُوْرِ المأمومين,مما يؤدِّي إلى خطر عظيم,يُخْشى على الإمام أن يلحقه منه إِثم.
وقد اختلفت الرواية عن الإمام أَحمد رحمه الله تعالى في مقدار القنوت في الوتر على ثلاث روايات:
1- بقدر سورةإذا السماء انشقت).
2- بقدر دعاء عمر رضي الله عنه ويأتي.
3- كيف شاء.
لكن إذا كان القانت إماماً فلا يختلفون في منع التطويل الذي يشق بالمأمومين.

وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ رضي الله عنه لما أطال في صلاة الفرضية(أفتانٌ أنت يا معاذ؟)) فكيف في هذه الحال!

التنبيه السابع

وَيُجْتَنَبُ إيراد أدعية تَخْرُجُ مَخْرَجَ الدُّعاء,لكن فيها إِدْلاَلٌ على الله تعالى حتى إِنَّك لتسمع بعضهم في أول ليلة من رمضان يدعو قائلاً(اللهم تقبل منا صيامنا وقيامنا)) وقد يدعو بذلك في آخر رمضان,ولا يقرنه بقوله(وتجاوز عن تقصيرنا,وتفريطنا)).

التنبيه الثامن

وَيُتْرَكُ زيادة ألفاظ لا حاجة إليها, في مثل قول الدَّاعي((اللهم انصر المجاهدين في سبيلك)) فيزيد(في كل مكان)) أو يزيد(فوق كل أرض وتحت كل سماء)) ونحو ذلك من زيادة ألفاظٍ لا محل لها,بل بعضها قد يحتمل معنى مرفوضاً شرعاً.

ومن الأَلفاظ المولَّدة لفظة(الشَّعْب)) في الدُّعاء المخترع(واجعلهم رحمة لشعوبهم....)).
وهو من إِطلاقات اليهود من أنهم (شعب الله المختار)).
ولا يلتبس عليك هذا بلفظ (الشعب)) في باب النسب, فلكل منهما مقام معلوم لغة.

ومن الدعاء بأساليب الصحافة والإعلام,قول بعض الداعين للأمة الإسلامية (وهي تَرْفُلُ في ثوب الصحة والعافية)) فمادة(رَفَلَ)) مدارها على التبختر,والخيلاء,كما في الحديث المرفوع أن النبي صلى الله عليه وسلم قال(مثل الرافلة في الزينة في غير أهلها كمثل ظلمة يوم القيامة لا نور لها)) رواه الترمذي . الرافلة:أي: المتبخترة.
فانظر كيف يحصل الدعاء بأن تقابل النعمة بالمعصية.

وهكذا يفعل التجاوز للسُّنن,وهجر التفتيش بكتب العرب.

التنبيه التاسع

ولا يأتي الإِمام بأدعية ليس لها صفة العموم,بل تكون خاصة بحال ضُرًّ,أو نُصْرَةٍ,ونحو ذلك.

ومنه الدُّعاء بدعاء نبي الله موسى عليه السلام في سورة طه: 25/35 إلى قوله: ((وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي)) إلى آخر الآيات.

ومنه:دعاء الإمام بمن معه: ((اللهم أحينا ما كانت الحياة خيراً لنا,وَتَوَفَّنَا إذا كانت الوفاة خيراً لنا)).

لما ثبت في الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه قال,قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((لا يَتَمَنَّيَنَّ أحدكم الموت من ضُرَّ أصابه,فإن كان لابد فاعلاً,فليقل: ((اللهم أحيني...)) الحديث.

وعليه ترجم النووي رحمه الله تعالى في ((الأذكار)) بقوله: ((باب كراهية تمني الموت لضر نزل بالإنسان وجوازه إذا خاف فتنة في دينه)).

وما ورد بنحوه مطلقاً,محمول على هذا المقيد.

التنبيه العاشر

ليس من حق الإمام أَن يُرَاغِمَ المأمومين , ولا أن يُضَارَّهم بوقوف طويل يشق عليهم,ويُؤَمِّنُوْنَ مَعَهُ على دعاء مخترع لم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم أو يكونوا في شك من مشروعيته,وبينما هو في حال التغريد والانبساط فهم في غاية التحرج والانزعاج.

ولو سمع بعض الأئمة ما يكون من بعض المأمومين بعد السلام من تألم , وشكوى من التطويل , وأدعية يؤمن عليها ولا يعرفها , وتستنكرها القلوب ,لرجع إلى السنة من فوره.

فيجب على من وفقه الله وأَمَّ الناس في الصلاة. أَن يتقيد بالسنة,وأَن لاَ يُوَظِّفَ مزاجه,واجتهاداته مع قصور أهليته,وأَن يستحضر رهبة الموقف من أنه بين يدي الله تعالى وفي مناجاته,وأنه في مقام القُدْوةِ,وَتَلَقُّن المسلمين للقنوت المشروع,ونشره,وتوارثهم له.

ومن اسْتَحْضَرَ هذه المعاني في قلبه , لم يقع في شيء من ذلك , نسأل الله سبحانه البصيرة في دينه , وأن لا يجعله ملتبساً علينا فَنَضِل.

كما يجب على المأموم إحسان الظن بإمامه في الصلاة,وأَن يتحلى بالتحمل , وأن لا يبادر إلى الاستنكار إلاَّ بعد التأكد من أهل العلم الهداة , ومن ثم يكون تبادل النصيحة بالرفق واللين , والبعد كل البعد عن الشنيع , وإلحاق الأذى به , وَمَنْ فَعَلَ فقد احتمل إِثْماً.

ولقد لوحظ أن بعض المأمومين لا يتابع الإِمام برفع اليدين للدعاء والتأمين,وهذه مشاقة وحرمان.

الفصل الثاني
دعاء قنوت الوتر المشروع وضوابط الزيادة فيه

وهنا يحسن بيان الدعاء المشروع في ((قنوت الوتر)) بضوابطه الشرعية وهي:

1- على الإمام القانت في: ((صلاة الوتر)) التزام اللفظ الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم الذي عَلَّمه سبطه الحسن بن علي رضي الله عنهما فيدعو به بصيغة الجمع مراعاة لحال المأمومين,وتأمينهم عليه,ونصه:

((اللهم اهدنا فيمن هديت,وعافنا فيمن عافيت,وتولنا فيمن توليت,وبارك لنا فيما أعطيت,وقنا شَرَّ ما قضيت,فإِنَّك تقضي ولا يُقضى عليك,وإِنَّه لا يَذِلُّ من واليت,وَلاَ يَعِزُّ من عاديت,تباركت ربنا وتعاليت.لا منجا منك إِلاَّ إليك)).

وعن أَمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أَن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في آخر وتره:
((اللهم إِنَّا نعوذ برضاك من سخطك,وبعفوك من عقوبتك,وبك منك,لاَ نُحْصي ثَنَاءً عليك,أنت كما أَثنيت على نفسك)).

ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم كما ثبت عن بعض الصحابة رضي الله عنهم في آخر قنوت الوتر,منهم:أُبي ابن كعب,ومعاذ الأنصاري رضي الله عنهما.

وَلْيُتَنَبّه فإن ضبط لفظ (ولا يَذِلُّ)) بفتح الياء,وكسر الذال.وضبط لفظ (ولَا يَعِزُّ)) بفتح الياء وكسر العين.

2- ليحرص الإمام على أَداء الدعاء بالكيفية الشرعية,بضراعة,وابتهال,وصوت بعيد عن التلحين والتطريب.

3- إن زاد على الوارد المذكور,فعليه مراعاة خمسة أُمور:
1. أن تكون الزيادة من جنس المدعو به في دعاء القنوت المذكور.
2. وأَن تكون الزيادة من الأَدعية العامة في القرآن والسنة.

3. وأَن يكون محلها بعد القنوت الوارد في حديث الحسن,وقبل الوارد في حديث علي رضي الله عنهما.
4. وأَن لا يتخذ الزيادة فيه شعاراً يداوم عليه.
5. وأَن لا يطيل إِطالة تشق على المأموين.

4- قد يحصل من الأمور العارضة ما يأتي لها الداعي من إِمام وغيره بدعاء مناسب لها,كالاستغاثة حَالَ الجَدْبِ,لكن لا يجعله راتباً لا يتغير بحال.

وَمَنْ أَعْمَلَ هذا الفرق بين الدعاء الراتب,والدعاء لأَمْرٍ عارض,كسب السنة,وانحلت عنه إِشكالات كثيرة.

ومن ذلك دعاء أَمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه وهو:

((اللهم إِنَّا نستعينك ونستغفرك,ولا نكفرك,ونؤمن بك,ونخلع من يفجرك,اللهم إِيَّاك نعبد,ولك نصلي ونسجد,وإِليك نسعى ونَحْفِد,نرجو رحمتك ونخشى عذابك,إِنَّ عذابك الجِدَّ بالكفَّار مُلْحْق.

اللهم عَذِّب الكفرة الذين يصدون عن سبيلك,ويكذبون رسلك,ويقاتلون أَولياءك,ولا يؤمنون بوعدك,وخالف بين كلمتهم,وأَلق في قلوبهم الرعب,وأَلق عليهم رجزك وعذابك,إِلَهَ الحق.

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات,والمسلمين والمسلمات,وأَصلح ذات بينهم,وأَلِّف بين قلوبهم,واجعل في قلوبهم الإِيمان والحكمة,وثبتهم على ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأَوزعهم أَن يوفوا بعهدك,الذي عاهدتهم عليه,وانصرهم على عدوك وعدوهم,إِلهَ الحق,واجعلنا منهم)).

ومن العلماء من قال بعمومه في الوِتر,وهو مذهب الحنابلة.

الفصل الثالث
ذكر بعض الأدعية الجامعة من القرآن والسنة

أسوق هُنا دعاء القنوت المتقدم في أول القنوت وآخره,ثم أسوق بعض الأدعية الجامعة من القرآن والسنة,ليختار منها من رغب الزيادة في القنوت ما شاء,وسياق المرويات منها بصيغة الجمع,حتى تناسب الدعاء بها من الإمام,وهي:

(1) ((اللهم اهدنا فيمن هديت وعافنا فيمن عافيت,وتولنا فيمن توليت,وبارك لنا فيما أعطيت,وقنا شَرَّ ما قضيت,فإنك تقضي ولا يُقضى عليك,وإنَّه لا يَذِلُّ من واليت,وَلاَ يَعِزُّ من عاديت,تباركت ربنا وتعاليت.لا منجا منك إِلاَّ إليك))[45].

(2) ((اللهم اقْسِمْ لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك,ومن طاعتك مَا تُبَلِّغُنَا بهِ جنتك,ومن اليقين ما تُهون به علينا مصائب الدنيا.اللهم متِّعنا بأسماعنا وأبصارنا وقواتنا ما أحييتنا,واجعله الوارث مِنَّا واجعل ثأرنا على من ظلمنا,وانصرنا على من عادانا,ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر هَمِّنا ولا مبلغ علمنا,ولا تُسَلِّط علينا من لا يرحمنا)) [46].

(3) ((رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)) [47].

(4) ((رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ))[48].

(5) ((رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ))[49].

---

45 (?) عن الحسن بن علي رضي الله عنه قال: ((علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات أقولهن,فذكره))رواه الأربعة,وفي رواية للطبراني(أن أقول في الوتر))وهي من رواية عمرو بن مرزوق الباهلي عن شعبة بن الحجاج,وقد خالف فيها جميع الرواة,كما جاء من طرق أخرى بلفظ(القنوت))وبلفظ((قنوت الوتر))وكلها ضعيفة,لكن عمل السلف على هذا,والله أعلم.

46 (?) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال:قَلَّما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم من مجلس حتى يدعو بهؤلاء الدعوات لأصحابه (اللهم اقسم...))رواه أبو داود,والترمذي,والنسائي,والحاكم,وهو حديث:حسن.

47 (?) آل عمران/16.

48 (?) المؤمنون/109.

49 (?) آل عمران/147.

(6) ((رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً))[50].

(7) ((رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْأِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلّاً لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ))[51].

(8) ((رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ. رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ))[52].

(9) ((رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ))[53].

(10) ((رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ))[54].

(11) ((اللهم اغفرْلنا,وارْحَمْنا,واهْدِنا,وعَافِنا,وارْزُقْنا)) [55].

(12) ((اللهم إنا نسألك الهُدَى والتُّقَى والعَفَافَ والغِنَى))[56].

(13) ((اللهم يا مُصَرّفَ القلوبِ صَرّفَ قُلُوبَنا على طاعتك))[57].

(14) ((يا مُقَلِبَ القُلُوبِ ثَبِت قُلُوبَنا على دينك))[58].

---

50 (?) الكهف /10.

51 (?) الحشر/10.

52 (?) الممتحنة/4-5.

53 (?) آل عمران/8.

54 (?) البقرة/201.

55 (?) عن طارق بن أشيم الأشجعي الصحابي رضي الله عنه قال:كان الرجل إذا أسلم عَلَّمه النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة,ثم أمر أن يدعو بهذه الكلمات((اللهم اغفر لي...))رواه مسلم.

56 (?) عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم .كان يقول((اللهم إني...))رواه مسلم.

57 (?) عن عبد الله بن عمرو قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((اللهم يا مصرف...))رواه مسلم.

58 (?) عن شهر بن حوشب,قال:قلت لأم سلمة رضي الله عنها:يا أم المؤمنين:ما أكثر دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان عندك؟قالت: كان أكثر دعائه ((يا مقلب...))رواه الترمذي وقال:حديث حسن,وفي الباب:عن عائشة و...)).

(15) ((اللهم لك أسْلَمْنا,وبك آمَنَّا,وعليك تَوَكَّلنا,وإليك أَنَبْنَا,وبك خَاصَمْنَا,اللهم إنَّا نعوذُ بِعِزَّتِكَ لا إلهَ إلا أنتَ أن تُضِلَّنا,أنْتَ الحيُّ الذي لا يموتُ,والجِنُّ والإِنْسُ يَمُوتُون))[59].

(16) ((اللهم أصْلِحْ لنا ديننا الذي هو عِصْمَةُ أَمرنا,وأصْلِحْ لنا دنيانا التي فيها مَعَاشُنا,وأصلحْ لنا آخرتنا التي فيها مَعَادُنا,واجْعَل الحياةَ زيادةً لنا في كل خير,واجْعَل الموتَ راحةً لنا مِنْ كلِّ شر))[60].

(17) ((اللهم إنا نَسأَلُكَ من الخيرِ كُلِهِ عاجِلِهِ وآجِلِهِ ما عَلِمْنَا منه وما لم نَعْلَمْ,ونعوذُ بك من الشر كله عاجِلِهِ وآجِلِهِ ما عَلِمْنَا من وما لم نَعْلَمْ.
ونسألكَ الجَنَّة وما قَرَّبَ إليها مِنْ قولٍ أو عمل,ونعوذ بك من النارِ وما قَرَّب إليها مِنْ قولٍ أو عمل.ونسألك من خيرِ ما سألكَ عَبْدُكَ ونَبِيُّكَ,ونعوذُ بك من شر ما استعاذك منه عبدُكَ ونبيكُ.
ونسألكَ أن تجعلَ كُلَّ قضاءٍ قَضَيْتَهُ لنا خيراً))[61].

(18) ((اللهم إنا نسألكَ العَفْوَ والعافيةَ والمُعَافاةَ في الدنيا والآخرةِ.يا ذا الجَلالِ والإِكْرامِ.يا حيُّ يا قيوم))[62].

(19) ((اللهم إنا نعوذُ بك من جَهْدِ البَلاءِ,ودَرَكِ الشَّقَاءِ,وسُوءِ القَضَاءِ,وشَمَاتَةِ الأعْدَاءِ))[63].

(20) ((اللهم إنا نعوذُ بك من زَوَالِ نِعْمَتِكَ,وتَحُوُّلِ عافيتكَ,وفَجْأَةِ نِقْمَتِك,وجميع سَخَطِك))[64].

(21) ((اللهم إنا نعوذُ بك من العَجْزِ والكسلِ والجُبْنِ والبُخْلِ والهَمِ وعذابِ القبر.اللهم آتِ نفوسَنَا تَقْواها,وزَكِّها أنت خيرُ مَنْ

---

59 (?) عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول((اللهم لم أسلمت...))متفق عليه.
60 (?) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم.رواه مسلم .
61 (?) عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها,قولي: ((اللهم إني أسألك...))الحديث. رواه أحمد ,وابن ماجه ,وابن حبان ,والحاكم ,وغيرهم بسند صحيح.
62 (?) مجموع من أحاديث ثلاثة كلها في : ((سنن الترمذي)).
63 (?) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم. متفق عليه.
64 (?) عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى لله عليه وسلم.رواه مسلم.

زَكِّاها,أنت وَليُّها ومَوْلاها. اللهم إنا نعوذُ بك من عِلْمٍ لا ينفع,ومن قلبٍ لا يخشع,ومن نفسٍ لا تشبع,ومن دعوةٍ لا يُسْتَجَابُ لها))[65].

(22) ((اللهم إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ العفوَ فاعفُ عَنَّا))[66].

(23) ((اللهم آتنا في الدنيا حَسَنَةً,وفي الآخرةِ حَسَنَةً وقِنَا عذابَ النار))[67].

(24) ((اللهم إنا نعوذُ بِرِضَاكَ من سَخَطِكَ,وبمُعَافاتكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ,وبِكَ مِنْكَ,لا نُحصِي ثَنَاءً عليك,أنت كما أَثْنَيْتَ على نَفْسِك))[68].

(25) ((اللهم صَلِّ على النَّبِيِّ الأُمِّيِّ وصحبه وَسَلَّمْ))[69].

هذا ما لزِمَ بيانه من تنبيهات مهمة في تصحيح هذه العبادة العظيمة,وبيان الدعاء المشروع فيها بضوابطه الشرعية,وسياق بعض الأدعية الجامعة.
وعلي العبد المسلم اغتنام الذكر,والدعاء,مطلقاً,ومقيَّداً,وأَن يُرِيَ الله من نفسه خيراً,فيجتهد باللهج بهما,وأن يكون لسانه دائماً رطباً من ذكر الله تعالى وأن يذكره ويدعوه كثيراً بما وردت به الشريعة المطهرة.
والله تعالى أَعلم بأَحكامه.وصلى الله على نبينا ورسولنا محمد وعلى آله,وصحبه,ومن اهتدى بهديه وسلم.

بكر بن عبد الله أبوزيد
9/9/1417

65 (?) عن زيد بن أرقم رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم.رواه مسلم.

66 (?) عن عائشة رضي الله عنها قالت : قلت يا رسول الله :إن علمت ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال: ((قولي:اللهم...))رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه, وغيرهم.

67 (?) عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم .متفق عليه.

68 (?) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في آخر وتره : ((اللهم....)) رواه الأربعة وغيرهم.

69 (?) ثبتت الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في آخر القنوت من فعل السلف رضوان الله عليهم كما في إمامة أبي بن كعب الناس في رمضان في عهد عمر رضي الله عنه رواه ابن حزيمة ,وإمامة معاذ الأنصاري رضي الله عنه كما في كتاب: ((فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم)) لإسماعيل القاضي.

الأجزَاءُ الحَديثيّة
(5)

جُزءٌ
في مرويات دعَاء خَتم القرآن
وَحكمه دَاخل الصَّلاة وخَارجها

تَألِيْفُ
الشَّيْخِ العَلاَّمَة
بَكرِ بِنْ عَبد الله أَبَوُ زَيد
غَفَر الله لَهُ وَلِوالدَيه وَلِجَمِيعِ المُسْلِمِين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب, إِماماً, ونوراً, وهدىً, ورحمةً للعالمين. والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين, وعلى آله, وصحابته أجمعين.

أما بعد: فإن لأهل العلم أبحاثاً متعددة في ((ختم القرآن الكريم)) مشتركة بين كتب: علوم القرآن, والأدعية والأذكار, والحديث, والفقه, والاعتصام بالسنة, ومن هذه الأبحاث: فضل ختم القرآن, ومدَّته, ووقته, ومكانه, والدعاء بعده, وحضور الأهل والأولاد له, وَوَصْل ختمةٍ بأخرى, وصيام يوم الختم, وتكرار سورة الإِخلاص ثلاثاً, والتكبير في آخر كل سورة من سورة إلى آخر سورة منه, وإكمال الختم, والإِتيان بسجدات القرآن بعد الختم, والتهليل عنها أربع عشرة مرة, والاحتفال بليلة الختم, والخطبة بعدها, والتواعد للختم, والصعق . . . فهذه سبعة عشر بحثاً في: أحكام ختم القرآن. والست الأخيرة منها: من البدع المحدثة, ولعلها مما انقرض, ولله الحمد[70]. وأمَّا إكمال الختم, ويقال: ((تتمته)), ومعناه: أن يقرأ المأموم ما فات الإِمام من الآيات, وأن يعيد الإِمام بعد الختم ما فاته من الآيات. وقد سُئل عنه الإِمام أحمد رحمه الله تعالى فقال: نعم, ينبغي أن يفعل, قد كان بمكة يوكلون رجلاً يكتب ما ترك الإِمام من الحروف وغيرها, فإذا كان ليلة الختم أعاده. وإنما استحب ذلك لتتم الختمة ويكمل الثواب[71]. وأما وقت الختم: بمعنى ختمه في مساء الشتاء, وصباح الصيف[72] ووصل ختمة بأخرى؛ بقراءة الفاتحة وخمس آيات من سورة البقرة قبل الشروع

---

[70] (1) المدخل لابن الحاج 2 / 294- 305, اللمع في الحوادث والبدع لابن بيدكين 1 / 70- 75, وفتاوى شيخ الإِسلام ابن تيمية 11 / 8.
والصعق: الصيحة يغشى منها ويذهب عقله, كما في: شرح الأذكار 3 / 260, وفي ((الآداب الشرعية)) لابن مفلح رحمه الله تعالى 2 / 330- 334: ذكر أن المروي عن الصحابة رضي الله عنهم هو: فيض الدموع, والخشوع, ولين القلوب, وأن الصعق إنما حدث في التابعين لقوة الوارد, وضعف المورود عليه, وأن أقدم من علم عنه ذلك: الربيع بن خثيم, م سنة 61هـ. ثم ذكر تفصيلاً في حكم ((الصعق)). وانظر: التبيان للنووي ص66. وفي ((حلية الأولياء 2 / 265)) لأبي نعيم وعنه شيخ الإِسلام في الفتاوى 11 / 7, 562, فقال: (قال محمد بن سيرين: ميعاد ما بيننا وبينهم - يعني الذين يصعقون عند قراءة القرآن - أن يجلسوا على حائط فيقرأ عليهم القرآن من أوله إلى آخره, فإن سقطوا فهم كما يقولون) اهـ.

[71] (1) المغني مع الشرح الكبير 1 / 803, التبيان للنووي ص125, مجموع فتاوى شيخ الإِسلام ابن تيمية 21 / 410- 411, الإِتقان للسيوطي 1 / 106.

[72] (2) المغني مع الشرح الكبير 1 / 803, التبيان ص125, شرح الأذكار 3 / 242- 243, التذكار ص79- 80, البرهان للزركشي 1 / 472, الإِتقان 1 / 110. وفي هذه المسألة حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه مرفوعاً: ((من ختم القرآن أول النهار صلت عليه الملائكة حتى يمسي)) . . الحديث. رواه أبو نعيم في ((الحلية 5 / 26)), وهو ضعيف, وفيها أيضاً آثار عن بعض الصحابة رضي الله عنهم, والتابعين كما في: الزهد لابن المبارك برقم 810, ومصنف ابن أبي شيبة برقم 10088, وابن نصر كما في مختصر قيام الليل ص109, وفضائل القرآن للفريابي برقم 92 / 94, وغيرها.

في دعاء الختم[73], وتكرار سورة الإِخلاص ثلاثاً, والتكبير في آخر سورة الضحى إلى سورة الناس داخل الصلاة أو خارجها, وصيام يوم الختم.
فهذه الأبحاث الستة لا يصح فيها شيء عن النبي ﷺ ولا عن صحابته رضي الله عنهم, وعامة ما يروى فيها مما لا تقوم به الحجة.
وشيخ الإِسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى تكلم (كلاماً) شديداً في التكبير المذكور, وأنه لم يرد إِلاَّ في رواية البزي عن ابن كثير[74].
والإِمام أحمد رحمه الله تعالى: لم يستحب وصل ختمة بأخرى على الوجه المتقدم, قال ابن قدامة[75]: (لعله لم يثبت فيه عنده أثر صحيح) اهـ. وقال ابن القيم[76]: (إن ذلك لا يعرف عن الصحابة ولا التابعين) اهـ.
وقد رُوي فيه حديث ((الحال والمرتحل)) عند الترمذي وهو ضعيف[77] مع ما قاله ابن القيم وغيره[78], في معناه من تأويل, وأنه في: الغزو, وقد نوزع في ذلك, وأن معناه: الحث على تكرار الختم ختمة بعد أخرى[79].
وأما فضله: فقد بلغت السنن في فضل قراءة القرآن مبلغاً عظيماً. لكن في خصوص الختم لم يثبت فيه نص عن النبي ﷺ, وحديث عمرو بن شعيب, عن أبيه, عن جده, عن النبي ﷺ, أنه قال: ((إذا ختم العبد القرآن صلَّى عليه عند الختم سبعون ألف ملك)) رواه الديلمي, وهو موضوع[80]. وفي خصوص قراءة القرآن في:

---

73 (3) انظر: شرح الأذكار 3 / 244. وحديث: الحال المرتحل. يأتي بعد قليل.

74 (4) مجموع الفتاوى 12 / 417- 420. والآداب الشرعية لابن مفلح 2 / 321, وأخبار مكة للفاكهي 2 / 156- 3 / 36.

75 (5) المغني 1 / 803.

76 (6) إعلام الموقعين 4 / 306.

77 (7) رواه ابن نصر, والترمذي, والطبراني, والحاكم, والبيهقي في الشعب, وانظر: فضائل القرآن لابن كثير ص193, وشرح الأذكار 3 / 248.

78 (1) إعلام الموقعين 4 / 306. وتحفة الأحوذي 4 / 64. والآداب الشرعية 2 / 328.

79 (2) نازعه المباركفوري في: تحفة الأحوذي 4 / 64, ط الهندية بأن الحديث جاء في آخره ذكر الختمة. وبمعناه في: الآداب الشرعية 2 / 328- 329. وفي سند هذا الحديث: الهيثم بن الربيع. وصالح بن بشير المري. وهما ضعيفان, بل قيل إن صالحاً: متروك الحديث, قاله النسائي, والذهبي في: تلخيص المستدرك 1 / 569. والحديث رواه: ابن نصر, والترمذي, والحاكم. وانظر: شرح الأذكار 3 / 248.

80 (3) الجامع الصغير برقم / 570 قال: ضعيف. وفي ضعيف الجامع برقم / 568 قال: موضوع. وسنده في: تسديد القوس للحافظ ابن حجر من النسخة الخطية 1 / 58- 59.

التراويح, فقال شيخ الإِسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى[81]: (سنة باتفاق المسلمين, بل من جل مقصود التراويح: قراءة القرآن فيها؛ ليسمع المسلمون كلام الله, فإن شهر رمضان فيه أنزل القرآن, وفيه كان جبرائيل يدارس النبي ﷺ القران . . .) اهـ. وأما مدته[82]: فقد بلغ الخلاف فيه نحواً من أثني عشر قولاً, والجمهور على استحباب ختمه في ثلاث ليال, وكراهته دونها. أو في سبع, وكراهته دونها. وعن الإِمام أحمد رحمه الله تعالى: اختلافه باختلاف الأحوال والأشخاص[83], وهذا اختيار النووي رحمه الله تعالى[84], ونقله ابن كثير رحمه الله تعالى في: فضائل القرآن[85].

وأما دعاء الختم ومكانه: فهل يشرع الدعاء؟ وإذا كان مشروعاً هل يكون داخل الصلاة وخارجها, من إمام أو منفرد؟ وإذا كان داخل الصلاة هل هو قبل الركوع أو بعده؟ أم في دعاء القنوت للوتر؟ أم في السجود؟

فهذان الفرعان: دعاء الختم ومكانه, بتفاصيلهما, هما محل البحث في هذا الجزء؛ لشيوع العمل بدعاء ختم القرآن داخل الصلاة وخارجها.

وقد بلغت الرغبة في دعاء ختم القرآن إلى وجود ختمة في نحو من ثمانين صفحةً يدعى بها في ((المحاريب)) في قيام الليل: التراويح, والتهجد[86].

---

81 (4) مجموع الفتاوى 23 / 122- 123, وعنه في حاشية ابن قاسم على الروض المربع 2 / 206.

82 (5) أحاديث في: الصحاح والسنن وغيرها. ومباحثه منتشرة وانظر: المغني 1 / 804- 805, شرح الأذكار لابن علان 3 / 228- 238, البرهان للزركشي 1 / 470- 471, الإِتقان للسيوطي 1 / 104- 105, فضائل القرآن لابن كثير ص 169- 179, والفتاوى 13 / 407 وغيرها.

83 (6) المغني 1 / 804.

84 (7) شرح الأذكار 3 / 238.

85 (8) ص 177.

86 (1) قد أفردت في صيغ الدعاء للختم مؤلفات, منها: كتاب الخطب في ديوان ختم القرآن, لإِبراهيم بن محمد بن حيدر, المولود سنة 559هـ. كما في: معجم الأدباء لياقوت 2 / 15ـ 16. وفي فهارس المكتابات المخطوطة الشيء الكثير, منها ما في فهارس المكتبة القادرية في بغداد بجامع عبد القادر الجيلاني الحنبلي, المتوفى سنة 561هـ, رحمه الله تعالى, كما في فهرسها: الآثار الخطية في المكتبة القادرية 1 /ـ 134 بقلم عماد عبد السلام. طبع عام 1394هـ. بمطبعة الإِرشاد في بغداد: ذكر مجموعاً يحوي: أربعاً وعشرين ختمة, وللجيلاني نفسه ختمة مطولة في كتابه ((الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل)) 2 /ـ 132- 135, طبع مصر, عام 1288هـ. مبنية على الدعاء المسجوع, ومنها مقاطع انتشرت في زماننا هذا كقوله رحمه الله تعالى: ((وقلت يا عزَّ من قائل سبحانه (فإذا قرأناه

ولما كان المسلم مقيَّداً في تعبده بشريعة محكمة هي: الجادة والصراط المستقيم, وقد عهد من مدارك الشرع أن أمور العباد التعبدية توقيفية؛ لا تشرع إلاَّ بنص نصبه الله على حكمه, مسلم الثبوت والدلالة, لضمان الإتباع عن الابتداع, ودرء الغلط والحدث؛ استقرأت ما في ذلك من الأحاديث والآثار, وكلام علماء الأمصار على مر الأعصار, ما وجدت إلى ذلك سبيلاً؛ ليقف الناظر فيه على مدى التلاقي بين دعاء ختم القرآن في الصلاة, وبين قاعدة الشريعة في العبادات من أنها توقيفية, وبالتالي يحصل الحكم باطمئنان: هل لختم القرآن الكريم دعاء مشروع خارج الصلاة أو داخلها, في صلاة التراويح أو الوتر, من إمام أو لمنفرد فيهما, أو في سائر النوافل كركعتي المغرب والفجر, أو لا يشرع ذلك لعدم ثبوت شيء منه عن النبي ﷺ, وعن صحابته, رضي الله عنهم. هذا ما ستقف عليه إن شاء الله تعالى مفصلاً في فصلين:

الفصل الأول: في المروي.

الفصل الثاني: في فقهه.

وخاتمة توقفك على خلاصة ما فيهما.

والله تعالى هو الموفق والمعين.

* * *

فاتبع قرآنه), هو أحسن كتبك نظاماً . . . فيه وعد ووعيد . . .) اهـ. وفي كتابه هذا ذكر الوصية والموعظة التي يلقيها الإمام في ختام رمضان, وقد قرر العلماء بدعية ترتيبها, كما في ((المدخل)) 2 / 295 لابن الحاج. وفي كتب أذكار القرآن: صيغ لدعاء ختم القرآن, كما في: التبيان للنووي ص 127- 129, والتذكار للقرطبي ص 80- 84. وانظر: الأذكار للنووي مع شرحها 3 / 247 ببيان مقاصدها, وعمل اليوم والليلة للسيوطي ص80, وبدائع الفوائد 4 / 69. ومن المؤلفات في صيغ دعاء ختم القرآن: الدعاء المنسوب إلى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى, والذي استمر زمناً يطبع في أخريات المصاحف الشريفة, وهذا ما لم تُثبت نسبته إليه ولا يعرف من نسبه إليه, وكان الشيخ عبد الرحمن بن قاسم جامع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمهما الله تعالى في شك من نسبة هذا الدعاء إلى ابن تيمية, كما تحرر لدي بخطه في بعض أوراق له, يوصي بعدم إدخاله في ((مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى))؛ ولعل حذفه من الطبعات الأخيرة للمصحف الشريف لذلك, أو لهذا, ولعدم ترتيب دعاء من النبي ﷺ لختم القرآن, وتجريداً لكتاب الله تعالى وكلامه مما ليس منه.

الفصل الأول
في المروي مرفوعاً أو موقوفاً
عن الصحابة, رضي الله عنهم:

المروي من ذلك في: الدعاء عند ختم القرآن, على أنواع ثلاثة:

● **الأول:** ما يفيد أن الدعاء عند ختم القرآن من مواطن الإِجابة, وهو من: رواية أنس بن مالك رضي الله عنه, من وجهين, وابن عباس رضي الله عنهما, وجابر رضي الله عنه, والعرباض بن سارية رضي الله عنه, وقول ابن مسعود رضي الله عنه, وأثر مجاهد بن جبر, رحمه الله تعالى.

● **الثاني:** ما يفيد أدعية نبوية في ذلك. والرواية فيه من حديث: أبي أمامة رضي الله عنه, وزر بن حبيش عن علي رضي الله عنه, وأبي هريرة رضي الله عنه, ومرسل علي بن الحسين رحمه الله تعالى, ومعضل داود بن قيس, رحمه الله تعالى.

● **الثالث:** ما يفيد جمع الأهل والولد للدعاء, عن أنس رضي الله عنه, مرفوعاً وموقوفاً, وعن ابن عباس, رضي الله عنهما. فهذه عشرة أحاديث مرفوعة, وثلاثة آثار موقوفة, وواحد مقطوع, وبيانها علـى ما يلي:

1- حديث أنس, رضي الله عنه:

وله ألفاظ ثلاثة من وجهين:

● **الوجه الأول:** ولفظه عن أنس رضي الله عنه, أن رسول الله قال: ((إن لصاحب القرآن عند كل ختمة: دعوة مستجابة, وشجرة في الجنة لو أن غرباً طار من أصلها لم ينته إلى فرعها حتى يدركه الهرم)).

أخرجه الخطيب البغدادي في ترجمة: عبد الله بن أحمد المروزي, م سنة 370هـ[87], والبيهقي في ((شعب الإِيمان))[88]. وفي ((الجامع الصغير)): عزاه إلى الخطيب, ورمز لضعفه[89]. وفي ((ضعيف الجامع)) قال: موضوع[90]. وفاتهما عزوه إِلى: البيهقي.
ومدار سنده عند: الخطيب, والبيهقي, على رواية وضَّاع عن ضعيف؛ أما الوضَّاع فهو: أبو عصمة نوح بن أبي مريم المشهور بالجامع: كذبوه في الحديث, وقال ابن المبارك: كان يضع[91]. يرويه عن: يزيد الرقاشي.
كما أن لوائح الوضع على متنه ظاهرة[92] فهذا مما اعتراه النقد في سنده ومتنه, ولهذا أورده ابن الجوزي في ((العلل المتناهية)) فقال:[93] (هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ, وزيد الرقاشي, قال أحمد: لا يكتب عنه شيء. قال يحيى: أبو عصمة: ليس بشيء ولا يكتب حديثه. وقال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج به) اهـ. وساقه الذهبي رحمه الله تعالى في ترجمة الحليمي من (السير 17 / 233) بلفظ: ((لصاحب القرآن دعوة مستجابة عند ختمه)). ثم قال: (هذا حديث غريب لا يثبت مثله؛ لِوهن الرقاشي في ضبط الحديث).
● **الوجه الثاني:** وله لفظان:
أحدهما: عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((عند كل ختمة دعوة مستجابة)). رواه أبو نعيم[94] وقال: (لا أعلم رواه عن مسعر غير يحيى بن هشام). ورواه ابن حبان[95], وابن عساكر[96], والديلمي[97], وابن الشجري[98], والتجيبي[99], وأبو الفرج الإِسفراييني[100]. واقتصر السيوطي على عزوه إلى: أبي

87 (1) تاريخ بغداد 9 / 390.
88 (2) 1 / 355 / ب نسخة نور عثمانية.
89 (1) برقم 2400.
90 (2) برقم 1916.
91 (3) تقريب التهذيب.
92 (4) انظر: المنار لابن القيم ص 15.
93 (5) العلل المتناهية 1 / 108.
94 (6) الحلية, ترجمة: مسعر بن كدام 7 / 260.
95 (7) المجروحين 3 / 125.
96 (8) تاريخ ابن عساكر 5 / 49 / ب.
97 (9) في الفردوس برقم 4121.
98 (10) الأمالي 1 / 84.
99 (11) في برنامجه ص 28.
100 (1) في جزء أحاديث يغنم بن سالم 27 / 1ـ كما في: السلسة الضعيفة برقم

نعيم, وابن عساكر[101], واستدرك المناوي, تخريج الديلمي له, وقال[102]: (وكذا الديلمي, وفيه: يحيى السمسار, قال في الميزان: كذبه ابن معين, وتركه النسائي, وقال ابن عدي: يضع الحديث ويسرقه, قال: ومن بلاياه هذا الحديث في أخبار أُخر) اهـ.

ولذا جاء في ((ضعيف الجامع)), قوله: (موضوع)[103], وكذا في السلسلة الضعيفة[104]. ومنه تعلم ما في رمز السيوطي لضعفه من قصور, وأن هذا اللفظ بهذا الإسناد لا يعتبر به. والله أعلم.

اللفظ الثاني: عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مع كل ختمة دعوة مستجابة)). رواه البيهقي في ((شعب الإيمان)) وقال[105]: (في إسناده ضعف) اهـ. أي لحال: يحيى بن هاشم السمسار. وعزاه إليه السيوطي في ((الجامع الكبير)), وقال[106]: (وضعفه - أي البيهقي - عن أنس) اهـ.

وفي ((الجامع الصغير)) سكت عليه[107]. فتعقبه المناوي بقوله[108]: (ظاهر صنيع المصنف أن البيهقي خرّجه وسلّمه, والأمر بخلافه؛ بل عقّبه بما نصه: في إسناده ضعف, وروي من وجه آخر ضعيف عن أنس - إلى هنا كلامه) اهـ. وفي ((ضعيف الجامع)) قال[109]: ضعيف. وظاهر أن حكمه على هذا اللفظ بالضعف قصور,؛ لأن في سنده يحيى السمسار المعترض في سند اللفظ قبله, والذي من أجله حكم عليه بالوضع, فكان من حق مرتبة هذا اللفظ: الحكم بالوضع؛ لأن مدار الحديث بلفظيه على: يحيى السمسار, وهو مرمي بالكذب. وعليه فهذا الحديث من وجهيه بألفاظه الثلاثة: لا يعتبر بواحد منهما؛ لوجود من رمي بالوضع في إسناد كل منها. والله أعلم.

2- حديث ابن عباس, رضي الله عنهما:

.1224

101 (2) برقم 5630.

102 (3) فيض القدير 4 / 365.

103 (4) برقم 3823, وانظر: شرح الأذكار 3 / 246, والتبيان ص 85, وكشف الخفاء 2 / 73.

104 (5) برقم 1224.

105 (6) شعب الإيمان 1 / 355 / ب, نسخة نور عثمانية.

106 (7) 1 / 743.

107 (8) برقم 8183.

108 (9) فيض القدير 5 / 523.

109 (10) برقم 5267.

عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((من قرأ - يعني القرآن - حتى ختمه, كانت له دعوة مستجابة, معجلة أو مؤخرة)).
رواه ابن عدي[110], والبيهقي من حديث طويل[111], وقد فات كلاً من: القرطبي[112], والنووي[113], وابن علان[114]: مخرجه. ومدار سنده عند: ابن عدي, والبيهقي على: حفص بن عمر حكيم, الملقب بالكفْر, وهو: واهي الحديث, كما يعلم ذلك من ترجمته في ((الميزان))[115]. و((لسانه))[116], فلا يعتبر بحديثه. والله أعلم.
● **تنبيه:** عند القرطبي ومن بعده بلفظ ((معجلة أو مدخرة)) والذي عند: ابن عدي, والبيهقي بلفظ ((معجلة أو مؤخرة)).
3- عن جابر, رضي الله عنه:
أن رسول الله ﷺ قال: ((إن لقارئ القرآن دعوة مستجابة فإن شاء صاحبها تعجلها في الدنيا, وإن شاء أخرها إلى الآخرة)). رواه ابن مردويه في: التفسير. كما في ((الجامع الصغير))[117] و((ضعيفه))[118], وقالا عنه: ضعيف.
وتفسير ابن مردويه في حكم المفقود, لكن الحديث في ((الكامل)) لابن عدي بإسناده[119], وفيه مقاتل بن سليمان: كذبوه وهجروه[120].
4- حديث العرباض بن سارية, رضي الله عنه:
أن النبي ﷺ قال: ((من صلَّى صلاة فريضة فله دعوة مستجابة, ومن ختم القرآن فله دعوة مستجابة)) رواه الطبراني في ((الكبير)) [121].

---

[110] (1) الكامل 2 / 795.
[111] (2) شعب الإيمان 1 / 355 / ب. نسخة نور عثمانية.
[112] (3) التذكار ص 84- 85.
[113] (4) الأذكار مع شرحها 3 / 246.
[114] (5) الأذكار مع شرحها 3 / 246.
[115] (6) 1 / 563.
[116] (7) 2 / 325- 326.
[117] (8) فيض القدير 2 / 506.
[118] (9) 2 / 171 برقم 1918.
[119] (1) الكامل 6 / 2430.
[120] (2) انظر: تقريب التهذيب.
[121] (3) المعجم الكبير 18 / 259 برقم 647.

قال الهيثمي[122]: (وفيه: عبد الحميد بن سليمان, وهو ضعيف) اهـ. وفي ((الجامع))[123], و((ضعيفه))[124], و((شرح الأذكار))[125] قالوا: (ضعيف). وضعفه يتقاعد عن الجابر؛ لأمور اجتمعت في إسناده وهي: أن عبد الحميد بن سليمان هو: الخزاعي أبو عمر المدني الضرير, من رجال الترمذي, وابن ماجه, وكلمة الفصل فيه أنه ضعيف ضعف عدالة[126].

ثم هو من روايته عن أبي حاتم, وقد روى عنه أحاديث منكرة.

---

[122] (4) معجم الزوائد 7 / 172.

[123] (5) برقم 8818.

[124] (6) برقم 5678.

[125] (7) الفتوحات الربانية 3 / 244.

[126] (8) وهـذا ما تحــرر من كلمة النقــاد فيــه, وهــذا بســطها: قــال الحافظ في ((التقريب)): ضعيف, وقـال الـذهبي في ((الكاشـف)): ضـعفوه, وفي ((المغـني)) قال: ضعفوه جداً, وقال في ((تلخيص المستدرك 2 / 164)): قال أبو داود: ((كان غير ثقة)), وفي ((الميزان)) لم يـذكر فيه تعـديلاً. وذكر جرحه عن ابن معين: ليس بثقة, وقال مرة: ليس بشيء, وقال النسائي والدارقطني وغيرهما: ضـعيف. وذكر كلمة أبي داود المتقدمـة. وزاد ابن حجر في ((تهـذيب التهـذيب)) - قـول النسـائي أيضاً: ليس بثقة, وقال الأسدي: ضعيف, وقال يعقوب بن سليمان: لم يكن بـالقوي في الحــديث. وذكــره في: بــاب من يــرغب عن الرواية عنهم كما في ((المعرفة والتاريخ 3 / 43- 44)). وذكر قول الإمام أحمد: ما كان أرى به بأساً وكان مكفوفاً. وقـــول ابن عـــدي: وهو ممن يكتب حديثـــه. وفي: أجوبة أبي زرعة على أســئلة البرذعي قال 2 / 421: (قلت: زكريا ابن منظور؟ قال: واهي الحديث. قلت: عبد الحميد بن سليمان؟ قال: وعبد الحميد أيضاً, كأنه يقـول: واهٍ) اهــ. وقـال الهيثمي عنه في الأحـاديث الـتي من طريقه كما في ((مجمع الزوائـد)) 1 / 155 قـال: ضعيف. وقال في 4 / 49: ضعيف وقد وثق. وقال في: 4 / 297: ضعيف, وقال في: 5 / 132: ضعيف, وقـال في 8 / 194: وثقه أبو داود وغـيره, وضـعفه ابن معين وغيره. وقال في 10 / 313: ضـعيف. وفي ((فيض القـدير)) للمنـاوي 1 / 243 قال: قـال أبو داود: غـير ثقـة, وفي 4 / 531: ذكر تضـعيف الـذهبي له في حديث: قيدوا العلم بالكتاب. وقد شهر به هذا الحـديث. هـذه كلمة النقـاد في: عبد الحميد, وفي أحاديث رويت من طريقه, ومنه يتضح ما يلي:

1- أن الجل - أو الكل - على تضعيفه.

2- إشارة أبي زرعة إلى أنه: واه.

3- أن قول الهيثمي ((وثقه أبو داود وغيره)): لم نر من حكى هذا عن أبي داود, والمنقول عنه أنه قال فيه: ((غير ثقة)) فلعل الهيثمي تجاوز نظـره كلمة ((غـير)). والله أعلم.

4- أن ما يشير إليه الهيثمي من قوله: ((وقد وثق)) هو والله أعلم يشير إلى قول الإمـام أحمـد, وابن عـدي. وتقـدم لفظهمـا. وهـذان ليسا من ألفـاظ التوثيـق, بل يُشعران بالضعف. وهما نهاية ما تم الوقوف عليه في ترجمته تعـديلاً. وإليك البيـان عن هذين اللفظين.

((يكتب حديثه)):

قالها ابن عدي في: عبد الحميد, وقد أدخله الذهبي في ((الميزان)) وهو موضوع للمنتقدين من الرواة, وقد ذكر في مقدمته 1 / 4: أنه لم يدخل فيه من قيل فيه .

ثم إن أبا حازم -واسمه: سلمة بن دينار- رواه عن العرباض بن سارية رضي الله عنه, ولم يسمع منه؛ إذ أن أبا حازم لم يسمع من أحد من الصحابة رضي الله عنهم سوى: سهل بن سعد رضي الله عنه كما صرح بذلك ابن أبي حازم عندما سئل[127]: (سمع أبوك من أبي هريرة رضي الله عنه؟ فقال للسائل: من حدثك أن أبي سمع واحداً من أصحاب النبي غير سهل بن سعد فلا تصدقه) اهـ.

وأمر رابع أن: الفضل بن هارون, شيخ الطبراني: مجهول الحال[128]. فصار هذا الحديث لا يعتبر به. والله أعلم.

5- حديث ابن مسعود, رضي الله عنه:

. . أو: يكتب حديثه؛ لعدم دلالتها على الضعف المطلق. لكن إدخاله لعبد الحميد وقد قال فيه ابن عدي ((يكتب حديثه)) دال على أن اصطلاحه أن هذا من الضعف المطلق؛ كالشأن فيها عند ابن معين, كما قاله في ترجمة: إبراهيم بن هارون: (قال ابن معين: ((يكتب حديثه)) قال ابن عدي: معنى قول ابن معين ((يكتب حديثه)): أنه من جملة الضعفاء) اهـ. فابن عدي إذاً لم يوثقه. والله أعلم.

((ما كان أرى به بأساً)).

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله تعالى- في ترجمة ((عبد الحميد)) من ((التهذيب)): قال أحمد: ((ما كان أرى به بأساً, وكان مكفوفاً)). اهـ. وابن حجر -رحمه الله تعالى- اختصرها, وهذا نصها بتمامها من ((تاريخ بغداد)) 11 /ـ 61 بسنده إلى أبي داود سليمان بن الأشعث السجزي قال: (قلت لأحمد بن حنبل: عبد الحميد بن سليمان, هو أخو فليح؟ قال: نعم. قلت لأحمد: فليح أليس أكبر منه؟ قال: بلى, بكثير. قلت لأحمد: كيف حديث عبد الحميد؟ قال: لا أدري, إلاَّ أنه ما كان به بأساً وكان مكفوفاً, وكان ينزل مدينة جعفر). اهـ. فالإمام أحمد -رحمه الله تعالى- يقول في حديثه ((لا أدري)) وهي العزيمة من قوله, وما بعدها رأي. وأقرانه قد جزموا بالتضعيف, على أن هذا اللفظ ((ما كان أرى به بأساً)) كما في فتح المغيث 1 /ـ 340, وهو آخر مراتب التعديل؛ لما يُشعر به من الضعف, فهل يعتبر بحديث من قيلت فيه هنا -عبد الحميد بن سليمان- أم لا؟. وقد قال الإمام أحمد -رحمه الله تعالى- في أبي واقد صالح بن محمد بن زائدة المدني, كما في ((التنكيل)) 2 /ـ 105- 106: ((ما أرى به بأساً)). وقد ضعفوه في روايته, منهم: ابن معين, وابن المديني, والنسائي, وأبو داود, وقال البخاري: منكر الحديث. وفي التقريب قال: ((ضعيف)). والحاصل عن هاتين الكلمتين أنه اعتراهما ما ذكر من دلالة الأولى على: الضعف المطلق, وكلمة ((لا أدري)) في الثانية. وأن اختبارهما بالجمع بينهما وبين كلمة أئمة النقد الآخرين, إذ قال ابن معين, والنسائي: ليس بثقة. وقال ابن معين أيضاً: ليس بشيء. ومعناهما الضعف الشديد النازل إلى درجة الترك.

وفي ((تاريخ بغداد 11 / 62)) ساق الخطيب بسنده عن ابن المديني قوله: (ليس بشيء, وروى عن أبي حازم أحاديث منكرة). اهـ.

وحديثه هنا عند الطبراني عن أبي حازم, فاستقر حديثه هنا لحاله, ولأنه من روايته عن أبي حازم- الجادة: الترك, فلا يعتبر به في هذا الحديث. والله أعلم.

127 ([1]) جامع التحصيل للعلائي ص 227.

128 ([2]) انظر تاريخ بغداد 12 / 372.

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (من ختم القرآن فله دعوة مستجابة), وكان عبد الله إذا ختم جمع أهله ثم دعا وأمّنوا على دعائه.

أخرجه: ابن الضُّرَيْس[129], وأبو عبيد القاسم بن سلام[130]. بإسناد منقطع عندهما: قال: ابن الضريس: (أخبرنا أحمد, ثنا محمد. قال: أنبا النضر بن محمد العبدي, ثنا هشيم بن بشير, عن العوام بن حوشب, قال: أحسبه عن إبراهيم التيمي عن عبد الله بن مسعود . . .).

وقال أبو عبيد: (حدثنا هشام, قال: أخبرنا العوام, قال هشام: أحسبه عن إبراهيم التيمي, قال: قال عبد الله بن مسعود . . .). ولذا قال الحافظ ابن حجر: (أخرجه: أبو عبيد. وابن الضريس, بسند فيه انقطاع). اهـ.

6- أثر مجاهد بن جبر:

عن الحكم بن عتيبة, قال: كان مجاهد, وعبدة بن أبي لبابة, وناسٌ؛ يعرضون المصاحف فلما كان اليوم الذي أرادوا أن يختموا أرسلوا إليَّ, وإلى سلمة بن كهيل, فقالوا: إنا كنا نعرض المصاحف فأردنا أن نختم اليوم فأحببنا أن تشهدونا, فإنه كان يقال: إذا ختم القرآن نزلت الرحمة عند خاتمته, أو حضرت الرحمة عند خاتمته.

رواه: ابن أبي شيبة واللفظ له[131], وأبو عبيد[132], وابن الضُّرَيْس[133], وابن أبي داود[134], والفريابي[135], والدارمي[136].

ورواه مختصراً: ابن أبي شيبة[137], والبيهقي[138], والفريابي[139], بسندهم إلى مجاهدٍ قال: (الرحمة تنزل عند ختم القرآن) ورواه سعيد بن منصور في سننه 105 / ب بلفظ: (من ختم القرآن أعطي دعوة لا ترد) وفي سند سعيد لهذا الأثر: أبو أمية, وهو عبد

---

[129] (3) فضائل القرآن - مخطوط 1 / 74 / ب.

[130] (4) فضائل القرآن - مخطوط 8 / ب.

[131] (1) المصنف برقم 10089.

[132] (2) فضائل القرآن 8 / أ مخطوط.

[133] (3) فضائل القرآن - 1 / 75 / أ مخطوط.

[134] (4) عزاه إليه النووي في: التبيان ص125, والأذكار مع شرحها 3 / 245. ولم أره في: كتاب المصاحف المطبوع لكن ابن القيم في ((جِلاء الأفهام ص242)) عزاه إلى كتاب ((فضائل القرآن لابن أبي داود)).

[135] (5) فضائل القرآن برقم 88, 89, 90, 91, 92.

[136] (6) السنن 2 / 470.

[137] (7) المصنف برقم 10091.

[138] (8) في شعب الإيمان 1 / 352 / أ مخطوط.

[139] (9) فضائل القرآن برقم 87.

الكريم بن أبي المخارق: ضعيف. وأشار الحافظان: النووي[140], وابن حجر[141], إلى أن أسانيده صحيحة موقوفاً. والله أعلم.

7- عن أبي أمامة, رضي الله عنه, قال:

إن النبي قال: ((إذا ختم أحدكم فليقل: اللهم آنس وحشتي في قبري)). رواه الحاكم في: تاريخه[142], وعنه: الديلمي[143], وقد قصَّر السيوطي في: الجامع الصغير, فعزاه للديلمي, ورمز لضعفه[144], وتابعه في: ضعيف الجامع, وقال: موضوع[145]. وأما ابن عراق فرمزه للحاكم وقال[146]: (وفيه الجويباري) اهـ. وهو: أحمد بن عبد الله, الكذاب. ومن طريف كذبه المكشوف أنه لما سمع الاختلاف في سماع الحسن من أبي هريرة رضي الله عنه قال: حدثنا فلان . . . عن النبي أنه قال: سمع الحسن من أبي هريرة. كما في ترجمته من ((الميزان)).

وقال المناوي[147]: (رواه عنه الحاكم في: تاريخه, ومن طريقه: أورده الديلمي, فكان ينبغي للمصنف عزوه له لكونه الأصل. ثم إن فيه: ليث بن محمد, قال الذهبي في ((الضعفاء)): قال ابن أبي شيبة: متروك. وسالم الخياط, قال يحيى: ليس بشيء) اهـ. وقال الشوكاني[148]: (في إسناده وضّاع) اهـ. وقد علم أن العزوَ للحاكم في تاريخه مُعْلِمٌ بضعفه, كما في مقدمة: جمع الجوامع, وعنه في: كنز العمال.

8- زر بن حبيش, عن علي بن أبي طالب, رضي الله عنه:

قال زر: قرأت القرآن من أوله إلى آخره على عليّ بن أبي طالب, فلما بلغت الحواميم . . . إلى أن قال: ثم رفع علي رأسه إلى السماء وقال: يا زر, أمّن على دعائي, ثم قال: اللهم أني أسألك إخبات المخبتين . . . يا زر: إذا ختمت فادع بهذه, فإن حبيبي رسول الله أمرني أن أدعو بهن عند ختم القرآن.

---

140 (10) التبيان ص125, والأذكار مع شرحها 3 / 345.

141 (11) بواسطة شرح الأذكار 3 / 345.

142 (1) انظر: تنزيه الشريعة لابن عراق 1 / 299, وفيض القدير 1 / 333 برقم 571.

143 (2) كما في الجامع الصغير.

144 (3) برقم 571. 1 / 333.

145 (4) برقم 567.

146 (5) تنزيه الشريعة 1 / 299. وانظر: المنار لابن القيم ص15.

147 (6) فيض القدير 1 / 333. رقم 571.

148 (7) الفوائد المجموعة ص310.

رواه ابن النجار[149]. والسيوطي في: جمع الجوامع, وعنه المتقي في: كنز العمال, يعزوان إليه في: ذيل تاريخ بغداد.
وقد علم من مقدمة هذين الكتابين أن العزو إليه معلم بالضعف, وقد تتبعته في: ذيل تاريخ بغداد لابن النجار, المطبوع منه؛ فلم يتم الوقوف عليه فيه, فالله أعلم.

9- وعن أبي هريرة, رضي الله عنه:

قال: كان رسول الله ﷺ إذا ختم القرآن دعا قائماً.
أخرجه ابن مردويه[150], وذكره الغافقي في ((فضائل القرآن))[151] ولم يذكر مخرجه, وهذه عادته في كتابه هذا.

10- مرسل علي بن الحسين, قال:

كان ﷺ إذا ختم القرآن: حمد الله بمحامد, وهو قائم, ثم يقول: ((الحمد لله رب العالمين, والحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون . . .)) إلى آخر الدعاء مطولاً.
رواه البيهقي في: شعب الإيمان[152] بسنده إلى على بن الحسين يرسله إلى النبي ﷺ. ثم قال: (وهذا حديث منقطع, وإسناده ضعيف, وقد تساهل أهل الحديث في قبول ما روي من الدعوات, وفضائل الأعمال, ما لم يكن من رواية من يعرف بوضع الحديث, والكذب في الرواية) اهـ.
وفي سنده: عمرو بن شَمِر, رمي بالكذب والرفض[153], وفيه أيضاً: جابر الجعفي, شيعي, والكلام فيه مشهور.

11- معضل داود بن قيس:

أن النبي ﷺ كان يدعو عند ختم القرآن: ((اللهم ارحمني بالقرآن, واجعله لي إماماً, ونوراً, وهدى ورحمةً, اللهم ذَكِّرْني منه ما نسيت, وعلّمني منه ما جهلت, وارزقني تلاوته آناء الليل, واجعله لي حجة يا رب العالمين)).

---

149 ([1]) كنز العمال 2 / 352- 353.
150 ([2]) الدر المنثور للسيوطي 8 / 698.
151 ([3]) فضائل القرآن للغافقي: باب ما جاء في الدعاء عند ختم القرآن, وأن رسول الله ﷺ كان يدعو إذا ختم القرآن وهو قائم. مخطوطة المكتبة البلدية في الإسكندرية. والغافقي هو: أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الواحد, م سنة 619هـ.
152 ([4]) 1 / 354 / أ وانظر: فضائل القرآن للغافقي. ولم يذكر مخرجه. مخطوط, وكنز العمال 2 / 349- 351. وعمل اليوم والليلة للسيوطي ص81. والدر المنثور للسيوطي 8 / 698.
153 ([5]) الميزان 3 / 268.

ذكره الغزالي في: الإحياء[154], ولما ترجمه السبكي في: الطبقات[155] ساق الأحاديث التي لم يجد لها إسناداً في: الإِحياء, وذكر منها هذا الحديث[156].

لكن في تخريج العراقي لأحاديث الإِحياء قال[157]: (رواه أبو منصور المظفر بن الحسين الأرجاني, في: فضائل القرآن, وأبو بكر بن الضحاك في: الشمايل, كلاهما من طريق أبي ذر الهروي, من رواية: داود بن قيس, معضلاً) اهـ.

والزركشي في ((البرهان))[158] عزاه للبيهقي في ((الدلائل)), ولم أره في كتاب الدلائل المطبوع عام 1405هـ وذكره الغافقي في: فضائل القرآن ولم يذكر مخرجه كعادته. مخطوط. فالله أعلم.

12- عن ثابت البناني, وقتادة, وابن عطية, وغيرهم:

أن أنس بن مالك رضي الله عنه: كان إذا ختم القرآن جمع أهله وولده فدعا لهم. رواه: ابن المبارك[159], وابن أبي شيبة[160], وابن نصر[161], وأبو عبيد[162], وابن الضريس[163], وابن أبي داود[164], والفريابي[165], والدارمي[166], وسعيد بن منصور[167], والطبراني[168], والأنباري[169], قال الهيثمي: في سند الطبراني[170]: (رجاله ثقات) اهـ. وقال ابن عَلان في رواية ابن أبي داود[171]: (بإسنادين صحيحين)

---

154 (1) 1 / 278.
155 (2) 6 / 286- 386.
156 (3) 6 / 301.
157 (4) 1 / 278.
158 (5) 1 / 475.
159 (6) الزهد برقم 809.
160 (7) المصنف برقم 1087
161 (8) كما في: مختصر قيام الليل للمقريزي ص109.
162 (9) فضائل القرآن 8 / ب.
163 (10) فضائل القرآن 1 / 74 / ب.
164 (1) في: المصاحف, كما في: شرح الأذكار 3 / 244.
165 (2) فضائل القرآن. برقم 83, 84, 85, 86. بتحقيق يوسف جبريل.
166 (3) السنن 2 / 468, 469.
167 (4) السنن 105 / ب مخطوط.
168 (5) برقم 674, وانظر: مجمع الزوائد 7 / 172, وشرح الأذكار 3 / 244.
169 (6) بواسطة: تفسير القرطبي 1 / 26. والأنباري هو: أبو بكر محمد بن القاسم البغدادي المحدث النحوي م سنة 328هـ. له: كتاب المصاحف. كما في: الرسالة المستطرفة ص79.
170 (7) مجمع الزوائد 7 / 172.
171 (8) شرح الأذكار 3 / 244.

وقال الألباني في: رواية الدارمي[172]: (سنده صحيح) اهـ.
أي أحد إِسناديه, أما الثاني عنده, ففيه: صالح بن بشير المري, وهو متروك. ولفظه[173]: (كان أنس بن مالك إِذا أشفى على ختم القرآن بالليل بَقَّى منه شيئاً حتى يصبح, فيجمع أهله فيختمه معهم).
وفيه صالح بن بشير المري: زاهد ضعيف, كما في: التقريب, وقال الذهبي: متروك[174].

---

172 (9) من تعليقه على كتاب: لفتة الكبد ص7.
173 (10) سنن الدارمي 2 / 469.
174 (11) تلخيص المستدرك 1 / 569.

ولما كان صالحاً المري الزاهد, م سنة 176هـ - وقيل غيرها - تدور عليه أسانيد جملة في هـذا البـاب, رأيت تحرير كلمة الفصل فيـه, بتتبع الكلمة فيـه, وفي الأحاديث التي يعترض أسانيدها صالحٌ هذا. وعليه: فاعلم أنه من رجال الترمذي في حديث الحال المرتحل, وحديث التنازع في القدر, ولم يرو له بقية الجماعة شيئاً.

وأن عامة ما يرويه في أحاديث الفضائل سوى رواية واحدة في مدة النفساء, ولهـذا ليس له ذكر في: نصب الراية ولا ((التلخيص الحبـير)) ونحوهما من كتب التخريج لأحاديث الأحكام.

وهذه مواطن أحاديثه في كتب السنَّة والموضوعات: مستدرك الحاكم 1 / 493, 569, اللآلئ المصنوعة 2 / 123, 460, مشكاة المصابيح 1 / 26, العلو للذهبي ص60, مجمع الزوائد 1 / 51, 281, 296- 2 / 6, 23, 460- 3 / 123- 6 / 119- 10 / 214, فيض القدير للمناوي 1 / 229, 429- 2 / 314, 372- 3 / 552- 6 / 49, أسباب ورود الحديث للحسيني 1 / 76- 2 / 241, الميزان وعنه: اللسان 5 / 261, موافقة الخُبر الخبر لابن حجر ص60 مخطوط, شرح الإِحياء للزبيدي 1 / 196- 5 / 29, 39- 7 / 504- 8 / 177, 524. تفسير الطبري تعليق شاكر 4 / 194, السلسلة الضعيفة 1 / 214, 309, وهي من رواية أنس رضي الله عنه, وأبي هريرة رضي الله عنه, وابن عباس رضي الله عنهما, وابن عمر رضي الله عنهما, وسلمان رضي الله عنه, وعائذ بن عمرو رضي الله عنه. وحديثه في مدة النفاس رواه الطبراني كما في ((مجمع الزوائد)) للهيثمي 1 / 281. وجميع من ذكر عدا الحاكم - يضعفون الأحاديث المذكورة من طريق صالح المري بأنه: ضعيف, أو: متروك, أو ضعيف متروك. والذي قال عنه متروك هم: ابن الجوزي, والذهبي متعقباً للحاكم, والهيثمي. وقال الترمذي في ((جامعه)) (2 / 19): له غرائب ينفرد بها لا يتابع عليها.

وفي كتب الرجال من التهذيب, وفروعه, والميزان, واللسان ونحوهما, لم يذكروا فيه كلمة تعديل, سوى رواية لعباس الدوري عن يحيى بن معين أنه لا بأس به, وفي رواية أخرى قال عنه: ضعيف. وفي ثالثة قال: ليس بشيء. وقال البخاري والفلاس: منكر الحديث, وقال النسائي: متروك. وهكذا في كلمات النقاد التي تفيد أنه من العبّاد, لكن أحاديثه مناكير؛ فَتُرِكَ من أجلها. وللهيثمي كلمة جامعة فيه فقال في ((المجمع 1 / 281)): (وفيه: صالح بن بشير المري, وهو ضعيف, ولم يوثقه أحد, إلاَّ ما رواه عباس عن يحيى بن معين: أنه لا بأس به, وروى غيره عن ابن معين وغيره: أنه ضعيف متروك) اهـ.

فهو متروك الحديث مع صلاحه وزهادته, والمتروك لا يعتبر بحديثه في باب

● **تنبيه:** لما ذكر ابن الحاج ما يحصل ليلة الختم من البدع, ومنها الاختلاط, قال[175]: (فإن قيل: أليس قد روى عبد الرزاق في: التفسير: أن أنس بن مالك رضي الله عنه كان إذا أراد أن يختم جمع أهله؟ قلنا: هذا هو الحجة عليكم . . . وأيضاً: فإنه ما روي أنه دعا, وإنما جمع أهله فحسب) اهـ.

ورواية ((فدعا)), ثابتة كما تقدم, والله أعلم.

13- **عن أنس بن مالك, رضي الله عنه:**

قال: كان رسول الله ﷺ إذا ختم جمع أهله ودعا.

رواه: أبو نعيم في ترجمة ((مسعر بن كدام)) وقال[176]: (غريب من حديث مسعر بن كدام) اهـ. ورواه البيهقي في ((شعب الإِيمان)) بسنده عن أبي نعيم به, ثم قال[177]: (رفعه وهم, وفي إسناده مجاهيل, والصحيح رواية ابن المبارك عن مسعر موقوفاً على أنس) اهـ. ورواه ابن النجار[178].

وقال الحافظ ابن حجر[179]: (وفي سنده من يضعف, أو يجهل, والصحيح: الموقوف عن أنس) اهـ. وقد فات السيوطي[180], ومِنْ بَعْدِهِ: الفتني[181], عَزْوُهُ إِلى: أبي نعيم, والبيهقي, واقتصروا على عزوه إِلى: ابن النجار, ومعلوم أن العزو إليه كالعزو إلى أصله ((تاريخ بغداد)): يُعْلِمُ بالضعف[182].

14- أثر ابن عباس, رضي الله عنهما:

الشواهد ولا المتابعات, وهذا يتفق مع ما قرره العلامة الألباني في ((الضعيفة 1 / 214_ 309)), خلاف ما قـرره في تعليقه على ((مشـكاة المصـابيح 1 /_ 36 رقم 98)) فإنه اعتبر به؛ فليصحح, وهذا لا يُشغب به على أهل العلم, كالحـال في تعـدد الروايـات عن الإِمـام الواحد في الفقهيـات, وفي رتبة الحـديث الواحـد, وكـذا في منزلة الراوي, وللحافظين الذهبي, وابن حجـر, في هـذا شـيء غـير قليل يُعْلَمُ من المقابلة بين: الكاشف والمغــني كلاهما للــذهبي, وبين التقــريب والتلخيص والفتح ثلاثتها لابن حجر. والأعـذار في هـذا مبسـوطة. وانظـر: ((رفع الملام)) لابن تيميـة, لكن هذا يوافق لدى المبتدعة شهوة يعالجون بها كمد الحسـرة من ظهـور السـنة, ولهم في الإِيــذاء وقــائع مشــهودة على مر التــاريخ لكنها تنتهي بخــذلانهم. والله الموعد.

175 (1) المدخل 2 / 297.

176 (1) الحلية 7 / 260.

177 (2) شعب الإيمان 1 / 352 / أ.

178 (3) كنز العمال 2 / 349. ولم نره في ذيل ابن النجار المطبوع.

179 (4) شرح ابن علان على الأذكار 3 / 245, 247.

180 (5) كنز العمال 2 / 394.

181 (6) كنز العمال 2 / 394.

182 (7) كنز العمال 1 / 10- 11.

عن قتادة قال: كان رجل يقرأ في مسجد المدينة, وكان ابن عباس قد وضع عليه الرَّصد, فإِذا كان يوم ختمه قام فتحول إليه.
رواه: أبو عبيد[183], وابن الضريس[184], وابن أبي داود[185], والدارمي[186]. وقد ذكره القرطبي في ((التذكار))[187] وفاته مخرجه, واقتصر النووي في ((التبيان))[188] على عزوه إلى: الدارمي, وابن أبي داود. وفي سنده عند من أخرجه: صالح بن بشير المري, وهو متروك الحديث, كما تقدم.
ورواية قتادة عن ابن عباس منقطعة. والله أعلم.

الخـلاصـة

يتنقّح مما تقدم أن الأحاديث المرفوعة والآثار عن الصحابة رضي الله عنهم في دعاء ختم القرآن, على ما يلي:
● **أولاً:** أحاديث وآثار تفيد أن الدعاء عند ختم القرآن من مواطن الإِجابة, وهي من رواية: أنس رضي الله عنه من طريقين, في كل منهما ((وضّاع)). وعطاء عن ابن عباس وإسناده واهٍ. وعن جابر وفي سنده مَنْ كذّبوه. والعرباض وفي سنده متروك الحديث, وآخر مجهول مع إعلاله بالانقطاع.
وقول ابن مسعود رضي الله عنه موقوفاً عليه, وفي سنده انقطاع.
وقول التابعي: مجاهد رحمه الله تعالى: (الرحمة تنزل عند ختم القرآن) وهو أثر مقطوع, من قوله بأسانيد صحيحة. وعليه فليس منها حديث يصح عن النبي ﷺ, فهي ما بين موضوع أو ما يتقاعد عن الجابر. ولم يصح سوى قول مجاهد, رحمه الله تعالى.
● **ثانياً:** أحاديث أفادت أدعية نبوية عقب الختم, وهي: حديث أبي أمامة رضي الله عنه وفي سنده وضّاع, وحديث أبي هريرة لم يعلم مخرجه, وحديث على بن الحسين مرسل مع ما فيه ممن رمي بالكذب والرفض, وحديث داود بن قيس: معضل, وحديث زر بن حبيش عن علي: رواه ابن النجار في ((ذيل تاريخ بغداد)) ولم نره في المطبوع منه, والعزو إِليه معلم بالضعف, كما تقدم.

---

[183] (8) فضائل القرآن 8 / أ. وعنه في: شرح الأذكار 3 /ـ 243, وجلاء الأفهام ص 278- 279, ومقاصد النظر للبقاعي 1 / 366.
[184] (9) فضائل القرآن 1 / 75 / أ. وعنه في: شرح الأذكار 3 / 243.
[185] (10) في كتاب الشريعة له كما في: شرح الأذكار 3 / 243.
[186] (11) السنن 2 / 468.
[187] (1) ص 79.
[188] (2) ص 126

● **ثالثاً:** الرواية في حضور الأهل والأولاد للختم: ثابتة من فعل الصحابي الجليل أنس رضي الله عنه, وروايته له مرفوعاً لا تصح, وأثر ابن عباس رضي الله عنهما مُعلٌّ بالانقطاع وفي سنده متروك. ولعله لما كانت الرواية في هذا الباب لا يثبت منها شيء في المرفوع إِلى النبي , وقد خلت منها دواوين الإِسلام المشهورة كالستة, والموطأ, ومسند أحمد - تَنَكَّبَ المؤلفون في الأحكام ذِكْرَ هذا الباب بالكلية, أمثال: ابن دقيق العيد في ((الإِلمام)) والمجد في ((المنتقى)), وابن حجر في ((البلوغ)), وغيرهم, لا يعرجون على شيء من ذلك. والله أعلم.

الفصل الثاني

بيانهما في كلام الفقهـاء:

لم أرَ من كلام الأئمة: أبي حنيفة, ومالك, والشافعي, رحمهم الله تعالى في مشروعية دعاء ختم القرآن, داخل الصلاة أو خارجها, شيئاً يؤثر, مع عظيم مقامهم في التعبد, وصدق اللهج, لا سيما قراءة القرآن, وختمه مرة بعد أخرى, وقد ورد في هذا عن السلف العجب العجاب, مما به تعلم أنهم أوتوا العلم والعمل رحمهم الله تعالى[189], وفي بعض هذا المروي ما يستحيل وقوعه كختم القرآن بين العشائين, وقد علم أن المنقولات إنما تعرف صحتها بالأسانيد الثابتة, وعدم الاستحالة العقلية للمروي[190]. نعم لمتأخري الحنفية: استحسان الدعاء عقب الختم فلا يمنع منه, كما في

189 ([1]) انظر جملة من المروي في هذا في كتابي النووي: التبيان والأذكار مع شرحها وكتاب فضائل القرآن لابن كثير ص 172- 177. وكتاب إقامة الحجة للّكنوي.

190 ([2]) انظر هذا المبحث محرراً في: الكفاية للخطيب ص 602- 603, ومنهاج السنَّة النبوية لابن تيمية 2 /ـ 123,ـ 129. وشــرح العلل لابن رجب ص 205,ـ 206, والنكت لابن حجر 2 / 845. والأنوار الكاشفة للمعلمي. رحم الله الجميع.

((فتاوى قاضي خان))[191] وغيره, وعنه في ((شرح شرعة الإسلام))[192].
ولمتأخري المالكية: استحباب الدعاء عند الختم, كما في ((التَّذْكَار)) للقرطبي[193]. وعند متأخري الشافعية: استحباب الدعاء عند الختم, كما في ((التِّبْيان))[194], و((الأذكار)) للنووي[195], و((حاشية الباجوري))[196] وغيرها.
وما استحبه المتأخرون في هذه المذاهب الثلاثة هو في ((مطلق الدعاء)), أما في الصلاة فلم أرَ من ذكره منهم سوى النووي رحمه الله تعالى في حق منفرد؛ إذ قال[197]: (يستحب - للقارئ وحده - أن يكون في الصلاة, وأنه قيل: يستحب أن يكون في ركعتي الفجر, وركعتي سنَّة المغرب, وفي ركعتي سنَّة الفجر أفضل).
ونحوه في ((الأذكار)) وزاد فيها[198]: (يستحب الدعاء عند الختم استحباباً متأكداً شديداً, لما قدمناه[199], ولأثر حميد الأعرج[200]: (من قرأ القرآن ثم دعا؛ أمَّن على دعائه أربعة آلاف ملك) اهـ.
وقال ابن قدامة الحنبلي, م سنة 620هـ رحمه الله تعالى[201]: (وقال بعض أهل العلم: يستحب أن يجعل ختمة النهار في ركعتي الفجر أو بعدهما, وختمة الليل في ركعتي المغرب أو بعدهما, يستقبل بختمه أول الليل وأول النهار) اهـ.
لكن لم يذكر أنه يدعو, ولعلّه مراد. والله أعلم.
أما في مذهب الإمام مالك رحمه الله تعالى ففي ((المستخرجة)) عن ابن القاسم قال[202]: (سُئل مالك عن الذي يقرأ القرآن

---

191 (3) بواسطة: شرح شرعة الإسلام ص 73.
192 (4) ص 73 مؤلفه: على زاده, رحمه الله تعالى. طبع عام 1326هـ. بمطبعة إقدام, بدار الخلافة العلية.
193 (5) ص80, 85.
194 (6) ص 126. فائدة لغوية: كلما جاء على وزن (تَفْعَال) فهو بفتح أوله مثله: تَذْكَار, سوى: تِلْقَاء, وتِبْيَان. وقيل بزيادة أحرف سواهما.
195 (7) 3 / 242 مع شرحها.
196 (8) 1 / 122.
197 (1) ص 124.
198 (2) الأذكار مع شرحها 3 / 242, وانظر 3 / 236- 237.
199 (3) ما قدمه من أدلة المشروعية للدعاء بعد الختم: بعض ما تقدم ذكره في هذا الجزء مع بيان حاله ومرتبته.
200 (4) سيأتي في آخر هذا الفصل أنه ضعيف الإسناد.
201 (5) المغني مع الشرح الكبير 1 / 803.
202 (6) بواسطة: المدخل لابن الحاج 2 / 299.

فيختمه, ثم يدعو؟ قال: ما سمعت أنه يدعو عند ختم القرآن, وما هو من عمل الناس) اهـ.
وقال شارحها ابن رشد في ((البيان والتحصيل)): (الدعاء حسن, ولكنه كره ابتداع القيام له عند تمام القرآن, وقيام الرجل مع أصحابه لذلك عند انصرافهم من صلاتهم, واجتماعهم لذلك عند خاتمة القرآن, كنحو ما يفعل بعض الأئمة عندنا من الخطبة على الناس عند الختمة, في رمضان, والدعاء فيها, وتأمين الناس على دعائه, وهي كلها بدع محدثات لم يكن عليها السلف) اهـ.
وهذا صريح من المالكية من أنهم إذا ختموا في الصلاة يدعون خارجها, وكرهوا ما يحف بذلك من المحدثات كالخطبة والقيام . . . فتأمله.
وفي ((مختصر ما ليس في المختصر)) قال[203]: (قال مالك: لا بأس أن يجتمع القوم في القراءة عند من يقرئهم, أو يفتح كل واحد منهم فيما يقرأ, قال: ويكره الدعاء بعد فراغهم) اهـ. وفي ((المدونة)) قال[204]: (ليس ختم القرآن في رمضان بسنَّةٍ للقيام).
في مذهب الإمام أحمد, رحمه الله تعالى:
وأما في مذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى ففيه عنه في مشروعية الدعاء عقب الختم - روايات يذكرها علماء المذهب, رواها حرب, وأبو الحارث, ويوسف بن موسى, وحنبل, والفضل بن زياد, والحربي, وسابعة في ((الفائق)), وثامنة في ((الإنصاف)). ورواية لعُبْدوس بن مالك العطار, في خصوص التقيد بالوارد في دعاء القنوت. وهذه الروايات في موضوعاتها على ثلاثة أقسام:
● **الأول:** رواية حرب, وأبي الحارث, ويوسف بن موسى, في مطلق الدعاء وجمع الأهل والأولاد. وقد ساقها ابن القيم رحمه الله تعالى فقال[205]: (وقد نص الإمام أحمد رحمه الله تعالى على الدعاء عقيب الختمة, فقال في رواية أبي الحارث[206]: كان أنس إذا ختم القرآن جمع أهله وولده. وقال - أي الإمام أحمد - في رواية يوسف بن موسى, وقد سُئل عن الرجل يختم القرآن فيجتمع إليه قوم فيدعون, قال: نعم, رأيت معمراً يفعله إذا ختم.

---

203 (1) بواسطة: المدخل لابن الحاج 2 / 299.
204 (2) 1 / 194, وانظر: إعلام السنن 7 / 65, والجراب الجامع, لعبد الصمد كنون ص 216.
205 (3) جِلاء الأفهام ص 288. الموطن السابع عشر من مواطن الصلاة عليه ﷺ: عقيب ختم القرآن.
206 (4) هذه في ((المغني)) 1 / 803.

وقال في رواية حرب: (أستحب إذا ختم الرجل القرآن أن يجمع أهله ويدعو) اهـ. وقال ابن قدامة رحمه الله تعالى[207]: (فصل: ويستحب أن يجمع أهله عند ختم القرآن وغيرهم لحضور الدعاء, قال أحمد: كان أنس إذا ختم القرآن جمع أهله وولده, روي ذلك عن ابن مسعود[208] وغيره. ورواه ابن شاهين مرفوعاً إلى النبي) اهـ[209].

وقال صالح بن أحمد بن حنبل: (كان أبي يختم من جمعة إلى جمعة, فإذا ختم يدعو ونؤمِّن)[210].

● **القسم الثاني:** رواية حنبل, والفضل بن زياد, والحربي, ورابعة في ((الفائق)) في دعاء الختم في التراويح قبل الركوع, أما رواية حنبل والفضل, فقال ابن قدامة رحمه الله تعالى[211]: (فصل: في ختم القرآن. قال الفضل بن زياد: سألت أبا عبد الله فقلت: أختم القرآن, أجعله في الوتر, أو في التراويح؟ قال: اجعله في التراويح حتى يكون لنا دعاء بين اثنين. قلت: كيف اصنع؟ قال: إذا فرغت من آخر القرآن فارفع يديك قبل أن تركع وادع بنا ونحن في الصلاة وأطل القيام. قلت: بم أدعو؟ قال: بما شئت. قال: ففعلت بما أمرني, وهو خلفي يدعو قائماً ويرفع يديه.

قال حنبل: سمعت أحمد يقول في ختم القرآن: إذا فرغت من قراءة: قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ فارفع يديك في الدعاء قبل الركوع, قلت: إلى أي شيء تذهب في هذا؟ قال: رأيت أهل مكة يفعلونه, وكان سفيان بن عيينة يفعله معهم بمكة.

قال العباس بن عبد العظيم: وكذلك أدركنا الناس بالبصرة وبمكة. ويروي أهل المدينة في هذا شيئاً. وذكر عن عثمان بن عفان)[212] اهـ.

وأما رواية إبراهيم الحربي فذكرها القاضي أبو يعلى في ترجمته فقال[213]: (وقال إبراهيم الحربي: سئل أحمد عن الرجل يختم

---

207 (5) المغني مع الشرح الكبير 1 / 803.

208 (1) تقدم برقم / 5, وأن في سنده انقطاع.

209 (2) تقدم برقم / 13, وأن سنده لا يصح لتسلسله بالمجاهيل.

210 (3) سيرة الإمام أحمد لابنه صالح ص 112, ومناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ص 451, وسير أعلام النبلاء للذهبي (11 / 276).

211 (4) المغني مع الشرح الكبير 1 / 802. وانظر: جلاء الأفهام لابن القيم ص 279. والإنصاف للمرداوي 2 / 185.

212 (5) لم أرَ من أسند هذا, مع بالغ التتبع والمباحثة مع عدد من المشتغلين بهذا العلم, فالله أعلم.

213 (6) طبقات الحنابلة لأبي يعلى 1 / 91.

القرآن في شهر رمضان في الصلاة, أيدعو قائماً في الصلاة أم يركع ويسلم ويدعو بعد السلام؟ فقال: لا, بل يدعو في الصلاة وهو قائم بعد الختمة. قيل له: فيدعو في الصلاة بغير ما في القرآن؟ قال: نعم) اهـ.

وأما الرواية الرابعة: فقال المرداوي نقلاً عن ((الفائق)) ولم يذكر مخرجها[214]: (ويُسَنُّ ختمه آخر ركعة من التراويح قبل الركوع, وموعظته بعد الختم وقراءة القرآن, مع رفع الأيدي. نص عليه) اهـ.

● **القسم الثالث:** رواية ذكرها المرداوي في ((الإنصاف)) ولم يذكر مخرجها, من أن الإمام أحمد رحمه الله تعالى سهّل في دعاء الختم في الوتر فقال[215]: (وقيل للإمام أحمد: يختم في الوتر ويدعو؟ فسهّل فيه) اهـ.

فالإمام أحمد رحمه الله تعالى لم يقل باستحباب دعاء الختم في الوتر, بل سهّل فيه. وهذا من فقهه رحمه الله تعالى؛ لأن الوتر يدعى فيه بما يناسب المشروع فيه, لا يدعو المصلي بما خطر له. ودعاء الختم لا يتناسب مع دعاء القنوت, فليس دعاء الختم من جنس المشروع في الوتر. وهكذا في القنوت للنوازل؛ يدعو من الدعاء المشروع بما يناسب سبب القنوت, قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى[216]: (وقد تبين بما ذكرناه أن القنوت يكون عند النوازل, وأن الدعاء في القنوت ليس شيئاً معيناً, ولا يدعو بما خطر له, بل يدعو من الدعاء المشروع بما يناسب سبب القنوت, كما أنه إذا دعا في الاستسقاء دعا بما يناسب المقصود, فكذلك إذا دعا في الاستنصار دعا بما يناسب المقصود, كما لو دعا خارج الصلاة لذلك السبب؛ فإنه كان يدعو بما يناسب المقصود, فهذا هو الذي جاءت به سنَّة رسول الله , وسنَّة خلفائه الراشدين) اهـ.

ودعاء الختم ليس من جنس الدعاء المقصود المشروع في الوتر, لهذا فإن تحول دعاء الختم من آخر ركعة في التراويح إلى الوتر لا يتجه ولا يكون مخرجاً وإن استظهره بعض المعاصرين, ويرد عليه أيضاً ما يرد على المحال منه في أصل المشروعية, مما ستراه محرراً في الخاتمة. والله أعلم.

● **تنبيه:** ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى رواية عبدوس عن الإمام أحمد في حكم الزيارة على الوارد في دعاء القنوت, فقال[217]:

---

214 (1) الإنصاف للمرداوي 2 / 185.
215 (2) الإنصاف 2 / 185.
216 (3) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية 23 / 115.
217 (1) رسالة الصلاة ص 216- 217.

(قال عبدوس بن مالك العطار: سألت أبا عبد الله أحمد بن حنبل, فقلت: إني رجل غريب من أهل البصرة وإن قوماً قد اختلفوا عندنا في أشياء, وأحب أن أعلم رأيك فيما اختلفوا فيه, فقال: سَلْ عما أحْبَبت. قلت: فإن بالبصرة قوماً يقنتون, كيف ترى في الصلاة خلف من يقنت؟ فقال: قد كان المسلمون يصلون خلف من يقنت وخلف من لا يقنت, فإن زاد في القنوت حرفاً أو دعاءً بمثل[218]: (إنا نستعينك, أو: عذابك الجد, أو: نَحْفِد, فإن كنت في الصلاة فاقطعها) اهـ.

وشيخ الإِسلام ابن تيمية النميري رحمه الله تعالى[219]: (سئل عمن يقرأ القرآن العظيم, أو شيئاً منه, هل الأفضل أن يهدي ثوابه لوالديه, ولموتى المسلمين, أو يجعل ثوابه لنفسه خاصة؟

فأجاب: أفضل العبادات ما وافق هدي رسول الله ﷺ وهدي الصحابة, كما صح عن النبي ﷺ أنه كان يقول في خطبته: ((خير الكلام كلام الله, وخير الهدي هدي محمد, وشر الأمور محدثاتها, وكل بدعة ضلالة)).

وقال ﷺ: ((خير القرون قرني ثم الذين يلونهم)). وقال ابن مسعود: من كان منكم مستناً فليستن بمن قد مات؛ فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة, أولئك أصحاب محمد. فإذا عرف هذا الأصل, فالأمر الذي كان معروفاً بين المسلمين في القرون المفضلة, أنهم كانوا يعبدون الله بأنواع العبادات المشروعة؛ فرضها, ونفلها, من الصلاة, والصيام, والقراءة, والذكر, وغير ذلك, وكانوا يدعون للمؤمنين والمؤمنات, كما أمر الله بذلك لأحيائهم, وأمواتهم في صلاتهم على الجنازة, وعند زيارة القبور, وغير ذلك.

وروي عن طائفة من السلف: (عند كل ختمة دعوة مستجابة) فإذا دعا الرجل عقيب الختمة لنفسه, ولوالديه, ولمشايخه, وغيرهم من المؤمنين والمؤمنات؛ كان هذا من جنس المشروع, وكذلك دعاؤه لهم في قيام الليل, وغير ذلك من مواطن الإِجابة) اهـ.

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى[220]: (فصل: الموطن السابع عشر من مواطن الصلاة عليه ﷺ: عقيب ختم القرآن. وهذا لأن المحل محل دعاء, وقد نص الإِمام أحمد . . . فذكر روايات أبي الحارث,

---

218 (2) هـذا هو القنـوت المشـهور بسـورتي أُبي, قنت به عمر رضي الله عنه في النوازل, وانظر في: إرواء الغليل 2 / 170- 172.

219 (3) مجموع الفتاوى 24 / 321- 323. وعنه مختصراً في: حاشية الروض المربع 2 / 207. ونحوه مختصراً في: الاختيارات ص 171.

220 (1) جِلاء الأفهام ص 278- 279.

ويوسف, وحرب, وحنبل, والفضل, وقول عباس بن عبد العظيم, وأثر مجاهد, وحديث ابن مسعود, وأثر ابن عباس, وقد تقدمت جميعها, ثم قال: وإذا كان هذا من آكد مواطن الدعاء وأحقها بالإجابة فهو من آكد مواطن الصلاة على النبي ﷺ) اهـ.
وفي كتاب: لفتة الكبد, لابن الجوزي, قال[221]: فإني لما رُزقت شرف النكاح, وطلب الأولاد, ختمت ختمة. قال الألباني معلقاً على قوله: ختمت ختمة:
(يشير بذلك إلى أن الدعاء بعد ختم القرآن ترجى استجابته, وقد جاء في ذلك آثار كثيرة عن السلف الصالح, منها ما رواه ثابت البناني عن أنس رضي الله عنه فذكره- أخرجه الدارمي بسند صحيح) اهـ.
وفي شرح السفاريني لمنظومة الآداب[222]: ذكر الأوقات التي يستجاب فيها الدعاء, وعد نحواً من ثلاثين وقتاً: (منها: شهر رمضان, وعقب تلاوة القرآن؛ لا سيما الختم) اهـ.

دعاء الختم في السجود:
أخرج البيهقي في ((شعب الإيمان)) عن عبد الله بن المبارك بسنده, قائلاً[223]: (أخبرنا أبو عبد الله الحافظ, أنا أبو بكر الجرجاني, ثنا يحيى بن ساسويه, ثنا عبد الكريم السكري, أخبرني علي الناشاني, قال: كان عبد الله بن المبارك يعجبه إذا ختم القرآن أن يكون في السجود) اهـ. وذكره الذهبي في: سير أعلام النبلاء[224].
وفي ((شعب الإيمان)) أيضاً 1 / 168 / ب: (أن ابن المبارك كان إذا ختم القرآن, أكثر دعاءَه للمؤمنين والمؤمنات).
وعن حميد الأعرج رحمه الله تعالى قال: من قرأ القرآن, ثم دعا؛ أمَّن على دعائه أربعة آلاف ملك. رواه الدارمي[225]. وفيه: قَزَعَةُ بن سويد الباهلي, وهو ضعيف[226]. ولذا قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى[227]: (أثر مقطوع, وسنده ضعيف) اهـ.

---

221 (2) ص 7.
222 (3) 2 / 513.
223 (4) شعب الإيمان 1 / 355 / ب.
224 (5) 8 / 359.
225 (1) سنن الدارمي 2 / 470.
226 (2) التقريب لابن حجر.
227 (3) الفتوحات الربانية, لابن علان 3 / 246.

وقال القرطبي في ((التذكار))[228]: (وقال وهيب بن الورد: قال لي عطاء: بلغني أن حميداً الأعرج يريد أن يختم القرآن فانظر, فإذا أراد أن يختم فأخبرني حتى أحضر الختمة) اهـ. ولم يذكر رحمه الله تعالى له مخرجاً حتى نتبين حاله, ولم أره عند غيره, فالله أعلم.
وساق الخطيب بسنده في ترجمة البخاري من تاريخه (2 / 12) عن نسج بن سعيد. قال: (كان محمد بن إسماعيل البخاري إذا كان أول ليلة من شهر رمضان يجتمع إليه أصحابه, فيصلي بهم ويقرأ في كل ركعة عشرين آية, وكذلك إلى أن يختم القرآن, وكان يقرأ في السحر ما بين النصف إلى الثلث من القرآن, فيختم عند السحر في كل ثلاث ليال, وكان يختم بالنهار كل يوم ختمة, ويكون ختمه عند الإفطار كل ليلة, ويقول: عند كل ختم دعوة مستجابة) اهـ.
ومن طريق الحاكم ساقه ابن حجر في ((هدي الساري)) ص 481.
وفي ((العلل للإمام أحمد 2 / 14)) قال ابنه عبد الله: (سمعت أبي يقول: كان معتمر - أي ابن سليمان - له جمة, وكان يختم كل جمعة القرآن, فإذا كان يوم ختمته, اجتمع إليه ناس, ثم يدعو إذا فرغ من الختمة) اهـ.
وكان يوسف بن أسباط رحمه الله تعالى يدعو يقول: اللهم لا تفتنا, سبعين مرة[229]. وساق ابن الجوزي رحمه الله تعالى بإسناده, في ترجمة: زهير بن محمد المروزي, م سنة 257هـ أن ابنه محمداً قال[230]: (كان أبي يجمعنا في وقت ختمة القرآن في شهر رمضان, في كل يوم وليلة ثلاث مرات, تسعين ختمة في شهر رمضان) اهـ.

الخـلاصـة

ومما تقدم يتضح للناظر ما يلي:
1- أن القول بدعاء ختم القرآن في صلاة التراويح قبل الركوع يكاد يكون من مفردات الإمام أحمد رحمه الله تعالى عن الثلاثة. معللاً بأنه عمل المِصْرَيْنِ: مكة, والبصرة. وأنه في رواية عنه: سَهَّلَ بجعل دعاء الختم في الوتر. وأنه في روايتي: الفضل, والحربي, قال فيهما: يدعو بما شاء. وفي رواية: عبدوس, في دعاء القنوت في الصلاة عند من قال به, جاء: إن زاد حرفاً على الوارد فاقطع صلاتك؟؟.

---

228 (4) ص 79.
229 (5) مختصر قيام الليل ص 111.
230 (1) المنتظم 5 / 4.

2- في ((المستخرجة)) عن مالك: أن الدعاء بعد الختم ليس من عمل الناس.
3- إنّ نهاية ما لدى بعض متأخري الحنفية: استحسان الدعاء للختم وعدم المنع منه. وليس فيه الدعاء به داخل الصلاة.
4- إنّ بعض أهل العلم ومن المالكية والشافعية قالوا باستحباب جعل الختم لمنفرد في راتبة المغرب أو الفجر.
5- ما جاء في ترجمة ابن المبارك رحمه الله تعالى: أنه يعجبه جعل دعاء الختم في السجود. والله أعلم.
6- كلام شيخ الإِسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى أفاد الآتي:
(**أ**) إنّ (عند كل ختمة دعوة مجابة) مروي عن طائفة من السلف. ولم يذكره في المرفوع.
(ب) إنّ الدعاء عقيب الختم هو من جنس المشروع.
(ج) تأكيده على الأصل في العبادات: ما وافق هدي النبي وهدي الصحابة, رضي الله عنهم.
(د) ليس في كلامه أي ذكر لدعاء الختم داخل الصلاة.
7- وكلام العلاّمة ابن القيم رحمه الله تعالى تضمن أن الدعاء عقب الختم من آكد مواطن الدعاء والإِجابة. وذكر الرواية عن الإِمام أحمد رحمه الله تعالى في الدعاء للختم داخل الصلاة. وما زاد. والله أعلم.

الخـاتمـة
حاويةً خلاصة هذا الجزء ونتائجه الحكمية:

من مجموع السياقات في الفصلين السالفين نأتي إلى الخاتمة في مقامين:
المقام الأول - في مطلق الدعاء لختم القرآن:
والمتحصل في هذا ما يلي:
● **أولاً:** أن ما تقدم مرفوعاً - وهو مطلق الدعاء لختم القرآن لا يثبت منه شيء عن النبي , بل هو إما موضوع, أو ضعيف لا ينجبر. ويكاد يحصل القطع بعدم وجود ما هو معتمد في الباب مرفوعاً؛ لأن العلماء الجامعين الذين كتبوا في علوم القرآن, وأذكاره, أمثال: النووي, وابن كثير, والقرطبي, والسيوطي, وتلك الحلبة, لم تخرج سياقتهم عن بعض ما ذكر, فلو كان لديهم في ذلك ما هو أعلى إسناداً؛ لذكروه.

● **ثانياً:** أنه قد صح من فعل أنس بن مالك رضي الله عنه: الدعاء عند ختم القرآن, وجمع أهله وولده لذلك, وأنه قد قفاه على ذلك جماعة من التابعين, كما في أثر مجاهد بن جبر, رحمهم الله تعالى أجمعين.

● **ثالثاً:** أنه لم يتحصل الوقوف على شيء في مشروعية ذلك في منصوص الإمامين أبي حنيفة والشافعي, رحمهما الله تعالى.

وأن المروي عن الإِمام مالك رحمه الله: أنه ليس من عمل الناس.

وأن الختم ليس سنة للقيام في رمضان.

● **رابعاً:** أن استحباب الدعاء عقب الختم, هو في المروي عن الإِمام أحمد رحمه الله تعالى, كما ينقله علماؤنا الحنابلة, وقرره بعض متأخري المذاهب الثلاثة.

المقام الثاني - في دعاء الختم في الصلاة:

وخلاصته فيما يلي:

● **أولاً:** أنه ليس فيما تقدم من المروي: حرف واحد عن النبي ﷺ, أو عن أحد من صحابته رضي الله عنهم, يفيد مشروعية الدعاء في الصلاة بعد الختم, قبل الركوع أو بعده, لإِمام أو منفرد.

● **ثانياً:** أن نهاية ما في الباب: هو ما يذكره علماء المذهب من الرواية عن الإِمام أحمد رحمه الله تعالى في رواية: حنبل والفضل والحربي, عنه - والتي لم نقف على أسانيدها - من جعل دعاء الختم في صلاة التراويح قبل الركوع. وفي رواية عنه - لا يعرف مخرجها: أنه سهّل فيه في دعاء الوتر[231].

وما جاء عن بعض أهل العلم من استحباب جعل القارئ ختمه في صلاة نفلٍ, أول الليل أو آخره, أي: في سنة المغرب أو سنة الفجر.

وهذه مع جلالة القائلين بها لم يذكروا رحمهم الله تعالى ما يسند المشروعية من نص ثابت في سنده ودلالته, عن النبي ﷺ أو عن صحابته, رضي الله عنهم.

ومن خلال تتبع المروي في ((الفصل الأول)) من هذه الرسالة لم نحس له بأثر ولا أثاره؟ وهذا من العبادات الجهرية التي لو وقعت؛ لَنُقِلَ إلينا وقوعها واشتهر أمرها في كتب الرواية والأثر. بل في رواية حنبل لَمَّا قال لأحمد رحمه الله تعالى: إلى إي شيء تذهب في هذا؟ قال: رأيت أهل مكة يفعلونه . . . : دليل على أنه لو كان عند الإِمام أحمد رحمه الله تعالى سنة ماضية مرفوعة إلى النبي ﷺ, أو متصلة العمل بعصر الصحابة رضي الله عنهم؛ لاعتمدها في

---

231 (1) تقدم ص 27.

الدلالة, وهو رحمه الله تعال من أرباب الإِحاطة في الرواية. فلم يبقَ في الدلالة عنده إلاَّ عمل المِصْرَين: مكة والبصرة. وكم لأهل كل مصر من عمل لم يتابعهم عليه أحد. مثل أهل مكة في عدة مسائل كما في ((أخبار مكة)) للفاكهي (3 / 92- 92).

مدى حجية جريان العمل في العبادات:

وعليه: فليعلم أن توارث العمل يكون في موطن الحجة: حيث يتصل بعصر التشريع, كتوارث مقدار الصاع والمد النبوي, وأعيان المشاعر, ونحو ذلك[232].

ويكون في موطن الحجة أيضاً عند جماعة من الفقهاء والأصوليين والمحدثين: حيث تكون عَضَادته لحديث ضعيف, تلقته الأمة بالقبول.

لكن هنا لم يكن نقل لعمل متصل بعصر النبي ﷺ, وصحابته رضي الله عنهم, ولا عاضد لحديث في الباب وتلقته الأمة بالقبول؛ ففات إذاً شرطه عند من قال به.

لهذا فإن مالكاً رحمه الله تعالى وهو عالم المدينة في زمانه كره الدعاء بعد الختم مطلقاً, وقال: ما هو من عمل الناس.

وظاهر من هذا أنه من العمل المتأخر عن عصر الصحابة رضي الله عنهم والمتحرر عند علماء الأصول: أن جريان العمل فيما لا يتصل بعصر الصحابة رضي الله عنه لا يعتبر حجة في ((التعبد)) ولا يلتفت إليه؛ لقاعدة: ((وقف العبادات على النص ومورده))[233]. وظاهر من كلمة الإِمام مالك رحمه الله تعالى أنه لم يكن محل اتفاق بعدهم, رضي الله عنهم[234].

ومذهب الجمهور من أهل العلم: الاحتجاج بما نقل عن الصحابة رضي الله عنهم. في ذلك فقط, كما قرره شيخ الإِسلام ابن تيمية رحمه الله في ((صحة أصول مذهب أهل المدينة))[235], مع الأخذ في الاعتبار بما هو مقرر في: أصول الحديث, والفقه, من أن الصحابي إذا رأى خلاف ما روى؛ فالعبرة بروايته لا برأيه.

وأن الصحابي أيضاً: إذا رأى رأياً صح عنه, وثبت في المرفوع ما هو على خلافه, فالأخذ بالثابت المرفوع هو المتعين. وإذا كان هذا في حق الصحابة رضي الله عنهم وهو أبرّ الأمة قلوباً فكيف بمن تأخر عن طبقتهم؟ ومعلومة وجوه الاعتذار في هذا عن الصحابة رضي

---

232 (2) انظر: إعلام الموقعين 2 / 372.

233 (1) انظر: إعلام الموقعين 2 / 394.

234 (2) انظر: التنكيل للمعلمي 1 / 23.

235 (3) ص 23- 28.

الله عنهم, وعمن بعدهم من أهل العلم كما في ((رفع الملام عن الأئمة الأعلامِ)) لشيخ الإِسلام ابن تيمية, رحمه الله تعالى.
ومعلوم أيضاً أن المنتسب إلى مذهب, كالحنفي والحنبلي مثلاً, لو ترك في مسألةٍ مذهبَ إمامه؛ لقيام الدليل على خلافه, فإن هذا هو عين التقليد في صورة ترك التقليد, لقول كل إمام: (إذا صح الحديث فهو مذهبي), ولهذا كان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى يأخذ من وقف الحنابلة لانتسابه إلى المذهب, ولم تكن اختياراته مخرجة له من المذهب, كما حكاه تلميذه ابن القيم عنه في ((إعلام الموقعين)).
والخلاصة: أنه ليس من دليل لهذه الرواية عن الإِمام أحمد رحمه الله تعالى سوى عمل التابعين في: مكة, وأنه منقطع الاتصال بعصر الصحابة رضي الله عنهم. وأن التابعين اختلفوا؛ فقال مالك رحمه الله تعالى: ليس عليه عمل الناس. فآل الأمر إلى قاعدة العبادات من وقفها على النص ومورده, ولا نص هنا؛ فبقي الأمر على البراءة وعدم المشروعية, والله أعلم.
● **ثالثاً:** أن أمراً تعبدياً: وهو الدعاء في الصلاة لختم القرآن قبل الركوع أو بعده, من إمام أو منفرد - لم يثبت فيه شيء عن النبي - بل لم يرو فيه شيء - ولا عن صحابته, رضي الله عنهم؟ ثم تُعمر به ((المحاريب)) بدعاء فيه ما هو متكلف مسجوع, غير مأثور, يشغل نحو ساعة من الزمان, يُتلى بصوت التلاوة وأدائها, وتحرير النغم فيه. يكون عَن ظهر قلب, أو في رسالةٍ ربما وصلت ثمانين صفحةً - أي تعدل تلاوة خمسة أجزاء من كتاب الله تعالى - مع رفع الأيدي[236], ومسح الوجه بهما بعد الفراغ[237], ويبكي مَنْ شاء الله مِنْ مأموم وإمام - أثابهم الله على حسن نيتهم - وقوارع التنزيل, وآيات الذكر الحكيم, تتلى في ليالي الشهر, بل على ممر العام, ولا تكاد تسمع ناشجاً ولا نابساً ببكاء من مأموم أو إمام, والله تعالى يقول: لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ . . . الآية.
وروى ابن المبارك بسنده[238], ومن طريقه: ابن عساكر[239], عن محمد بن زياد قال: رأيت أبا أمامة رضي الله عنه أتى على رجل

---

236 ([1]) انظر: فتاوى العز بن عبد السلام ص 47. والدرر السنية.
237 ([2]) انظر: الجزء الثاني من هـذه الأجـزاء الحديثية في: مسح الوجه باليـدين بعد رفعهما للدعاء.
238 ([3]) الزهد والرقائق ص 50, وانظر: سير أعلام النبلاء 3 / 361.
239 ([4]) تاريخ ابن عساكر 8 / 150 / ب نسخة الظاهرية.

وهو ساجد, يبكي في سجوده, ويدعو ربه, فقال أبو أمامة: (أنت, أنت, لو كان هذا في بيتك).

إن أمراً شأنه كذلك لا يتعبد به إلاَّ بنص ثابت في سنده ودلالته, والنص في هذا عن النبي , أو عن أحد من صحابته رضي الله عنهم لم يحصل بعد التتبع البالغ, وعدم وقوف الحفاظ الجامعين على شيء في ذلك كما تقدم؛ يدل على عدم وجوده. ورحم الله الإِمام أحمد, إذ في رواية عَبدوس عنه: أن الإِمام إن زاد حرفاً في دعاء القنوت على الوارد - فاقطع صلاتك؟ فكيف بدعاء يستغرق نحو ساعةٍ من الزمان لم يرتبه النبي ولا شيئاً منه, لختم القرآن؟ ورحم الله الإِمام أحمد, إذ في رواية أبي طالب عنه: أنه لم يستحب وصل ختمة بأخرى, قال ابن قدامة: (لعله لم يثبت فيه عنده أثر صحيح يصير إليه). وهذا من الإِمام أحمد رحمه الله تعالى, من شدة قفوه الأثر, وأن الرأي يرد إلى السنن.

ورحم الله ابن المبارك, إذ يعجبه جعل دعاء الختم في السجود؛ ولعل هذا لعدم ثبوت شيء فيه عنده, ولعموم الحديث الصحيح: ((وأما السجود فأكثروا فيه من الدعاء فقمن أن يستجاب لكم)).

وأنت قريب العهد فيما مضى في المقدمة عن أبحاث الختم, من أن بعضها سنة؛ لقيام الدليل عليه. والبعض بدعة؛ لعدمه. والبعض لا يشرع؛ لضعف الخلاف. وأن مدرك الحكم في الجميع في دائرة القاعدة بتوقيف العبادات على النص ومورده, وقد علم من مدارك الشرع, أنه لا مدخل لغير المعصوم في الشرع, وأنه ليس من أحد من خلق الله إلاَّ وهو يؤخذ من قوله ويترك, إلاَّ النبي .

وبـعـد

ألا يعود دعاء الختم في صلاة التراويح وبهذه الكيفية بالتأثير على قاعدة العبادات من أنها توقيفية لا تكون إلاَّ بنص؟

وعليه: فإن خلاصة النتيجة الحكمية في هذين المقامين تتكون في أمرين:

● **الأول:** أن دعاء القارئ لختم القرآن خارج الصلاة, وحضور الدعاء في ذلك: أمر مأثور من عمل السلف الصالح من صدر هذه الأمة, كما تقدم من فعل أنس رضي الله عنه وقَفَاهُ جماعةٌ من التابعين, والإِمام أحمد في رواية: حرب وأبي الحارث ويوسف بن موسى, رحمهم الله أجمعين. ولأنه من جنس الدعاء المشروع. وتقدم قول ابن القيم رحمه الله تعالى: (وهو من آكد مواطن الدعاء ومواطن الإِجابة).

● **الثاني:** أن دعاء ختم القرآن في الصلاة, من إمام أو منفرد, قبل الركوع أو بعده, في ((التراويح)) أو غيرها: لا يعرف ورود شيء فيه أصلاً عن النبي ﷺ, ولا عن أحد من صحابته مسنداً. وأن قاعدة العبادات: وقفها على النص ومورده في محيط أمور ستة: ((سبب العبادة, وجنسها, وصفتها, وقدرها, وزمانها, ومكانها)) وقد علم أن دعاء الختم, قد اتفق سببه في عصر النبوة - خارج الصلاة - ذلك أن الوحي اكتمل نزوله في حياة النبي ﷺ, وكان جبريل عليه السلام يعارض النبي ﷺ في كل رمضان مرة, فلما كان في السنة التي توفي فيها ﷺ عارضه مرتين. ومع هذا فلم يؤثر أن النبي ﷺ دعا بعد الختم. فهذا مما انعقد سببه ولم يفعله ﷺ إذ لو فعله ﷺ فأين النقل له عنه ﷺ؟ ودونه خرط القتاد. وقد علم أن السكوت في مثل هذا الموطن والترك: كالنص؛ فلا يشرع. ومن مقتضيات الشهادة بأن محمداً رسول الله ﷺ أن لا يعبد الله إلاَّ بما شرع على لسان رسوله ﷺ, قال الله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ . . .﴾ الآية. وهذا العمل مما لم يعلم وروده عن النبي ﷺ؛ فلا يشرع إذاً, في أصح قولي العلماء, رحمهم الله تعالى.

وما حررته هنا: هو نظير ما قررته في ((الجزء الثاني))[240] من الأجزاء الحديثية, في مسألة: مسح الوجه باليدين بعد رفعهما لدعاء القنوت في الوتر؟ من أنه لا يشرع المسح داخل الصلاة, وهو اختيار جماعة من محققي العلماء, منهم: شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى, وأبو المعالي الجويني, وقال[241]: (لما في استعماله فيها من إدخال عمل عليها لم يثبت به أثر) اهـ. وأما خارج الصلاة فقد عمل به جماعة من السلف من غير التزام له. هذا ما يظهر لمقتضى الدليل والتزام قاعدة التعبد. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في نصرة هذا المنهج[242]: (وليس لأحد أن يحتج بقول أحد في مسائل النزاع, وإنما الحجة النص والإجماع, ودليل مستنبط من ذلك تقرر مقدماته بالأدلة الشرعية لا بأقوال بعض العلماء؛ فإن أقوال العلماء يحتج لها بالأدلة الشرعية, لا يحتج بها على الأدلة الشرعية, ومن تربّى على

---

240 (1) طبع مفرداً عام 1404هـ.

241 (2) طبقات الشافعية 5 / 84.

242 (3) مجموع الفتاوى 26 / 202- 203, وانظر منه: 1 / 265 مهم, 10 / 408- 409 مهم, 20 / 196- 198 مهم, 22 / 510- 511 مهم, 28 / 24- 25, والسير للذهبي 21 / 409- 410, فتاوى الشيخ عبد الرحمن بن سعدي ص 63- 65, الإبداع للشيخ على محفوظ ص 26- 31.

مذهب قد تعوّده واعتقد ما فيه - وهو لا يحسن الأدلة الشرعية وتنازع العلماء - لا يفرّق بين ما جاء عن الرسول وتلقته الأمة بالقبول بحيث يجب الإِيمان به, وبين ما قاله بعض العلماء ويتعسّر أو يتعذّر إقامة الحجة عليه, ومن كان لا يفرق بين هذا وهذا؛ لم يحسن أن يتكلم في العلم بكلام العلماء, وإنما هو من المقلدة الناقلين لأقوال غيرهم, مثل المحدث عن غيره, والشاهد على غيره لا يكون حاكماً, والناقل المجرد يكون حاكياً لا مفتياً) اهـ.

والمأمول من الناظر في هذا الجزء أن لا يغلبه شيوع العمل عن تفهم السنن, فإن العوائد كما أنها تبني أصولاً وتهدم أصولاً, فإنّها ملاُكة, والانفكاك منها يحتاج إلى ترويض النفس, وإلزامها بالسنن.

وهذا نهاية ما تم الوقوف عليه, والتوصل إليه, مع بذل الوسع في التتبع, فمن كان عنده فضل علم نافع عن صدر غني بالتقوى؛ فليرشد إليه وأجره على الله, فكم ترك الأول للآخر, ملتزماً جادة أهل العلم من الأخذ بالدليل, مع وافر التقدير لأئمة الإِسلام وفقهائه الأعلام, وسلوك سبيلهم في دلالة العباد إلى السنة, وتصحيح السير إلى الله تعالى على وفقها, وأن الفعل غير المشروع يُنَبَّهُ عليه وإن كثر فاعلوه, كما حرره العلماء, ومنهم العلاّمة ابن مفلح الحنبلي رحمه الله تعالى في ((الآداب الشرعية 1 / 297- 298)) فانظره؛ يفتح لك إلى الخير أفقا. والله الموفق والمعين, وصلى الله وسلم على نبينا ورسولنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. انتهى رقمه في الثلث الأخير من ليلة الجمعة 11 / 9 / 1407هـ.

* * *

فوائـد موقظـة

وهذه ((فوائد موقظة)) يناسبُ السياقَ التذييلُ بها, وهي:

<u>الموقظـة الأولـى</u>
<u>عن الكمال بن الهمام, رحمه الله تعالى:</u>

قال المناوي رحمه الله تعالى في ((فيض القدير 1 / 229)): (تنبيه: قال الكمال بن الهمام: ما تعارفه الناس في هذه الأزمان, من التمطيط, والمبالغة في الصياح, والاشتغال بتحريرات النغم - أي

الدعاء - إظهاراً للصناعة النغمية لا إقامة للعبودية, فإنه لا يقتضي الإِجابة بل هو من مقتضيات الرد.
وهذا معلوم: إن كان قصده إعجاب الناس به, فكأنه قال: اعجبوا من حسن صوتي وتحريري. ولا أرى أن تحرير النغم في الدعاء - كما يفعله القراء في هذا الزمان - يصدر ممن يفهم معنى الدعاء والسؤال, وما ذاك إلاَّ نوع لعب؛ فإنه لو قدر في الشاهد: سائل حاجة من ملك: أدى سؤاله, وطلَبه, بتحرير النغم فيه, من الخفض والرفع, والتطريب, والترجيع, كالتغني: نسب البتة إلى قصد السخرية واللعب, إذ مقام طلب الحاجة: التضرع لا التغني.
فاستبان أن ذاك من مقتضيات الخيبة والحرمان) اهـ.

الموقظـة الثانيـة:

في دعوة الأئمة والمؤذِّنين - إلى التخلص من تقليد الأصوات فلو يعلم الإِمام مثلاً ما في ذلك من إثارة شعور المصلين, بل وتأذيهم؛ لخجل بعد السلام من الصلاة أن يستقبلهم, وفيهم من ينظر إليه نظر من يرثي حاله. وعليه: فعلى من وفقه الله, وتشرّف بإمامة المصلين في أي من بيوت الله تعالى - والإِمامة طريق إلى الجنة بإذنه تعالى -: أن يأخذ بآداب التلاوة الشرعية المعروفة في كتب آداب تلاوة القرآن, من: إرسال الصوت على ما يسَّر الله له, بخشوع, وحسن أداء, وترتيل, وترك التكلف بالأداء والتجويد, هذا هو ما يعرف من هدي السلف من الصحابة رضي الله عنهم فمن بعدهم, أما تقليد الأصوات في القراءة فلا, وعلى المثبت الدليل.
وقد بسطت هذا - ولله الحمد - في كتاب: ((بدع القراء)). وفقنا الله وإياكم لصالح القول والعمل.

الموقظـة الثالثـة:

في إيقاظ من يقنت في الوتر - إلى التقيد بالوارد, وإن زاد على الوارد في تعليم النبي للحسن كما في السنن(243) فليكن من جنس الدعاء المشروع في القنوت, آخذاً بمجامع الدعاء من الأدعية الواردة عن النبي . وأن يترك الأدعية المخترعة المسجوعة المتكلفة.

[243] (1) الفتاوى 21 / 153.

الموقظـة الرابعـة:

في النهي عن تتبع المساجد طلباً لحسن صوت الإِمام في القراءة, قال محمد بن بحر كما في ((بدائع الفوائد 4 / 111)): (رأيت أبا عبد الله في شهر رمضان وقد جاء فضل بن زياد القطان فصلى بأبي عبد الله التراويح, وكان حسن القراءة, فاجتمع المشايخ وبعض الجيران حتى امتلأ المسجد, فخرج أبو عبد الله فصعد درجة المسجد, فنظر إلى الجمع, فقال: ما هذا؟ تَدَعُون مساجدكم وتجيئون إلى غيرها؟ فصلى بهم ليالي ثم صرفه كراهية لما فيه, يعني إخلاء المساجد, وعلى جار المسجد أن يصلي في مسجده) اهـ. وفي مبحث ((سد الذرائع)) من ((إعلام الموقعين 2 / 160)) قال ابن القيم رحمه الله تعالى: (الوجه الرابع والخمسون: أنه نهى الرجل أن يتخطى المسجد الذي يليه إلى غيره, كما رواه بقية عن المجاشع بن عمرو عن عبيد الله, عن نافع عن ابن عمر عن النبي ﷺ: ((ليصل أحدكم في المسجد الذي يليه, ولا يتخطاه إلى غيره)). وما ذاك إلاَّ أنه ذريعة إلى هجر المسجد الذي يليه, وإيحاش صدر الإِمام. (وإن كان الإِمام لا يتم الصلاة, أو يرمى ببدعة, أو يعلن بفجور؛ فلا بأس بتخطيه إلى غيره) اهـ.
وعنه في ((الهدية العلائية ص 284)) للبرهاني. والحديث المذكور رواه الطبراني في ((الأوسط)) كما في ((الجامع الصغير)) و ((وكنز العمال 6 / 659)) و ((مجمع الزوائد)) للهيثمي وقال: (رجاله موثقون إلاَّ شيخ الطبراني: محمد بن أحمد بن نصر المروزي, لم أرَ من ترجمه) اهـ. ورواه الطبراني أيضاً في ((المعجم الكبير 12 / 370))
وعزاه في ((صحيح الجامع)) إلى الطبراني في ((الكبير)) وتمام والعقيلي. وعن نوفل بن إياس قال: (كنا نقوم في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه في المسجد, فيفترق ههنا فرقة, وههنا فرقة, وكان الناس يميلون إلى أحسنهم صوتاً, فقال عمر: أراهم قد اتخذوا القرآن أغاني, أما والله لإن استطعت لأغيرن, فلم يمكث إلاَّ ثلاث ليال حتى أمر أُبَيّاً فصلى بهم). رواه البخاري في ((خلق أفعال العباد ص 51)), وابن سعد في ((الطبقات 5 / 51)), والمروزي في ((قيام الليل)).
وما نبهت على هذا إلاَّ لأنه أخذ يمثل في زماننا هذا ظاهرة لها صفة التكاثر, والفضائل لا تدرك بارتكاب النواهي, مع أنه ((فتنة للمتبوع)). والله تعالى أعلم.

الأجزَاءُ الحَديثيّة
(2)

جُزءٌ
في
مَسْح الوَجْه باليدينِ
بَعْد رفعهَما لِلدُّعاءِ

تأليف الشيخ
بَكر بن عَبد الله أبُو زيد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فهذا جزء لطيف في مسألة: مسح الوجه باليدين بعد دعاء القنوت في الصلاة أو بعد الدعاء خارجها, جمعت فيه ما وقفت عليه فيها، من الأحاديث والآثار، ذاكراً لها بأسانيدها عند من أخرجها مع ذكر من خرجها في المجاميع ونحوها وأتبعت ذلك بدراسة أسانيدها على ضوء الصناعة الحديثية، وفي ثنايا ذلك ذكر كلام بعض الحفاظ بالحكم عليها ببيان درجتها ومنزلتها، ثم ذكر خلاف العلماء في هذه المسألة وفي تضاعيف ذلك فوائد وتنبيهات .

وإن السبب الداعي إلى بحثها مفردة هو: شيوع العمل بها وقد علم أن شؤون العباد التعبدية توقيفية، والمسح لا يفعله إلا تعبداً تبعاً لرفع اليدين للدعاء فهل ذلك المسح مما تعبدنا به لدليل قام عليه أم لا .

هذا ما سيقف على الجواب عليه من نظر في هذا الجزء إن شاء الله وأسأل الله الكريم أن يجعله خالصا، ولعباده نافعا آمين .

* * *

الفصل الأول

<u>في الأحاديث المرفوعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم</u>

بالتتبع والاستقراء لأحاديث مسح الوجه باليدين بعد رفعهما للدعاء تحصل لي سبعة أحاديث, ثلاثة منها قولية وأربعة فعلية وهي على ما يلي:

1- حديث ابن عباس رضي الله عنهما. رواه أبو داود, وابن ماجه, والحاكم, والبيهقي, والمروزي, وابن حبان, وابن راهويه, والبغوي, والطبراني, وعزاه الشوكاني لأحمد؟.
وأطرافه:
إذا دعوت الله . . .
إذا دعوتم الله . . .
إذا سألتم الله . . .
سلوا الله ببطون أكفكم . . .
لا تستروا الجدر . . .
2- حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما, رواه الطبراني في الكبير .
وطرفاه:
إن ربكم حي كريم . . .
إن الله حي كريم . . .
3- معضل: الوليد بن عبد الله بن أبي مغيث رحمه الله تعالى. رواه الطبراني في كتاب الدعاء
وطرفه: إذا دعا أحدكم . . .
4- حديث عمر رضي الله عنه من رواية ابنه عبد الله عنه رضي الله عنه. رواه: الترمذي, والحاكم .
وطرفاه:
كان إذا رفع يديه . . .
كان إذا مد يديه . . .
5- حديث عمر رضي الله عنه في الاستسقاء, رواه عبد الغني الأزدي في: إيضاح الإشكال
بلفظ: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم عند أحجار الزيت . . .
6- حديث يزيد بن سعيد الكندي رضي الله عنه من رواية ابنه: السائب عنه رضي الله عنه . رواه أحمد, وأبو داود .
طرفه:
كان إذا دعا فرفع يديه . . .
7- مرسل الزهري رحمه الله تعالى. رواه عبد الرزاق .
طرفه:
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع يديه . . .

هذا ما تيسر الوقوف عليه مرفوعاً بطريق التتبع وكثرة الكشف.
وإلى ذكرها مفصلة بذكر متونها
عند من أخرجها مع ذكر من خرجها, مقفياً لها بمناقشة أسانيدها,
ومن ثم بيان درجتها حسب قواعد الاصطلاح .

الحديث الأول:

حديث ابن عباس رضي الله عنهما . أخرجه أبو داود في سننه 1 / 552 في أبواب الوتر وترجم له بقوله: باب الدعاء . وابن ماجه 2 / 1272 في كتاب الدعاء وترجمه بقوله: باب رفع اليدين في الدعاء . والبيهقي 2 / 212 في كتاب الصلاة وترجمه بقوله: باب رفع اليدين في القنوت, الحاكم في المستدرك 1 / 536 في كتاب الدعاء . وابن أبي حاتم في العلل 2 / 351 في كتاب الدعاء . والمروزي كما في مختصر المقريزي لصلاة الوتر ص / 236 مترجماً له بقوله: باب مسح الرجل وجهه بيديه بعد فراغه من الدعاء . وابن حبان في المجروحين 1 / 365 في ترجمة صالح بن حسان وابن راهويه في مسنده كما في نصب الراية 3 / 52 . والبغوي في شرح السنة بإسنادين له 5 / 202، 204, وعزاه لأحمد الشوكاني في التحفة ص / 44, وصديق تبعاً له في: نزل الأبرار ص / 36 لكني لم أظفر به في مسند ابن عباس من المسند ولا في ترتيبه, ولا في طبعة الشيخ أحمد شاكر فالله أعلم .

وخرجه جماعات منهم: التبريزي في المشكاة 1 / 2243, والسيوطي أيضا في الجامع الصغير 1 / 369، 4 / 109، 1 / 344 مع شرحه فيض القدير, والشوكاني في التحفة ص / 44, وصديق في نزل الأبرار ص / 36، والمتقى في الكنز 2 / 80 رقم 3231 ورقم 3255 وفيه عزاه للطبراني ولم أره في الصغير له . والغماري في الكنز الثمين ص / 309 رقم 1938 . والبيروتي في: حسن الأثر ص / 76 .

تنبيه: رمز السيوطي في الجامع الصغير 4 / 109 لحديث ابن عباس بلفظ: سلوا الله . . . الحديث . لأبي داود، والبيهقي، وليس كذلك عندهما، فهذا اللفظ للبيهقي فقط، والذي عند أبي داود بلفظ: لا تستروا الجدر . . الحديث، ولم أره في: الجامع الصغير بهذا اللفظ . لهذا ذكره النبهاني في: الفتح الكبير 3 / 325 من زيادات السيوطي على جامعه الصغير، ورمز له عند أبي داود فقط

لكن بلفظ: سلوا الله . . . طرف مـن حديث أبي داود المذكـور والله أعلم .
وهذا سياقه عند أبي داود قال: حدثنا عبد الله ابن سلمة أخبرنا عبد الملك بن محمد بن أيمن عن عبد الله ابن يعقوب بن إسحاق عمن حدثه عن محمد بن كعب القرظى حدثني عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((لا تستروا الجدر، من نظر في كتاب أخيه بغير إذنه فإنما ينظر في النار سلوا الله ببطون أكفكم ولا تسألوه بظهورها، فإذا فرغتم فامسحوا بها وجوهكم، قال أبو داود: روى هذا الحديث من غير وجه عن محمد بن كعب: كلها واهية وهذا الطريق أمثلها: وهو ضعيف أيضا . انتهى .
ومن حديث أبي داود أخرجه البيهقي بإسناده إليه به لكن بلفظ : (سلوا الله عز وجل ببطون أكفكم، ولا تسألوه بظهورها فإذا فرغتم فامسحوا بها وجوهكم) ثم ذكر كلام أبي داود المتقدم .
وعند ابن ماجه والمروزي كلاهما قالا: حدثنا محمد بن الصباح حدثنا عائذ بن حبيب عن صالح بن حسان، عن محمد بن كعب القرظى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دعوت الله فادع ببطون كفيك، ولا تدع بظهورها فإذا فرغت فامسح بهما وجهك) انتهى .
وقال ابن حبان: حدثنا محمد ابن إسحاق بن إبراهيم الثقفي ثنا محمد بن الصباح به، بلفظه وإسناده عند ابن ماجه والمروزي سواء .
وقال المروزي أيضا: حدثنا إسحاق، أخبرنا محمد بن يزيد الواسطي حدثنا عيسى بن ميمون عن محمد بن كعب القرظى، عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا سألتم الله فاسئلوه ببطون أكفكم، ثم لا تردوها حتى تمسحوا بها وجوهكم، وفي رواية: فإن الله جاعل فيها بركة . انتهى .
ثم قال المروزي (وعيسى بن ميمون هو الذي روى حديث ابن عباس ليس هم ممن يحتج بحديثه، وكذلك صالح بن حسان) انتهى .
ولفظه عند إسحاق بن راهويه مثل لفظه عند أبي داود المتقدم وسنده كما في نصب الراية للزيلعى أن إسحاقاً قال: أخبرنا محمد بن يزيد الواسطي، ثنا عيسى بن ميمون عن محمد بن كعب

القرظى، عن ابن عباس مرفوعاً نحوه سواء . انتهى . أي نحوه عند أبي داود .

وقال الحاكم: حدثنا أبو بكر بن أبي نصر المروزى، حدثنا أبو الموجه، حدثنا سعيد بن هبيرة، حدثنا وهيب بن خالد عن صالح بن حسان به بلفظ : (إذا سألتم الله فاسئلوه ببطون أكفكم، ولا تسألوه بظهورها، وامسحوا بها وجوهكم) انتهى .

وقال البغوي: أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي ثنا أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن علي بن الشاه، حدثنا أبو بكر محمد بن نجيد، أنا أحمد بن نجدة، ثنا يحيى بن عبد الحميد، ثنا أبي وعبد الرحيم بن سليمان، عن صالح بن حسان، عن محمد بن كعب عن ابن عباس قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا سألتم الله، فاسألوا ببطون أكفكم، ولا تسألوه بظهورها، وإذا دعا أحدكم، ففرغ من دعائه، فليمسح بيديه على وجهه) انتهى. ثم قال (ضعيف، صالح بن حسان المدني الأنصاري: منكر الحديث، قاله البخاري) انتهى .

وأخرجه بإسناد آخر فقال: وأخبرنا عبد الرحمن بن أبي بكر القفال حدثنا أبو منصور أحمد بن الفضل البَرْ ونجِرْدِى، ثنا بكر بن حمار بن محمد بن حمدان الصيرفي، ثنا عبد الصمد بن الفضل، ثنا خلف بن أيوب، ثنا عائذ بن حبيب، عن صالح بن حسان عن محمد بن كعب عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا دعوتم الله ببطون أكفكم، لا تسألوه بظهورها، فإذا فرغتم فامسحوا بها وجوهكم) انتهى .

التعريف بمنزلة إسناده

أولاً: من سياق أسانيده المتقدمة يعلم الناظر أن هذا الحديث على كثرة مخارجه قد تفرد به عن عبد الله بن العباس رضي الله عنهما محمد بن كعب القرظي وحديثه مخرج في الكتب الستة وهو ثقة توفي سنة 120هـ كما في التقريب للحافظ ابن حجر، فلا يضر تفرده إذاً .

ثانياً: كما يتبين من سياق أسانيده أيضا أنه عن محمدٍ هذا رواه عنه اثنان هما:

1- صالح بن حسان كما في رواية ابن ماجة، والمروزي، والحاكم، وابن أبي حاتم .

وصالح هذا هو: صالح بن حسان النضرى أبو الحارث المدني نزيل البصرة قال الحافظ في التقريب (متروك) انتهى .

وفي التهذيب، ذكر إجماعهم على ضعفه . وفي تلخيص الحبير 1 / 250 ذكر قول ابن حبان فيه (من أنه يروي الموضوعات عن الثقات) انتهى . وهكذا في كتاب المجروحين لابن حبان 1 / 363 في ترجمة صالح بن حسان وذكر الحديث المذكور من روايته عن محمد بن كعب عن ابن عباس .

2- عيسى بن ميمون، كما في رواية المروزي وابن راهويه وهو: عيسى بن ميمون القرشي المدني الواسطي مولى القاسم بن محمد . قال الحافظ في: التقريب (ضعيف) . وفي: المغنى للذهبي, قال البخاري: منكر الحديث اهـ . وقال ابن حبان: يروي أحاديث كلها موضوعات . . . كما في الميزان للذهبي .

ومن بيان حال صالح وعيسى يتبين أنه لا تصلح متابعة أحدهما للآخر لما علم من حالهما عدالة والله أعلم .

ثالثاً: وأنه عن صالح بن حسان رواه أربعة عنه هم: عائذ بن حبيب ومنزلته الصدق, والثقة الثبت: وهيب بن خالد, وعبد الرحيم بن سليمان وعبد الحميد الحمانى كما في إسناده عند البغوي .

وأنه عن عيسى بن ميمون رواه محمد بن يزيد الواسطي وهو الكلاعي ثقة عابد مات سنة 190هـ كما في التقريب . ثم انتشرت روايته وكثرت مخارجه في طبقات إسناده لكن هذا الحديث على تعدد رواته وكثرة مخارجه فإن مداره على كل من صالح بن حسان وهو متروك, وعيسى بن ميمون وهو منكر الحديث فلا يقوي أحدهما الآخر .

وعليه فلا يصح كذلك في باب الشواهد لاختلال ركن الرواية الركين الذي لا ينجبر وهو: العدالة والله أعلم .

<u>ذكر كلام بعض الحفاظ على هذا الحديث:</u>

أولاً: قول أبي داود (روي هذا الحديث من غير وجه عن محمد بن كعب كلها واهية .وهذا الطريق أمثلها وهو ضعيف) انتهى . وطريقه عند أبي داود من حديث: عبد الملك بن محمد بن أيمن, عن عبد الله بن يعقوب عمن حدثه عن محمد بن كعب .

فهذا الإسناد عند أبي داود مسلسل بالمجاهيل على ما يلي:

1- فعبد الملك بن محمد بن أيمن: قال الحافظ في: التهذيب (روى له أبو داود حديثاً منقطعاً وضعفه, قلت: وقال أبو الحسن بن القطان: حاله مجهولة) انتهى .

وقال في التقريب (مجهول من العاشرة) انتهى . ورمز بكونه من رجال أبي داود فقط .

2- شيخه: عبد الله بن يعقوب بن إسحاق المدني . قال الحافظ في: التقريب (مجهول الحال من التاسعة) ورمز بكونه من رجال أبي داود والترمذي . وقال الذهبي في: الميزان (لا أعرفه) انتهى .
3- عمن حدثه: لم أجد تفسير ذلك المبهم والله أعلم .
ثانياً: قول البوصيرى في زوائد ابن ماجه المسمى: مصباح الزجاجة 1 / 141 (هذا إسناد ضعيف لاتفاقهم على ضعف: صالح بن حسان, رواه الحاكم في المستدرك من حديث صالح بن حسان به, وله شاهد من حديث ابن عمر رواه الترمذي في: الجامع, والحاكم في: المستدرك) انتهى . وهذا من البوصيرى متعقب إذ كيف يصح حديث ابن عمر لأن يكون شاهداً وفيه: الجارود وهو متروك والله أعلم .
ثالثاً: نقل البيهقي في السنن الكبرى كلام أبي داود المتقدم ولم يتعقبه بشيء .
رابعاً: في النسخة المطبوعة من المستدرك سكت عليه الحاكم والذهبي لكن قال المناوى في: فيض القدير 1 / 369 : (ومن طريق الحاكم: سعيد بن هبيرة, اتهمه ابن حبان ولهذا رد الذهبي على الحاكم تصحيحه) انتهى .
وينظر فإن المطبوعة كثيرة التحريف والسقط كما قد صار اختبارها في أكثر من موضع .
خامساً: قول ابن أبي حاتم (هذا حديث منكر) وتقدم .
سادساً: قول المروزي: (وعيسى بن ميمون هذا الذي روى حديث ابن عباس: ليس هو ممن يحتج به, وكذلك صالح بن حسان) انتهى .
سابعاً: قول البغوي في شرح السنة 5 / 203 : ضعيف, صالح بن حسان المدني الأنصاري منكر الحديث قاله البخاري) انتهى .
ثامناً: اختلفت فيه كلمة السيوطي في الجامع الصغير فعلى لفظ: سلوا الله 4 / 109 رمز له بالصحة . وتعقبه المناوى بقوله (وليس كما زعم فإن أبا داود نفسه إنما خرجه مقروناً ببيان حاله - وساق كلامه - ثم قال: وساقه عنه البيهقي: وأقره وارتضاه الذهبي, وأقره ابن حجر فأعجب للمصنف مع اطلاعه على ذلك كيف أشار إلى صحته) انتهى .
وعلى لفظ (إذا سألتم الله) رمز لحسنه قال المناوى: في: فيض القدير 1 / 344 (وليس كما قال, فقد قال ابن الجوزي لا يصح,

فيه صالح بن حسان: متروك, وقال ابن حبان: يروي الموضوعات, لكن له شاهد) انتهى .

تاسعاً: وفي الفروع 1 / 414 قال: (واختار الآجري: عدم المسح لضعف حديث ابن عباس) انتهى .

عاشراً: وفي نزل الأبرار لصديق خان ص / 36 أن النووي ضعف أسانيد حديث المسح) انتهى .

أحد عشر: قال الألباني في السلسة الصحيحة 2 / 146 (إنه ضعيف جـدا فهذه الزيـادة (فإذا فرغتم فامسحوا بها وجوهكم) لم أجد لها حتى الآن شاهدا) انتهى

وهل هذه الزيادة تصلح في باب المتابعات أو الشواهد ومدارها على: صالح بن حسان, وعيسى بن ميمون, وقد تقدم بيان حالهما والله أعلم .

الحديث الثاني:

حديث ابن عمر رضي الله عنهما. قـال الهيثمي في: مجمع الزوائـد 10 / 169 من كتاب الأدعية: وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال, قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن ربكم حيي كريم يستحي أن يرفع العبد يديه, فيردها صفراً لا خير فيهما, فإذا رفع أحدكم يديه فليقل: يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت يا أرحم الراحمين ثلاث مرات, ثم إذا رد يديه فليفرغ الخير على وجهه . رواه الطبراني . وفيه الجارود بن يزيد, وهو متروك . انتهى .

وعزاه للطبراني أيضا: المتقي في كنز العمال 2 / 87 / 3266, 3268 مكرراً ورمز له فيهما بقوله (طب عن ابن عمر) وقد علم من اصطلاحه أن هذا يشير إلى رواية الطبراني له في: المعجم الكبير . فقول الهيثمي: رواه الطبراني أي في: الكبير . وقد صرح بذلك السيوطي في: فض الوعاء . والجارود هذا ترجمه الذهبي في الميزان 1 / 385 وقال: السراج مات سنة 230هـ. وذكر من بلاياه ثم قال: وله عن عمر بن ذر عن مجاهد عن ابن عمر رفعه (إن الله حيي كريم إذا رفع أحدكم يديه . . . الحديث) انتهى .

وفي حاشية الصفحة المذكورة في تعليقة لمحقق الميزان: الأستاذ البجاوي يشير فيها إلى أن في نسخة من الميزان أن سنة وفاته سنة 253هـ.

وهذا ما يوافق ما ذكره الحافظ ابن حجر في اللسان 2 / 90 . ثم إن الحافظ في اللسان ساق الحديث المذكور مثل سياق الذهبي له سواء .

ومدار الحديث على الجارود قال فيه ابن أبي حاتم في: الجرح والتعديل 1 / 1 / 525: وقال سمعت أبي يقول: هو منكر الحديث, لا يكتب حديثه كذاب . انتهى .
وقال فيه البخاري في الكبير 1 / 2 / 237: منكر الحديث, كان أبو أسامة يرميه, يروي عن بهز بن حكيم, وعمر بن ذر . انتهى .
وعليه: فإن هذا الحديث ذكرته من باب الجمع والإحاطة للكشف عن حاله حتى لا يتكثر به من لم يقف على علته والله أعلم .
تنبيه: صدر هذا الحديث قد جاء من حديث سلمان رضي الله عنه رواه أبو داود برقم 1488 والترمذي برقم 3551 وابن ماجه برقم 3865 بأسانيدهم عن سلمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن ربكم تبارك وتعالى حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفراً) انتهى لفظ أبي داود
الحديث الثالث:
حديث الوليد بن عبد الله بن أبي مغيث يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وذلك فيما رواه الطبراني في كتاب الدعاء قال: حدثنا أبو مسلم الكجى, قال حدثنا القعنبى, حدثنا عيسى بن يونس, حدثنا إبراهيم بن يزيد, حدثنا الوليد بن عبد الله بن أبي مغيث قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إذا دعا أحدكم فرفع يديه فإن الله تعالى جاعل في يديه بركة ورحمة فلا يردهما حتى يمسح بهما وجهه) انتهى . بواسطة كتاب: فض الوعاء للسيوطي, ثم قال السيوطي بعده: (قال شيخ الإسلام - أي الحافظ ابن حجر - في أماليه: الوليد في طبقة من سمع من الصحابة رضي الله عنهم, لكن لم أر له رواية عن صحابي, فيكون هذا الإسناد معضلاً, وإبراهيم الراوي عنه هو الخوزي, فيه مقال) انتهى .
وعليه فهذا الحديث بهذا الإسناد فيه علتان:
الأولى: حال إبراهيم بن يزيد الخوزي قال فيه الحافظ الذهبي في الكاشف 1 / 97 (مكي واهٍ) انتهى . مات سنة 151هـ .
الثانية: أن الوليد قد أعضله والمعضل ما سقط من إسناده اثنان فأكثر .
ثم رأيت المتقي في كنز العمال 2 / 84 / 3254 ذكره بلفظ نحوه عن الوليد وعزاه لابن نصر . وقد نظرت في كتب محمد بن نصر المروزي وهي: قيام الليل وقيام رمضان, والوتر فلم أره فيها. وقد علم من مقدمة السيوطي في الجامع الكبير المسطرة في مقدمة: كنز العمال 1 / 21 أنه ينقل عن ابن نصر في كتاب: الإبانة. وهو

عبد الله بن سعيد بن نصر السجزي, لكن كتابه هذا في التوحيد فالله أعلم .

الحديث الرابع:

وهو حديث عمر رضي الله عنه فقد أخرجه الترمذي في سننه 4 / 227 في: باب ما جاء في رفع الأيدي في الدعاء . وأخرجه الحاكم في: كتاب الدعاء من مستدركه 1 / 536 . وخرجه جماعات منهم: ابن قدامة في: النصيحة ص / 26, والزيلعي في: نصب الراية 3 / 52, والبغوي في: شرح السنة 5 / 204 ذاكراً له بصيغة التمريض, والتبريزي في: المشكاة 1 / 690 . والحافظ ابن حجر في: البلوغ 4 / 218 مع سبل السلام للصنعاني, والشوكاني في: التحفة ص / 24, والمتقى في: كنز العمال 2 / 614 رقم 4888, والفتنى في الموضوعات ص 56, وصديق في: نزل الأبرار ص 36 . والعراقي في المغنى على الإحياء 1 / 305 . والسيوطي في: فض الوعاء . والنابلسي في: ذخائر المواريث 3 / 59 . وابن الأثير في جامع الأصول 4 / 149 / 2110 . وجميعهم لم يعزوه لغير الترمذي سوى المتقى في: كنز العمال والعراقي في: المغنى فقد عزياه له وللحاكم .

تنبيه: خرج السيوطي هذا الحديث في: الجامع الصغير 5 / 138 مع شرحه فيض القدير. وعزاه للترمذي والحاكم من حديث ابن عمر .

وهذا وهم من السيوطي تبعه عليه المناوى في فيض القدير ولم يتنبه له: النبهاني في: الفتح الكبير 2 / 356, وتابعهم عليه الألباني في: السلسة الصحيحة 2 / 146 .

وصوابه: عن سالم عن أبيه عبد الله عن أبيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرفوعا .

وهذا سياقه عند الترمذي بإسناده قال: حدثنا أبو موسى محمد بن المثنى وإبراهيم بن يعقوب وغير واحد قالوا: أخبرنا حماد بن عيسى الجهني عن حنظلة بن أبي سفيان الجمحي, عن سالم بن عبد الله عن أبيه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رفع يديه في الدعاء لم يحطهما حتى يمسح بهما وجهه) .

قال محمد بن المثنى في حديثه: لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه. هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث: حماد بن عيسى وقد تفرد

به وهو قليل الحديث, وقد حدث عنه الناس وحنظلة بن أبي سفيان الجمحي: ثقة, وثقه يحيى بن سعيد القطان) انتهى
هذا نصه في: السنن 4 / 227 من الطبعة الهندية بحاشية تحفة الأحوذي, ولم يتعقبه المباركفوري. وفي 5 / 464 من طبعة السنن المفردة عام 1385هـ. بمصر ما نصه: (قال أبو عيسى: هذا حديث صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث حماد بن عيسى وقد تفرد به . . . الخ كلامه المتقدم . وهذا ما نقله المناوى في: فيض القدير 5 / 138 فقال: وقال: أعني الترمذي. صحيح غريب) انتهى .
وسيأتي بعد بقية الكلام في هذا إن شاء الله تعالى . وأما سياقه عند الحاكم فقال: أخبرني أبو الحسن محمد بن الحسن حدثنا عبد الله بن ناجية حدثنا نصر بن علي ومحمد بن موسى الحرشي قالا حدثنا حماد بن عيسى, حدثنا حنظلة بن أبي سفيان, قال: سمعت سالم بن عبد الله يحدث عن أبيه عن عبد الله بن عمر عن عمر رضي الله عنه (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا مد يديه في الدعاء لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه) انتهى .
وسكت عنه كما سكت عنه الذهبي في تلخيصه له .
<u>تنبيه:</u> قوله: قال سمعت سالم بن عبد الله يحدث عن أبيه عن عبد الله بن عمر. لفظة (عن) الثانية, هكذا هي مثبتة في نسخة المستدرك المطبوعة, وصوابها: يحدث عن أبيه عبد الله بن عمر . . . ونسخة المستدرك كثيرة الأخطاء كما قد صار اختبارها في عدة مواضع .

<u>التعريف برجالهما:</u>

1 / 2- شيخا الترمذي: محمد بن المثنى, هو العنزى ثقة ثبت خرج له الستة, وإبراهيم بن يعقوب هو: الجورقاني[244], نزيل دمشق, ثقة حافظ رمي بالنصب من الحادية عشرة مات سنة 259هـ. خرج له أبو داود والترمذي والنسائي كما في التقريب .
3- شيخ الحاكم: أبو الحسن محمد بن الحسن هو: النيسابوري السراج المقرئ, قال الحاكم: قل من رأيت أكثر اجتهاداً وعبادة منه[245] .
4- عبد الله بن محمد بن ناجية هو: البربري الأصل البغدادي أبو محمد أحد الأثبات المصنفين, سمع أبا بكر بن أبي شيبة وطبقته انتهى[246] .

---

244 انظر في ضبطها : الذهبي لبشار معروف .
245 العبر للذهبي في وفيات سنة 366هـ وكذا في الشذرات لابن العماد .
246 العبر للذهبي في وفيات سنة 301هـ .

5- نصر بن علي هو: الجهضمي, حفيد نصر بن علي بن صهبان قال عنه في التقريب: ثبت طلب للقضاء فامتنع من العاشرة مات سنة 250هـ أو بعدها انتهى . ورمز بكونه من رجال الستة .
6- محمد بن موسى الحرشى: قال الحافظ في التقريب: لين من العاشرة مات سنة 248هـ انتهى . ورمز بكونه من رجال الترمذي والنسائي . قال الآجري: سألت أبو داود عنه: فوهاه وضعفه . وقال أبو حاتم: شيخ . وقال النسائي: صالح . وذكره ابن حبان في الثقات انتهى . وقال فيه الذهبي في: الميزان: من شيوخ الأئمة صدوق, وقال أبو داود: ضعيف انتهى . وقال في: المغنى: صدوق مشهور, وقال أبو داود: ضعيف انتهى . وقال في: الكاشف: صويلح وهَّاه أبو داود وقواه غيره توفي سنة 248هـ انتهى . وهو هنا في إسناد الحاكم: مقرون بنصر بن علي الجهضمي: الثبت كما تقدم .
7- حماد بن عيسى الجهني: بحمادٍ هذا يلتقي الإسنادان صريحاً عند الحاكم والترمذي . وهو من رجال الترمذي وابن ماجه قال فيه الحافظ في التقريب: ضعيف من التاسعة غرق بالجحفة سنة 208هـ انتهى . وفي التهذيب ذكر من شيوخه حنظلة بن أبي سفيان ومن تلاميذه الجورقاني (الجوزجاني) ولم يذكر في ترجمته أحداً قوى أمره . وكذا من قبله الذهبي في: الميزان وقال: (عن جعفر بن جريج الطامات . . . . ضعفه أبو داود وأبو حاتم والدارقطني ولم يتركه غرق سنة 208هـ انتهى . وفي الكاشف سكت عليه . وفي المغنى قال: ضعفوه انتهى . وقال ابن أبي حاتم في: الجرح والتعديل 1 / 2 / 145: وهو ضعيف الحديث انتهى . وذكره ابن حبان في: المجروحين 1 / 249 فقال: شيخ يروي عن ابن جريج عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز أشياء مقلوبة تتخايل إلى من هذا الشأن أنها معلولة, لا يجوز الاحتجاج به انتهى . وقول الحافظ في التقريب في الراوي: ضعيف . هو من المرتبة الثامنة عنده وهي من لم يوجد فيه توثيق لمعتبر ووجد فيه إطلاق الضعف ولو لم يفسر وإليه الإشارة بلفظ ضعيف انتهى .
وقد علم من النقول المتقدمة عن ابن حبان والذهبي في الميزان أن ضعف حمادٍ هذا من قبل عدالته فضعفه إذاً مفسر فهذا إذاً متدارك على الحافظ في تقريبه والله أعلم .
8- حنظلة بن أبي سفيان الجمحي: هو المكي ثقة حجة من رجال الكتب الستة توفي سنة 151هـ رحمه الله تعالى كما في التقريب

. وفي أصله التهذيب ذكر من شيوخه سالم بن عبد الله بن عمر ومن تلامذته حماد بن عيسى الجهني .

9- سالم بن عبد الله بن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه القرشي العدوي, أبو عمر, أو أبو عبد الله المدني, أحد الفقهاء السبعة, وكان ثبتاً عابداً فاضلاً كان يُشبَّه بأبيه في الهدي والسمت مات سنة 106هـ على الصحيح قاله الحافظ في التقريب .

10 / 11- عبد الله رضي الله عنه المتوفي سنة 73هـ عن أبيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه المتوفي شهيداً سنة 23هـ .

وسالم وأبوه وجده مخرج حديثهم في الكتب الستة . وهذا الإسناد من رواية صحابي عن صحابي . ومن رواية الأبناء عن الآباء . وأن هذا الحديث من الفرد المطلق لتفرد حماد به عن حنظلة وحنظلة عن سالم وسالم عن أبيه عبد الله, وعبد الله عن أبيه عمر رضي الله عنه . وأنه عن حمادٍ اشتهر فرواه عنه جماعة من الثقات وهم: ابن المثنى والجورقاني, والجهضمي . فصار إذاً: مدار الحديث على حماد بن عيسى الجهني وتقدمت كلمة النقاد في تضعيفه وتفسير ابن حبان والذهبي له من أنه ضعف عدالة ومن كان كذلك فلا يكون حديثه من القسم المقبول الذي يتقوى بالشواهد والمتابعات, ومع ذلك فلم أجد له بعد طول البحث متابعاً والله أعلم .

<u>ذكر كلام بعض الحفاظ على هذا الحديث:</u>

1- تقدم قول الترمذي فيه: حديث غريب . وفي نسخة: صحيح غريب وقد تعقب جماعة منهم نسبة تصحيح الترمذي لهذا الحديث قال الساعاتي في: الفتح الرباني 3 / 315: (وذكر الشيخ عبد الحق هذا الحديث في كتاب الأحكام وقال: قال الترمذي: وهو حديث صحيح . وغلط في قوله إن الترمذي قال: هو حديث صحيح, وإنما قال: غريب) انتهى .

وقال صديق في: نزل الأبرار ص / 36: (قال النووي في إسناد كل واحد: ضعيف - أي حديثي عمر وابن عباس - وقول الحافظ عبد الحق: إن الترمذي قال في الحديث الأول - يعني حديث عمر رضي الله عنه - إنه صحيح فليس في النسخ المعتمدة من الترمذي أنه صحيح بل قال: حديث غريب - قال صديق - : ولكن الغريب من أنواع الصحيح انتهى . وفي تعليق الغماري على النصيحة قال: قال الترمذي: غريب يعني بذلك ضعفه. انتهى .

فظهر أن الذي ينبغي اعتماده من حكم الترمذي على هذا الحديث هو قوله: غريب فقط . وأن قول: صحيح غريب, متعقب كما تقدم, لكن في النسخة المصرية المذكورة سابقاً أنه قال: صحيح غريب, وهذا لا يلتفت إليه لأن هذه الطبعة كثيرة التحريف والتصحيف لا يسوغ الاعتماد عليها حاشا الجزئين الأول, والثاني اللذين حققهما الشيخ أحمد شاكر رحمه الله تعالى . وأرجو من الله تعالى أن يهيئ لهذا الكتاب من يتمه على هذا المنوال والله المستعان
وأما قول صديق رحمه الله في: نزل الأبرار: إن الغريب من قسم الصحيح انتهى . فهو غريب ليس على إطلاقه إذ الغريب من قسم الآحاد والآحاد فيها المقبول والمردود, والاستدلال بها متوقف على البحث عن أحوال رواتها كما هو معروف في فن المصطلح من النخبة للحافظ ابن حجر وغيرها . والترمذي حكم بغرابة هذا الحديث مريداً ضعفه كما يفيده كلامه المتقدم على حال: حماد بن عيسى, واصطلاحه في تعريف الغريب لا يخالف اصطلاح العلماء في ذلك بل يوافقه, كما في كلامه على: الغريب في آخر كتاب العلل من سننه 5 / 758.
وبهذا يظهر فضل قول الغماري على غيره من أنه أراد بقوله: غريب, ضعفه .
2- قول الحافظ ابن حجر في البلوغ: وله شواهد عند أبي داود من حديث ابن عباس وغيره ومجموعها يقضي بأنه حديث حسن انتهى .
وكلمة الحافظ على جلالته لا تثبت أمام النقد: فإنه أولاً أراد أنه حديث حسن لغيره لا لذاته وذلك من قوله: ومجموعها يقضي بأنه حديث حسن . والحسن لغيره: هو حديث المستور إذا تعددت طرقه, ومدار هذا الحديث على حماد بن عيسى الجهني: وهو ضعيف من المرتبة الثامنة عند الحافظ وهي: مرتبة من لم يوجد فيه توثيق لمعتبر ووجد فيه إطلاق الضعف ولو لم يفسر, ومرتبة الضعيف أحط من مرتبة المستور . وقد تقدم أن حماداً ضعَّفَه الحافظ وفسر ضعفه ابن حبان, والذهبي من أنه ضعف عدالة لا حفظ, وليس له متابع كما تقدم وكما يفهم من كلام الحافظ: وله شواهد . . . الخ, إذ لو كان له متابع لذكره وهو إمام هذا الفن ومن أرباب الإستقراء, وأما الشواهد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما وغيره فهي في انحطاط كثير عن هذا الحديث ويأتي بيان حال كل منها إن شاء الله تعالى .

3- قول النووي رحمه الله تعالى في إسناده: ضعيف كما ذكره صديق عنه في: نزل الأبرار ص / 36 .
4- قول أبي زرعة فيه: حديث منكر أخاف أن لا يكون له أصل انتهى . بواسطة السلسلة الصحيحة 2 / 146 .
5- وفيها قال الألباني: في هذا الحديث متهم بالوضع فلا يصلح شاهداً للزيادة أي زيادة المسح انتهى .
6- وقال فيه العراقي في تخريج أحاديث الإحياء 1 / 305: ضعيف) انتهى .

الحديث الخامس:

وهو الثاني عن عمر رضي الله عنه مرفوعاً ذكره المتقى في كنز العمال 2 / 614 رقم 4889 فقال: (عن عمر رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم عند أحجار الزيت[247] يدعو بباطن كفيه, فلما فرغ مسح بهما وجهه . عبد الغني بن سعيد في: إيضاح الإشكال) انتهى .

وعبد الغني هو: الإمام الحافظ صاحب التصانيف المشهورة عبد الغني بن سعيد الأزدي المصري المتوفي سنة 209هـ. وكتابه هذا لم يذكره مشاهير المترجمين له منهم: الذهبي في التذكرة, وابن خلكان في: وفيات الأعيان 2 / 305, وابن تغري بردى في: النجوم الزاهرة, والكتاني في: الرسالة المستطرفة . وقد تطلبت هذا الكتاب فلم أجده لكن وجدت مختصره للسيوطي مخطوطاً مصوراً لدى الشيخ العلامة حماد بن محمد الأنصاري نزيل المدينة النبوية وأستاذ الحديث بجامعتها الإسلامية فأتحفني بنسخة منه شكر الله سعيه وهي في خمس عشرة ورقة . وموضوعها في المشكل من نسبة الأسماء والكنى مرتبة على حروف المعجم وبقرائتها لم أر هذا الحديث في المختصر . وهذه واحدة من آفات المختصرات ثم تطلبته في مظانه من كتب السنة فلم أحس له بأثر ولا أثارة, ولهذا لم يتيسر لي الكشف عن إسناده فالله أعلم بحاله . وهذا الحديث من غير زيادة المسح في قوله (فلما فرغ مسح بهما وجهه) رواه الترمذي 2 / 443 والنسائي 3 / 128, والحاكم 2 / , وصححه الذهبي جميعهم من حديث آبى اللحم رضي الله عنه وهو أول مترجم له في الإصابة, وليس في الصحابة من يشاركه في هذا الاسم, وليس له سوى هذا الحديث كما أفاده الترمذي إذ قال

247 أحجار الزيت : موضع بالمدينة , قريب من الزوراء , وهو موضع صلاة الإستسقاء داخل المدينة انتهى من مراصد الإطلاع 1 / 35 .

بعده: (لا نعرف له عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا هذا الحديث الواحد) انتهى .
ولفظه عنده: (أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم عند أحجار الزيت يستسقي وهو مقنع بكفيه يدعو) انتهى . ولم أر من مخرجيه من ذكره من حديث عمـر رضي الله عنه فالله أعلم . وقد أخرجه مرسلاً أبو داود 1 / 692 رقم 1172 من حديث محمد بن إبراهيم التيمي قال أخبرني من رأى صلى الله عليه وسلم يدعو عند أحجار الزيت باسطاً كفيه) انتهى . والتيمي مرة يرسله هو ومرة عن عمير مولى آبى اللحم مرسلاً أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم . الحديث كما في المسند 5 / 223 وسنن أبي داود 1 / 692 رقم 1168 . والله أعلم .

<u>الحديث السادس:</u>

حديث يزيد بن سعيد بن ثمامة رضي الله عنه . أخرجه أحمد في مسنده 4 / 221, وأبو داود في سننه 1 / 554 في أبواب الوتر من كتاب الصلاة, كلاهما قالا: (حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا ابن لهيعة عن حفص بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص عن السائب بن يزيد عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا دعا فرفع يديه مسح وجهه بيديه) .
إسنادهما ولفظهما سواء, وسكت عليه أبو داود, وبعد سياقه عند أحمد ما نصه : (وقد خالفوا قتيبة في إسناد هذا الحديث, وأبي حسب قتيبة وهم فيه, يقولون عن خلاد بن السائب عن أبيه) انتهى .
قال الساعاتي في بلوغ الأماني حاشية الفتح الرباني 14 / 271 في بيان معنى ما نقله عبد الله عن أبيه أحمد رحمه الله تعالى: (ومعناه أن عبد الله بن الإمام أحمد رحمه الله تعالى يقول: قد خالف المحدثون قتيبة في إسناد هذا الحديث, أبي يظن أن وهم أي غلط فيه لأنهم يقولون: عن خلاد بن السائب عن أبيه, وقد روى هذا الحديث أبو داود في سننه بسنده ولفظه كما هنا ولم يتعقبه بشيء وكذلك المنذري) انتهى .
لكن في مختصر المنذري للسنن 2 / 144 بيان حكم هذا الحديث صناعة فقال: في إسناده ابن لهيعة وهو ضعيف) انتهى . وفي: ذخائر المواريث 3 / 130 لم يعزه لغير أبي داود, وهو عنده برقم 6559 في مسند يزيد بن سعيد الكندي رضي الله عنه .

وخرجه السيوطي في الجامع الصغير 5 / 133 ولم يذكر له مخرجا سوى أبي داود, ورمز لحسنه, قال المناوي: (ورمز لحسنه) انتهى . ولم يتعقبه بشيء . وخرجه أيضا في: فض الوعاء . وخرجه الزيلعي في: نصب الراية 3 / 51 ثم قال: وهو معلول بابن لهيعة) انتهى . وخرجه ابن الأثير في جامع الأصول 4 / 151 / 2114 وفي المشكاة 1 / 691 رقم 2255 عزاه في الفصل الثالث من كتاب الدعوات إلى: الدعوات الكبير للبيهقي .

التعريف برجاله:

1- شيخهما هو: قتيبة بن سعيد بن جميل الثقفي من ثقات الأئمة وأثباتهم روى له أصحاب الكتب الستة وتوفي سنة 240هـ. رحمه الله تعالى. ومن شيوخه ابن لهيعة, ومن الآخذين عنه: الجماعة سوى ابن ماجه, وروى له ابن ماجه بواسطة أحمد بن حنبل كما في التهذيب لابن حجر .

2- ابن لهيعة: هو عبد الله بن لهيعة بن عقبة الحضرمي أبو عبد الرحمن المصري قاضي الديار المصرية وعالمها ومحدثها الإمام الكبير, كما وصفه بذلك الذهبي في التذكرة 1 / 237, وفي التقريب قال ابن حجر: صدوق من السابعة, خلط بعد احتراق كتبه, ورواية ابن المبارك وابن وهب عنه أعدل من غيرهما, وله في مسلم بعض الشيء مقرون مات سنة 174هـ .

وفي طبقات المدلسين ذكره في المرتبة الخامسة منهم فقال: . . . اختلط في آخر عمره, وكثرت عنه المناكير في روايته, وقال ابن حبان: كان صالحاً ولكنه كان يدلس عن الضعفاء. انتهى . وقال في مقدمته لها: المرتبة الخامسة: من ضعف بأمر آخر سوى التدليس فحديثهم مردود ولو صرحوا بالسماع إلا أنه يوثق من كان ضعفه يسيرا كابن لهيعة) انتهى .

وقال ابن القيم في إعلام الموقعين 2 / 388: ذكر أنه يحتج من حديث ابن لهيعة بما رواه عنه العبادلة كابن وهب وابن المبارك وابن يزيد المقرئ, وذكر كلام بعض أئمة الجرح والتعديل فيه . والظاهر من كلامهم فيه أن ضعفه من قبل حفظه, وهو مدلس, وقد عنعن في هذا الحديث عندهما, ولم أر له متابعا والله أعلم .

3- حفص ابن هشام بن عتبة بن أبي وقاص, قال الحافظ في التقريب: مجهول من الرابعة انتهى ورمز بكونه من رجال أبي داود فقط .

وقال الذهبي في: الميزان: له عن السائب بن يزيد, وعنه ابن لهيعة وحده, لا يدري من هو؟ انتهى . ولم اعثر له على ترجمة في جل مشاهير الرجال .
4- السائب بن يزيد رضي الله عنه هو: الكندي قال في التقريب: صحابي صغير يعرف بابن أخت النمر, آخر من مات بالمدينة من الصحابة من رجال الستة . انتهى
5- وأبوه هو: يزيد بن سعيد بن ثمامة بن الأسود الكندي قال في التقريب: صحابي مشهور شهد الفتح واستقضاه عمر . انتهى. ورمز بكونه من رجال أبي داود والترمذي والبخاري في الأدب المفرد.
ومما تقدم يعرف أن في هذا الإسناد علتان: الأولى منهما: ضعف ابن لهيعة من قبل حفظه وعنعنته وهو مدلس من المرتبة الخامسة ولم أظفر له بمتابع . والثانية: جهالة حال حفص بن هشام, وتقدم قول الذهبي وعنه: ابن لهيعة وحده, وتقدم أيضا أن من ترجمه لم يذكر عن حاله شيئا فحفص إذاً من رتبة المجاهيل على ما في اصطلاح الحافظ في مقدمة التقريب, والمجهول لا يصلح أن يكون حديثه شاهدا لهذا فإن قول الساعاتي في حاشية الفتح الرباني 14 / 272 وله شاهد عند الترمذي من حديث عمر, وذكره: لا يصح .
ومنه يظهر فضل ما قاله الألباني على قولهما من أن حديث السائب هذا لا يصح أن يكون شاهداً لحديث عمر رضي الله عنه لإعلاله بما ذكر كما في السلسة الصحيحة 2 / 146 .

<u>الحديث السابع:</u>

مرسل الزهري رحمه الله تعالى: أخرجه عبد الرزاق في مصنفه 2 / 247 رقم 3234, وابن الأثير في جامع الأصول 4 / 147 / 2106, والسيوطي في: فض الوعاء, فقال: (عن معمر عن الزهري قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع يديه عند صدره في الدعاء ثم يمسح بهما وجهه) قال عبد الرزاق: (وربما رأيت معمراً يفعله وأنا أفعله) انتهى .
وأخرجه أيضا في باب القنوت من مصنفه 3 / 123 رقم 5003 فقال: (عن عمر عن الزهري قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع يديه بحذاء صدره إذا دعا ثم يمسح بهما وجهه, قال عبد الرزاق: ورأيت معمراً يفعله, قلنا لعبد الرزاق: أترفع يديك إذا دعوت في الوتر قال: نعم في آخره قليلا) انتهى .

وخرجه المتقى في: الكنز 2 / 622 رقم 4918 ولم يعزه لغير عبد الرزاق, وكذا السيوطي في: فض الوعاء . وقد تحرر في فن الاصطلاح أن المرسل عند الجماهير ليس بحجة وفي خصوص مراسيل الزهري فإن أئمة النقد لا يرتضونها حتى قال القطان: مرسل الزهري شرٌ من غيره والله أعلم .

* * *

الفصل الثاني

في المأثور عن السلف في ذلك

لم يحصل الوقوف على ما يؤثر عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم من مسح الوجه باليدين بعد رفعهما للدعاء سوى أثر واحد محتمل المعنى رواه عبد الرزاق في مصنفه وترجم له بقوله: باب مسح الرجل وجهه بيده إذا دعا . عن ابن جريج وقد عنعنه وهو: مدلس عن يحيى بن سعيد أن ابن عمر كان يبسط يديه مع العاصى, وذكروا أن من مضى كانوا يدعون ثم يَردُّون أيديهم على وجوههم ليردوا الدعاء والبركة . قال عبد الرزاق: رأيت أنا معمراً

يدعو بيديه عند صدره ثم يرد يديه فيمسح وجهه) انتهى . فقوله: وذكروا أن من مضى . . . الخ محتمل الإشارة إلى من مضى في عصر الصحابة ومن بعدهم أو لمن بعدهم والله أعلم. وأما عن غيرهم من التابعين فمن بعدهم فقد تم الوقوف على رواية الفعل عن سبعة وهم على ترتيب وفياتهم مع ذكر الآثار عنهم في ذلك على ما يلي:

1- الحسن البصري المتوفي سنة 110هـ رحمه الله تعالى .

2- أبو كعب البصري: عبد ربه بن عبيد, صاحب الحرير. قال فيه ابن حجر في التقريب: ثقة, يروي عن ابن سيرين وطبقته وخرج له الترمذي .

والأثر عن الحسن وأبي كعب رواه المروزي في: كتاب الوتر ص / 236 فقال: (وعن المعتمر: رأيت أبا كعب صاحب الحرير, يدعو رافعاً يديه فإذا فرغ من دعائه يمسح بهما وجهه, فقلت له: من رأيت يفعل هذا فقال: الحسن) انتهى .

3- معمر بن راشد الأزدي المتوفي سنة 153هـ رحمه الله تعالى .

4- عبد الرزاق بن همام الصنعاني المتوفي 211هـ رحمه الله تعالى .

والأثر عن معمر وعبد الرزاق تقدم في سياق مرسل الزهري والله أعلم .

5- ابن راهويه: إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن راهويه المتوفي سنة 238هـ .

قال المروزي في كتاب الوتر ص / 236 بعد سياق حديث ابن عباس المذكور: (ورأيت إسحاق يستحسن العمل بهذه الأحاديث) انتهى .

6- إمام مذهب الحنابلة: أحمد بن محمد بن حنبل المتوفي سنة 241هـ. رحمه الله تعالى وذلك في الرواية الثانية عنه . ذكرها ابن قدامة في المغني 1 / 786, والمرداوي في: الإنصاف 2 / 173, والمجد بن تيمية في المحرر 1 / 89 .

7- الجويني: أبو محمد والد إمام الحرمين: عبد الله بن يوسف المتوفي سنة 438هـ. رحمه الله تعالى. وذلك فيما ذكره البيهقي في رسالته المشهورة التي كتبها إلى الشيخ أبي محمد الجويني, أنكر عليه فيها أشياء ومن جملتها مسحه وجهه بعد القنوت . وقد ساقها بنصها السبكي في ترجمة الجويني من الطبقات 5 / 77 - 90 ومبحث المسح في صفحتي 83, 84 فقال البيهقي فيها :

(فقلت في نفسي: قد ترك الشيخ حرس الله مهجته القوم فيما أحدثوا من المساهلة في رواية الأحاديث وأحسبه سلك هذه الطريقة فيما حُكي لي عنه, من مسحه وجهه بيديه في قنوت صلاة الصبح, وأحسن الظن برواية من روى مسح الوجه باليدين بعد الدعاء مع ما أخبرنا: أبو عبد الله الحافظ, قال: أبو بكر الخراجي, قال: حدثنا سارية حدثنا عبد الكريم السكري, قال: حدثنا وهب بن زَمْعة, أخبرني علي الناسائي [هكذا] قال: سألت عبد الله بن المبارك عن الذي إذا دعا مسح وجهه, فلم يجب, قال علي, ولم أره يفعل ذلك, قال علي: وكان عبد الله يقنت بعد الركوع في الوتر, وكان يرفع يديه في القنوت .

وأخبرني أبو علي الرُّوذْبَاري: حدثنا أبو بكر بن راسة قال: قال أبو داود السجستاني: روي هذا الحديث من غير وجه عن محمد بن كعب كلها واهية, وهذا الطريق أمثلها, وهو ضعيف أيضاً . يريد به حديث عبد الله بن يعقوب, عمَّن حدثه, عن محمد بن كعب القرظي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم: سلوا الله ببطون أكفكم ولا تسألوه بظهورها, فإذا فرغتم فامسحوا بها وجوهكم. ورُوي ذلك من أوجه أخر, كلها أضعف من رواية من رواها عن ابن عباس . وكان أحمد بن حنبل ينكرها, وحكي عنه أنه قال: في الصلاة: لا ولا بأس به في غير الصلاة . قال الفقيه: وهذا لما في استعماله في الصلاة من إدخال عمل عليها لم يثبت به أثر, وقد يدعو في آخر تشهده, ثم لا يرفع يديه ولا يمسحها بوجهه, إذ لم يرد بهما أثر, فكذا في دعاء القنوت, يرفع يديه لورود الأثر, ولا يمسح بهما وجهه إذ لم يثبت فيه أثر وبالله التوفيق) انتهى. وذكر البيهقي في السنن الكبرى 2 / 212: أن مسح الوجه باليدين بعد الدعاء يروى عن بعض السلف في الدعاء خارج الصلاة . ولم أظفر من الرواية بشيء عن السلف سوى ما تقدم .

8- ابن عبد الهادي في كتاب: آداب الدعاء[248] قال: (ويمسح بيديه بعد رفعهما وجهه لما روى عمر بن الخطاب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رفع يديه في الدعاء لم يحطهما حتى يمسح بهما وجهه . وقال محمد بن المثنى في حديثه: لم يردهما. رواه الترمذي وقال: حديث غريب. واختلف كلام الإمام أحمد هل

---

248 نســخة خطية في الظاهرية بدمشق ورقة (10) مجمــوع (32) . والنقل من مصورتها لدى الشيخ حماد بن محمد الأنصاري في المدينة النبوية .

يمسح وجهه بيديه بعد الفراغ في دعاء القنوت على روايتين عنه رحمه الله تعالى ورضي عنه) انتهى .
9- وفي خصوص خارج الصلاة فإن الإمام النووي المتوفي سنة 676هـ رحمه الله تعالى قد جزم في كتابه: التحقيق بأنه مندوب خارج الصلاة على خلاف ما قـرره في المجمـوع والله أعلم .
تنبيه: في الأدب المفرد للبخاري 2 / 68 بسنده عن أبي نعيم وهو وهب قال: (رأيت ابن عمر وابن الزبير يدعوان يديران بالراحتين على الوجه) وترجم له بقوله: باب رفع الأيدي في الدعاء . وهذه الترجمة تدل على أن المراد بهذا الأثر رفع الأيدي للدعاء لا المسح ولهذا قال شارحه: (حيث تكون راحتاه مقنعتين لوجهه) . ذكرت ذلك للتنبيه على أن المراد به الرفع لا المسح والله أعلم .

* *

الفصل الثالث

في ذكر من صرح من السلف بعدم مشروعية المسح

كما أني لم أر عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم في مشروعيته شيئاً يؤثر فكذلك لم أر عن أحد منهم رضي الله عنهم القول في عدم مشروعيته, وبالتتبع في كلام من بعدهم تم الوقوف على تصريح بعض السلف بالقول بعدم مشروعيته وهم على ترتيب وفياتهم كما يلي :
1- الإمام مالك بن أنس الأصبحي المتوفي سنة 179هـ رحمه الله تعالى . قال المروزي في كتاب الوتر ص / 236 : (وسئل مالك رحمه الله تعالى عن الرجل يمسح بكفيه وجهه عند الدعاء فأنكر ذلك وقال: ما علمت) انتهى .
2- الإمام عبد الله بن المبارك المتوفي سنة 181هـ رحمه الله تعالى . وذلك فيما رواه البيهقي 2 / 212 بإسناده إلى علي الباشاني قال: سألت عبد الله يعني ابن المبارك: عن الذي إذا دعا مسح وجهه قال: لم أجد له ثبتا, قال علي: ولم أره يفعل ذلك, قال: وكان عبد الله يقنت بعد الركوع في الوتر وكان يرفع يديه) انتهى . وتقدم نحوه في رسالته إلى الجويني .

3- الإمام أحمد بن حنبل المتوفي سنة 248هـ رحمه الله تعالى . قال المروزي في كتاب الوتر ص / 236: (وأما أحمد بن حنبل فحدثني أبو داود قال: سمعت أحمد وسئل عن الرجل يمسح وجهه بيديه إذا فرغ في الوتر فقال: لم أسمع فيه بشيء, ورأيت أحمد لا يفعله) انتهى . وسيأتي تحرير مذهبه إن شاء الله تعالى .
4- البيهقي صاحب السنن الكبرى المتوفي سنة 458هـ وفيها 2 / 212 قال: (فأما مسح الوجه باليدين عند الفراغ من الدعاء فلست أحفظه عن أحد من السلف في دعاء القنوت, وإن كان يروى عن بعضهم في الدعاء خارجها, وقد روي فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث فيه ضعف, وهو مستعمل عند بعضهم خارج الصلاة . وأما في الصلاة فهو عمل لم يثبت بخبر صحيح ولا أثر ثابت, ولا قياس, فالأولى أن لا يفعله, ويقتصر على ما فعله السلف رضي الله عنهم من رفع اليدين دون مسحها بالوجه في الصلاة وبالله التوفيق) انتهى. وتقدم أيضا كلامه مطولاً في رسالته إلى الجويني في الفصل الثاني .
5- العز بن عبد السلام المتوفي سنة 660هـ رحمه الله تعالى . وذلك فيما نقله عنه المناوي في: فيض القدير 1 / 369 أنه قال: (لا يمسح وجهه إلا جاهل) وقد نقله من قبل الزركشي في كتابه: الأزهية في الأدعية فقال: بعد ذكر بعض الأحاديث في هذا المبحث . (وأما قول العز في فتاويه الموصلية: مسح الوجه باليد بدعة في الدعاء لا يفعله إلا جاهل, فمحمول على أنه لم يطلع على هذه الأحاديث وهي وإن كانت أسانيدها لينة لكنها تقوى باجتماع طرقها) انتهى . من نسخته الخطية ص / 35 من مخطوطات مكتبة الشيخ حماد بن محمد الأنصاري نزيل المدينة النبوية, وبإرشاده إلى ذلك نقلت . انتهى
6- النووي المتوفي سنة 676هـ رحمه الله تعالى . أنه لا يندب المسح بعد الدعاء خارج الصلاة كما في: المجموع . وذكره ابن علان في شرح الأذكار 2 / 311 .
7- شيخ الإسلام ابن تيمية المتوفي سنة 728هـ رحمه الله تعالى . كما في الفتاوى 22 / 519 في جواب سؤال قال فيه: (وأما رفع النبي صلى الله عليه وسلم يديه في الدعاء فقد جاء فيه أحاديث كثيرة صحيحة . وأما مسح وجهه بيديه فليس عنه فيه إلا حديث أو حديثان لا يقوم بهما حجة والله أعلم) انتهى . فلازم هذا أنه لا يرى المسح .

8 / 9- ابن عرفة محمد بن محمد المتوفي سنة 803هـ رحمه الله تعالى . نقل عنه القول بأنه بدعة ابن مرزوق في كتابه: ((النصح الخالص في الرد على مدعي رتبة الكامل الناقص)) .
حيث أشار إلى ذلك في أبيات قال فيها قال بعضهم:

والمر باليد على الوجه كره *** إثر الدعاء والفواتح انتبه
وعن إمامنا بن عرفه بدعته *** فلا تكن مخالفه
وقال قومٌ قد يوُرِّث العمى *** ولم يقل بالمسح من تقدما

انتهى من: إزاحة الغطاء للشيخ حماد الأنصاري أجزل الله مثوبته .
10- الفيروز آبادي المتوفي سنة 817هـ قال في خاتمة: سفر السعادة: (وباب مسح الوجه باليدين بعد الدعاء ما صح فيه حديث) انتهى . فلازم هذا أنه لا يرى المسح والله أعلم .

الفصل الرابع

<u>في ذكر مذاهب الأئمة في المسح</u>

قبل البحث في خلاف علماء المذاهب المشهورة في ذلك ينبغي ذكر محل الخلاف ومواطنه وبيان كل منهما على ما يلي:
<u>محل الخلاف:</u>

ليعلم أن محل الخلاف في مسح الوجه باليدين بعد الدعاء إنما هو إذا رفع الداعي يديه للدعاء هل يشرع له المسح بعد الفراغ منه أم لا .
أما إذا دعا الداعي غير رافع ليديه فإنه لا يمسح وليس محل خلاف إذاً والله أعلم .
وفي عون المعبود 1 / 554 في شرح حديث السائب عن أبيه ما نصه : (قال الطِّيبى: دل على أنه إذا لم يرفع يديه للدعاء لم يمسح وهو قيدٌ حسن لأنه صلى الله عليه وسلم كان يدعو كثيراً كما في الصلوات والطواف وغيرهما من الدعوات المأثورة: دبر الصلوات وعند النوم, وبعد الأكل, وأمثال ذلـك, ولـم يرفع يديـه ولـم يمسح بهمـا وجهه, قاله علي القارى) انتهى .

مواطن الخلاف:

يجري بحثها في الكتب المذهبية وفي الخلافيات عند البحث في دعاء القنوت في صلاة الصبح, أو الوتر . وفي أبواب الدعاء من الكتب الجوامع . وإلى طرف من أقوالهم فيها:

مذهب الحنفية:

لم أر للحنفية في هذا شيئاً يذكر لا نفياً ولا إثباتاً فالله أعلم .

مذهب مالك رحمه الله تعالى:

وأما مالك فتقدم قوله قريباً في فاتحة الفصل الثالث .

مذهب الشافعية:

فصل علماء الشافعية رحمهم الله تعالى القول في المسح داخل الصلاة أو خارجها على ما يلي: أما داخل الصلاة فاختلفوا في رفع اليدين للقنوت ومسح الوجه بهما على ثلاثة أوجه . فصلها النووي في كتبه: الروضة 1 / 255, والأذكار 2 / 310, والمجموع . والبيهقي في السنن 2 / 212, والدمشقي في: كفاية الأخيار 1 / 71 . والساعاتي في الفتح الرباني 3 / 315 . والمتحصل من كلامهم فيها أن لعلماء الشافعية في ذلك ثلاثة أوجه:
الأول: يستحبان, أي الرفع والمسح .
الثاني: لا يستحبان .
الثالث: يستحب الرفع دون المسح . وهذا هو المشهور في المذهب وصححه محققوا المذهب منهم البيهقي, والرافعي وآخرون وصححه الساعاتي . وبه قال الدمشقي في كتابه المذكور وأنه السنة والله أعلم .

وأما مسح الوجه بهما بعد الدعاء خارج الصلاة فقد صرح النووي في المجموع أنه غير مندوب, وجزم في: التحقيق أنه مندوب كما حكاه ابن علان في شرح الأذكار 2 / 311. وظاهر كلام البيهقي في صدر الفصل الثالث أنه لم يثبت مرفوعاً ولكنه مستعمل عند بعضهم خارج الصلاة والله أعلم .

مذهب الإمام أحمد:

أصحابنا الحنابلة هم أوفى أهل المذاهب بحثاً لهذه المسألة لما أثر عن الإمام أحمد رحمه الله تعالى من روايات فيها في حكم المسح داخل الصلاة وحكمه خارجها . وحكم إيقاعه على القول بعدم المسح داخل الصلاة . وهذه مباحثها محررة:

أما المسح داخل الصلاة: فتقدم قول المروزي: (حدثني أبو داود قال سمعت أحمد بن حنبل, وسئل عن الرجل يمسح وجهه بيديه إذا فرغ في الوتر فقال: لم أسمع فيه بشيء, ورأيت أحمد لا يفعله) انتهى .

فهذا نص من الإمام أحمد رحمه الله تعالى من أنه لا يرى المسح في ذلك وإسناده غاية في الصحة كما ترى .

وذكر صاحب المغني 1 / 786 بأن هذه هي إحدى الروايتين عنه ثم قال: (ولأنه دعا في الصلاة فلم يستحب مسح وجهه فيها كسائر دعائها) انتهى .

وقال المرداوي في: الإنصاف 2 / 173 على هذه الرواية: (قال القاضي: نقلها الجماعة واختارها الآجري) انتهى .

وفي: الفروع 1 / 414 قال: (ونقل ابن هانئ أنه: رفع يديه ولم يمسح) انتهى .

وأشار إلى أن هذه الرواية هي مذهب الشافعي وقال: لضعف خبر ابن عباس السابق في الدعاء بعد الصلاة وذكر حديثي عمر ويزيد وعللهما بما تقدم .

فأحمد رحمه الله تعالى في هذه الرواية لا يرى المسح لقوله: لم أسمع فيه بشيء, وقد رفع يديه في القنوت, فترك المسح .

الرواية الثانية عنه: في المسح داخل الصلاة .

وهي استحباب المسح حكاها صاحب المغني رواية ثانية عن الإمام أحمد قال: (للخبر الذي رويناه . وذكر حديثي عمر ويزيد ثم قال: ولأنه دعاء يرفع يديه فيه فيمسح بهما وجهه كما لو كان خارجاً عن الصلاة, وفارق سائر الدعاء فإنه لا يرفع يديه فيه) انتهى .

وعلى هذه الرواية قال المرداوي في: الإنصاف 2 / 173: وهي المذهب فعله الإمام أحمد ثم ذكر من قوى هذه الرواية وقدمها على غيرها من الأصحاب) انتهى .
وقال في: الفروع, ويمسح وجهه بيديه فعله أحمد, اختاره صاحب المغني والمحرر .
وتوجيه ابن قدامة في المغني - لها تقدم, وقال المجد ابن تيمية في: المحرر 1 / 89 (ويسن مسح وجهه بيديه, وعنه لا يسن) انتهى .
ومما تقدم نرى أن رواية ترك المسح في المذهب: سندها قوله أحمد وتركه له . ومستند رواية المسح: فعل أحمد له .
فالترك المطابق لقوله بأنه لم يسمع فيه بشيء ألصق بأن تكون الرواية فيه: هي المذهب من الرواية الثانية والله أعلم .

حكم إيقاع المسح على رواية الترك:
ثم إنه على رواية أن القانت لا يمسح وجهه بيديه عند أحمد اختلفت الرواية عنه أيضا فيما إذا وقع المسح من القانت في الوتر فما حكمه: على روايتين حكاهما صاحب الإنصاف 2 / 173 فقال: (روى عنه لا بأس . وعنه يكره المسح صححهما في الوسيلة . وأطلقهما في الفروع) انتهى .
لكن ابن مفلح في تصحيحه للفروع قيد ما أطلقه صاحب الفروع .

حكم المسح خارج الصلاة:
وفيه عن أحمد ثلاث روايات هي:
الأولى: المسح .
الثانية: تركه .
الثالثة: أنه رخص فيه .
قال المرداوي في: الإنصاف 2 / 173: (فوائد: الأولى: يمسح وجهه بيديه خارج الصلاة إذا دعا عند الإمام أحمد, ذكره الآجري وغيره . ونقل ابن هانئ عن أحمد: رفع يديه ولم يمسح . وذكر أبو حفص: أنه رخص فيه) انتهى .
ومثله في: الفروع 1 / 414 . وذكر رواية المسح كل من الشويكى في: التوضيح ص / 46 وصاحب المطالب 1 / 559, وفي المنتهى 1 / 99 .

وعليه فالمسح بعد الدعاء خارج الصلاة هو المشهور من مذهبه لكن رواية الترك: من فعله رحمه الله تعالى والله أعلم .

* * *

الفصل الخامس

في ملاحق البحث

وينعقد في فوائد ثلاث:

الفائدة الأولى: في حكمة المسح عند القائلين به .

قال الصنعاني في: سبل السلام 4 / 218: (قيل: وكأن المناسبة أنه تعالى لما كان لا يردهما صفراً فكأن الرحمة أصابتها فناسب إضافة ذلك على الوجه الذي هو أشرف الأعضاء وأحقها بالتكريم) انتهى .

وقال الساعاتي في: الفتح الرباني 14 / 272: (والحكمة في ذلك: التفاؤل, والتيمن بأن كفيه ملئتا خيرا فأفاض منه على وجهه فيتأكد ذلك للداعي ذكره الحلبي) انتهى . وفي شرح شرعة الإسلام للشيخ علي زاده ص / 169: (فيه تيمن وتفاؤل كأنه يشير إلى أن كفيه كانا ملياً من البركات السماوية فهو يفيض منها إلى وجهه الذي هو أولى الأعضاء بالكرامة) انتهى .

وليعلم أن استظهار الحكمة التشريعية فرع لثبوت الحكم الشرعي قال ابن القيم رحمه الله تعالى في: زاد المعاد 4 / 209: (إنه

ليس في الشريعة حكم إلا وله حكمة وإن لم يعقلها كثير من الناس أو أكثرهم) انتهى .

الفائدة الثانية: في مسح غير الوجه بعد الدعاء - كالصدر .

لم أر في المسألة شيئاً يؤثر من حديث أو أثر, بل نص جماعة على كراهيته, وحكي الاتفاق على عدم استحبابه, ولم أر من صرح بجوازه فضلاً عن استحبابه سوى عبارة حكاها صاحب الفروع عن الشيخ عبد القادر الجيلاني, ولم يكشف لي عن إسنادها, ولا تصحيح أحد من أهل المذهب لها . وقد استنكرها صاحب الفروع مع أنها ليست صريحة في المسح .

قال صاحب الفروع 1 / 414: (وقال الشيخ عبد القادر في: الغنية: يمسح بهما وجهه في إحدى الروايتين, والأخرى يضعهما على صدره . كذا قال) انتهى .

ونقلها صاحب الإنصاف 2 / 173 . إذا علم ذلك فهذه جمل من كلام أهل العلم في هذا: قال النووي في: الروضة: 1 / 255:

(قلت: لا يستحب مسح غير وجهه قطعا بل نص جماعة على كراهته) انتهى .

وهذا تفريع على أحد الوجوه لدى الشافعية من استحباب مسح الوجه بعد الدعاء .

وفي: كفاية الأخيار 1 / 71: (ولا يستحب مسح الصدر بلا خلاف بل نص جماعة على كراهته قاله في: الروضة) انتهى .

وفي: فيض القدير للمناوى 1 / 369: (وأما الصدر فلا يندب مسحه قطعا بل نص جمع على كراهته . ذكره في الروضة) انتهى .

وقال الساعاتي في: الفتح الرباني 3 / 316: (وأما غير الوجه من الصدر وغيره فاتفق أصحابنا على أنه لا يستحب بل قال ابن الصباغ وغيره هو مكروه) انتهى . والله أعلم .

الفائدة الثالثة: في متفرقات في المسح .

منها تقبيل اليدين بعد رفعهما للدعاء . فالرفع سنة, والتقبيل لا أصل له .

ومنها: مسح العينين بالسبابتين عند قول المؤذن للشهادتين وهذا يُروى فيه حديث موضوع, رواه الديلمي في: مسند الفردوس كما في الفوائد المجموعة للشوكاني وغيره .

ومنها: ما جاء في حديث جابر رضي الله عنه رواه الحاكم في المناسك من كتاب المستدرك 1 / 455, والبيهقي في السنن 5 /

74 والمحب الطبري في القرى ص / 283, والحافظ في تلخيص الحبير 2 / 245 وقال: وله شاهد من حديث ابن عمر . وقال: المحب: حديث حسن . وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم . ونصه عنده: (قال: دخلنا مكة عند ارتفاع الضحى فأتى النبي صلى الله عليه وسلم باب المسجد فأناخ راحلته, ثم دخل المسجد فبدء بالحجر فاستلمه وفاضت عيناه بالبكاء, ثم رمل ثلاثا, ومشى أربعا حتى فرغ, فلما فرغ قبل الحجر ووضع يديه عليه, ومسح بهما وجهه) انتهى والله أعلم .

* * *

خلاصة البحث

في فصوله الأربعة

مما تقدم يعلم ما يلي:

1- المسح في السنة النبوية على صاحبها الصلاة والتسليم .

2- المسح عند الصحابة رضي الله عنهم .
3- المسح عند من بعدهم من سلف الأمة رحمهم الله تعالى .
4- المسح في علم الخلافيات الفقهية .
5- محل المسح .
وخلاصة البحث في كل منها على النحو الآتي:
أما المسح في السنة النبوية الشريفة فجموع ما روي سبعة أحاديث وهي من حيث تقسيم السنن إلى قولية وفعلية تنقسم إلى قسمين :
أحاديث مروية من فعله صلى الله عليه وسلم وهي أربعة: حديث ابن عمر عن أبيه عمر رضي الله عنهما, وحديث عمر في الإستسقاء, وحديث يزيد الكندي رضي الله عنه . ومرسل الزهري رحمه الله تعالى . وأن حديث عمر من رواية ابنه عبد الله عنه مدار أسانيده على حماد بن عيسى الجهني وهو ضعيف ضعف عدالة لا حفظ . وأن حديث يزيد فيه علتان عنعنة ابن لهيعة وهو مدلس وهو ضعيف من قبل حفظه ولم يتابع, وجهالة حفص بن هاشم وأن مرسل الزهري من شر المراسيل كما ذكره القطان . وأن حديث عمر في الإستسقاء لم يكشف لنا عن إسناده حتى نعرف حاله . والله أعلم . وأحاديث مروية من قوله صلى الله عليه وسلم وهي ثلاثة: معضل ابن أبي مغيث, وحديث ابن عمر وفيه: الجارود وهو متروك الحديث . فهذان ليسا بحجة ولا في باب المتابعات والشواهد كما يعلم في فن الإصطلاح .
وحديث ابن عباس رضي الله عنهما ومدار أسانيده مع تعدد مخارجها على صالح بن حسان وهو متروك وعيسى بن ميمون وهو ضعيف عدالة فلا تصح متابعة أحدهما للآخر . ومن الطريف أن جميع رواة الحديث المذكورين لم يترجمه أحد منهم بما يفيد مشروعية المسح سوى المروزي في كتاب صلاة الوتر كما تقدم . ولعل هذا والله أعلم لأن الأحاديث لا تقوى على المشروعية للمسح بعد الرفع للدعاء, وعبد الرزاق ترجم بها لأثر معمر رحمه الله تعالى .
والمتلخص أن: الأحاديث القولية هذه لا يقام بمثلها سنة تشريعية, وأن الأحاديث الفعلية قبلها لم يكشف لنا في حديث عمر في: الإستسقاء عن إسناده حتى نعلم ضمه إلى حديث يزيد فيقوي أحدهما الآخر أو يكون طرده على نحو أحاديث المسألة هذه فتعلم البراءة من تشريع المسح قطعا والله أعلم .

المسح عند الصحابة رضي الله عنهم:
وأما المسح في المأثور عنهم فلم نحس له بأثر ولا إثارة ويبعد انتشار سنة بينهم ثم لا يكون نقلها لا سيما وهي من السنن الظاهرة . وهذا يقوي جانب البراءة وعدم المشروعية .
المسح عند من بعدهم:
وأن المسح صرح غير واحد من التابعين فمن بعدهم بعدم مشروعيته أو عدم ثبوت السنة به منهم: مالك, وابن المبارك, وأحمد في إحدى الروايتين عنه, والعز بن عبد السلام, والنووي في أحد قوليه وابن تيمية, وابن عرفة, وابن مرزوق, والفيروز آبادى, وابن عباس بل منهم من صرح بأنه بدعة والله أعلم .
وفي مقابل هؤلاء جاءت رواية الفعل له عن بعض السلف منهم: الحسن وأبو كعب, ومعمر, وعبد الرزاق, وابن راهويه, وأحمد في إحدى الروايتين عنه, والجويـني أبو محمد, والله أعلم . ومعلوم أن هذه هيئة تشريعية الحاكم فيها نص المعصوم صلى الله عليه وسلم وحده والله أعلم .
المسح في علم الخلافيات:
وأن المسح عند المالكية غير مشروع . وكذا عند الشافعية في أصح الوجهين من مذهبهم . والحنابلة في الرواية عن أحمد من قوله وفعله والله أعلم .
محل المسح:
وأنه لا خلاف أن محل المسح على القول بمشروعيته هو الوجه لا غير ولا خلاف أن المسح على القول بمشروعيته إنما يكون بعد رفع اليدين للدعاء أما مسح لا يسبقه رفع للدعاء فليس محل خلاف من أنه لا يشرع .
وأن النصوص الواردة في رفع الأيدي للدعاء كثيرة جداً ولم ترد واقعة المسح في شيء منها سوى ما تقدم وحالها كما علم .
وأن المسح بع الرفع للدعاء في القنوت داخل الصلاة لم يثبت به سنة نبوية ولا فعل صحابي له . وأما خارج الصلاة فثبوته من السنة النبوية محل نظر للوقف في حديث عمر في الإستسقاء, وعن الصحابة رضي الله عنهم لم يحصل الوقوف على ما يؤثر ومن بعدهم بين الفعل, والترك, والنهي . وعليه فلو فعله الداعي أحياناً

خارج الصلاة من غير ملازمة لكان له وجه مما تقدم وبه نعلم أن ما قرره الإمام البيهقي رحمه الله تعالى في السنن الكبرى 2 / 212 هو كلام من درى السنن وخبر الأثر وقد تقدم سياقه بنصه في ثنايا الفصل الثالث من هذا الجزء المبارك فليُرْجع إليه فإنه مهم .
وانتهى ما أردت تحريره في المدينة النبوية في عام أربع وتسعين بعد الثلاثمائة والألف من الهجرة النبوية ثم أعدت النظر فيه وتم نسخه صباح الاثنين الموافق لليوم السابع من الشهر الحادي عشر من عام ثلاثة بعد الأربعمائة والألف من الهجرة وذلك في منزلي العامر بحي الخادمية من بلد الطائف المحروس, وصلى الله وسلم على نبينا وآله وصحبه .